

الكتاب: كتاب الفتوح  
المؤلف: أحمد بن أعثم الكوفي

الجزء: ٢

الوفاة: ٣١٤

المجموعة: مصادر سيرة النبي والائمة

تحقيق: علي شيري ( ماجستير في التاريخ الإسلامي )

الطبعة: الأولى

سنة الطبع: ١٤١١

المطبعة: دار الأضواء

الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع

ردمك:

ملاحظات: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع ص ب ٤٠ / ٢٥ غبيري - أو

٦٦٤١ / ١١٣ الحمرا . / تلکس ٢٣٧١٧ بيدر أو ٢٣٤٠٧ هادي - بيروت

- لبنان

كتاب الفتوح  
للعلامة أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي  
المتوفى نحو سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م  
الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم  
ذكر فتح البربر وما كان من أخبارهم  
قال: وكان البربر فيما مضى منازلهم بأرض فلسطين، وكان ملكهم جالوت بن  
جلهم (١) الذي قتله داود النبي عليه السلام، فلما قتل انجلت البربر من أرض  
فلسطين إلى أرض المغرب فنزلوها وتفرقوا فيها. قال: والبربر قبائل شتى، منهم:  
زناتة ومغيلة وصرفند ولواتة وهوارة ونفوسة ولبيبة سبع قبائل، قال: فصارت هذه  
القبائل إلى حد بأرض المغرب، وقد كانت هذه المدائن فيها مضى للروم منها  
لوبية (٢) ومراقية (٣) ولبدة (٤) وسبرة (٥). قال: ومنهم من صار إلى برقة (٦)،  
ومنهم من

(١) عند ابن خلدون ٧ / ٣ عن ابن قتيبة: جالوت بن جالود وقيل: جالوت بن هريال بن ج الود. وقال ابن  
خلدون: والحق أن جالوت من بني فلسطين بن كسلوحييم بن مصرايم بن حام. أحد شعوب حام بن  
نوح وهم اخوة القبط والبربر والحبشة والنوبة. وكان بين بني فلسطين هؤلاء وبين بني إسرائيل حروب  
كثيرة.

وفي نسبهم خلاف كبير بين النسابة. انظر في ذلك ما ذكره ابن خلدون في تاريخ ٦ / ٩٣.  
وفي نزولهم أرض المغرب. قال ابن الكلبي اختلف الناس فيمن أخرج البربر من الشام. فقيل داود  
بالوحي. وقيل يوشع بن نون وقيل افريقش وقيل بعض الملوك التابعة.  
قال ابن خلدون: وأما القول بأنهم من ولد جالوت أو العماليق وأنهم نقلوا من ديار الشام وانتقلوا فقول  
ساقط يكاد من أحاديث خرافة إذ مثل هذه الأمة المشتملة على أمم وعوالم ملأت جانب الأرض لا  
تكون منتقلة من جانب آخر وقطر محصور. والبربر معروفون في بلادهم وأقاليمهم متحيزون بشعارهم  
من الأمم منذ الأحقاب المتطاولة قبل الاسلام.

(٢) لوبية: مدينة بين الإسكندرية وبرقة. (معجم البلدان).

(٣) مراقية: بين الإسكندرية ولوبية. (معجم البلدان).

(٤) لبدة: مدينة بين برقة وإفريقية. (معجم البلدان).

(٥) سبرة: مدينة بإفريقيا، كانت سوق اطرابلس. (معجم البلدان).

(٦) برقة: صقع كبير بين الإسكندرية وإفريقيا يشتمل على مدن وقرى، واسم مدينتها انطابلس.

صار إلى طرابلس المغرب، ومنهم من بلغ إلى طنجة وأفراهنجة وإلى السوس الأدنى وإلى السوس الأقصى. قال فغلبيت البربر على هذه المدائن فأجلوا الروم عنها ونزلوا فيها. قال: وصار أهل إفريقية وبرقة وجميع البلاد يتقون من ناحية البربر ويخافونهم خوفا شديدا.

قال: فصار إليهم عمرو بن العاص في جيشه ذلك حتى نزل بأول مدينة من مدنهم، قال: وخرجت البربر إلى المسلمين فقاتلوهم، وأظهر الله تبارك وتعالى عليهم المسلمين فقتلوا منهم في يوم واحد نيفا على سبعمائة رجل. فلما رأت البربر ذلك كرهوا حرب المسلمين فخضعوا وذلوا وأذعنوا وطلبوا الصلح. قال: فصالحهم عمرو بن العاص على ثلاثمائة رأس من السبي ومثلها من الخيل والبغال والحمير ومثلها من البقر والغنم، فأخذ ذلك كله منهم. ثم سار منها إلى مرقية ولبدة وسبرة وزويلة، فصالح أهل كل مدينة من هذه المدن على ما صالح عليه أهل المدينة الأولى. ثم سار إلى برقة فلم يترك بساحتها حصنا حتى خرجوا إليه فحاربوه ساعة من النهار ثم إنهم انهزموا من بين أيدي المسلمين فزعين مرعوبين حتى دخلوا مدينتهم برقة وقد قتل منهم من قتل، ثم سألوا الصلح بعد ذلك، فأجابهم إليه عمرو بن العاص، فصالحهم على خمسمائة من السبي، ثلاثمائة غلام ومائتي جارية ومثل ذلك من الماشية (١)، فجمع ذلك كله ثم كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بما فتح الله عز وجل على يده من البلاد وأنه مقيم على باب برقة (٢) إلى أن يرد عليه

---

(١) في فتوح البلدان ص ٢٢٥ صالح أهلها على الجزية وهي ثلاثة عشرة ألف دينار يبيعون فيها من أبنائهم من أحبوا بيعه. (اليقوبي ٢ / ٢١٥٦ معجم البلدان) وكان ذلك في سنة ٢٢.  
(٢) في فتوح البلدان ص ٢١٧ أن عمرو بن العاص وصل إلى طرابلس فكتب إلى عمر بن الخطاب: (إنا قد بلغنا طرابلس وبينها وبين إفريقية تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لها في غزوها فعل. فكتب إليه عمر ينهأ ويقول: ما هي بإفريقيا ولكنها مفرقة غادرة مغدور بها، وذلك أن أهلها كانوا يؤدون إلى ملك الروم شيئا فكانوا يغدرون به كثيرا). وفي تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٥٦: ولا يغزوها أحد ما بقيت.

كتاب أمير المؤمنين فينتهي إلى أمره إن شاء الله تعالى.  
ذكر كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري.  
من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس، سلام عليك! أما بعد  
فقد بلغني أن الأعاجم قد تحركت بأرض الأهواز (١) من تستر والسوس ومناذر وما  
والى

ذلك وقد جمعوا المسلمين جمعا، فإذا ورد عليك هذا الكتاب إن شاء الله فلا تضيعه  
من يدك حتى تضم إليك أصحابك ومن أجابك من أهل البصرة وسائر المسلمين، ثم  
سر بهم على بركة الله عز وجل وطاعته والرغبة فيما لديه، فمن أجابك منهم فهو أولى  
بماله وأهله وولده، وليس لك من ذلك إلا بلغة إن احتجت إلى ذلك، وعظ نفسك  
وأصحابك ولا تكثر عليهم الحرب في كل وقت فيملوها إلا أن يطلبوا ذلك منك،  
وأن لهم جانبك وحطهم بنفسك، واعلم بأن المسلمين في جوار الله عز وجل، وأن  
المسلم أعظم الخلق على الله عز وجل حرمة، فلا يطلبك الله عز وجل بمظلمة أحد  
منهم، واحذر عليهم واحفظ قاصيهم، وأنصف مظلومهم، وخذ لضعيفهم من  
قويهم وأصلح ذات بينهم، وألزمهم القرآن وخوفهم، وامنعهم من ذكر الجاهلية وما  
كان فيها فإنه يورث الضغينة ويدعو إلى الدخول والقطيعة، واعلم يا بن قيس بأن الله  
تبارك وتعالى قد تكفل لأهل هذا الدين بما لا خلف له من النصر والظفر، فاحذر أن  
يصرف الله عز وجل بوجهه إلى غيرك وأن يستبدل بك سواك من خلقه - والسلام  
عليك ورحمة الله وبركاته -.

قال: فلما ورد كتاب عمر رضي الله عنه على أبي موسى الأشعري وقرأه  
قال: يرحم الله أمير المؤمنين كأن ملكا بين عينيه يسدده إلى الكلام، ثم نادى في  
الناس فجمعهم وعرضهم فكانوا يزيدون على عشرة آلاف من بين فارس وراجل،  
فقام فيهم خطيبا فحمد الله عز وجل وأثنى عليه، ثم وعظهم وأحسن الموعدة وقرأ  
عليهم كتاب عمر رضي الله عنه وأمرهم بالجهاز إلى أرض الفرس وديارها وقال لهم  
فيما يقول: أيها الناس! إذا لقيتم العدو غدا فاصبروا على جهادهم واجعلوا  
حصونكم الصفائح والحجف والعوالي، فإن كلت الرماح والصفائح فاعترضوهم

(١) الأهواز: كان اسمها أيام الفرس خوزستان، والأهواز اسم الكورة بأسرها، وعند العامة هي سوق  
الأهواز، وهي سبع كور بين البصرة وفارس وهي: سوق الأهواز ورامهرمز وايدج وعسكر ومكرم وتستر  
وجنديسابور وسوس وسرق ونهر تيري ومناذر.

بالسهام والجنادل، وانظروا لا يكونن شيء مما خلق ربكم أهون عليكم من الدنيا فإنها دار الفتنة وسجن المؤمن، ولا يكونن شيء أحب إليكم من لقاء ربكم فإن ما عند الله خير للأبرار، ألا! وإني سائر فسيروا إلى لقاء عدوكم غدا إن شاء الله ولا قوة إلا بالله.

قال: ثم نزل عن المنبر ودعا عمران بن الحصين واستخلفه على البصرة. وخرج أبو موسى بمن معه من الناس حتى نزل الأيلة (١) وتلاحق به الناس، فرحل من الأيلة (١) حتى دخل أرض الأهواز، فجعل يفتحها رستاقا رستاقا ونهرا نهرا، والفرس يرتفعون بين يديه ويخلون له البلاد وأبو موسى في أثرهم يتبعهم فيخرب أرضهم ويغنم أموالهم، حتى فتح أرض الأهواز كلها إلا السوس وتستر ومناذر ورامهرمز هذه الأربعة (٢).

ثم نزل على مناذر الكبرى وبها يومئذ خلق كثير من الفرس، فناوشهم أبو موسى القتال، وتقدم فتى من خيار المسلمين يقال له المهاجر بن زياد بن الديان (٣) فجعل يقاتل قتالا شديدا وهو في ذلك صائم، فأقبل أخ له يقال له الربيع بن زياد إلى أبي موسى فقال: أيها الأمير، إن أخي مهاجر بن بن زياد قد شرى نفسه لله في هذا اليوم

وهو صائم، وأنا أعلم أنه قد بلغ منه العطش فلو أمرته أن يفطر ويحارب العدو! قال: فنادى أبو موسى في الناس (٤): ألا! أني أخرج على رجل قاتل في هذا اليوم وهو صائم. قال: فدعا المهاجر بن زياد بشربة من ماء فشرب، ثم قال: أيها الأمير! أترى هذه الشربة [من] الماء تحول بيني وبين دخول الجنة؟ لا والله لا كان ذلك أبدا إن شاء الله وأنا أريد الشهادة.

(١) كذا بالأصل، وهو بعيد، لعله (الأيلة).

(٢) وذلك في سنة ١٧. والخبر في الطبري ٤ / ٢٠٨ باختلاف ولم يأت فيه على ذكر أبي موسى. وقال فتوح البلدان ص ٣٧٠ أن المغيرة بن شعبة غزا في ولايته سوق الأهواز وشخص عتبة من البصرة آخر سنة ١٥ أو أول سنة ١٦. وبعث نكث الهرمزان صلحه غزاها أبو موسى، وكان أبو موسى قد تولى البصرة بعد المغيرة وذلك في سنة ١٧. ويؤيد ذلك ما جاء في كتاب عمر إلى أبي موسى (... فقد بلغني أن الأعاجم قد تحركت بأرض الأهواز من تستر والسوس ومناذر وما والى ذلك... سر على بركة الله) (انظر نص كتاب عمر إلى أبي موسى في الصفحة السابقة).

(٣) عن فتوح البلدان ص ٣٧٠ وبالأصل: عبد المدان.

(٤) عبارة فتوح البلدان: عزمت على كل صائم أن يفطر أو لا يخرج إلى القتال.

قال: وتقدم المهاجر فلم يزل يقاتل حتى قتل - رحمة الله عليه. قال: وأخذت الفرس رأس المهاجر بن زياد وكانت له ضفيرتان فعلق رأسه على سور المدينة بصفيرته، قال: وغضب أبو موسى الأشعري لذلك وحرص المسلمين على الحرب، فلم يزل يحارب أهل مناذر أشد حرب حتى فتحها قسرا، فلم يترك فيها محتلما حتى قتله وسبى أهلها وأخذ أموالها. ذكر فتح السوس وما كان من محاربة أهلها.

قال: ثم سار أبو موسى إلى السوس (١) فنزل عليها وحاصر أهلها حصارا شديدا، قال: وبها يومئذ ملك من ملوك العجم يقال له سابور بن آذرماهان (٢)، فلما نظر إلى خيل المسلمين وقد نزلت عليه ونظر أن أبا موسى قد حاصره وضيق عليه دعا بوزير له يقال له كرد بن آذر مهر، فأرسله إلى أبي موسى يسأله أن يعطيه الأمان له ولعشرة (٣) من أهل بيته ويسلم له قلعة السوس، فأجابه أبو موسى إلى ذلك وبعث إليه أن تسمي من أحببت أن يخرج في الأمان، قال: فسمي سابور من أراد أن يخرج من القلعة ولم يسم نفسه فيهم، قال: فجعل أبو موسى يسمي من خرج من القلعة حتى سمى القوم بأسمائهم، ثم خرج سابور من بعد ذلك فقال له أبو موسى: أليس إنما كتبت إلي تسألني أن أعطي عشرة من أصحابك الأمان؟ قال: بلى! قال: فهؤلاء عشرة كما ذكرت وما أرى لك ههنا اسما، وإن في قتلك صلاحا، ثم قدمه أبو موسى فضرب عنقه صبورا، واحتوى على مدينة السوس فغنم ما فيها وأخذ أموال سابور ملكها، وجعل يدور بالخزائن فيأخذ ما فيها، حتى أفضى إلى خزانة مقفلة وقد ختم قفلها بالرصاص، فقال أبو موسى لأهل السوس: ما في هذه الخزانة فإني أراها مختومة بالرصاص؟ فقالوا: أيها الأمير! ليس فيها شيء من حاجتك، فقال: لا بد لي من علم ما فيها.

خبر دانيال الحكيم.

قال: فكسر القفل وفتح الباب ودخل أبو موسى إلى تلك الخزانة فنظر فإذا هو

(١) السوس: بلدة بخوزستان.

(٢) في الطبري ٤ / ٢٢٠ وابن الأثير ٢ / ١٦٢ والبداية والنهاية ٧ / ١٠١ شهر يار أخو الهرمزان.

(٣) في فتوح البلدان ص ٣٧١: لثمانين.

بحجر كبير محفور على مثال الحوض (١) وفيه رجل ميت وقد كفن في أكفان منسوجة

بالذهب ورأسه مكشوف (٢)، قال: فتعجب أبو موسى من ذلك وقال لأهل السوس: ويحكم من هذا الرجل؟ قالوا: هذا رجل كان بالعراق وكان أهل العراق إذا احتبس عنهم المطر يستسقون به فيسقون، فأصابنا من قحط المطر ما كان يصيب أهل العراق فأرسلنا إليهم وسألناهم أن يدفعوه إلينا حتى نستسقي به فأبوا علينا، فأرهنهم خمسين رجلا وحملناه إلى هذا المكان، ثم استسقينا فسقيننا، ورأينا من الرأي أن لا نرده عليهم، فلم يزل مقيما عندنا إلى أن أدركته الوفاة فمات، فهذه قضيته وهذا حاله.

قال: فأقام أبو موسى الأشعري بالسوس وكتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخبره بما فتح الله عز وجل عليه من منازر وما والاها ومدينة السوس ويذكر في كتابه أمر دانيال. قال: فدعا عمر بأكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سألهم عن دانيال

هذا، فلم يجد عندهم فيه خيرا، فقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: بلى هذا دانيال الحكيم وهو نبي غير مرسل، غير أنه في قديم الزمان مع بختنصر ومن كان بعده من الملوك. قال: وجعل علي يحدث عمر بقضية دانيال من أولها إلى آخرها إلى وقت وفاته، ثم قال علي: اكتب إلى صاحبك أن يصلي عليه ويدفنه في موضع لا يقدر أهل السوس على قبره، قال: فكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري بذلك (٣)، فلما قرأ أبو موسى كتاب عمر أمر أهل السوس أن يقلبوا نهرهم إلى موضع آخر. ثم أمر بدانيال فكفن أيضا في أكفان فوق التي كانت عليه، ثم صلى عليه هو وجميع أصحابه من المسلمين، ثم أمر بقبره، فحفر في وسط نهر السوس ثم دفنه وأجرى عليه الماء، فيقال إن دانيال مدفون في نهر السوس والماء يجري عليه إلى يومنا هذا - والله أعلم - (٤).

(١) في كتاب الأموال لأبي عبيد: وجدوا دانيال في إبن.

(٢) زيد في كتاب الأموال لأبي عبيد: وإلى جانبه مال موضوع، وكتاب فيه: من شاء أتى فاستقرض منه إلى أجل، فإن أتى به إلى ذلك الأجل وإلا برص.

(٣) نصه عن الوثائق السياسية وثيقة رقم ٣٦٨ / جس، جع:

كفنه وحنطه، وصل عليه، ثم ادفنه كما دفنت الأنبياء صلوات الله عليهم... وانظر ماله، فاجعله في بيت مال المسلمين.

(٤) انظر خبر دانيال في الطبري ٤ / ٢٢٠ وفتوح البلدان ص ٣٧١ ومعجم البلدان (السوس)، والبداية والنهاية ٧ / ١٠٢.

ذكر فتح تستر وما كان من محاربة المسلمين لأهلها.  
قال: ثم سار أبو موسى إلى تستر (١) بعد فراغه من أمر السوس فنزل عليها وبها يومئذ الهرمزدان أنو شروان (٢)، فلما علم أن العرب قد نزلت بساحته جمع نواحيه وضم أطرافه ثم كتب إلى يزدجرد ملك الفرس يخبره بأمر العرب ويسأله المدد، قال: ويزدجرد يومئذ مقيم بنهاوند في جميع عظيم من الفرس، فلما ورد عليه كتاب الهرمزدان يسأله المدد دعا برجل من وزرائه يقال له شاه بوذان فضم إليه عشرة آلاف، واتبع له آخر يقال له داربهان في عشرة آلاف، وأتبعه بوزير آخر يقال له دارنوش في عشرة آلاف، وبوزير آخر يقال له راحشين في عشرة آلاف، فذلك أربعون ألفاً، واجتمع إلى الهرمزدان أهل بلده في خمسة وعشرين ألفاً، فصار في خمسة وستين ألفاً.

قال: وكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخبره بذلك ويسأله المدد، قال: فكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى جرير بن عبد الله البجلي وجرير يومئذ بحلوان، فأمره بالمسير إلى أبي موسى، ثم كتب أيضاً إلى عمار بن ياسر وعمار بالكوفة، فأمره بالمسير إلى أبي موسى (٣).

قال: فدعا جرير بابن عم له يقال له عروة بن قيس البجلي واستخلفه على حلوان في ألف رجل، وخرج جرير من حلوان في أربعة آلاف فارس يريد أبا موسى، قال: وسار جرير حتى قدم على أبي موسى.

ودعا عمار بن ياسر عبد الله بن مسعود فقال: هذا كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، يأمرني فيه بالمسير إلى أبي موسى الأشعري لنصرة إخواننا المؤمنين من أهل البصرة، فأنت خليفتي على أهل الكوفة إلى قدومي إن شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. قال: ثم نادى عمار في أهل الكوفة فاستنهضهم إلى الجهاد، فأجابه الناس إلى ذلك سراعا، فخرج عمار من الكوفة في ستة آلاف فارس يريد إلى أبي موسى.

(١) تستر: من مدن خوزستان.

(٢) في معجم البلدان وفتوح البلدان والبداية والنهاية: الهرمزان.

(٣) كذا بالأصل وفتوح البلدان ومعجم البلدان، وعند الطبري وابن الأثير وابن كثير: أن أمير الناس أبو سبرة بن أبي رهم.

قال: فجعل بشر بن منقذ الهمداني يذكر حروبهم المتقدمة بالخيلة في أيام مهران وما كان من محاربتهم بين يدي المثنى بن حارثة الشيباني رحمه الله. قال: وسار عمار بن ياسر حتى قدم على أبي موسى الأشعري، فصار أبو موسى على باب تستر في نيف على عشرين ألفا بين فارس وراجل، فعندها دعا بالنعمان بن مقرن المزني وجرير بن عبد الله البجلي فأمرهما بالمسير إلى رام هرمز (١) على أنهما يدعوان أهلها إلى الاسلام.

قال: فسار جرير حتى نزل على رام هرمز ثم إنه بعث بالنعمان بن مقرن ففتح قلعتين من قلاع رام هرمز وأصاب منها سببا وخيرا كثيرا، قال: وفتح جرير بن عبد الله (١) مدينة رام هرمز بالسيف قسرا فاحتوى على أموالها ونسائها وذريتها. قال: وبلغ ذلك أبا موسى الأشعري فقال لأهل البصرة: ويحكم! إني كنت أعطيت أهل رام هرمز الأمان وأجلتهم ستة أشهر إلى أن يروا رأيهم (٣)، فعجل جرير بن عبد الله وأهل الكوفة ففتحوا مدينتهم قسرا وقسموا السبايا، فهاتوا ما عندكم من الرأي! قال: فقال أهل البصرة: الرأي في ذلك عندنا أن تكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتخبره بذلك إلى أن يرد عليك الخبر من عنده فتعمل بحسب ما يأمرك.

قال: فكتب أبو موسى بذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعلمه بالخبر على وجهه، فكتب عمر إلى صلحاء عسكر أبي موسى مثل حذيفة بن اليمان والبراء بن عازب وأنس بن مالك وسعيد بن عمرو الأنصاري وغيرهم أن ينظروا في ذلك، فإن كان أبو موسى قد أعطى رام هرمز من الأمان قبل ذلك كما زعم وأعطاهم عهدا وكتابا مكتوبا أن يرد الناس ما في أيديهم من السبي، وإن كانت امرأة حامل أن تحبس في موضع ويوكل عليها ويجرى لها النفقة حتى تضع ما في بطنها ثم تخير بعد ذلك بين الاسلام والمقام مع صاحبها، فإن اختارت الاسلام فذلك، وإن أبت ردت إلى بلادها، وأن تستحلفوا أبا موسى الأشعري أنه قد كان أعطى أهل رام هرمز عهدا

(١) رام هرمز: مدينة مشهورة من نواحي خوزستان.

(٢) في الطبري ٤ / ٢١٢ وابن الأثير ٢ / ١٦٣ أن النعمان بن مقرن سار إلى رامهرمز وفتحها وكان بها الهرمزان فهرب منها ولحق بتستر.

(٣) في فتوح البلدان ص ٣٧٢ هادن أبو موسى أهل رامهرمز ثم انقضت مدتهم فوجه إليهم أبا مريم الحنفي فصالحهم على ثمانمائة ألف درهم.

وأمانا وضرب لهم أجلا ستة أشهر كما زعم، فإذا حلف بذلك فيرد السبي ولا سبيل عليهم إلى انقضاء المدة والأجل.

قال: فاستحلف المسلمون أبا موسى فحلف أنه قد أعطى أهل رام هرمز أمانا وعهدا مؤكدا وضرب لهم أجلا، وكانوا في مواعده ستة أشهر. فلما حلف أبو موسى بذلك رد المسلمون السبي إلا بلادهم، ووضعت الحوامل ما في بطونهن فخيرن بعد ذلك، فمنهن من اختارت الإسلام فأقامت مع صاحبها، ومنهن من أبت فردت إلى بلادها.

قال: وكتب بعض أصحاب جرير بن عبد الله إلى عمر بن الخطاب أبياتا يذكر فعل جرير بأهل رام هرمز وأنه لم يفعل ما فعل إلا بأمر أبي موسى، وأن أبا موسى هو الذي أمرهم بالنزول عليهم وبمحاربتهم. ثم رجعنا إلى أخبار تستر.

قال: وعزم المسلمون على حرب أهل تستر فوثب أبو موسى يعبي أصحابه، فكان على ميمنته جرير بن عبد الله البجلي، وعلى ميسرته النعمان بن مقرن المزني، وعلى الجناح البراء بن عازب، وعلى أعنة الخيل عمار بن ياسر، وعلى رجالاته حذيفة بن اليمان (١)، ثم إنه زحف بخيله ورجله نحو تستر، ورجل من المسلمين يقرأ هذه الآية: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) (٢)

قال: وخرج الهرمزدان (٣) صاحب تستر إلى حرب المسلمين في الأساورة والمرازبة (٤) وبين يديه قواد الأعاجم، وكذلك عن يمينه وشماله، فقال رجل من المسلمين (٥): اللهم! تعلم أنني أحب لقاءك وأبغض أعدائك فانصرنا عليهم

(١) انظر في تبعثته فتوح البلدان ص ٣٧٣ ومعجم البلدان (تستر).

(٢) سورة الأحزاب الآية ٢٣.

(٣) الهرمزان، وقد مر.

(٤) أساورة جمع إسوار: القائد عند الفرس، والحيد الرمي بالسهم (قاموس).

المرازبة: جمع مرزبان: الرئيس عند الفرس (قاموس).

(٥) لعله البراء بن مالك، وكان مجاب الدعوة (عن البداية والنهاية ٧ / ٩٩ وابن الأثير ٢ / ١٦٣).

واقبضني إليك، يا رب! إنك على كل شيء قدير، قال: ثم إنه حمل على أهل تستر، فلم يزل يقاتل حتى قتل منهم جماعة ثم وقف في ميدان الحرب، قال: ثم حمل ثانية على أهل تستر، فلم يزل يقاتل حتى قتل رحمة الله عليه.

قال: واشتبك الحرب بين الفريقين فاقتتلوا ساعة من النهار، وحمل رجل من الفرس يقال له مراد شاه في زهاء ألف فارس من أبطال الفرس على ميسرة أهل الكوفة وفيهم يومئذ بنو بكر بن وائل وجماعة من كندة، قال: وانكشف الكوفيون بين يدي الفرس كشفة أطمعهم في أنفسهم، ثم رجعوا عليهم فطردوهم بين أيديهم طردا وكدوهم بحملتهم عليهم كذا وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، قال: ثم وقعت الهزيمة على أهل تستر، فانهزموا والسيف يأخذهم حتى دخلوا مدينتهم.

فلما كان من غد عبي أبو موسى أصحابه كما عبأهم بالأمس ثم زحف بهم نحو باب تستر، قال: وخرج الهرمزدان صاحب تستر إلى قتال المسلمين وقد عبي أصحابه تعبئة خلاف تعبيته بالأمس، وعلى يمينته رجل من قواد يزدجرد يقال له مهريار في نيف من عشرة آلاف من الأساورة وعلى يسرته رجل من الري يقال له شيرواهات في أربعة آلاف من الفرس، وبين يديه ملك من ملك الأهواز يقال له خرشيد بن بهرام في نيف عن عشرة آلاف فارس، ما يبين منهم شيء سوى حوافر الخيل من كثرة السلاح والتجافيف، والهرمزدان يومئذ في القلب في جماهير الأعاجم، عليه جوشن مذهب وبيضة مذهبة وسيف محلى بالذهب، وقد التحف بدرقة مذهبة وفي يده طبرزين مذهب، وكل ذلك مما أتخفه به يزدجرد حين قاتل معه يوم جلولاء.

قال: ونظر أبو موسى الأشعري إلى جمع الهرمزدان وتعيته وزينته فنادى بأعلى صوته: يا أهل الإسلام! ويا حملة القرآن! ويا أهل المعرفة والايمان! لا يغرنكم هذه الجيوش ولا تهابوا هذه التعبئة، فهي كالجيوش والتعبية التي قد لقيتموها في كل موطن، ووالله! ما أحد يشك في كفر هؤلاء القوم وقتالهم إلا أدخله الله مدخلهم.

قال: وجعل أبو موسى يسير بين الصفيين فيسوي أصحابه ويقف على شردمة شردمة فيوصيهم بالصبر ويعدهم النصر والظفر.

خبر نصر بن الحجاج السلمي وما كان من أمره وكيف صار إلى تستر ومحاورته مع أبي موسى الأشعري. قال: فبينما أبو موسى كذلك إذ مر بفتى من بني سليم يقال له نصر بن الحجاج (١)، وكان من الفرسان الأبطال، وكان به مسحة من جمال، وهو الذي أخرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المدينة. وكان السبب في ذلك أن امرأة من أهل المدينة يقال لها الذلفاء هويت نصر بن الحجاج هذا فأرسلت إليه ودعته إلى نفسها، فزجرها ولم يواتها إلى ما تريد. قال: فبينما عمر ذات يوم مار (٢) في سكك المدينة إذ سمع نشيد شعر من دار، فوقف يستمع فإذا الذلفاء، قال: فلما سمع عمر رضي الله عنه هذه الأبيات (٣) منها أمر بالذلفاء، فأخرجت من منزلها، ثم أمر بها فحبست، قال: فعلمت الذلفاء أن عمر سمعها وهي تنشد تلك الأبيات، فكأنها اتقت على نفسها أن يعاقبها على ذلك فكتبت إليه من محبسها أبياتا (٤). قال: فلما نظر عمر رضي الله عنه في هذه الأبيات أمر

(١) هو نصر بن حجاج بن علاط، السلمي، وهو من بني بهز بن امرئ القيس، أبوه من خيار الصحابة (الإصابة - جمهرة أنساب العرب).  
(٢) في طبقات ابن سعد ٣ / ٢٨٥ بينما عمر بن الخطاب يعس ذات ليلة.  
(٣) عند ابن سعد وعيون الأخبار ٤ / ٢٣.  
هل من سبيل إلى خمر فأشربها \* أم هل من سبيل إلى نصر بن حجاج ورد في تزيين الأسواق ٢ / ٢٩ بعده  
إلى فتى ماجد الأعراق مقتبل \* سهل المحيا كريم غير ملجاج  
تنميه أعراق صدق حين تنسبه \* أخي حفاظ عن المكروب فراج  
فقال لها امرأة معها: من نصر؟ قالت: رجل أود لو كان معي طول ليلة ليس معنا أحد، فدعا بها عمر فخفقها بالدرة.

(٤) في تزيين الأسواق:  
قل للامام الذي تخشى بواده \* مالي وللخمر أو نصر بن حجاج  
إني غنيت أبا حفص بغيرهما \* شرب الحليب وطرف غير ساجي  
إن الهوى زمة التقوى فقيده \* حتى أمر بالجام وإسراج  
أمنية لم أطر فيها بطائرة \* والناس من هالك فيها ومن ناجي  
لا تجعل الظن حقا أو تبينه \* إن السبيل سبيل الخائف الراجي  
قال: وكان عمر قد سأل عنها فوصفت له بالعفاف فأرسل إليها: قد بلغني عنك خير فقري.

بإخراجها من محبسها، فأخرجت.  
ثم أرسل إلى نصر بن الحجاج أن أخرج (١) من المدينة والحق بالبصرة فكن بها إلى أن يأتيك أمري. قال: فمضى نصر بن الحجاج إلى البصرة فنزلها ثم كتب إلى عمر أبياتا، قال: فلما وصلت الأبيات إلى عمر ونظر فيها كتب إلى أبي موسى الأشعري وأمره بالوصاء به إن أحب أن يقيم بالبصرة وإن أحب الرجوع إلى المدينة فذاك إليه، فاختار الفتى الإقامة بالبصرة. فلم يزل مقيما بها إلى أن خرج أبو موسى الأشعري إلى محاربة أهل الأهواز، فخرج معه هذا الفتى نصر بن الحجاج في هذا الجيش، فلما كان يوم تستر مر به أبو موسى وهو على فرس له أشقر، فجعل يطيل النظر إلى الفرس، فقال له نصر بن الحجاج: ما لي أراك قد أطلت النظر إلى فرسي! فقال له أبو موسى مداعبا له: ليس فرسك هذا بشيء ولكنه حسن القميص، فهل لك أن تبعنيه؟ قال: فغضب نصر بن الحجاج فقال: أيها الأمير! أنت بالبقر أبصر منك بالخييل، فقال له أبو موسى: صدقت يا بن أخي إني لأرى بقرتك هذه جديدة القرن، دقيقة الاذن، عريضة الجبهة، جيدة الجوف قريبة من الأرض، فاشدد يدك بها، فقال له نصر بن الحجاج: فلا عليك أيها الأمير أن تسابقني ببقرتك هذه التي تحتك، قال: وجعل نصر بن الحجاج: يحدث أبا موسى بهذا الكلام وهو يستحي أن يرفع رأسه. قال: والتفت ابن عم لنصر بن الحجاج إلى أبي موسى فقال: أيها الأمير! إني أراك قد عبت فرس ابن عمي هذا وإن فرسك لأشبه شيء بالبقر، لأنه عظيم الرأس، أخطل (٢) الاذنين، مهلوب (٣) الذنب، قصير الرجلين، قال: فضحك أبو موسى ثم قال: يا أخا بني سليم! إني لم أرد بكلامي ابن عمك إلا خيرا وإنما كانت مني إليه مداعبة، فذر عنك الغضب رحمك الله وعليك بالجهاد.

(١) عند ابن سعد: فأرسل إليه فأتاه فإذا هو من أحسن الناس شعرا وأصبحهم وجهها، فأمره عمر أن يطم شعره ففعل، فخرجت جبهته فازداد حسنا. فأمره عمر أن يعتم ففعل، فازداد حسنا فقال عمر: لا والذي نفسي بيده لا تجامعني بأرض أنا بها، فأمر له بما يصلحه وسيره إلى البصرة (الطبقات ٣ / ٢٨٥).

(٢) أخطل الاذنين: الطويلة المضطربة المسترخية (اللسان).

(٣) مهلوب الذنب: المنتوف شعره.

ثم رجعنا إلى حديث الحرب.

قال: ودنا المسلمون من الفرس والفرس من المسلمين فتراموا بالنشاب والنبل ساعة، ثم إنهم تلاحموا فاختلفوا، واشتبك الحرب بينهم من وقت بزوغ الشمس إلى قريب من الظهر. قال: وإذا رجل من عظماء الفرس من أهل تستر يقال له هرمك قد خرج فجعل يجول ويطلب البراز، فخرج إليه شيخ من باهلة من بني حلوه (١) يقال له أوس على فرس له عجفاء، فلما نظر إليه أبو موسى عرفه فناداه أن ارجع يا أخوا باهلة! فلست من أهل هذا الفارسي لأنك شيخ بال وأنت على فرس بال، قال: فرجع الشيخ ولم يخرج، وجعل الفارسي يطلب البراز، فأحجم عنه الناس وخرج إليه الشيخ ثانية، فرده أبو موسى، فغضب الباهلي من ذلك ولم يلتفت إلى كلام أبي موسى ومضى نحو الفارسي، فالتقيا بطعنتين، طعنة الباهلي قتلتها، ثم أقبل راجعا نحو المسلمين، قال: فقال له أبو موسى: يا أخوا باهلة! إن الأشعري لم يرد بكلامه إياك بأسا، فقال الباهلي: ولا الباهلي أراد بأسا أيها الأمير!

قال: وتقدم جرير بن عبد الله البجلي حتى وقف بين الصفين ثم نادى بأعلى صوته: أيها المسلمون! الجهاد ثوابه عظيم وخطره جسيم، وهذا يوم له ما بعده من الأيام، وقد دعاكم الله عز وجل إلى الجهاد ووعدكم عليه الثواب، ونهاكم عن الثاقل وحذركم العقاب، فاعملوا في يومكم هذا عملا يرضى به ربكم عنكم، ألا وإنني حامل يا معشر بجيلة فاحملوا.

قال: ثم جعل جرير يرتجز، قال: ثم حمل جرير من الميمنة وحمل النعمان بن مقرن من الميسرة واختلط الفريقان، ودارت بهما الحرب فاقتتلوا قتالا شديدا، ثم صدقهم المسلمون القتال والحملة وكبروا، وإذا الهرمزدان قد ولى بين يدي أصحابه فاتبعته الأعاجم، ووضع المسلمون فيهم السيف فقتلوا منهم في المعركة مقتلة عظيمة وأسروا منهم ستمائة رجل، ودخل الهرمزدان وأصحابه إلى تستر بأشر حالة تكون وعامة أصحابه جرحاء، ورجع المسلمون إلى معسكرهم، وقدم أبو موسى هؤلاء الأسراء فضرب أعناقهم عن آخرهم.

فلما كان من غد إذا برجل من الفرس من أهل تستر يقال له نسيبه بن دارنة قد

(١) كذا، وليست في جمهرة أنساب العرب لابن حزم ولا جمهرة ابن الكلبي.

أقبل إلى أبي موسى الأشعري من بعد صلاة العشاء الآخرة فقال: أيها الأمير! أتعطيني الأمان على نفسي ومالي وولدي وأهلي وأدفع إليك هذه المدينة؟ فقال له أبو موسى: لك ذلك، فقال الفارسي: فابعث معي الساعة رجلا حتى أوقفه على الطريق الذي يتهياً لكم أن تدخلوا المدينة منه، قال: فبعث معه أبو موسى برجل يقال له عوف بن مجزأة (١) فقال له: انطلق مع هذا الرجل حتى يوقفك على الطريق الذي يتهياً لنا أن ندخل منه إلى مدينة تستر.

قال: فخرج عوف بن مجزأة مع نسيبه هذا الفارسي في جوف الليل حتى جاز به الفارسي نهر تستر فأوراه المخاضة من موضع عرفه، ثم مر به على عرق الجبل حتى أصعده السور. وعلى السور قوم نيام قد أوقفهم الهرمزدان في ذلك الموضع حرساً للمدينة، قال: فجاز به نسيبه رويدا رويدا حتى أنزله إلى مدينة تستر ثم جاء به إلى منزله فبات فيه، فلما أصبح نسيبه أخذ طيلسانا له فدفعه إلى عوف بن مجزأة فقال له: غط رأسك بهذا الطيلسان واتبعني، قال: فخرج المسلم يتبع نسيبه حتى جاز به على باب الهرمزدان والهرمزدان في وقته قد وضع الموائد على بابه يغدي قواده وأساورته، فقال نسيبه للمسلم: هذه دار الهرمزدان فأعرفها لتخبر أصحابك بذلك، قال: ثم جاء به حتى أوقفه على باب المدينة فعرفه إياه، وطاف به في مدينة تستر حتى أوقفه على الموضع الذي جاء به منه فقال: اعبر الآن هذا النهر وسر إلى صاحبك فخبره بما رأيت وقل له فليبعث معك بجماعة وليتبعوك حتى تدخل المدينة كما أدخلتك إياها وليحتالوا في قتل هؤلاء الحرس، فإذا كان وقت الصبح فليزلوا إلى باب المدينة فليعالجوه حتى يفتحوه، ويكون صاحبك قد عبى أصحابه وأوقفهم على الباب، فإني أرجو أن يفتح الله هذه المدينة لكم، فإني قد أوقفك على مدخلها ومخرجها فخبّر أنت أصحابك بذلك وكن أنت الدليل لهم على فتحها.

قال: فخرج عوف بن مجزأة إلى أبي موسى فخبّره بذلك، فلما كان في الليلة الثانية قال أبو موسى لأصحابه: أيها المسلمون من يهب نفسه لله تعالى في هذه الليلة فليخرج مع عوف بن مجزأة حتى يدخل بهم مدينة تستر فيكونوا هم الذين يفتحون لنا

(١) في الطبري ٤ / ٢١٦ عامر بن عبد القيس وكعب بن سور ومجزأة بن ثور. وعند ابن الأثير ٢ / ١٦٤ عامر بن عبد القيس. وفي فتوح البلدان ص ٣٧٣ أشرس بن عوف رجل من بني شيان.

بابها من داخلها، فقد تعلمون أنه ليس لنا في تستر حيلة إلا أن تفتح لنا من داخلها لأجل هذا النهر الذي يدور حولها.

قال: فانتدب له سبعون (١) رجلاً أو يزيدون من أهل البصرة وأهل الكوفة فتقلدوا بسيوفهم ثم مضوا نحو تستر وعوف بن مجزأة بين أيديهم، حتى جاز بهم النهر فخاضه من الموضع الذي قد عرفه، ثم أصعدهم على عرق الجبل حتى أوقفهم على السور والحرس في وقتهم ذلك نيام لا يعقلون. قال: فنكى فيهم هؤلاء المسلمون فذبحوهم عن آخرهم، ثم قعدوا على السور ينتظرون الصبح، فلما كان وقت الصبح وثب المسلمون فصلوا بغلس (٢) وركبوا دوابهم وتقلدوا سيوفهم وتناولوا رماحهم وقصدوا نحو باب تستر والباب مغلق، قال: ونزل هؤلاء السبعون الذين مضوا في أول الليل فساروا إلى باب تستر من داخل ليعالجوه فيفتحوه، وكان على الباب ثلاثة أقفال ومفاتيح الاقفال عند الهرمزدان، قال: وكبر المسلمون من خارج الباب وكبر المسلمون السبعون من داخل الباب، وسمعت الفرس بذلك فبادروا وخرجوا من دورهم وقصورهم وركبوا، وركب الهرمزدان في أساورته ومرازبته نحو الباب. قال: فجعل هؤلاء السبعون رجلاً يقاتلون أهل تستر بأجمعهم، وكان قوم يعالجون فتح الباب وقوم يحاربون حتى كسروا قفلين وقتل عامة هؤلاء السبعين فما بقي منهم إلا نفر قليل. قال: وجعل المسلمون يكبرون من خارج المدينة وليس لهم في أصحابهم حيلة، فلم يزالوا كذلك حتى قتل السبعون بأجمعهم غير ثلاثة نفر، ففتحوا القفل الثالث واقتحم المسلمون مدينة تستر وهؤلاء الثلاثة أيضاً داستهم الخيل فقتلتهم.

قال: وسار المسلمون بأجمعهم حتى صاروا في مدينة تستر فجعلوا يقتلون وينهبون، وخرج الهرمزدان عن مدينة تستر هارباً حتى صار إلى قلعة له، وقد كان قدم أهله وولده وعامة أمواله إلى تلك القلعة في نفر من أهل بيته وخدمه وحشمه فتحصن هنالك، وغنم أبو موسى والمسلمون جميع ما كان بتستر من أموالها وغنائمها، ومرت الفرس على وجوهها يمناً ويسرة وقد كانوا وجهوا بنسائهم وأولادهم وأموالهم ففرقوهم في البلاد خوفاً من المسلمين.

(١) في فتوح البلدان ص ٣٧٣ ندب أبو موسى أربعين رجلاً... وأتبعهم مائتي رجل.  
(٢) الغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح. (اللسان).

قال: وجمع أبو موسى غنائم تستر فأخرج منها الخمس ليوجه به إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقسم باقي ذلك في المسلمين، فأعطى كل ذي حق حقه (١)، ثم سار في جميع أصحابه حتى نزل إلى قلعة الهرمزدان فحاصره بها أشد الحصار، فلما رأى الهرمزدان ما هو فيه بعث إلى أبي موسى يسأله أن يعطيه الأمان على أن يحمله إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أهله وولده وحشمه وجميع أهل بيته، فأجابه أبو موسى إلى ذلك وكتب له أمانا منشورا فبعث به إليه، فنزل الهرمزدان من قلعته، فأخذوا جميع ما كان فيها.

قال: ثم دعا أبو موسى بالهرمزدان فقيده بقيد ثقيل ووجه به وأهله وولده وجميع ما كان معه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ووجه إليه أيضا بالخمس من غنائم المسلمين من تستر (٢).

قال: وبلغ ذلك أهل المدينة فجعلوا ينظرون إلى الهرمزدان ومن معه من أصحابه، قال: ودخل المسلمون المدينة وطلبوا عمر بن الخطاب في منزله فلم يصيبوه، فقال الهرمزدان: لمن تطلبون؟ قالوا: نطلب أمير المؤمنين، قال الهرمزدان: أو ليس له من يقضي حوائجه؟ قالوا: بلى ولكنه عون نفسه، قال: فعجب الهرمزدان من ذلك.

ثم جاء المسلمون فإذا هم بعمر بن الخطاب وهو نائم في مشرفه من وراء المسجد فوقفوا عليه وسلموا، فاستيقظ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم استوى جالسا فنظر إلى الهرمزدان وإلى من معه فخر لله ساجدا ثم قال (٣): الحمد لله الذي جعله وأشباهه فينا للمسلمين.

قال: ثم وثب عمر فدخل المسجد واجتمع إليه المهاجرون والأنصار، وأتى بالخمس حتى وضع بين يديه فنظر إليه عمر وحمد الله عز وجل على ذلك. ثم دعا بالهرمزدان فأوقفه بين يديه ثم قال: يا هرمزدان! كيف رأيت صنع الله عز وجل بك؟

---

(١) كان سهم الفارس ثلاثة آلاف والرجل ألفا. (الطبري - ابن الأثير - ابن كثير).  
(٢) في الطبري ٤ / ٢١٧ أرسل الهرمزان مع وفد فيهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس.  
(٣) في الطبري وابن الأثير: الحمد لله الذي أذل بالاسلام هذا وغيره أشباهه (في الطبري: هذا وأشياعه). وزيد عنده: يا معشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين واهتدوا بهدي نبيكم ولا تبطنكم الدنيا فإنها غرارة.

فقال الهرمزدان: لست بأول من نزلت به هذه النازلة، المصائب قد تصيب الرجال.  
فقال عمر: صدقت فقل لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقال الهرمزدان: على هذه  
الحالة لا أقول، قال: عمر: فإني قاتلك، قال الهرمزدان: فإني عطشان فاسقني  
قبل أن تقتلني، قال عمر: ائتوه بماء حتى يشرب، قال: فأتي بماء في إناء  
من خشب أو غير ذلك، فقال الهرمزدان: إني لا أشرب في مثل هذا الإناء ولا أشرب  
إلا

في جوهر، قال عمر رضي الله عنه: إنا لا نشرب في الجوهر ولا نرى ذلك، فقال له  
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: فلا عليك ائتته بماء في قوارير (١) فإنه جوهر  
أيضا، قال: فأتي بقدر فيه ماء فتناوله، فقال له عمر: اشرب! فقال الهرمزدان:  
أخاف أن تقتلني قبل أن أشربه، قال عمر (٢): فلك الله عز وجل راع وكفيل لا أقتلك  
أو تشربه، قال: فرفع الهرمزدان القدر فضرب به الأرض فكسره، فقال عمر: أيها  
المسلمون ما ترون في هذا؟ فسكت المسلمون، فقال علي (٣) رضي الله عنه: إنك  
قد أعطيتهم الأمان وحلفت له أن لا تقتله أو يشرب الماء، فلم يشربه فليس لك أن  
تقتله، ولكن ضع عليه الجزية وذره ليكونن بالمدينة. فقال الهرمزدان: إنه لا توضع  
الجزية على مثلي وأنا ملك وابن ملك غير إني داخل في دين الاسلام طائعا غير مكره  
وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. قال: وأسلم الهرمزدان وأسلم كل  
من كان معه من أهل بيته وولده وخدمه وحشمه، فأمر عمر رضي الله عنه بفك قيده  
وقربه وأدناه وفرح بإسلامه، وخلطه المسلمون بأنفسهم.

قال: ودخل رجل من المسلمين (٤) ممن كان مع أبي موسى إلى قلعة  
الهرمزدان فجعل يدور فيها، فبينما هو كذلك إذ نظر إلى تمثال من حجر وقد مد يده  
كذا نحو الأرض، قال: وكان هذا المسلم داهيا فقال: ما وضع هذا التمثال في هذا  
الموضع ماذا يده إلى الأرض إلا وتحت يده كنز! ثم جاء إلى أبي موسى الأشعري  
فخبره بذلك، فأرسل أبو موسى بثقات من أصحابه وأمرهم، فحفروا تحت التمثال  
فإذا هم بسفط عظيم مقفل، فحملوه إلى أبي موسى، فأمر به ففتح فإذا دنائير كثيرة

(١) إناء من فضة.

(٢) في الطبري: لا بأس عليك حتى تشربه.

(٣) في الطبري وابن الأثير وفتوح البلدان والبداية والنهاية: أنس بن مالك.

(٤) هو السائب بن الأقرع كما في الإصابة وفيه أن السائب شهد فتح مهرجان ودخل دار الهرمزان فرأى فيها  
ظبيا من ح صن ماذا يده... فنظر فإذا فيه خبيثة للهرمزان فيها سفط من جوهر.

كسروية وحلى من قرطة وشنوف (١) ومخائق (٢) وخلاخيل وأسورة وخواتيم وكل ذلك

من الذهب مرصع بالدر والجوهر. قال: فنظر أبو موسى والمسلمون إلى ذلك، قال: ونظر أبو موسى إلى فص ياقوت هناك فأخذه ولم يعلم قيمته، ثم قفل السفط وختمه وأرسل به إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكتب إليه بحاله وقصته. قال: فكتب عمر هذا السفط ثم بعث إلى الهرمزدان فدعاه ثم قال: يا هرمزدان! إني أسألك عن أموالك ما حالها؟ فقال الهرمزدان: إن مالي وأموال غيري قد صارت إلى أبي موسى وقد قسمها في أصحابه ووجه إليك ما وجه، قال عمر: فهل بقي لك في قلعتك شيء من المال؟ قال: لا يا أمير المؤمنين! ما بقي لي هنالك شيء إلا سفط مدفون في القلعة لا يقدر عليه أحد وقد عزمت على أن أوجه من يأتيني به، قال: فضحك عمر رضي الله عنه ثم دعا بالسفط فوضعه بين يديه، قال: هذا سفطك؟ قال: هذا هو يا أمير المؤمنين! فمن أتاك بهذا؟ قال: وجه به إلينا أبو موسى الأشعري ولكن افتحه وانظر هل تفقد منه شيئاً، قال: ففتحه الهرمزدان وجعل ينظر ويميزها ثم قال: ما أفقد منه إلا فصاً واحداً هو خير مما في هذا السفط، فقال عمر: فإن صاحبي كتب إلي أن الفص صار إليه فاجعله له إن شئت، قال الهرمزدان: فإني قد جعلته له يا أمير المؤمنين وهو أعف رجل يكون إذ لم يكتملك أمر هذا الفص.

قال: واختصم أهل البصرة وأهل الكوفة، فقال أهل البصرة: الفتح لنا (٣)، وقال أهل الكوفة: بل الفتح لنا (٣)، فاختصموا في ذلك حتى كاد أن يقع بينهم شيء من المكروه ثم إنهم رضوا بعمر بن الخطاب وكتبوا إليه بذلك. قال: فكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أما بعد فإن تستر من مغازي أهل البصرة (٤) غير أنهم إنما نصرنا بإخوانهم من أهل الكوفة، وكذلك أهل الكوفة لو أن عدوا غزاهم في ثغورهم ثم نصرهم أهل البصرة لم يكن بذلك بأس لان النصر في

(١) شنوف: جمع شنف. من حلى الاذن. والشنف: الذي يلبس في أعلى الاذن، قيل الشنف والقرط سواء (اللسان).

(٢) المخائق: جمع مخنقة القلادة (اللسان).

(٣) في معجم البلدان (تستر): هي من أرضنا.

(٤) في معجم البلدان: فجعلها عمر بن الخطاب من أرض البصرة لقربها منه.

كتاب الله عز وجل للمؤمنين، وقد جعل الله عز وجل المؤمنين إخوة، والفتح لأهل البصرة، وأهل الكوفة شركاؤهم في الاجر والغنيمة، فإياكم ونزعات الشيطان! والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. قال: فرضي الفريقان بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ورجع أهل الكوفة مع أميرهم عمار بن ياسر إلى الكوفة، ورجع أهل البصرة مع أبي موسى إلى البصرة، ورجع أهل حلوان مع جرير بن عبد الله وأصحابه إلى حلوان.

حديث العنزي (١)

قال: وأقبل رجل من أهل البصرة يقال له ضبة بن محصن العنزي إلى أبي موسى فقال له: يا هذا! إنك قد رأيت بلائي بين يديك في يوم تستر فيما أن تزيد لي في عطائي وإما أن توفدني إلى أمير المؤمنين، فقال له أبو موسى: يا أبا عنزة! أما ما ذكرت من بلائك بين يدي فكل المسلمين قد أبلوا، وإنما أرادوا بذلك ما عند الله عز وجل والدار الآخرة، وإني متى زدتك في عطائك خفت أن يطلب غيرك ذلك ولست بفاعل، قال: فقال له العنزي: والله! ما كان لك في هذا الفتح أمر ولا نهى ولا كان الحظ فيه إلا لجرير بن عبد الله البجلي وإخوانه من أهل الكوفة، ولو كان الأمر في ذلك إليك إذا لما قطعت فيه شعرة ولا فتت فيه بعرة. قال: فغضب أبو موسى الأشعري لذلك ثم كتب فيه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب عمر إلى أبي موسى أن يشخص هذا العنزي إليه فشخص، فلما دخل وسلم رد عليه السلام وهو لا يعرفه، ثم قال: من أين أنت؟ قال أنا ضبة بن محصن العنزي، قال عمر: فلا مرحبا بك ولا أهلا! فقال العنزي: أما المرحب فمن الله وأما الأهل فلا أهل لي، ثم ولى من بين يديه مغضبا (٢)، فقال عمر: ردوه، فردوه إليه، فلما وقف بين يديه أمره بالجلوس فجلس، ثم قال: خبرني عنك في ماذا انتقمت على أميرك أبي موسى وهجوته؟ فقال: لأنه اختار ستين غلاما من أبناء الدهاقين فاتخذهم

(١) خبره في الطبري ٥ / ٨ والكامل لابن الأثير ٢ / ٢٠٧ والبداية والنهاية ٧ / ١٤٩.

قال في الإصابة: ضبة بن محصن العنزي البصري، تابعي مشهور له إدراك.

قال ابن سعد: كان قليل الحديث، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين.

(٢) عند الطبري: أنه اختلف إليه ثلاثا يقول له هذا ويرد عليه هذا حتى إذا كان في اليوم الرابع.

لنفسه، وله جارية يقال لها عقيلة يغديها بجفنة ملآنة عراقا (١) ويعشيها بمثل ذلك وليس منا من يقدر على ذلك، وله خاتمان يختم بهما، وله قفيزان يكتال بأحدهما لنفسه ويكيل بالآخر لغيره، وقد استولى على أمره زياد بن عبيد بن علاج (٢) من ثقيف، وإنه حلف يمينا كاذبة حسدا منه لأهل الكوفة لما أغنمهم الله عز وجل من أهل رامهرمز ما أغنمهم إن يكن ذلك لهم دون أهل البصرة (٣)، ولا والله يا أمير المؤمنين! ما أنا من أهل الكوفة فأقول هذا عصابة مني لهم وما أنا إلا من أهل البصرة، ولو كان أبو موسى أعطى رامهرمز أمانا وعهدا مؤكدا وأجلا ستة أشهر كما زعم إذا عرفنا ذلك وعرفه إخواننا المسلمون ممن لا يتهم بالكذب (٤) والسلام.

قال: فأمر عمر رضي الله عنه العنزي، فكتب هذا كله بخطه، ثم بعث إلى أبي موسى فأشخصه إليه من البصرة، فلما قدم دعا به فأجلسه بين يديه، ثم دعا بالعنزي فقال له: اقرأ عليه ما كتبت! فقرأ عليه العنزي: أمر ستين غلاما الذين اختارهم لنفسه، فقال أبو موسى: نعم يا أمير المؤمنين! إني دلت على ستين غلاما من أبناء الدهاقين فأخذتهم ثم إني أتيت بفداء ففديتهم وقسمت ذلك المال بين المسلمين، فقال العنزي (٥): ما نعرف من هذا شيئا وأنا رجل من المسلمين، ما أصابني من ذلك المال قليلا ولا كثيرا. قال: ثم قرأ عليه العنزي أمر جاريته عقيلة، فسكت أبو موسى ولم يتكلم بشيء. ثم قرأ عليه أمر الخاتمين والقفيزين، فقال أبو موسى: نعم يا أمير المؤمنين! خاتم لي خاصة يكون في يد قهرماني وأهلي يعرفونه، وخاتم أختم به للجنود والعمال وهو في يدي، ولي قفيزان قفيز أقوت به عيالي وهو في منزلي، وقفيز للمسلمين به أعطيتهم وبه آخذ منهم، فقال العنزي: ما ندري هذا كما تقول أم لا. ثم قرأ عليه أمر زياد بن عبيد فقال: نعم يا أمير المؤمنين! وجدت عنده حفظا وأمانة وعقلا وتدييرا فاستكفيتها، فإن كرهه أمير المؤمنين عزلته. قال: ثم قرأ عليه أمر اليمين التي حلف بها، فقال: يا أمير

(١) العراق: المفطام إذا لم يكن عليها شيء من اللحم. فإذا كان عليه لحم فهو عرق (اللسان).

(٢) في الطبري زياد بن أبي سفيان.

(٣) وذلك لما افتتح جرير بن عبد الله رامهرمز، وكان أبو موسى قد أجلهم ستة أشهر ليروا رأيهم. وقد مر ذلك.

(٤) زيد في الطبري: وأنه أجاز الحطيئة بألف.

(٥) عند الطبري: والله ما كذب ولا كذبت.

المؤمنين! ما حلفت إلا على حق ولقد كنت أعطيت أهل رامهرمز أمانا وعهدا مؤكدا وأجلا ستة أشهر. قال: فغضب عمر رضي الله عنه ثم قال: يا هذا! فإن كنت أعطيتهم أمانا كما تقول وعهدا وأجلا فلم وجهت إليهم الخيل حتى فعلوا بهم ما فعلوا؟ يا هذا! إنني قد ائتمنتك على ما هو أعظم من ذلك كله فأنت وربك أعلم. قال: ثم أمر عمر بإشخاص زياد بن عبيد وجارية أبي موسى إلى ما قبله، فأشخصا جميعا، فأما عقيلة (١) فأخذها منه عمر بثمانها وكانت عنده إلى أن قتل عنها، وأما زياد بن عبيد فإنه لما دخل على عمر رضي الله عنه سلم ورد عليه السلام، ثم إنه أجلسه بين يديه ثم قال له: كم عطاؤك؟ قال: ألفان يا أمير المؤمنين قال عمر: فما صنعت بأول عطاء خرج لك؟ فقال (٢): اشتريت به أبي وكان عبدا مملوكا فاشتريته وأعتقته، قال عمر: نعم ما رأيت، قال: ثم سأله عمر عن القرآن والسنن والفرائض فوجده كما أحب، فأمره بالرجوع إلى البصرة وأوصى أبا موسى بحفظه. قال: وأقام أبو موسى عند عمر بن الخطاب أياما ثم استأذن فأذن له فرجع إلى عمله بالبصرة.

ذكر فتح نهاوند وحروبها واجتماع الفرس بها.

قال: وتحركت الأعاجم بأرض نهاوند (٣) واجتمعوا بها، وكتب بعضهم إلى بعض أن يكون اجتماعهم بها، قال: فاجتمع أهل الري وسمنان والدامغان وما والاها بنهاوند في عشرين ألفا، وأهل ساوه وهمذان في عشرة آلاف وأهل نهاوند خاصة في عشرة آلاف، وأهل قم وقاشان في عشرين ألفا، وأهل أصفهان في عشرين ألفا، وأهل فارس وكرمان في أربعين ألفا، قال: ثم بعثوا إلى أذربيجان يستمدونهم إلى حرب العرب، فأقبل إليهم أهل أذربيجان في ثلاثين ألفا، فذلك خمسون ألفا ومائة ألف (٤) ما بين فارس وراجل من المرازبة والأساورة والابطال المعدودين المذكورين في كل بلد من أرض الفرس، ثم إنهم جمعوا نيفا وسبعين فيلا يريدون التهويل على خيول المسلمين، ثم أقبل بعضهم على بعض فقالوا: إن

(١) الطبري: حبس عقيلة بالمدينة.

(٢) الطبري: اشتريت والدتي فأعتقتها، واشتريت في الثاني ربيبي عبيدا فأعتقته.

(٣) نهاوند: مدينة عظيمة في قبة همذان بينهما ثلاثة أيام وهي أعتق مدينة في الجبل (معجم البلدان).

(٤) في فتوح البلدان ص ٣٠٠: ستين ألفا، ويقال: مائة ألف.

ملك العرب الذي جاءهم بهذا الكتاب وأقام لهم هذا الدين قد هلك - يعنون بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم - وإنه قد ملكهم من بعده رجل يكنى أبا بكر فملك ملكا يسيرا

وهلك، وأنا نرى صاحبهم هذا عمر قد طال عمره ودام ملكه وعلا أمره، قد اجتمعتم من كل بلد وليس فيكم إلا رماة الحدق وأحلاس السيوف والدرق، فتعالوا بنا حتى ننفي من بقرنا من جيوش العرب، ثم إنا نسير إليهم في ديارهم فنستأ [صلهم] عن جديد الأرض، فإننا إن لم نفعل ذلك ساروا إلينا فأخرجونا عن جميع بلادنا وأنزلوا بنا من الذل والصغر ما أنزلوه بأهل القادسية والمدائن وجولاء وخانقين وما أنزلوه بأهل الأهواز وتستر ومناذر ورامهرمز وما أنزلوه بأهل الشام قبل ذلك.

قال: فتعاقدوا على أمرهم وتعاهدوا وعزموا على جهاد المسلمين، وبلغ ذلك أهل الكوفة (١)، فاجتمعوا إلى أميرهم عمار بن ياسر فقالوا: أيها الأمير! هل بلغك ما كان من جموع هؤلاء الأعاجم بأرض نهاوند؟ قال عمار: قد بلغني ذلك فهاتوا ما عندكم من الرأي! فقالوا: الرأي في ذلك أن نكتب إلى أمير المؤمنين ونعلمه بذلك قبل أن يسير عدونا إلى ما قبلنا، قال عمار: أفعل ذلك إن شاء الله تعالى. ذكر كتاب عمار بن ياسر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمار بن ياسر، سلام عليك! أما بعد فإن ذا السطوات والنقمت المنتقم من أعدائه المنعم على أوليائه هو الناصر لأهل طاعته على أهل الإنكار والجحود من أهل عداوته، ومما حديث يا أمير المؤمنين أن أهل الري وسمنان وساوه وهمذان ونهاوند وأصفهان وقاشان وراوند واسفندهان (٢) وفارس وكرمان وضواحي أذربيجان قد اجتمعوا بأرض نهاوند في خمسين ومائة ألف من فارس وراجل من الكفار، وقد كانوا أمروا عليهم أربعة من ملوك الأعاجم (٣) منهم ذو الحاجب خرزاد بن هرمز وسنفاد بن حشروا

(١) عند الطبري ٥ / ٢٣٧ وبلغ الخبر سعدا. وكان قد ثار به قوم وسعوا به وألبوا عليه. فأخرج من الكوفة لمقابلة عمر، واستخلف عبد الله بن عبد الله بن عتبان. (راجع ابن الأثير ٢ / ١٧٩ والبداية والنهاية ٧ / ١٢٠).

(٢) كذا، وفي معجم البلدان اسفيدبان، من قرى أصبهان.

(٣) في الطبري وابن الأثير: الفيرزان، وفي فتوح البلدان ص ٣٠٠ مردان شاه ذو الحاجب. وفي تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٥٦ (دوسر) وفي مروج الذهب: ذو الجناحين.

وخهانيل بن فيروز وشروميان بن اسفنديار، وأنهم قد تعاهدوا وتعاقدوا وتحالفوا وتكاتبوا وتواصوا وتواثقوا على أنهم يخرجوننا من أرضنا ويأتونكم من بعدنا، وهم جمع عتيد وبأس شديد ودواب فره وسلاح شك ويد الله فوق أيديهم، فإني أخبرك يا أمير المؤمنين أنهم قد قتلوا كل من كان منا في مدنهم، وقد تقاربوا مما كنا فتحناه من أرضهم، وقد عزموا أن يقصدوا المدائن ويصيروا منها إلى الكوفة، وقد والله هالنا ذلك وما أتانا من أمرهم وخبرهم، وكتبت هذا الكتاب إلى أمير المؤمنين ليكون هو الذي يرشدنا وعلى الأمور يدلنا، والله الموفق الصانع بحول وقوته، وهو حسبنا ونعم الوكيل، فرأي أمير المؤمنين أسعده الله فيما كتبه والسلام.

قال: فلما ورد الكتاب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقرأه وفهم ما فيه وقعت عليه الرعدة والنفضة حتى سمع المسلمون أطيط أضراسه، ثم قام عن موضعه حتى دخل المسجد وجعل ينادي: أين المهاجرون والأنصار؟ ألا! فاجتمعوا رحمكم الله وأعينوني أعانكم الله.

قال: فأقبل إليه الناس من كل جانب، حتى إذا علم أن الناس قد اجتمعوا وتكاملوا في المسجد وثب إلى منبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآله) فاستوى عليه

قائما وإنه ليرعد من شدة غضبه على الفرس، فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال (١): أيها الناس! هذا يوم غم وحزن فاستمعوا ما ورد علي

من العراق، فقالوا: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فقال: إن الفرس أمم مختلفة أسماؤها وملوكها وأهواؤها وقد نفخهم الشيطان نفخة فتحزبوا علينا وقتلوا من في أرضهم من رجالنا، وهذا كتاب عمار بن ياسر من الكوفة يخبرني بأنهم قد اجتمعوا بأرض نهاوند في خمسين ومائة ألف وقد سربوا عسكرهم إلى حلوان وخانقين وجلولاء، وليست لهم همة إلا المدائن والكوفة، ولئن وصلوا إلى ذلك فإنها بلية على الاسلام وثلمة لا تسد أبدا، وهذا يوم له ما بعده من الأيام، فالله الله يا معشر المسلمين! أشيروا علي رحمكم الله، فإني قد رأيت رأيا غير أنني أحب أن لا أقدم عليه إلا بمشورة منكم لأنكم شركائي في المحبوب والمكروه.

(١) قارن مع الطبري ٤ / ٢٣٧.

ذكر ما أشار به المسلمون على عمر رضي الله عنه.  
قال (١): وكان أول من وثب على عمر بن الخطاب وتكلم طلحة بن عبيد الله فقال: يا أمير المؤمنين! إنك بحمد الله رجل قد حنكته الدهور وأحكمتها الأمور وراضته التجارب (٢) في جميع المقاب، فلم ينكشف لك رأي إلا عن رضى، وأنت مبارك الامر ميمون النقية، فنقدنا ننفذ واحملنا نركب وادعنا نجب (٣).  
قال: ثم وثب الزبير بن العوام فقال: يا أمير المؤمنين! إن الله تبارك وتعالى قد جعلك عزا للدين وكهفا للمسلمين، فليس منا أحد له مثل فضائك ولا مثل مناقبك إلا من كان من قبلك، فمد الله في عمرك لامة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم! وبعد فأنت بالمشورة أبصر من كل من في المسجد، فاعمل برأيك فرأيك أفضل، ومرنا بأمرك فها نحن بين يديك.

فقال عمر: أريد غير هذين الرأيين، قال: فوثب عبد الرحمن بن عوف الزهري فقال: يا أمير المؤمنين! إن كل متكلم يتكلم برأيه، ورأيك أفضل من رأينا، لما قد فضلك الله عز وجل علينا، وأجرى على يديك من موعود ربنا، فاعمل برأيك واعتمد على خالقك وتوكل على رازقك وسر إلى أعداء الله بنفسك ونحن معك، فإن الله عز وجل ناصرك بعزه وسلطانه كما عودك من فضله وإحسانه.  
فقال عمر: أريد غير هذا الرأي، فتكلم عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال (٤): يا أمير المؤمنين! إنك قد علمت وعلمنا أنا كنا بأجمعنا على شفا حفرة من النار فأنقذنا الله منها بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وقد اختارك لنا خليفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد رضيك الأخيار وخافك الكفار وتفر عنك الأشرار، وأنا أشير عليك أن تسير أنت بنفسك إلى هؤلاء الفجار بجميع من معك من المهاجرين والأنصار فتحصد شوكتهم وتستأصل جرثومتهم، فقال عمر رضي الله عنه: وكيف أسير أنا بنفسي إلى عدوي وليس بالمدينة خيل ولا رجل فإنما هم متفرقون في جميع الأمصار، فقال عثمان:

(١) الطبري ٤ / ٢٣٨ باختلاف وزيادة.

(٢) عند الطبري: واحتنكتك التجارب.

(٣) زيد عند الطبري: وقد نقدنا نفد، وقد نقد فإنك ولي هذا الامر، وقد بلوت وجربت واختبرت.

(٤) الطبري ٤ / ٢٣٨ وابن الأثير ٢ / ١٨٠.

صدقت يا أمير المؤمنين! ولكنني أرى أن تكتب إلى أهل الشام فيقبلوا عليك من شامهم، وإلى أهل اليمن فيقبلوا إليك من يمنهم، ثم تسير بأهل الحرمين مكة والمدينة إلى أهل المصريين البصرة والكوفة، فتكون في جمع كثير وجيش كبير، فتلقى عدوك بالحد والحديد والخيل والجنود (١).  
قال فقال عمر: هذا أيضا رأي ليس يأخذ بالقلب، أريد غير هذا الرأي، قال: فسكت الناس والتفت عمر رضي الله عنه إلى علي رضي الله عنه فقال: يا أبا الحسن! لم لا تشير بشيء كما أشار غيرك؟ (٢).  
ذكر مشورة علي بن أبي طالب رضوان الله عليه.  
قال: فقال علي (٣): يا أمير المؤمنين! إنك قد علمت أن الله تبارك وتعالى بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وليس معه ثان ولا له في الأرض من ناصر ولا له من عدوه مانع،

ثم لطف تبارك وتعالى بحوله وقوته وطوله فجعل له أعوانا أعز بهم دينه، وشد أزره، وشيد بهم أمره، وقصم بهم كل جبار عنيد وشيطان مرید، وأرى موازريه وناصره من الفتوح والظهور على الأعداء ما دام به سرورهم وقرت به أعينهم، وقد تكفل الله تبارك وتعالى لأهل هذا الدين بالنصر والظفر والاعزاز والذي نصرهم مع نبيهم وهم قليلون هو الذي ينصرهم اليوم إذ هم كثيرون، وبعد فإنك أفضل أصحابك رأيا وأيمنهم نقيية، وقد حملك الله عز وجل أمر رعيتك فهو الذي يوفئك للصواب ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، فأبشر بنصر الله عز وجل الذي وعدك، وكن على ثقة من ربك فإنه لا يخلف الميعاد، وبعد فقد رأيت قوما أشاروا عليك بمشورة بعد مشورة فلم تقبل ذلك منهم ولم يأخذ بقلبك شيء مما أشاروا به عليك، لان كل مشير إنما يشير بما يدركه عقله، وأعملك يا أمير المؤمنين إن كتبت

(١) زيد عند الطبري: ... إن هذا اليوم له ما بعده من الأيام فاشهده برأيك وأعوانك ولا تغب عنه.

(٢) عند الطبري ٤ / ٢٣٧ فقام عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن

عوف

في رجال من أهل الرأي من أصحاب رسول الله (ص) فتكلموا كلاما فقالوا لا نرى ذلك (وكان عمر قد عرض عليهم أن يسير من المدينة وينزل منزلا وسطا بين المصريين ويستنفر من هناك الناس إلى فارس). الطبري ٤ / ٢٣٧ وفتوح البلدان ص ٣٠٠ ولكن لا يغيين عنهم رأيك وأثرك... وإنما استأذنونك ولم يستصرخوك فأذن لهم واندب إليهم... وكان الذي ينتقد له الرأي إذا عرض عليه العباس رضي الله عنه.

(٣) الطبري ٤ / ٢٣٨ ابن الأثير ٢ / ١٨١.

إلى الشام أن يقبلوا إليك من شامهم لم تأمن من أن يأتي هرقل في جميع النصرانية فيغير على بلادهم ويهدم مساجدهم ويقتل رجالهم ويأخذ أموالهم ويسبي نساءهم وذريتهم، وإن كتبت إلى أهل اليمن أن يقبلوا من يمتهم أغارت الحبشة أيضا على ديارهم ونسائهم وأموالهم وأولادهم، وإن سرت بنفسك مع أهل مكة والمدينة إلى أهل البصرة والكوفة ثم قصدت بهم قصد عدوك انتقضت عليك الأرض من أقطارها وأطرافها، حتى إنك تريد بأن يكون من خلفته وراءك أهم إليك مما (١) تريد أن تقصده، ولا يكون للمسلمين كائفة تكنفهم ولا كهف يلجؤون إليه، وليس بعدك مرجع ولا موئل إذ كنت أنت الغاية والمفزع والملجأ، فأقم بالمدينة ولا تبرحها فإنه أهيب لك في عدوك وأرعب لقلوبهم، فإنك متى غزوت الأعاجم بنفسك يقول بعضهم لبعض: إن ملك العرب قد غزانا بنفسه لقلته أتباعه وأنصاره، فيكون ذلك أشد لقلبهم عليك وعلى المسلمين، فأقم بمكانك الذي أنت فيه وابعث من يكفيك هذا الامر والسلام.

قال: فقال عمر رضي الله عنه: يا أبا الحسن! فما الحيلة في ذلك وقد اجتمعت الأعاجم عن بكرة أبيها بنهاوند في خمسين ومائة ألف يريدون استئصال المسلمين؟

ذكر مشورة علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ثانية.

قال: فقال له علي بن أبي طالب عليه السلام: الحيلة أن تبعث إليهم رجلا مجربا قد عرفته بالبأس والشدة فإنك أبصر بجندك وأعرف برجالك واستعن بالله وتوكل

عليه واستنصره للمسلمين، فإن استنصره لهم خير من فئة عظيمة تمدهم بها، فإن أظفر الله المسلمين فذلك الذي تحب وتريد، وإن يكن الأخرى، وأعوذ بالله من ذلك أن تكون رداء للمسلمين وكهفا يلجؤون إليه وفئة ينحازون إليها، قال فقال له عمر: نعم ما قلت يا أبا الحسن! ولكنني أحببت أن يكون أهل البصرة وأهل الكوفة هم الذين يتولون حرب هؤلاء الأعاجم فإنهم قد ذاقوا حربهم وجربوهم ومارسوه في غير موطن.

(١) في الطبري: مما بين يديك من العورات والعيالات.

ذكر مشورة علي بن أبي طالب رضي الله عنه الثالثة.  
قال فقال له علي رضي الله عنه: إن أحببت ذلك فاكتب إلى أهل البصرة أن  
يفترقوا على ثلاث فرق: فرقة تقيم في ديارهم فيكونوا حرساً لهم يدفعون عن  
حريمهم، والفرقة الثانية يقيمون في المساجد يعمرونها بالأذان والصلاة لكيلا يعطل  
الصلاة ويأخذون الجزية من أهل العهد لكيلا ينتقضوا عليك، والفرقة الثالثة يسيرون  
إلى إخوانهم من أهل الكوفة، ويصنع أهل الكوفة أيضاً كصنع أهل البصرة (١) ثم  
يجتمعون ويسيرون إلى عدوهم فإن الله عز وجل ناصرهم عليهم ومظفرهم بهم، فثق  
بالله ولا تيأس من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.  
قال: فلما سمع عمر مقالة علي كرم الله وجهه ومشورته أقبل على الناس  
وقال: ويحكم! عجزتم كلكم عن آخركم أن تقولوا كما قال أبو الحسن، والله! لقد  
كان رأيه رأيي الذي رأيته في نفسي، ثم أقبل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه  
فقال: يا أبا الحسن! فأشر علي الآن برجل ترتضيه ويرتضيه المسلمون أجعله أميراً  
وأستكفيه من هؤلاء الفرس، فقال علي رضي الله عنه: قد أصبته، قال عمر: ومن  
هو؟ قال: النعمان بن مقرن المزني، فقال عمر وجميع المسلمين: أصبت يا أبا  
الحسن! وما لها من سواه.

قال: ثم نزل عمر رضي الله عنه عن المنبر ودعا بالسائب بن الأقرع بن عوف  
الثقفي (٢) فقال: يا سائب! إني أريد أن أوجهك إلى العراق فإن نشطت لذلك  
فتهاياً، فقال له السائب: ما أنشطني لذلك يا أمير المؤمنين وأنا سائر إذا شئت، فقال  
له عمر: إن خروجك في هذا الوجه سعادة لك فإن قتلت فزت بالجنة، واعلم بأني  
قد جعلتك على غنائم المسلمين فإن سلم الله عز وجل هذا الجيش وأنت على  
مقاسمه انظر أن تعطي كل ذي حق حقه ولا ترفعن إلي باطلاً ولا تمنعن أحداً من حق  
هو له، وإن تكن الأخرى وأصيب هذا الجيش فاذهب في عرض الأرض فلا تراني  
ولا أراك، فإني أخاف أني كلما رأيته ذكرتك مصارع المسلمين، فقال السائب:  
أفعل ذلك يا أمير المؤمنين وأنا أرجو أن ينصر الله عز وجل أهل الدين والقرآن على

---

(١) في فتوح البلدان: كتب إلى أهل الكوفة يأمرهم أن يسيروا ثلاثهم ويبقى ثلثهم لحفظ بلدهم وديارهم.  
(٢) عن الإصابة وهو السائب بن الأقرع بن عوف بن جابر بن سفيان بن سالم بن مالك بن حطيظ بن جشم  
الثقفي، بعثه عمر مع النعمان بن مقرن لما وجهه إلى نهاوند قاسماً.

عبدة الشمس والقمر والنيران.

ثم كتب عمر رضي الله عنه إلى النعمان بن مقرن المزني، والنعمان يومئذ بموضع من العراق يقال له كسكر (١)، قد كان ولاه سعد بن أبي وقاص قبل ذلك. قال: وكتب إليه عمر (٢): أما بعد يا نعمان فإن كتاب أهل الكوفة ورد علي فقرأته وفهمت ما ذكر لي فيه من أمر الفرس، وقد علمت أن يد الله فوق أيديهم وسيمدكم الله عز وجل بجند من الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، ويقذفون الرعب في قلوبهم والزلازل في أقدامهم حتى يهلكهم الله عز وجل هلاكاً يكون فيه بوارهم واستئصالهم ودمارهم إن شاء الله ولا قوة إلا بالله، وبعد فقد وجهت إليك السائب بن الأقرع التميمي وأمرته بأمرتي وأعوزت إليك أن يأمرك أن تعسكر بالقصر الأبيض

حتى تجتمع إليك أهل البصرة وأهل الكوفة، فإذا اجتمعوا إليك وتكاملوا لديك فسر بهم إلى أعداء الله بأرض نهاوند، فقد وليتك هذا الجيش وأنا أعلم إن شاء الله أن الله ناصرك وخاذل عدوك وأنه وعدنا ذلك إذ يقول تبارك وتعالى: (وأخرى لم تقدرُوا عليها قد أحاط الله بها) (٣) فهم الروم والفرس، فثق بموعد الله عز وجل فإنه لا يخلف الميعاد، فانظر يا نعمان! إذا لقيتم عدوكم فقدموا الصبر أمامكم فإن الله تبارك وتعالى قد وعد الصابرين أنهم يؤتون أجرهم بغير حساب والعاقبة بعد ذلك للمتقين، ألا! فسيروا على بركة الله تعالى فإني قد استودعتكم من لا يضيع ودائعه - والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته - .

قال: ثم كتب عمر أيضاً إلى أبي موسى الأشعري أن يمدّه من أهل البصرة

---

(١) كسكر: كورة واسعة بين الكوفة والبصرة (معجم البلدان) وقيل كان النعمان ومعه جمع من أهل الكوفة قد اقتحموا جنديسابور والسوس (ابن الأثير ٢ / ١٨١) ويقال بل كان بالمدينة فولاه عمر أمر هذا الجيش مشافهة، فشخص منها (البداية والنهاية ٧ / ١٠٨) وفتوح البلدان ص ٣٠٠ ومروج الذهب ٢ / ٣٥٤ وفيه أن عمر دخل المسجد فإذا هو بالنعمان بن مقرن يصلي، فقعد إلى جنبه، فلما قضى صلاته قال: ما أراني إلا مستعملك. قال: أما جاييا فلا، ولكن غازيا، قال فإنك غاز. وقيل في توليته أمر نهاوند، أن النعمان كان قد كتب إلى عمر وهو على عسكر وسأله أن يعزله عنها ويوليه قتال أهل نهاوند، فلهذا أجابه إلى ذلك وعينه له (البداية والنهاية ٧ / ١٢٢).

(٢) نسخة كتاب عمر في الطبري ٤ / ٢٣٢ والبداية والنهاية ٧ / ١٢٣ والوثائق السياسية وثيقة رقم ٣٣٠ صفحة ٤٤٠.

(٣) سورة الفتح: ٤١.

بالثلاث وكذلك أهل الكوفة (١)، ففعل أبو موسى ذلك، والتأمت العساكر بالعراق. وخرج النعمان بن مقرن حتى نزل القصر الأبيض مما يلي المدائن كما أمرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى اجتمع إليه الكوفيون والبصريون. قال: فعرضهم النعمان بن المقرن وعدهم وأحصاهم، فإذا هم يزيدون على ثلاثين ألفاً من أهل البصرة وأهل الكوفة، فدعا النعمان بطليحة بن خويلد الأسدي فعقد له عقداً وضم إليه أربعة آلاف فارس من أهل البصرة وأهل الكوفة وجعله مقدمة، فسار طليحة بن خويلد على مقدمة النعمان بن مقرن وجعل يذكر ما كان منه بالقادسية وغيرها من الحروب المتقدمة، ثم سار طليحة حتى نزل المدائن، ورحل النعمان بن مقرن بالمسلمين، حتى إذا تقارب من المدائن قال: ورحل طليحة في أصحابه على المقدمة حتى نزل الدسكرة وجاء النعمان بن مقرن فنزل المدائن وأقام بها ثلاثة أيام، ثم رحل منها يريد الدسكرة، ورحل طليحة على مقدمته، فلم يزل كذلك حتى صار إلى حلوان وبها يومئذ قائد من قواد كسرى يقال له شادوه بن آزاد مرد في نيف وعشرة آلاف من الفرس، فلما أحس بجنود المسلمين أنها قد استشرفت على حلوان خرج هارباً في جميع أصحابه حتى صار إلى قرماسين (٢) فنزلها، ونزل طليحة بن خويلد حلوان في أربعة آلاف فارس، واقتبل النعمان في جيشه الأعظم حتى نزل بحلوان وأقام بها أياماً حتى استراح المسلمون وأراحوا خيولهم.

قال: ثم دعا النعمان برجل من فرسان العرب ممن كان مع أبي عبيدة بن الجراح بالشام يقال له قيس بن هبيرة المرادي، فقال له: يا قيس! أنت تعلم أن طليحة بن خويلد قد كان على مقدمة المسلمين من الكوفة إلى حلوان وقد أحببت أن تكون مقدمتي من ههنا إلى هذا البلد الذي يقال له قرماسين، فقال قيس بن هبيرة: أفعل ذلك أيها الأمير.

قال: فضم إليه النعمان بن مقرن أربعة آلاف فارس من أشد عسكره، فسار قيس بن هبيرة من حلوان على مقدمة المسلمين وجعل يذكر ما كان منه بأرض الروم والقادسية وغير ذلك.

(١) مر أنه كتب إلى أهل الكوفة أن يسير ثلاثهم ويبقى ثلثهم (فتوح البلدان ص ٣٠٠).  
(٢) قرماسين: كذا بالأصل، ولعله قرميسين وهي بلد بين همذان وحلوان (معجم البلدان).

قال: وسار قيس بن هبيرة على مقدمة المسلمين حتى وافى قرماسين وبها يومئذ قائدان عظيمان من قواد الأعاجم، أحدهما شادوه بن آزاد مرد الذي هرب من حلوان، والآخر مهرويه بن خسروان فهما جميعا في عشرين ألفا من الفرس، فلما أن علما أن خيل المسلمين قد شارفت أرض قرماسين خرجا هاربين عنها حتى نزلا بموضع يقال له ماذران (١)، ودخل قيس بن هبيرة إلى قرماسين فنزلها، قال: وكانت قرماسين مصلحة للفرس ومنتزها لكسرى (٢)، قال: وسار النعمان بن مقرن من حلوان حتى نزل قرماسين، وبلغ ذلك الفرس ممن كان خارجا عن أرض نهاوند فامتألت قلوبهم خوفا ورعبا، ثم إنهم تفلتوا من جميع المواضع حتى صاروا إلى نهاوند فاحتشدوا بها، ثم إنهم اجتمعوا وتحالفوا وتعاهدوا على أنهم لا يفرون أبدا دون أن يبیدوا العرب عن آخرهم.

قال: وسار النعمان بن مقرن في جميع المسلمين حتى نزل بأرض ماذران، ثم دعا بهذين الرجلين بكير بن شداخ الليثي وطليحة بن خويلد الأسدي (٣) فأرسلهما جميعا نحو أرض نهاوند وأمرهما أن يتجسسا الاخبار عن الفرس، فمضيا جميعا، فأما بكير بن شداخ فإنه رجع إلى المسلمين، وأما طليحة بن خويلد فإنه مضى نحوه حتى تقارب من أرض نهاوند (٤) وتعرف أخبار الفرس ثم رجع، فلما دخل العسكر كبر

المسلمون من كل ناحية، فقال طليحة: ما هذا التكبير؟ فقالوا: إنك قد أبطأت علينا فظننا والله أنك قد رغبت عن دين الاسلام وصرت إلى دين هؤلاء الأعاجم (٥)، قال: فغضب طليحة بن خويلد من ذلك ثم قال: سبحان الله العظيم، أو يحسن هذا بمثلي؟ والله! أن لو لم يكن لي دين أعتمد عليه إلا أني عربي فقط لما كنت بالذي

- 
- (١) عن معجم البلدان، وبالأصل (ماردان) وبين ماذران وهمذان مرحلة وبينها وبين الدينور أربعة فراسخ. وقد صححت أينما وقعت في الخبر.
- (٢) قال ياقوت في قرميسين: لم يجد (قباد) فيما بين المدائن إلى بلخ بقعة على الجادة أنزه ولا أعذب ماء ولا نسима من قرميسين، فأنشأ قرميسين وبنى لنفسه بها بناء معتمدا على ألف كرم وبها قصر شيرين والطاق.
- (٣) في الطبري ٤ / ٢٣٢ وابن الأثير ٢ / ١٨٢ والبداية والنهاية ٧ / ١٢٣ أرسل النعمان طليحة بن خويلد وعمرو بن معدي كرب وعمرو بن أبي سلمى وهو ابن ثنى.
- (٤) وكان بين موضع المسلمين الذي هم به ونهاوند بضعة وعشرون فرسخا.
- (٥) وكان طليحة ممن ارتد بعد وفاة رسول الله (ص)، ثم راجع الاسلام وحسن إسلامه.

اختار هؤلاء الأعاجم على العرب، فكيف وقد هداني الله عز وجل إلى دين الاسلام وعرفني فضله!

قال: وسار المسلمون يريدون نهاوند، قال: وبلغ ذلك أهل نهاوند فأرسلوا الماء في أرضهم لكي يمنعوا بتلك المياه المسلمين، قال: فلم يغن ذلك من قضاء الله عز وجل فيهم شيئا، قال: وسار المسلمون حتى نزلوا في الموضع الذي يقال له قبور الشهداء (١)، فنزلوا هنالك وضربوا عسكرهم، وبلغ ذلك الفرس فألقوا حسك الحديد حول نهاوند فحصنوها بتلك الحسك، قال: ودعا النعمان برجل من أشد أصحابه يقال له محمد بن زكار الخثعمي، فقال له: ويحك يا محمود! أحب منك أن تنطلق نحو حصن هؤلاء القوم فتنظر إليه وتأتيني بخبره، فقد بلغني أنه حصن حصين وأنه مشرف على قلعة لهم في الهواء، فقال محمود بن زكار: أيها الأمير! قد بلغني ذلك وهذا نهار فإذا كان الليل انطلقت فأتيتك بخبر القلعة إن شاء الله ولا قوة إلا بالله.

قال: فلما كان الليل واختلط الظلام عمد محمود بن زكار هذا إلى فرسه فأسرجه وألجمه ثم صب عليه درعه وتقلد بسيفه واعتم بعمامته واستوى على فرسه وتناول رمحه ومضى، فلم يزل يسير حتى إذا أشرف على قلعة نهاوند وقد جعل يسمع أصوات الحرس على سورها من كل ناحية ونيرانهم تأجج، قال: وإذا بفرسه قد قام وليس يتقدم ولا يتأخر، فحركه فلم يتحرك فإذا قد علق يده واتقى منها، قال: فنزل محمود بن زكار عن فرسه ثم ضرب بيده إلى الفرس فقلب حافره فإذا بحسكة حديد قد دخلت في حافره، فنزعها وركب فرسه ثم رجع إلى النعمان بن مقرن فخبه بذلك، ثم قال: أيها الأمير! إن أرضهم كلها مفروشة بهذا الحسك يطرحونه في الليل ويرفعونه بالنهار، قال: وأصبح المسلمون فعبوا تعبيتهم. ذكر وقعة الفرس وقتل النعمان.

قال: وساروا يريدون أرض نهاوند فإذا هم بأوائل خيل الفرس وافت وقد استقبلوهم بالعطعة والنعير يقدم بعضهم بعضا، ثم إنهم التقوا فاقتتلوا قتالا شديدا وفشت الجراحات في المسلمين حتى وقعت الهزيمة على الفرس وتبعهم المسلمون

(١) قال ياقوت هي قبور قوم من العرب استشهدوا في صدر الاسلام.

فقتلوا منهم بشرا كثيرا وقتل وزير من وزراء كسرى يقال له البحير جان (١) فيمن قتل، وهزمهم المسلمون حتى بلغوا بهم إلى موضع عسكريهم واشتبكت الحرب هنالك، فلم يزالوا كذلك يقتتلون إلى أن جاء الليل فحجز بين الفريقين، فرجع المسلمون إلى موضع عسكريهم، فباتوا ليلتهم تلك ولهم أنين شديد من كثرة ما بهم من الجراحات، توقد لهم النيران ويعصبون بالزيت والحراق (٢)، وهم في ذلك يدعون الله عز وجل ويتضرعون إليه ويسألونه النصر على أعدائهم.

فلما أصبحوا قال فقال النعمان بن مقرن: أيها الناس! استمعوا كلامي واحفظوا وصيتي، فقالوا: قل أيها الأمير! نسمع كلامك ونحفظ وصيتك، فقال: إن الفرس قد أخطروا لكم أخطارا وأخطرتهم لهم أخطارا، فإن أنتم هزمتهم ترجعون إلى نعمة وسرور، وإن هزموكم فلا بصرة ولا كوفة ولا مدينة، واعلموا بأنكم قد أصبحتم بابا بين الاسلام والشرك، وإن كسر هذا الباب دخل على الاسلام منه بلاء، فالله عباد الله الاسلام أن تخذلوه فإنكم عباد الله الذين توحيدونه وتعبدونه، فإنما تقاتلون خلقا من خلقه يأكلون رزقه ويعبدون غيره، يعبدون الشمس والقمر والنار، وينكحون الأمهات، والأخوات والبنات والخالات والعمات، فكل فاحشة يعملون بها وكل حرمة ينتهكونها، وقد ساقكم الله عز وجل إليهم وساقهم إليكم هوانا لهم وكرامة لكم، فتقربوا إلى الله عز وجل بجهاد العادلين بالله وارغبوا في عظيم ثواب الله، ألا، فإنني هاز لكم رايتي هذه، فإذا رأيتموني قد هزرتها فشدوا عمائمكم على بطونكم وشمروا عن سواعدكم، فإذا هزرتها الثانية لكم فليضم كل رجل منكم ثيابه وليتعاهد عنان فرسه ولينظر إلى حزامه وثفره ولبيه وليتهيأ للحملة، فإذا هزرتها لكم الثالثة فليضع كل رجل منكم رمحه بين أذني فرسه ولينظر إلى وجوه مقاتلة، وإنني مكبر بعد ذلك فكبروا وشدوا على القوم شدة واحدة وقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال: فناده عمرو بن معديكرب: أيها الأمير! إنا قد سمعنا كلامك وحفظنا وصيتك، فإن أصبت - وأعوذ بالله أن يكون ذلك - فمن يكون على الناس أميرا بعدك؟ فقال: إن أصبت - وأنا أرجو أن يرزق الله عز وجل ابن مقرن الشهادة -

(١) كذا بالأصل، ولعله النخيرجان (فتوح البلدان ص ٣٠٢).  
(٢) الحراق: الملح الشديد الملوحة (اللسان).

فأميركم بعدي حذيفة بن اليمان، فإن أصيب فحريير بن عبد الله البجلي، فإن أصيب فالاشعث بن قيس الكندي، فإن أصيب فالمغيرة بن شعبة الثقفي (١)، ثم رفع النعمان رأسه إلى السماء فقال: اللهم انصر ابن مقرن وارزقه الشهادة! إنك على كل شيء قدير.

قال: فناده رجل من أصحابه فقال: أيها الأمير! إنك قد أمرتنا بأمر ونحن قابلوه منك، ولكن متى تأمرنا بالحملة على هؤلاء القوم في أول النهار في آخره؟ فقال: لا بل في آخره إذا زالت الشمس عن كبد السماء وهبت الرياح وحضرت مواقيت الصلاة (٢)، وعسى أن يوافق دعاؤنا دعاء أهل المدينة، فعند ذلك نرجو النصر من السماء، ولا سيما هذا يوم الجمعة وهو يوم يستجاب فيه الدعاء. قال: فبينما النعمان بن مقرن يكلم أصحابه بهذا الكلام ويوصيهم إذا هو بعساكر الفرس قد أقبلت يتلو بعضها بعضا على البراذين البخارية وقد زينت بالسروج المدبجة والمراشح (٣) المشعرة، والفرس في أيديها الرايات المعلمة والأعمدة المذهبة والطبرزينات المحزقة وعليهم أقبية الحرير وصدر الديباج، والفيلة عن أيمنهم وشمائلهم قد شهروها بأنواع الزينة، قال: فنظر المسلمون إلى جمع عظيم وعدة قوية فكأنهم جزعوا لذلك وخافوا أن يفشلوا، قال: فصاح رجل: يا أهل الاسلام! ألا ما أشبه هذا اليوم إلا يوم الجسر الذي قتل فيه أبو عبيدة بن مسعود الثقفي وأصحابه، قال: ثم استعبر باكيا، قال فقال عبد الله بن... (٤) لقد أذكرتني يوم الجسر فأين أنت عن قول أبي محجن الثقفي.

قال: فصاح عمرو بن معد يكرب من القلب وقال: يا معشر المسلمين! ذرونا من مناشدة الاشعار وارغبوا في مجاورة الملك الجبار وعليكم بالنظر إلى راية أميركم،

- 
- (١) بالأصل، انظر الطبري ٤ / ٢٣٢ ابن الأثير ٢ / ١٨٣ البداية والنهاية ٧ / ١٢٣ فتوح البلدان ص ٣٠٠.  
(٢) وهي أحب الساعات كانت إلى رسول الله (ص) أن يلقي العدو فيها (ابن الأثير ٢ / ١٨٣، وقد مرت رواية أبي داود والترمذي في ذلك).  
وجاءت شكاية الناس إلى النعمان بعد ما أقبل المشركون على المسلمين يرمونهم حتى أفسوا بينهم الجراح رغم استتار المسلمين بالحجف.  
(٣) المراشح جمع مرشحة وهي البطانة التي تحت لبد السرج، سميت بذلك لأنها تنشف الرشح، يعني العرق.  
(٤) كذا بياض بالأصل.

فوقفوا يراعون الراية ليس منهم أحد يزول عن موضعه، والفرس في خلاف ذلك يضحكون ويعططون وينعرون، والمسلمون سكوت لا ينطقون لكنهم قد علقوا المخالي على الخيل وهم يراعون الراية، حتى إذا زالت الشمس وحن وقت الصلاة هز النعمان رايته هزة، ونظر المسلمون إلى ذلك فبادروا إلى المخالي فأخذوها عن رؤوس الدواب، وجعل الرجل بعد الرجل يرمي بنفسه عن فرسه فيصلي ركعتين يبادر بهما ثم يستوي على فرسه، قال: ثم إن النعمان هز رايته ثانية، فشد المسلمون عمائمهم على بطونهم وقرطوا أعنة الخيل وشدوا الحزم واستوثقوا من الأثفار والألباب وتهاؤوا إلى الحملة، وجعل الرجل يوصي الرجل الذي إلى جنبه ويقول: يا هذا! إن منزلي بالبصرة أو بالكوفة في موضع كذا وكذا فانظر إن أصبت أنا وسلمت أنت فصر إلى منزلي فخبّرهم بمصرعي، قال: وكان الكوفي يوصي الكوفي والبصري يوصي البصري، قال: وبكى الناس بعضهم بعضا مخافة أن تكون الغلبة للفرس على المسلمين، قال: وهز النعمان رايته الثالثة، فوضع كل واحد رمحه بين أذني فرسه وجعل يقول للذي إلى جنبه: أوسع لي فإني أريد أن أحمل، قال: ثم صوب النعمان رايته كأنها جناح طائر أبيض وكبر المسلمون وغشيتهم التكبير من الهوى، فجعلت أقدام الفرس تخفق من ركبهم حتى أن الرجل منهم ليضع النشابة في كبد القوس فترعد كفاه حتى تسقط النشابة من يده.

قال: ثم حمل النعمان وحمل الناس معه فاختلطوا واقتتلوا، وذهب النعمان ليحمل على رجل من الأعاجم، فحمل عليه رجل منهم قطعنه طعنة في خاصرته، فسقط النعمان قتيلا (١) - رحمة الله عليه. قال: وجالت الخيل ونظر رجل من المسلمين إلى النعمان قتيلا إلى عمامة كانت على رأسه فأخذها فضرب بها على وجه النعمان لكيلا ينظر المسلمون إلى وجه النعمان فيفشلوا عن القتال. قال: وتقدم معقل (٢) أخو النعمان فرفع الراية للمسلمين ثم حمل، فلم يزل

(١) في استشهاده أقوال: قيل زلق به فرسه فصرع (الطبري - ابن الأثير) وقيل رمي بسهم في خاصرته فقتله (ابن الأثير) وقيل انه بعد أن زلق به فرسه ووقع جاءه السهم في خاصرته فقتله (البداية والنهاية).

(٢) في الطبري وابن الأثير (نعيم) وقد أخذ الراية وسلمها إلى حذيفة بن اليمان، وفي البداية والنهاية: لم يشعر به أحد سوى أخيه سويد، وقيل نعيم. وأمر حذيفة (عند ابن الأثير: المغيرة بن شعبة) بكتف موته حتى يتفضل الحال لئلا ينهزم الناس.

يقاتل حتى قتل - رحمة الله عليه - .

قال: وتقدم أخوهما الأصغر واسمه سويد بن مقرن، قال: وجعل سويد بن مقرن يقاتل حتى أثخن بالجراحات ولم يقتل، فرجع بالراية فدفعتها إلى حذيفة بن اليمان رحمه الله، قال: فأخذها حذيفة فرفعها للمسلمين ثم قال: إني حامل، وحمل حذيفة وحمل الناس معه، فاقتتلوا قتالا شديدا يومهم ذلك إلى أن جاء الليل فحجز بينهم ورجع الفريقان بعضهم عن بعض.

قال: فلما أصبح القوم زحف بعضهم إلى بعض وتقدم رجل من الأساورة على فرس له لا ينال من طوله حتى وقف بين الجمعين ثم نادى: يا معشر العرب! أنا بوذان بن أردية فهلما إلى البراز! قال: فلما سمعه الناس وهو يتكلم بالعربية كأنهم هابوه، فلم يخرج إليه أحد، قال: ونظر الفارسي أنه ليس يخرج إليه أحد فحمل على المسلمين حملة فشق الصفوف وخرج من الجانب الآخر، ثم كر راجعا على المسلمين فخالطهم واستلب منهم رجلا عن فرسه فجعل يركض به والرجل معلق بيده حتى صار به إلى أصحابه فرمى به إليهم فقتل الرجل، ثم أقبل بوذان حتى صار إلى الموضع الذي كان فيه بديا، قال: فاغتم المسلمون لذلك وجعل عمرو بن معد يكرب يرتجز، ثم حمل بوذان على المسلمين ليفعل كفعلته الأولى وحمل عليه عمرو بن معد يكرب من ورائه فضربه بالصمصامة ضربة على بيضته فقد البيضة والهامة ومرت الصمصامة تهوي حتى صارت إلى جوف بوذان فسقط قتيلًا، فنزل إليه عمرو فسلبه ما كان عليه، فيقال إنه كان في وسط بوذان منطقة قومت بسبعة آلاف دينار.

قال: ودنت الفرس حتى تقاربت من صفوف المسلمين في خلق عظيم فجعلوا يرمون بالنشاب حتى جرحوا جماعة، وهم المسلمون بالحملة عليهم فقال حذيفة: لا تعجلوا حتى آذن لكم، قال: فصبر المسلمون ساعة والفرس في خلال ذلك لا يفترون من الرمي وما يسقط منهم نشابة إلا في رجل من المسلمين، فلما رأوا ذلك وإن الجراحات قد فشت فيهم تركوا وصية حذيفة، ثم كبروا وحملوا على الفرس فكشفوهم، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، ثم رجعوا إلى مراكزهم، قال: ورجعت إليهم الفرس كأنهم السباع الضارية في جموع لم يروا مثلها قبل ذلك، فصاح عمرو بن معد يكرب: يا معاشر العرب والموالي! ويا أهل الإسلام والدين والقرآن! إنه لا ينبغي لكم أن يكون هؤلاء الأعاجم أصبر منكم على الحرب ولا أحرص منكم

على الموت، فتناسوا الأولاد والأزواج، ولا تجزعوا من القتل فإنه موت الكرام ومنايا الشهداء. قال: ثم نزل عمرو عن فرسه ونزل معه أبطال بني عمه، قال: والأعاجم في الآلة والأسلحة وبين أيديهم ثلاثون فيلا، على كل فيل منهم جماعة من أساورة الفرس، قال: ونظر عامة المسلمين إلى عمرو بن معد يكرب وأصحابه وقد ترجلوا فنزل الناس وترجلوا ثم تقدموا نحو الخيل والفيلة، فلم يكن إلا ساعة من أول النهار حتى إحمرت الأرض من دماء الفرس وقتلت الفيلة بأجمعها فما أفلت منها واحد. قال: فتراجعت الفرس إلى ورائها، وإذا بفيلة أخرى من الفرس قد أقبلت في قريب من عشرة آلاف بمطاردها وأعلامها، وبين أيديهم رجل من قواد كسرى يقال له لرداود بن ادركرد وكان من أهل قاشان، قال فتقدم على فيل له مزين وعلى رأسه تاج له يلعب بالجوهر، وعن يمينه خمسة فيلة وعن يساره كذلك، على كل فيل منها جماعة من أساورة الفرس. قال: ونظر إليهم قيس بن هبيرة المرادي فلم يكذب أن حمل على ذلك الفيل المزين، فضرب خرطومه ضربة وقطعه، ثم تأخر عنه وطعنه في عينه طعنة، فإذا الفيل تقهقر إلى ورائه حتى أنه مر بساقية فيها ماء فعثر بها وسقط عنه لرداد بن ادركرد.

قال: ثم تقدم رجل من شجعان الفرس يقال له مهر بنداد بن رادان بود في قريب من ألف فارس ومهر بنداد يومئذ على فيل مزين وعلى رأسه تاج من الذهب مرصع بالجوهر، وفي يده طبرزين محزق بالذهب والفيلة عن يمينه وشماله، فلما وقف مهر بنداد بين الجمعين في هذا الجيش ضح المسلمون من كل ناحية وجعل كل قوم يحبون المبارزة والخروج إلى الحرب، قال: فتقدم عروة بن زيد الخيل الطائي فقال: يا معشر المسلمين! إنه ليست منكم قبيلة بحمد الله إلا ولها في هذه الواقعة أثر محمود، وقد أحببت أن تجعلوا قتال هؤلاء القوم في هذا الوقت إلينا، فقال عمرو بن معد يكرب والمسلمون: فإننا قد أحببنا ذلك فأخرج عافاك الله وكلاك من ناره. قال: فتقدم عروة بن زيد الخيل الطائي وتقدم معه نيف على ثلاثمائة رجل من بني عمه، حتى إذا دنا من الفرس حسر عن رأسه ثم كبر وحمل وحملت معه قبائل طيء على مهر بنداد وأصحابه، فكان مهر بنداد أول من قتل، ووضع المسلمون السيف في أصحابه وكانوا ألف فارس، فأفلت منهم خمسون رجلا أو أقل من ذلك، قال: ووقع المسلمون في السلب فأخذوا متاعا كثيرا من دروع وجواشن وبيض ورماح وحجف

وأطواق وشنوف وقرطة وأسورة ومناطق، وحازوا ذلك كله، قال: وجاء الليل فحجز بين الفريقين.

فلما كان من غد وذلك في اليوم الرابع من حروبهم ثار القوم بعضهم إلى بعض، وزحف أهل نهاوند في جميع عظيم حتى صافوا المسلمين، قال: وصف المسلمون صفوفهم كما كانوا يصفونها من قبل، ودنت الخيل من الخيل والرجال من الرجال فتناوشوا ساعة، وتقدم مرزبان من مرزبتهم يقال له النوشجان بن بادان على فيل له وقد شهره بالتجافيف المذهبة وصفرة الذهب تلمع على سواد الفيل حتى وقف بين الجمعين، قال: ونظر إليه عمرو بن معد يكرب فتهايا للحملة عليه، ثم أقبل على بني عمه من زبيد فقال: ألا تسمعون؟ فقالوا: قل يا أبا ثور! نسمع قولك وننتهي إلى أمرك، فقال: إني حامل على هذا الفيل وقاصد إليه، فإن قطعت خرطومه فقد هلك وذاك الذي أريد، وإن أخطأته ورأيتم الفرس قد حملوا علي وتكاثروا فأعينوني، فقالوا: نفعل أبا ثور! فاستخر الله عز وجل وتقدم. قال: فتقدم عمرو نحو الفيل الذي على ظهره النوشجان، قال: وجعل النوشجان يرميه بالنشاب من فوق الفيل حتى جرحه جراحات كثيرة، ونظر إليه من كان من بني عمه فخرجوا إليه ليعينوه، وصاح النوشجان بالفرس فحملوا على عمرو وأصحابه، فاقتتل القوم وحمل عمرو من بين أيديهم فضرب خرطوم الفيل فقطعه، وولى الفيل منهزما ثم سقط ميتا، ووضع المسلمون السيف في النوشجان وأصحابه، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وقتل النوشجان فيمن قتل وانهمز الباقون بشر حالة تكون.

قال: وتقدم قائد من قواد نهاوند يقال له هرمزد بن داران في نيف على خمسة آلاف فارس من نخبة الأعاجم حتى وقف بين الجمعين، فأقبل حذيفة بن اليمان على الناس فقال: أيها المسلمون! إن هؤلاء الأعاجم ليست معهم نصفة أن يخرج منهم رجل إلى رجل، وذلك أنه إذا خرج منهم قائد يجد بدا من أن يخرج معه كل أصحابه، وهذا عسكر لجب قد برز إليكم في مثل هذه التعبية من الخيل والجنود والفيلة، فثقوا بربكم وقاتلوا عن دينكم وصلوا على نبيكم، قال: فكان أول من خرج إلى هرمزد وأصحابه رجلا من قيس عيلان من بني مضر يقال لأحدهما بكير والآخر مالك، فخرجا على فرسين لهما ثم أقبل أحدهما على الآخر فقال له: يا أخي اعلم أنني حامل على هذا الجيش ولست أطلب منهم إلا عميدهم وكبيرهم هرمزد بن داران، فما الذي ترى؟ فقال أخوه: أرى أنني معك أحمل إذا حملت،

ومعك أقتل إن قتلت، ومعك أرجع إن رجعت، قال: فخرجنا جميعا نحو هرمزد وأصحابه قطعنا في الخيل ساعة حتى فروا هائمين يمينا ويسرة، ثم إنهما حملا على هرمزد بن داران، هذا عن يمينه وهذا عن يساره، فطعناه فسقط إلى الأرض قتيلًا، قال: وتكاثرت الفرس من كل ناحية على هذين الفتيتين بكير ومالك فقتلا جميعا - رحمة الله عليهما - .

قال: فارتفع العجاج فخرج أخ لهذين الفتيتين ليخرق العجاج وينظر إلى أخويه، فإذا لقيه رجل يقال له بسطام بن عمرو فقال له: ويحك يا بسطام! هل حسست أخوي حسا؟ فقال: نعم، أعظم الله أجرك في أخويك! فقد قتلا كريمين، فقال ناشرة: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم حمل على الفرس فقاتل ساعة ثم وقف ثم حمل ناشرة بن صالح، ونادى عمرو بن معدي كرب قال: يا معاشر المسلمين إني ما أشبه هذا اليوم إلا بيوم القادسية، فيا معشر بني مذحج! ويا فتيان بني زبيد! ويا معشر النخع! اعلّموا أن الذكر غدا بالمدينة لمن صبر اليوم، ألا! فاحملوا ولا تفشلوا رحمكم الله.

قال: فما بقي أحد من بني مذحج ولا من النخع ولا من بني زبيد إلا وحمل، ونظر إليهم عمرو وقد حملوا فحمل معهم، فاقتتلوا ساعة حتى أزالوا الفرس عن أماكنهم، وقتلوا منهم بشر كثير.

قال: ثم أقبل جرير بن عبد الله البجلي على الناس فقال: يا معشر المسلمين! إنكم قد علمتم بأن أميرنا النعمان بن مقرن قد قتل منذ ثلاثة أيام وهذا الرابع، وهؤلاء الأعاجم كلما كسرنا لهم جيشا زحفوا إلينا بجيش هو أعظم منه، وقد تعلمون أن يزدجرد ملك الأعاجم قاطبة قد صار إلى أصفهان ولست آمن أن يبعث إليكم بجيش عظيم فيكون فيه البوار، وهذه الشمس قد زالت كما ترون، فاعلموا أنها لا تغيب إلا ونحن في جوف قلعة نهاوند إن شاء الله ولا قوة إلا بالله.

قال: فقال طليحة بن خويلد الأسدي: والله ما الرأي إلا ما رأيت يا أبا عمرو! ولقد قلت قولا ويجب أن نجعلها واحدة، لنا أم علينا، فإننا لا نطبق كثرة هؤلاء القوم.

قال: فقال عمرو بن معد يكرب: ويحك يا طليحة! لا تقل علينا فإني أرجو أن تكون لنا وقلبي يشهد بذلك كما أنه يشهد أنني مقتول في هذا اليوم، ألا! وإني

حامل فاحملوا معي رحمكم الله، فوالله لأجهدن أني لا أرجع دون أن أفتح أو أقتل. قال: ثم نزل عمرو عن فرسه وجعل يستوثق من حزامه وثفره وليبه، ثم استوى عليه وضرب بيده إلى الصمصامة فجعل يهزها، قال: ثم كبر عمر وحمل، وحمل معه فرسان بني مذحج على جموع الأعاجم، فلما خالطهم عمرو عثر به فرسه فسقط إلى الأرض وغار فرسه وأحاطت به الفرس من كل جانب، فلم يزل يقاتل حتى انكسرت الصمصامة في يده، ثم ضرب بيده إلى السيف ذي النون فلم يزل يضرب به حتى انكسر في يده، فعند ذلك علم أنه مقتول، قال: وجعل المسلمون يحملون على الفرس فيقاتلون وليست لهم بهم طاقة لكثرة جمعهم، وحمل رجل من الفرس يقال له بهرزاد على عمرو بن معد يكرب فضربه على يافوخه، فخر عمرو صريعا وتكاثرت عليه الفرس بالسيوف فقطعوه إربا إربا - رحمة الله ورضوانه عليه - .

ثم إنهم حملوا على المسلمين حملة فكشفوهم عن معسكرهم وعن موضع سوادهم، قال: وكان سارية بن زنيم الكناني يومئذ على جناح المسلمين فوقعت في أذنه صيحة وهو يقول: يا سارية! الجبل الجبل! مرتين، قال: فحمل سارية ومن معه من المسلمين على قوم من الفرس وراء الجبل وقد كانوا عزموا أن يخرجوا على المسلمين كميناً. فكشفهم سارية عن مواضعهم وحمل المسلمون من الميمنة والميسرة والقلب، فاحتكموا الأعاجم جملة حتى قلعوهم عن أرض نهاوند وبنائها واتبعوهم فرسخين أو أكثر من ذلك يقتلونهم عند كل حجر وشجر، ثم رجعوا إلى نهاوند في وقت المغرب فباتوا ليلتهم تلك يحرس بعضهم بعضاً خوفاً من أن يكون في الفرس رجعة عليهم، والفرس قد ألقى الله عز وجل الرعب في قلوبهم، فبعضهم يؤم أصفهان وبعضهم يؤم ما سبذان وبعضهم يؤم قم وقاشان مشردين في البلاد، فأصبح المسلمون فجعلوا يجمعون غنائم نهاوند إلى معسكرهم حتى نظروا إليها كأنها الإكام، ثم إنهم دفنوا قتلاهم فبعضهم دفن في الموضع الذي أصيب فيه، وبعضهم دفن في الموضع الذي يعرف بقبور الشهداء إلى يومنا هذا.

قال: وأقبل إلى السائب بن الأقرع رجل من أهل نهاوند (١) فقال له: أيها العربي! أنت صاحب غنائم العرب؟ فقال: نعم، أنا على غنائمهم، فقال: هل

(١) هو الهربذ صاحب بيت النار (الطبري ٤ / ٢٤٣ وفيه أنه جاء إلى حذيفة بن اليمان). وفي فتوح البلدان ص ٣٠٢ ذو العوينتين.

لك أن تؤمنني على نفسي وأهلي وولدي ومالي وأهل بيتي وأدلك على كنز النخيرجان (١)؟ فقال له السائب: أيها الرجل! انك تطلب مني الأمان على أمة من الأمم ولست أدري كنز النخيرجان ما هو؟ فقال الفارسي: إذا أخبرك أيها الأمير! خبر النخيرجان وقصته.

قال: وجعل الفارسي يحدث السائب بن الأقرع فقال: أيها الأمير! إن النخيرجان كان وزيراً ليزدجرد، وكانت له امرأة حسنة وكان يزدجرد يختلف إليها قال: فقال غلمان النخيرجان للنخيرجان: أيها الوزير! إن الملك يختلف إلى امرأتك فأحببنا أن نعلمك بذلك، قال: فاتقى النخيرجان على نفسه من أن يقتله يزدجرد ويأخذ امرأته، فجفا النخيرجان امرأته فلم يقربها، فخبرت المرأة يزدجرد بذلك، قال: فدعا يزدجرد بالنخيرجان ذات يوم فأقعده بين يديه ثم خلا به فقال له: يا نخيرجان! بلغني أن لك عينا عذبة وأنت لا تشرب منها فلم ذلك؟ فقال النخيرجان: أيها الملك! إني كنت أشرب منها ولكني وجدت عندها أثر الأسد فاتقيته على نفسي، قال: فعلم يزدجرد أن النخيرجان قد علم بأمره وأمر امرأته فأمره بمفارقتها، ففارقها وزوجه يزدجرد غيرها من النساء ووصله بمال جليل وتاج من الذهب (٢)، ثم قال ذلك الفارسي للسائب بن الأقرع: وأنا أعرف موضع هذا المال وهذا التاج فتعطيني الأمان كما سألتك ويكون هذا المال لك من دون أصحابك، قال: فأعطاه السائب الأمان كما أراد ودله الفارسي على الكنز، فأخذه وكتمه عن المسلمين، ثم أخرج الخمس من غنائم نهاوند فعزله ليوجه به إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقسم الباقي في المسلمين فأعطى كل ذي حق حقه وحمل الخمس مع ذلك السفط إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فلما نظر إليه عمر من بعيد قال له: ويحك يا سائب! ما وراءك؟ فلقد بت البارحة بليلة، الله بها عليم من غمي بأمر المسلمين، فقال له السائب بن الأقرع:

(١) بالأصل، (البحيرجان) وقد مر، فتوح البلدان ص ٣٠٢ ابن الأثير ٢ / ١٨٥ الطبري ٤ / ٢٤٣ وفي الاخبار الطوال ص ١٣٧ النخارجان.

(٢) كذا، وعند الطبري أن النخيرجان وضع ذخيرة لكسرى عند الهرزد، وكان كسرى قد أعدها لنوائب الزمان. وفي فتوح البلدان: كنز النخيرجان هو سفطان من الجوهر لم ير مثلهما. وعند ابن الأثير: سفطين فيهما اللؤلؤ والزبرجد والياقوت.

أبشر يا أمير المؤمنين! فقد فتح الله عز وجل على المسلمين وأذل المشركين، وقد قسمت على كل ذي حق حقه وحملت إليك خمس غنائم المسلمين من أهل نهاوند. قال: فجعل عمر يسأله عن المسلمين ومن قتل منهم هنالك والسائب يخبره بقتل كل رجل، حتى سأله عن عمرو بن معد يكرب فقال: قتل يا أمير المؤمنين ووالله ما عرفناه من كثرة الضربات التي أصابته إلا بثناياه، قال: فبكى عمر بكاء شديدا ثم قال: رحم الله أبا ثور! يرحم الله النعمان بن مقرن! رحم الله فلانا وفلانا - وجعل يترحم على رجل بعد رجل حتى ترحم على جميع من قتل. ثم قال: ويحك يا سائب! فما صنع المسلمون بعد ذلك؟ قال: قفلت يا أمير المؤمنين [و] دفعت إلى كل ذي حق حقه وأتيتك بهذا الخمس وقد رجع أهل البصرة إلى بصرتهم وأهل الكوفة إلى كوفتهم.

قال: فما برح عمر بن الخطاب رضي الله من المسجد حتى قسم الخمس من غنائم نهاوند على المسلمين، وهم عمر أن يقوم من موضعه فتقدم إليه السائب بن الأقرع فكلمه سرا وخبره بكنز النخيرجان، فقال عمر: ائتني به، فجاء به حتى وضعه بين يديه وفتحه وجعل ينظر إلى ذلك السفط وما فيه من الذهب والجوهر، ثم دعا بعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة والزبير ومن هنالك من المسلمين رضي الله عنهم أجمعين، فقال لهم: اختموا بخواتيمكم على هذا السفط، فإني لست آمن نفسي عليه، قال: وختم القوم بخواتيمهم على ذلك السفط، ثم أمر فوضع في بيت المال وانصرف عمر إلى منزله. فلما كان الليل وجه عمر إلى السائب بن الأقرع فدعاه (١) ثم قال: ويحك يا سائب! ما لي ولك؟ أردت أن تدخلني النار نار جهنم! قال: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال: إني كنت نائما فرأيت هذا السفط الذي جئني به وهو يشتعل نارا والنار ترتفع إلى وجهي وأنا أتأخر عنها خوفا من أن تحرقني وسمعت هاتفا يهتف بي وهو يقول: يا بن الخطاب! أردد هذا السفط على من أفاء الله به عليه. فاحمل الآن هذا السفط إن شئت إلى البصرة أو إلى الكوفة فبعه وادفع إلى كل ذي حق حقه وائتني بالخمس حتى أقسمه في المسلمين. قال: فحمل السائب بن الأقرع ذلك السفط إلى الكوفة ثم وضعه في

(١) وقيل إن السائب وبعد تسليمه الخمس والسفطين إلى الخليفة خرج مسرعا إلى الكوفة، وقد أصبح عمر فبعث رسولا إلى السائب فلم يجده فأرسل بعثا إليه أدركه بالكوفة، فاستدعاه على عجل إلى عمر (ابن الأثير ٢ / ١٨٥ البداية والنهاية ٧ / ١٢٧).

المسجد الأعظم ودعا بالناس إلى شرائه، فاشتراه عمرو بن حريث المخزومي بمال جزيل (١)، وربح فيه مثل ثمنه، فيقال إن ذلك المال أول مال اعتقله عمرو بن حريث بالكوفة. قال: فأخرج السائب بن الأقرع من ذلك المال الخمس فحمله إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقسم باقي ذلك المال فيمن شهد فتح نهاوند من أهل البصرة وأهل الكوفة، فهذا ما كان من فتح نهاوند والله أعلم وهو حسبنا ونعم الوكيل. ذكر فتح مدينة الري (٢) والدستبي وما يليهما.

قال: فلما فتح الله عز وجل نهاوند على المسلمين وأمكن منهم وقسم غنائمهم كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد ذلك إلى عمار بن ياسر: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عمار بن ياسر، أما بعد فالحمد لله الذي أنجز وعده وهزم الكفار وحده، فاحمدوا الله عباد الله على ما رزقكم من غنائم عدوكم واعتصموا به، فنعم المولى ونعم النصير، وبعد فانظر إذا ورد عليك كتابي هذا فاقرأه على المسلمين وبشرهم بالنصر من عند خير الناصرين، ثم اعرض أجناد أهل الكوفة فانتخب منهم عشرة آلاف رجل من أخلاط القبائل فاضممهم إلى عروة بن زيد الخيل الطائي ومره فليسر بهم نحو الري والدستبي فعسى الله عز وجل أن يفتح ذلك على يده بمنه وطوله وحوله وقوته إنه على كل شيء قدير - والسلام عليك ورحمة الله وبركاته -.

قال: فلما ورد الكتاب على عمار بن ياسر نادى في المسجد، فاجتمعوا إليه فأقرأهم الكتاب وندبهم إلى الجهاد، فأجابه الناس إلى ذلك فرحين مسرورين، فجعل ينتخب الرجال من جميع القبائل، حتى إذا علم أنهم تكاملوا عشرة آلاف رجل دعا عروة بن زيد الخيل وأمره بالمسير إلى الري (٣)، فسار عروة بالمسلمين سيرا حثيثا

(١) في ابن الأثير ٢ / ١٨٦ والبداية والنهاية ٧ / ١٢٧ بألفي ألف درهم. قال في فتوح البلدان ص ٣٠٢: ثم انطلق بإحداهما إلى الحيرة فباعه بما اشتراهما به، وفضل الآخر. وعند ابن الأثير: باعهما بأربعة آلاف ألف.

(٢) الري: مدينة مشهورة بينها وبين نيسابور ١٦٠ فرسخا. دستبي: كورة كبيرة كانت مقسومة بين الري وهمدان.

(٣) كذا بالأصل ومعجم البلدان وفتوح البلدان ص ٣١٢ وفيه أنه انتدب في ثمانية آلاف. وقيل إن فتح الري كان على يد نعيم بن مقرن (الطبري) ٤ / ٢٥٣ ابن الأثير ٢ / ١٩٢ البداية والنهاية ٧ / ١٣٧، وقيل إن من تولى فتحها قرظة بن كعب الأنصاري (اليقوي) ٢ / ١٥٧.

حتى صار إلى حلوان، وبها يومئذ جرير بن عبد الله البجلي في قريب من ثمانية آلاف من المسلمين غير أنه متمسك بحلوان فلا يقدر أن يجوزها إلى غيرها، فأقبل عروة حتى نزل عنده ثم ودعه وخرج يريد همدان، وبها يومئذ رجل من عظماء الأعاجم يقال له كفتار في جمع يسير من الفرس، فلما أحس بخيل المسلمين أنها قد وافته رحل من همدان حتى صار إلى قم فنزلها، ودخل المسلمون إلى حصن همدان فاحتوا عليه وعلى ما قدروا عليه من الأطعمة والعلوفة وغير ذلك، وأقاموا بهمدان أياما ثم رحلوا منها يريدون الري، وبساوة (١) يومئذ رجل من ملوك الأعاجم يقال له داور بن أزدهان في عشرة آلاف فارس من أهل بلدة وأهل الرستاق من الدستبي، فلما بلغه مسير المسلمين إلى ما قبله نادى في أصحابه وخرج عن ساوة هاربا حتى صار إلى الري ونزل المسلمون بساوة.

وبلغ ذلك ملك الري فرخنداد بن يزدامهر الأكبر (٢) فاغتم بمسير المسلمين واستنهض أهل الري فأجابوه في عشرين ألفا، قال: واجتمع إليه الديلم (٣) في مثل ذلك، فسار فرخنداد في قريب من أربعين ألفا، وبلغ ذلك المسلمين وهم نزول بساوة في عشرة آلاف كأنهم جزعوا من عساكر الديلم وأهل الري، فجعل أميرهم عروة بن زيد الخيل يشجعهم وينهاهم عن الفشل ويحثهم عن الجهاد لعدوهم. قال: ثم إنه نادى بالرحيل نحو الري، فسار المسلمون يوما وثانيا وثالثا حتى نزلوا على ثلاثة فراسخ من الري، وبلغ ذلك ملك الري فخرج إلى المسلمين في زهاء أربعين ألفا، ودنا القوم بعضهم من بعض، وعبى عروة بن زيد الخيل أصحابه، فجعل على ميمنته أخاه حنظلة بن زيد الخيل، وعلى ميسرته سماك بن عبيد (٤) العبسي، وعلى الجناح سويد بن مقرن المزني، قال: وتقدم عروة بن زيد الخيل حتى وقف على القلب في جماهير المسلمين وأبطال العرب ثم قال: أيها الناس! إنه ليس ينبغي لمن علم أن الجنة مأوى المتقين وأن النار مثوى الكافرين أن يجزع من كثرة هؤلاء الأعاجم، فوالله! إنكم لأنتم الذين فتحتم القادسية والمدائن

(١) ساوة: مدينة بين الري وهمدان.

(٢) في الطبري ٤ / ٢٥٣ وابن الأثير ٢ / ١٩٢ سواوخش بن مهران بن بهرام جوبين. وفي البداية والنهاية ٧ / ١٣٦ أبو الفرخان.

(٣) كان على الديلم: موتا (البداية والنهاية).

(٤) عن فتوح البلدان ص ٣٠٣ وبالأصل (هلال) تحريف.

وجلولاء وحلوان. وأنتم الذين فتحتم أرض الأهواز بأجمعها قلعة قلعة ونهرا نهرا، وأنتم أصحاب نهاوند بالأمس وقد اجتمع بها أضعاف هؤلاء، فقد عرفتم حرب القوم، إنما لهم ساعة واحدة ما دامت سهامهم في كنائهم، فإذا نفدت فقد أهلكهم الله عز وجل وبدد شملهم.

قال: فبينما عروة بن زيد الخيل يحرض أصحابه على الجهاد ويرغبهم فيما عند الله عز وجل إذا برجل من عظماء أهل الري يقال له داد بن فرناذ قد برز من بين صفوف الأعاجم فجعل يجول ويطلب البراز، فخرج إليه شبل بن معبد البجلي، فجاوله ساعة ثم التقيا بطعنتين طعنه البجلي [و] جدله قتيلا، ثم حمل في جميع أهل الري فطعن فيهم طعنا وجميعا جرح منهم جماعة، ثم رجع إلى صفوف المسلمين فوقف.

ثم تقدم عروة بن زيد الخيل حتى وقف أمام المسلمين على بردون له أصفر، فجعل ينادي: يا معشر طيء! إنه لا عطر بعد عروس (١)، ولست أريدكم لبعث اليوم وأنشدكم الله عز وجل أن تفضحوني أو تشمتوا بي عدوي، قال: فنادته قبائل طيء من كل ناحية: أيها الأمير! احمل رحمتك الله حتى ترى منا ما يسرك إن شاء الله، قال: فعندها جعل عروة بن زيد الخيل يرتجز، قال: ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل من القوم جماعة، وحمل المسلمون بأجمعهم على أهل الري والديلم فقتلوا منهم في المعركة زهاء سبعمائة، وولى الباقر أديبارهم يتبعون صاحبهم فرخنداد بن يزدا مهر حتى دخلوا المدينة مفلولين، واحتوى المسلمون على غنائمهم وأسلابهم. قال: ثم بعث ملك الري إلى عروة بن زيد الخيل يسأله الصلح على أنه يقره في بلده ويؤدي الجزية إليه في كل سنة ثلاثين ألف درهم ويعجل إليه بمائتي ألف درهم. قال: فرضي منه عروة بن زيد بذلك ثم كتب (٢) إلى عمر بن الخطاب رضي

(١) في فتوح البلدان ص ٣١٤ صالحه ابن الزينبي علي أن يكونوا ذمة يؤدون الجزية والخراج، وأعطاه عن أهل الري وقومس خمسمائة ألف على أن لا يقتل أحدا ولا يسببه ولا يهدم لهم بيت ناري. وخبر فتح الري مختلف تماما في الطبري، وأن الصلح مع أهلها عقده نعيم بن مقرن وكتب لهم بذلك كتابا (ج ٤ / ٢٥٣).

(٢) كذا بالأصل، وفي فتوح البلدان ص ٣١٣ أن عروة بن زيد خلف أخاه حنظلة بن زيد على الري وقدم على عمار وتوجه - بعد إذن عمار - إلى عمر يخبره بنفسه خبر فتح الري.

الله عنه بما قد فتح الله عز وجل على يديه من الري وغيرها.  
وكتب إليه عمر يأمره أن يخلف على الري رجلا من المسلمين يأخذ منهم  
الجزية ويسرع المسير إلى قم (١) وقاشان (٢).

قال: فلما ورد كتاب عمر رضي الله عنه على عروة بن زيد وقرأه دعا برجل من  
عبد القيس يقال له زكاة بن مصعب فولاه على جزية الري، وضم إليه ثلاثمائة فارس  
من فرسان أهل الكوفة ثم سار بالمسلمين يريد إلى قم وقاشان.

قال: وبلغ ذلك صاحب قم واسمه وسان، فخرج عن قم هاربا حتى صار  
إلى قاشان فأقام بها ساعة من النهار ثم رحل منها حتى صار إلى أصفهان، وبها يومئذ  
يزدجرد ملك الفرس، فدخل عليه وسان فقال: أيها الملك! إنه قد أخذت العرب  
همذان والري وقد توجهوا إلى قم وقاشان وكأنك بهم وقد وافوك، فاعمل على  
رأيك، قال: فاغتم يزدجرد لذلك غما شديدا، وسار المسلمون إلى قم فنزلوها  
واحتووها وعلى قاشان (٣).

وبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب إلى جرير بن عبد الله وهو  
يومئذ بحلوان فأمره بالتقدم إلى همذان، فسار جرير بمن معه إلى همذان وأرض  
الماهين واحتووا عليها، قال: فكان جرير مقيما بهمذان والماهين، وعروة بن زيد  
مقيما بقم وقاشان (٢)، وخليفته بالري.

قال: وبلغ ذلك يزدجرد ملك الفرس، فدعا برجل من المرازبة يقال له  
الفاذوسفان فولاه أصفهان، ثم خرج منها هاربا حتى صار إلى أرض فارس فنزل مدينة  
إصطخر (٣)، وبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب إلى عروة بن زيد  
الخيل يأمره أن لا يبرح من قم وقاشان إلى أن يأتيه أمره، ثم كتب إلى أبي موسى  
الأشعري وهو مقيم بالبصرة وقد فتح من أرض الأهواز ما فتح، فكتب إليه يأمره

(١) قم: مدينة بين أصفهان وساوة. وبينها وبين قاشان ١٢ فرسخا.

(٢) في فتوح البلدان ص ٣٠٨ ومعجم البلدان أن أبا موسى الأشعري افتتح قم وأقام عليها أياما. ووجه أبو  
موسى الأحنف بن قيس إلى قاشان فافتتحها عنوة.

(٣) إصطخر: مدينة من خراسان بينها وبين شيراز ١٢ فرسخا.

بالمسير إلى أصفهان وأن يعجل المسير إليها (١).  
ذكر فتح أصفهان على يدي أبي موسى الأشعري.

قال: فلما ورد كتاب عمر رضي الله عنه على أبي موسى نادى في أهل البصرة وأقرأهم كتاب عمر وندبهم إلى المسير إلى أصفهان وأمرهم بالأهبة والجهاد، ففعلوا ذلك وأجابوه سراعا راغبين في الجهاد، قال: ودعا أبو موسى برجل من بكر بن وائل يقال له همام بن متمم (٢) فولاه على أهل البصرة، ثم نادى في الناس بالرحيل إلى أصفهان، وخرج الناس معه حتى نزلوا بالأهواز، ثم رحل منها يريد أصفهان حتى إذا تقارب منها دعا برجل من خزاعة يقال له عبد الله بن بديل بن ورقاء (٣) فضم إليه ألفي

راجل وفارس من جند أهل البصرة وقدمه أمامه نحو أصفهان، وبلغ ذلك الفاذوسفان صاحب أصفهان، فدعا بفارس فاستوى عليه وخرج عن المدينة في ثلاثين فارسا هاربا على وجهه يريد إلى يزيدجرد، وبلغ ذلك عبد الله بن بديل بن ورقاء فأسرع في المسير في طلبه فلم يقدر عليه ومضى الفاذوسفان حتى لحق بيزدجرد (٤). وأقبل عبد الله بن بديل إلى باب أصفهان فنزل عليه في ألفي فارس، فأرسل إليه أهل أصفهان يسألونه الصلح، فأجابهم أبو موسى إلى ذلك وصالحهم (٥) على مائة ألف درهم عاجلة

(١) في الطبري ٤ / ٢٤٦ ومعجم البلدان: أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بعث عبد الله بن عبد الله بن عتبان وأمه بأبي موسى.

(٢) عند الطبري ٤ / ٢٤٦ عمر بن سراقه.

(٣) كذا بالأصل وفتوح البلدان ص ٣٠٨ وتاريخ يعقوبي ٢ / ١٥٧ وتاريخ خليفة ص ١٦١ إلا أنه قال إنه كان على مقدمة ابن عامر. وفي معجم البلدان أن عبد الله بن عبد الله بن عتبان توجه إلى أصبهان وعلى مقدمته عبد الله بن ورقاء الرياحي وعلى مجنبيه عبد الله بن ورقاء الأسدي. والذين لا يعلمون يرون أن أحدهما عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي لذكر ورقاء فظنوا أنه نسب إلى جده، وكان عبد الله بن بديل بن ورقاء قتل بصفين وهو ابن أربع وعشرين سنة، فهو أيام عمر صبي.

(٤) كذا بالأصل. وفي رواية فتوح البلدان ص ٣٠٩ أن ابن بديل لحقه قبل وصوله إلى يزيدجرد وعاد معه إلى أصبهان وصالحه.

وفي معجم البلدان والطبري ٤ / ٢٤٨ أن ذلك كان بين الفاذوسفان وعبد الله بن عبد الله بن عتبان.

(٥) في فتوح البلدان أن ابن بديل تمم الصلح مع الفاذوسفان، وعند الطبري وابن الأثير ومعجم البلدان أن عبد الله بن عبد الله بن عتبان هو الذي قرر الصلح مع الفاذوسفان وكتب له ولأهل أصبهان كتاب الصلح. انظر نسخته في الطبري ٤ / ٢٤٨ ومعجم البلدان (أصبهان) والوثائق السياسية وثيقة رقم ٣٣٣ صفحة ٤٤٢.

والجزية بعد ذلك على من أقام على دين المجوسية. ثم دخل أبو موسى مدينة أصفهان بلا قتال ولا مناوشة كانت بينه وبين أهل أصفهان قبل ذلك بموضع يقال له ميدان، فأقبل قبل الصلح.

قال: وكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخبره بما فتح الله عز وجل على يديه من أصفهان وأنه مقيم بها، فلما قرأ عمر كتاب أبي موسى قال: الحمد لله الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء، لا معطي لما يمنع ولا مانع لما أعطى.

قال: وبلغ أهل فارس أن العرب قد أخذت أصفهان وما يليها فاغتموا لذلك وهالهم أمر العرب جدا، قال: ودعا يزيدجرد برجل من أبناء ملوك العجم يقال له شهرک بن ماهک، فقال: ويحك يا شهرک! إني أرى هؤلاء العرب ما يطلبون أحدا غيري، وذلك أني كلما رحلت إلى بلدة رحلوا في أثري، غير أني رأيت من الرأي أرجع عن جميع أرض فارس وأصير إلى کرمان (١)، ولكن انظر كيف تقاتل عن دينك وتناضل عن حرمك ودار ملكك، قال: ثم رحل يزيدجرد عن مدينة إصطخر ومضى حتى صار إلى کرمان، فنزل في قصر ملك من ملوكها يقال له هزار مرد، ولم يكن بكرمان أجل منه.

ذكر فتح فارس (٢) على يد أبي موسى الأشعري.

قال: واجتمع أهل إصطخر (٣) إلى رجل منهم يقال له الموبدان، قال: وكان الموبدان هذا قاضي القضاة عند الأعاجم وهو الذي يقتدون برأيه وينتهون إلى أمره، فقالوا: أيها الموبدان! إنك قد علمت بأن نجم العرب قد طلع طلوع سعد، قد غاب عنه النحس، وذلك أنهم قد أخذوا جميع البلاد الذي كانت للفرس حتى وصلوا إلى أصفهان فأخذوها، وهذا الفاذوسفان ابن ساسب صاحب أصفهان قد أقبل منهزما بين أيديهم، وقد علمت يا موبدان أن إصطخر هي التاج، فإن ذهبت منه ريشه لم

(١) کرمان: ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومکران وسجستان وخراسان.

(٢) فارس: ولاية واسعة وإقليم فسيح. فيها من أمهات المدن المشهورة غير قليل. وكورها المشهورة خمس أو سبعا إصطخر.

(٣) قارن مع رواية الطبري ٥ / ٣ وابن الأثير ٢ / ٢٠٣ - ٢٠٤ وفتوح البلدان ص ٣٧٩.

يكن للعجم نظام، فلم لا تكلم الملك شهرك بن ماهك في ذلك حتى يحتال بحيلة، ثم إنه يدفع هؤلاء ويجمع الجموع. فيلقى هؤلاء العرب من قبل مصيرهم إلى ما قبلنا.

قال: فعندها أقبل الموبدان قاضي الفرس حتى دخل على شهرك بن ماهك، فكلمه في ذلك وذكر له مقالة الأعاجم. فقال له شهرك: ومن هؤلاء العرب إلا كلاب حتى إنكم تريدون، تخافون من نباحتهم لعلكم نظرتهم إلى جزع يزدجرد وخروجه عن بلد فارس فاتقيتم على أنفسكم. ثم قال شهرك: اخرج أيها الموبدان فناد في جميع الأعاجم أن يجتمعوا لهؤلاء العرب [و] ألا يخرج إلى حربهم أحد إلا ومعه حبل حتى نقرنهم في الحبال.

قال: فخرج الموبدان إلى الفرس فخبروهم بمقالة شهرك، فجعل الناس يجتمعون إلى شهرك حتى صار في عشرين ومائة ألف رجل من الفرس. قال: وبلغ ذلك أبا موسى الأشعري (١)، وأبو موسى يومئذ مقيم بأصفهان، فنادى في المسلمين فاجتمعوا إليه فعرضهم فكانوا سبعة عشر ألفا ما بين فارس وراجل، فوضع لهم الارزاق وأعطاهم ووعدهم ومناهم ثم سار بهم يريد مدينة إصطخر حتى إذا أشرف عليها ونظر جموع الفرس أمر المسلمين بأن يكبروا، فلما كبر المسلمون بأجمعهم وقع الرعب في قلب شهرك، فالتفت إلى أصحابه وهو في تلك الخلق العظيم فجعل يقول بالفارسية: چون كنم وكجا شوم، فجعل وزيره يشجعه ويقول: أيها الملك أثبت ولا تخف، فإن هؤلاء العرب قليلون ونحن في جمع عظيم، فلا عليك أن تقف حتى تنظر إليك أصحابك ويقاثلون بين يديك، قال: فوقف شهرك أمام أصحابه وليس معه شيء من عقله.

قال: ودنا القوم بعضهم من بعض فاقتتلوا ساعة من النهار، وأمر أبو موسى أصحابه التكبير ثانية. فلما كبروا انخلعت قلوب الفرس فأعطوا بأيديهم وولوا الادبار منهزمين، وولى معهم شهرك لا يقف ولا يلوي على شيء، قال: ولحقه رجل من

(١) في رواية فتوح البلدان أن عمر كتب إلى عثمان بن أبي العاص في إتيان فارس... وكتب عمر إلى أبي موسى وهو بالبصرة يأمره أن يكافئ عثمان.

وفي رواية أخرى ص ٣٨١ أن عبد الله بن عامر بن كريز سار من البصرة إلى إصطخر من قبل عثمان بن عفان سنة ٢٨. (لعلها هذه هي الغزوة الثانية لإصطخر انظر خليفة ص ١٥٢ و ص ١٦١).

المسلمين يقال له الجنيد بن مسلم الأزدي (١)، فضربه ضربة على تاجه نكسه إلى الأرض صريعا، ثم نزل إليه فأخذ سلبه وتاجه ثم استوى على فرسه، قال: وقد ذكر ذلك أيضا رجل من الأزدي في شعر له.

قال: وانهزمت الفرس من بين أيدي المسلمين فدخل بعضهم إلى مدينة إصطخر ومر الباقون على وجوههم في البلاد مشردين، وبلغ ذلك ملك الفرس يزدجرد أن البلاد قد أخذت وأن شهره قد قتل، فاغتم لذلك وبقي حيرانا لا يدري ما يقول غير أنه نكت الأرض بأصبعه وتفكر فيما قد نزل به من العرب، وعنده جماعة من أساورته قد وقفوا بين يديه مغمومين منكسرين كأن الطيور ساقطة على رؤوسهم. قال: فبينما هو كذلك يفكر في أمره إذ دخل عليه رجل من سادات كرمان يقال له بندوه بن سياكوس - ولمن يكن ببلاد كرمان كلها أجل منه ولا أكبر عند أهلها - فسلم

عليه وكلمه، فلم يكلمه يزدجرد لما كان في قلبه من الغم، قال: فغضب بندوه من ذلك ثم قال: أيها الملك! أكلمك فلا تكلمني! ليس العجب منك ولكن العجب منا إذ جعلنا مثلك ملكا علينا، ثم ضرب بيده إلى رجله فجذبه عن السرير ورمى به إلى الأرض وخرج من بين يديه. قال: فاغتم يزدجرد لذلك. وما بقي أحد من غلمانة وأساورته الذين معه إلا بكى، فقال لهم يزدجرد: لا تبكوا فإن البكاء للنساء والرجال قد تصيبهم المصائب، ولا بد من الصبر على ما أنا فيه إلى وقت الفرج. قال: ثم دعا يزدجرد بفروسه فركبه، ونادى في أصحابه وخدمه فركبوا، وخرج من ساعته فيمن معه نحو بلاد خراسان (٢)، فسار حتى قدم مدينة مرو فدخلها، وعلم أهل مرو أنه منهزم من أجل العرب فشمتموا وأحبوا أن يقتلوه، ثم كتبوا إلى ملك من ملوك الترك يقال له طخطاخ (٣) أن ملك الأعاجم أقبل إلينا هاربا من العرب وقد شمتنا

(١) في الطبري ٥ / ٤ والبداية والنهاية ٧ / ١٤٦ قتله الحكم بن أبي العاص بن دهمان. وفي فتوح البلدان ص ٣٧٩ قتله سوار بن همام العبدي.

(٢) خراسان: بلاد واسعة، أول حدود مما يلي العراق. وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو.

(٣) في فتوح البلدان ص ٣١٢ (نيزك طرخان) وفي الطبري ٤ / ٢٦٣ والكامل لابن الأثير ٢ / ١٤٣ والبداية والنهاية ٧ / ٢٠٠ خاقان.

قال في فتوح البلدان أن نيزك كتب إلى يزدجرد يخطب ابنته فاحفظ ذلك يزدجرد، وقال: اكتبوا إليه إنما أنت عبد من عبدي... وأمر بمحاسبة ماهويه مرزيان مرو، فكتب ماهويه إلى نيزك يحرضه عليه...

به وليست لنا فيه حاجة، وأنت أحب إلينا منه، وقد أردنا أن تقدم عليه فتقتله وأنت أحق بذلك منا، فصر إلينا وأرحنا منه والبلد لك.

قال: فلما ورد كتاب أهل مرو على طخطاخ ملك الترك سار في جيش عظيم يريد مدينة مرو، حتى إذا تقارب منها بلغ ذلك يزدجرد، فخرج من منزله الذي كان فيه في جوف الليل هاربا على وجهه وليس معه أحد من أصحابه ولا من غلمانة ولا يدري إلى أن يتوجه، فبينما هو كذلك إذ نظر إلى سراج على شاطئ نهر مرو، فقصد السراج فإذا هو برجل ينقر رحي، فقال له يزدجرد: أجرينى في هذه الليلة واكتم على أمرى ولك عندي من المال كذا وكذا فإنني خائف من هذا العسكر الذي ورد إلى مدينة مرو، فقال له صاحب الرحي: ادخل! فدخل يزدجرد إلى بيت الرحي فجلس فيه ساعة ثم إنه وضع رأسه فنام، فلما غط في نومه قام إليه صاحب الرحي بفأس كان في يده فضرب رأسه ضربة فقتله (١)، ثم أخذ ما كان عليه من السلب وجره  
برجله فألقاه في نهر مرو.

قال: وأصبح ملك الترك فجعل يطلب يزدجرد، وأهل مرو أيضا يطلبونه فلم يقفوا على أثر، قال: فبينما طخطاخ ملك الترك يدور في طلب يزدجرد ومعه جماعة من أصحابه إذ مر بصاحب الرحي فوقف عليه ثم كلمه بالتركية وقال: هل مر بك من ههنا رجل من صفته كذا وكذا في زي الملوك؟ فقال صاحب الرحي: لا ما رأيت صاحب هذه الصفة، قال: فبينما طخطاخ يكلم صاحب الرحي: إذ شم رائحة طيبة فقال لأصحابه: ادخلوا إلى بيت الرحي فانظروا هل تجدون أثرا فإنني أشم رائحة طيبة! قال: فدخل القوم فجعلوا يفتشون بيت الرحي فإذا هم بسلب يزدجرد، فأخذوه وأتوا به إلى طخطاخ ملك الترك، فلما نظر إليه علم أنه سلب يزدجرد فقال لصاحب الرحي: اصدقني ما فعل صاحب هذا السلب؟ فأقر وقال: إنني قتلته وجررته برجله وألقيته في هذا النهر. قال: فأمر طخطاخ بصاحب الرحي فقتل (٢)، ثم دعا بأهل مرو فأمرهم أن يغوصوا، فغاصوا فأخرجوا يزدجرد، فلما نظر إليه

(١) ويقال إن ماهويه بعث إليه رسله حين بلغه خبره فقتلوه في بيت الطحان، ويقال: إنه دس إلى الطحان فأمره بقتله فقتله. (فتوح البلدان ص ٣١٢ وانظر الطبري ٥ / ٧٢).

(٢) في فتوح البلدان: قتل ماهويه الطحان وقال: ما ينبغي لقاتل ملك أن يعيش، فأمر بالطحان فقتل.

طخطاخ ملك الترك بكى بكاء شديدا ثم أمر به، فكفن في أكفان الملوك وطلّي بالصبر والمر ووضع في تابوت وحمل إلى بلاد فارس فدفن هنالك في الموضع الذي كانت الفرس تدفن ملوكها فيه. قال: وبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: الحمد لله الذي طحطح ملكهم وأبان هلكهم.

قال: وأقام أبو موسى على إصطخر شهرا كاملا حتى فتحها صلحا على مائتي ألف درهم عاجلة والحزبية بعد ذلك. قال: ثم تقدم أبو موسى إلى بلاد كرمان، فجعل يفتحها موضعا موضعا ويتقدم وليس أحد يناويه حتى بلغ أول مفازة خراسان، فنزل هنالك وأمر بأموال فارس وكرمان، فأخرج منها الخمس وبعث به إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع كتابه يخبره فيه بما فتح الله عز وجل على يديه من أرض فارس وكرمان وأنه يريد التقدم إلى بلاد خراسان فإنه قد بلغ إلى حد مفازة خراسان. قال: وقسم أبو موسى باقي الغنائم في المسلمين، فأصاب الفارس زيادة عن ثمانية آلاف درهم، والراجل زيادة عن أربعة آلاف.

قال: وقسم أيضا عمر بن الخطاب بالمدينة ذلك الخمس في المهاجرين والأنصار، ثم كتب إلى أبي موسى: أما بعد فقد ورود علي كتابك يخبرني بما فتح الله على يديك من أرض فارس وكرمان، وأنت تريد التقدم إلى بلاد خراسان، فمهلا أبا موسى في ذلك، فانظر إذا ورد عليك كتابي هذا فول على كل بلد مما فتح الله عز وجل على يديك رجلا ترتضيه المسلمون وارجع إلى البصرة فأقم بها، وذرعك خراسان فلا حاجة لنا بها يا بن قيس! ما لنا ولخراسان وما لخراسان ولنا، ولوددت (١) أن بيننا وبين خراسان جبالا من حديد وبحارا، وألف سد، كل سد مثل سد يأجوج ومأجوج. قال: فقال له علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: ولم ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر رضي الله عنه (٢): لأنها أرض بعدت عنا جدا ولا حاجة لنا بها.

(١) في الطبري ٤ / ٢٦٤ وابن الأثير ٢ / ١٩٩ والبداية والنهاية ٧ / ١٤٣ لوددت أنه كان بيننا وبينها بحر من نار.

(٢) في الطبري وابن الأثير: لان أهلها سينفضون منها ثلاث مرات فيحتاجون في الثالثة. فكأن ذلك يكون بأهلها أحب إلي من أن يكون بالمسلمين.

ذكر كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وما خبر به من أمر خراسان وما ذكر من فضائلها ومثالبها.

قال: فقال علي كرم الله وجهه: فإن كانت قد بعدت عنك خراسان فإن لله عز وجل مدينة بخراسان يقال لها مرو، أسسها ذو القرنين وصلى بها عزيز، أرضها فياحة، وأنهارها سياحة، على كل باب (١) من أبوابها ملك شاهر سيفه يدفع عنها الآفات إلى يوم القيامة، لا تؤخذ عنوة أبدا ولا يفتحها إلا القائم من آل محمد، وإن لله عز وجل مدينة بخراسان يقال له خوارزم (٢)، النازل بها كالضارب بسيفه في سبيل الله عز وجل، فطوبى لكل راعع وساجد بها! وإن لله عز وجل مدينة بخراسان يقال لها بخارا، وإني برجال بخارا سيعركون عرك الأديم، ويحا لك يا سمرقند! غير أنه سيغلب عليهم في آخر الزمان الترك فمن قبلهم هلاكها، وإن لله عز وجل مصالح بالشاش (٣) وفرغانة. فطوبى للمصلي بهما ركعتين! وإن لله عز وجل مدينة بخراسان يقال لها أيجاب (٤)، فطوبى لمن مات بها! فإنه عند الله شهيد، وأما مدينة بلخ فقد خربت مرة، ولئن خربت ثانية لم تعمر أبدا، فليت بيننا وبينها جبل قاف وجبل صاد، ويحا لك يا طالقان! فإن لله عز وجل بها كنوزا ليست من ذهب ولا فضة ولكن بها رجال مؤمنون عرفوا الله حق معرفته، وهم أنصار المهدي في آخر الزمان، حيات لها أجنحة فتقتلهم عن آخرهم، وأما مدينة الترمذ فإنهم يموتون بالطاعون الجارف فلا يبقى منهم أحد، وأما مدينة واشجرده (٥) فإنهم يقتلون عن آخرهم قتلا ذريعا من عدو يغلب عليهم أعداؤهم، فلا يزالون يقتلون أهلها ويخربونها حتى يجعلوها جوف حمار ميت، وأما سرخس فيكون بها رجفة شديدة وهدة عظيمة، ويهلك عامتهم بالفرع والخوف والرعب، وأما سجستان فإنه يكون قوم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من دين الاسلام كما يمرق السهم من الرمية، ثم يغلب عليها في

(١) في معجم البلدان (مرو الشاهجان): نقب. ونقل الرواية عن بريدة بن الخصيب عن رسول الله (ص).

(٢) خوارزم: من أقاليم خراسان، قصبتهما الجرجانية (معجم البلدان).

(٣) الشاش: قرية بما وراء النهر ثم ما وراء نهر سيحون متاخمة لبلاد الترك.

(٤) كذا بالأصل. وفي معجم البلدان: اسفيجاب وهي بلدة كبيرة من أعيان بلاد ما وراء النهر في حدود تركستان.

(٥) كذا، وفي معجم البلدان: واشجرده من قرى ما وراء النهر.

آخر الزمان الرمل فيطمها على جميع من فيها، بؤسا لك يا سوج (١)! ليخرجن منها ثلاثون دجالا كل دجال منهم لو لقي الله بدماء العباد جميعا لا يزال، وأما نيسابور فإنها تهلك بالرعود والبروق والظلمة والصواعق حتى تعود خرابا يبابا بعد عمراتها وكثرة سكانها، وأما جرجان وأي قوم بجرجان لو كانوا يعملون لله عز وجل! ولكن قست قلوبهم وكثر فساقهم، ويحا لك يا قومس! فكم فيك من عبد صالح! ولا تخلو أرضك من قوم صالحين، وأما مدينة الدامغان (٢) فإنها تخرب إذا كثر خيلها ورجلها، وكذلك سمنان (٣) لا يزالون في ضنك وجهد حتى يبعث الله هاديا مهديا فيكون فرجهم

على يديه، وأما طبرستان فإنها بلدة قل مؤمنوها وكثر فاسقوها قرب بحرهما، ينفع سهلها وجبلها، وأما الري فإنها مدينة افتتنت بأهلها، وبها الفتنة الصماء مقيمة، ولا يكون خرابها إلا على يد الديلم في آخر الزمان، وليقتلن بالري على باب الجبل في آخر الزمان خلق كثير لا يحصيهم إلا من خلقهم، وليصين على باب الجبل ثمانية من كبراء بني هاشم كل يدعي الخلافة، وليحاصرن بالري رجل عظيم اسمه على اسم نبي، فيبقى في الحصار أربعين يوما ثم يؤخذ بعد ذلك فيقتل، وليصين أهل الري في ولاية السفيناني قحط وجهد وبلاء عظيم. ثم سكت علي عليه السلام فلم ينطق بشيء، فقال عمر رضي الله عنه: يا أبا الحسن! لقد رغبتني في فتح خراسان، قال علي عليه السلام: قد ذكرت لك ما علمت منها مما لا شك فيه فإله عنها وعلك بغيرها، فإن أول فتحها لبني أمية وآخر أمرها لبني هاشم، وما لم أذكر منها لك هو أكثر مما ذكرته - والسلام -.

رجعنا إلى الحديث الأول.

قال: ورجع أبو موسى الأشعري إلى البصرة فأقام بها على عمله وكتب أهل الكوفة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكون من عمار بن ياسر ويسألونه أن يعزله عنهم، فقال عمر: من يعذرني من أهل الكوفة ومن تجنيهم على أمرائهم؟ إن استعملت عليهم عفيفا استضعفوه، وإن استعملت عليهم قويا فجرؤه، ثم قال: أيها الناس! ما تقولون في رجل ضعيف غير أنه مسلم تقي وآخر فاجر قوي أيهما أصلح

(١) كذا، وفي معجم البلدان: فوشنج بليدة بينها وبين هراة عشرة فراسخ.

(٢) الدامغان: بلد كبير بين الري ونيسابور.

(٣) سمنان: بلدة بين الري ودامغان.

للامارة؟ قال: فتكلم المغيرة بن شعبة فقال: يا أمير المؤمنين! إن الضعيف المسلم إسلامه لنفسه وضعفه عليك وعلى المسلمين، والقوي الفاجر (١) فجوره على نفسه وقوته لك وللمسلمين، فاعمل في ذلك برأيك، فقال عمر: صدقت يا مغيرة! اذهب فقد وليتك الكوفة (٢)، فانظر أن تكون ممن يأمنه الأبرار ويخافه الفجار، قال: فقال المغيرة: أفعل ذلك يا أمير المؤمنين.

قال: ثم مضى المغيرة أميرا على الكوفة وقد عمار بن ياسر إلى المدينة معزولا، فأرسل إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدعاه ثم قال: سألتك بالله أبا اليقظان! هل ساءك عزلنا إياك عن الكوفة؟ فقال عمار: والله ما فرحت حين وليتني (٣) ولا حزنت حين عزلتني.

قال: وأقام المغيرة بن شعبة على الكوفة ثلاث (٤) سنين كاملا، وعمر بن الخطاب في خلال ذلك قد فتح الديار ومصر الأمصار وجند الجنود ودون الدواوين (٥)، ثم إنه حج بالناس في آخر خلافته فبينما هو بمنى إذ أقبل إليه رجل من أهل مصر فقال: يا أمير المؤمنين! إني استبقت محمد بن عمرو بن العاص فسبقته على فرس لي، فعدا علي فضربني بسوطه في ملا من الناس فقال: خذها وأنا ابن الأكرمين! ثم إني صرت إلى أبيه عمرو بن العاص متعديا فحسبني أربعة أشهر، ثم أطلقني بعد ذلك فخرجت في حجاج المسلمين إليك لتأخذ منه بظلامتي. قال:

(١) في الطبري ٤ / ٢٦٢ القوي المشدد.

(٢) وفي رواية أن عمر قال لأهل الكوفة: من تريدون؟ قالوا: أبا موسى، فأمره عليهم، فأقام عليهم سنة، فباع غلامه العلف، فشكا الوليد بن عبد شمس وجماعة معه فقالوا: إن غلامه يتجر في جسرنا، فعزلنا... ثم ولي المغيرة بن شعبة (الطبري ٤ / ٢٦٢ ابن الأثير ٢ / ١٩٨).

(٣) في الطبري وابن الأثير: ولقد ساءني حين عزلتني.

(٤) في الطبري وابن الأثير: نحو من سنتين وزيادة.

(٥) دواوين جمع ديوان. الأرجح أنها غير عربية - أصلها فارسي - قيل إن كسرى اطلع ذات يوم على كتاب

ديوانه فرآهم يحسبون مع أنفسهم فقال: ديوانه أي مجانيين فسمي موضعهم بهذا الاسم ثم حذف الهاء عند كثرة الاستعمال تخفيفا فقليل ديوان (الاحكام السلطانية للماوردي).

وقد اختلفوا في الذي أشار على عمر بن الخطاب بتدوين الدواوين فقليل خالد بن الوليد، وقليل الوليد بن هشام وقليل الهرمزان. وقد أحدثه عمر لما رأى كثرة الأموال التي ترد عليه. وأمر ثلاثة من كتاب قريش وهم عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم فكتبوا ديوان العساكر الاسلامية. على ترتيب الانساب مبتدئا من قرابة الرسول وما بعد فالأقرب فالأقرب...

فغضب عمر ثم قال: علي بعمر بن العاص وبابنه محمد! فأتي بهما جميعا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما وقفا بين يديه سألهما عما ذكر المصري فأنكرا ذلك، فاستشهد عمر من كان بالموسم من أهل مصر، فشهدوا بذلك، فأمر عمر رضي الله عنه هذا المصري أن يأخذ حقه من محمد بن عمرو، قال: فجعل المصري يقنع محمد بن عمرو بسوطه وعمر يقول: خذها وأنت ابن الأمين! ثم قال عمر: قدموا الشيخ الأصلع - يعني عمرو بن العاص - فقال المصري: يا أمير المؤمنين! إن عمرا لم يضربني ولكنه حبسني، فقال عمر: أفتحب أن أحبسه كما حبسك؟ فقال: يا أمير المؤمنين! قد صفحت عنه. قال: فغضب عمرو بن العاص فقال: إذ قد فعلت بي وبابني ما قد فعلت فلا ألي لك بعد اليوم عملا أبدا (١)، فقال له عمر رضي الله عنه: فاذهب إذا حيث شئت، لا والله يا معشر قريش! ما تظنون إلا أن الناس لكم عبيد، قال: ثم وقف عمر رضي الله عنه في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إني قد بينت لكم الفرائض وأقمت لكم السنن وأقفيتكم السبيل الواضحة، فاتقوا الله ربكم وكونوا له شاكرين، ألا! وإنه قد كبرت سني ورق جلدي ودق عظمي ولا أظن أنني أخطبكم بعدها أبدا، فليعمل أحدكم لله كأنه يراه فإن لم يره فإن الله يراه، وكفى بالله حسيبا ووكيلا، والسلام. ذكر ابتداء مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال: ثم نزل عمر رضي الله عنه عن المنبر، ورجع الناس من الحج، وقدم عليه المغيرة بن شعبة من الكوفة ومعه غلام له مجوسي (٢) يقال له فيروز ويكنى أبا لؤلؤة، قال: وكان هذا الغلام تاجرا رقيقا بصيرا بجميع الاعمال، فأقبل إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين! إن مولاي هذا المغيرة بن شعبة قد وظيف علي في كل شهر مائة درهم (٣) ولست أقدر على ذلك، فإن رأيت أن تأمره أن يخفف عني من هذه الوظيفة والضرية التي جعلها علي، قال: فأرسل عمر إلى المغيرة بن شعبة فدعاه ثم أوصاه بغلامه وقال: اتق الله عز وجل ولا تكلفه ما لا يطيق وإن كان كافرا فإنه قد

(١) في الاستيعاب والإصابة أن عمر لم يزل واليا على مصر حتى مات عمر بن الخطاب.  
(٢) في البداية والنهاية ٧ / ١٥٤ مجوسي الأصل، رومي الدار. وفي الطبري ٥ / ١٢ وابن الأثير ٢ / ٢٠٩ كان نصرانيا. مروج الذهب ٢ / ٣٥٢ مجوسيا من أهل نهاوند.  
(٣) في الطبري وابن الأثير: درهمان كل يوم. وانظر طبقات ابن سعد ٣ / ٣٤٥ ومروج الذهب ٢ / ٣٥٢.

شكاك إلي، فقال المغيرة: أفعل ذلك يا أمير المؤمنين.  
قال: ثم إن أبا لؤلؤة عاد إلى عمر ثانية وثالثة فشكى إليه المغيرة، فقال له  
عمر: إني قد أوصيته بك فاتق الله عز وجل وأطع مولاك، قال: فسكت أبو لؤلؤة ولم  
يقبل شيئاً، فلما ولي لينصرف قال له عمر: ارجع! فرجع إليه فقال له عمر رضي الله  
عنه: أي الاعمال تحسن؟ فقال أبو لؤلؤة: أحسن كل عمل يعمله الناس وأحسن ما  
أعمل أنقر الأرحية، فقال له عمر (١): فلو اتخذت لنا رحى اليد (١) فإننا محتاجون  
إليها، فقال أبو لؤلؤة: أفعل ذلك يا أمير المؤمنين! لأتخذن لك رحا يسمع بها أهل  
المشرق والمغرب! قال: ثم انصرف أبو لؤلؤة، فانصرف عمر رضي الله عنه إلى  
أصحابه فقال: إنه تهددني هذا العلج وتوعدني، وقد رأيت الشر في وجهه والله بالغ  
أمره.

قال: فلما كان من غد صلى عمر بالناس صلاة الفجر ثم وثب فصعد المنبر  
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إنه قد اقترب أجلي لا شك في ذلك،  
وقد رأيت في ليلتي هذه كأن ديكا قد أقبل إلي فنقرني نقرتين أو ثلاثا وقد هالني  
ذلك، قال: فقال المسلمون: خيرا رأيت يا أمير المؤمنين! فقال عمر رضي الله  
عنه: إني قد علمت أن الديك رجل أعجمي قد عزم على قتلي ولست أشك فيه أنه  
سيجرحني جراحتين أو ثلاثا - أو قال: سيطعنني طعنتين أو ثلاثا - وما كان الله ليضيع  
هذا الدين، فإن استخلفت عليكم خليفة فقد استخلف من هو خير مني، وإن أهلك  
قبل ذلك فأمركم إلى هؤلاء الستة الذين فارقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو  
عنهم راض:

علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام،  
وسعيد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، ألا (٢)! وإني أشهدكم على أمراء  
الأمصار أنني لم أبعثهم إلا ليفقهوا الناس في دينهم ويقسموا عليهم ويجاهدوا عدوهم  
ويحكموا فيهم بالحق، فإن أشكل عليهم شيء من ذلك فردوه إلى الله تعالى وإلى  
أولي الأمر منكم.

قال: ثم نزل عمر رضي الله عنه عن المنبر وأخذ بيد عبد الله بن عباس فخرج

(١) في الطبري ٥ / ١٢ وابن الأثير ٢ / ٢٠٩: فاعمل لي رحى. وانظر مروج الذهب ٢ / ٣٥٢.  
(٢) من خطبة له، العقد الفريد ٤ / ٦٣ والطبري ٥ / ١٩. ابن الجوزي سيرة عمر بن الخطاب ص ٨٢  
الخراج لأبي يوسف ص ١١٦ كنز العمال ٨ / ٢٠٩.

من المسجد وجعل يماشيهِ ساعة ثم تنفس وزفر زفرة، فقال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين! إن ما أخرج هذا النفس والزفير إلا الحزن، فقال: ويحك يا ابن عباس! إن نفسي لتحدثني باقتراب أجلي ولست أحذر الموت لأنه سبيل لا بد منه، ولكني مغموم لهذا الامر الذي أنا فيه، لا أدري أقوم فيه أم أقعد، فقال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين! فأين أنت عن صاحبنا علي بن أبي طالب في هجرته وقرابته وقدمه وسابقته وفضيلته وشجاعته؟ فقال عمر: والله يا ابن عباس وإنه لكما تقول! ولو أنه ولي هذا الامر من بعدي فحملكم والله على طريقة من الحق تعرفونها ولكنه رجل به دعاية وهو حريص على هذا الامر، ولا يصلح هذا الامر لمن حرص عليه، فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين! فعثمان بن عفان؟ فقال عمر: هو أهل لذلك لشرفه وفضله ولكني أتقي عليه أن يحمل آل معيط على رقاب الناس فيقتل، ولو وليته لفعل ولو فعل لفعلوا، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين! فطلحة بن عبيد الله؟ فقال: هيهات يا ابن عباس! ما كان الله تبارك وتعالى ليوليه شيئاً من أمر هذه الأمة مع ما يعلم من تيهه وزهوه. عجبه بنفسه، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين! فالزبير بن العوام؟ قال: فارس بطل ومعه ضيق وجشع يظل يومه بالبقيع يصلح على الصاع والمد يخاصم في قفيز من حنطة أو من شعير ولا يصلح هذا الامر إلا للسخي من غير تبذير، الممسك من غير إقتار، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين! فسعد بن أبي وقاص؟ فقال: سعد صاحب مقنب يقاتل عليه وأما والي أمر فلا، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين! فعبد الرحمن بن عوف؟ فقال: نعم الرجل ذكرت يا ابن عباس! رجل مسلم غير أنه ضعيف وأمره في يد امرأته، ولا يصلح هذا الامر إلا لقوي في غير عنف، واللين في غير ضعف، الممسك في غير بخل، الجواد في غير سرف، ثم قال: يا ابن عباس! لو كان معاذ بن جبل حياً لما تخالفتني فيه الأمور لأنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول: إن معاذاً لامة يجيء يوم القيامة وبينه وبين العلماء نبذة ليس بينه وبين الله عز وجل إلا النبيون والمرسلون، ولو أن سالماً مولى أبي حذيفة كان حياً لما شككت فيه لأنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [إن] سالماً رجل أحب الله عز وجل حبا وخافه

خوفاً لم يحب معه سواه، ولو أن أبا عبيدة بن الجراح حياً لكان أهلاً لهذا الامر فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح.

قال: ثم دخل عمر إلى منزله وأرسل إلى وجوه أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآله) فأحضرهم، ثم أرسل إلى جاثليق النصارى فدعاه، فلما دخل عليه

(۳۲۵)

أمره بالجلوس فجلس، ثم قال: يا جاثليق! اصدقني عما أسألك عنه، قال: سل يا أمير المؤمنين! قال: تجدون نعت نبينا في الإنجيل؟ قال: نعم، إني لأجده فارقليط، قال عمر: وما معنى ذلك؟ قال الجاثليق: معناه أنه يفرق بين الحق والباطل، فقال عمر ومن حضر: الحمد لله الذي جعلنا من أمته، ولكن كيف تجدنا في كتابكم؟ فقال الجاثليق: أجد بعد محمد رجلا عظيم الذكر مبارك الامر، فقال عمر: يرحم الله أبا بكر! قال: ثم ماذا ويحك يا جاثليق؟ فقال: من بعده قرن من حديد قوي شديد، قال عمر: ثم ماذا؟ قال: ثم من بعده خليفة يؤثر أقاربه على من سواهم، قال: فنظر إلى عثمان بن عفان، قال: ثم ماذا ويحك يا جاثليق؟ قال: ثم سيف مسلول ودم مهراق، قال: فضرب عمر بإحدى يديه على الأخرى ثم التفت إلى عثمان فقال: أبا عمرو! اتق الله عز وجل! وإن وليت هذا الامر من بعدي فلا تحملن آل معيط على رقاب المسلمين، وأنت يا أبا الحسن فاتق الله! وإن وليت هذا الامر من بعدي فلا تحملن آل أبي لهب على رقاب الناس. قال: ثم انصرف الناس من عنده وذلك في يوم الجمعة.

وانطلق أبو لؤلؤة فاتخذ خنجرا طويلا له رأسان وبينهما مقبض (١)، ثم أقبل حتى دخل المسجد متنكرا، وذلك يوم الأربعاء في وقت الفجر، قال: فأذن عمر رضي الله عنه وأقام الصلاة وتقدم حتى وقف في محرابه فجعل يسوي الصفوف عن يمينه وشماله وأبو لؤلؤة في الصف الأول ملفع الرأس، فلما كبر عمر وكبر الناس معه بدر أبو لؤلؤة من الصف والخنجر في يده فجرحه ثلاث جراحات (٢): جراحتين في سرتة وجراحة فوق سرتة، ثم شق الصفوف وخرج هاربا. قال: وعلم عمر أنه مقتول فأمر عبد الرحمن بن عوف أن يصلي بالناس فصلى في الركعة الأولى بأمر الكتاب (وقل يا أيها الكافرون) (٣) وفي الركعة الثانية بأمر الكتاب و (قل هو الله أحد) (٤)،

(١) في الطبري ٥ / ١٢ وابن الأثير ٢ / ٢٠٩ ونصابه في وسطه.

(٢) في الطبري وابن الأثير: ست ضربات إحداهن تحت سرتة وهي التي قتلتة. وعند ابن سعد: ثلاث طعنات.

وفي البداية والنهاية ٧ / ١٥٤ ضربه ثلاث ضربات وقيل ست ضربات، إحداهن تحت سرتة قطعت السفاق فخر من قامته.

(٣) سورة الكافرون.

(٤) سورة الصمد.

فلما سلم وثب الناس يتعدون خلف أبي لؤلؤة وهم يقولون: خذوه فقد قتل أمير المؤمنين! فكان كلما لحقه رجل من المسلمين ليأخذه وجاءه أبو لؤلؤة بالخنجر حتى جرح من المسلمين ثلاثة عشر رجلاً (١)، مات منهم ستة نفر، قال: ولحقه رجل من ورائه فألقى على رأسه برنسا فأخذه، فلما علم أبو لؤلؤة أنه قد أخذ وجاء نفسه وجاءة فقتل نفسه.

قال: واحتمل عمر رضي الله عنه إلى منزله وهو لما به، قال: واجتمع إليه الناس فقال عمر: أبو لؤلؤة قتلني أم غيره؟ فقالوا: أبو لؤلؤة يا أمير المؤمنين! فقال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على يدي رجل مسلم (٢) فأريد أن أخاصم يوم القيامة ذا سجدتين.

قال: ثم أغمي عليه ساعة حتى فاتته صلاة الظهر، فأيقظوه وقالوا: الصلاة يا أمير المؤمنين! فقال عمر رضي الله عنه: نعم لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة لكنني على ما ترون. قال: ثم صلى عمر، ودعي له بالطبيب (٣) فسقاه نبيذاً (٤) حلوا من نبيذة فخرج النبيذ من جراحته فلم يدر أنبيذ هو أم دم، فدعي له بطبيب من الأنصار من بني معاوية فسقاه لبناً فإذا اللبن قد خرج من جراحته أبيض، فقال له الطبيب: أوص يا أمير المؤمنين فإنك ميت، فقال عمر رضي الله عنه: صدقتني أخوا الأنصار عن نفسي، ثم استعبر باكياً فقال له ابن عباس: لا تبك يا أمير المؤمنين لا أبكي الله عينك وأبشر بالخير كله، فوالله لقد كان إسلامك عزا وهجرتك فتحا وخلافتك رحمة، ولقد أسلمت حين كفر الناس، ونصرت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خذله

الناس، وأنت من الذين أنزل الله تبارك وتعالى فيهم (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) (٥) وأنت من الذين أنزل الله في حقهم (للفقراء المهجرين

(١) عند ابن سعد: طعن أحد عشر رجلاً سوى عمر ثم انتحر بخنجره، فمات منهم ستة وأفرق ستة، وفي رواية أخرى عنده: طعن ثلاثة عشر، فأفقت أربعة ومات تسعة، أو أفقت تسعة ومات أربعة. ولما أدرك أنه مأخوذ - بعد أن ألقى عليه اليرعوبي برنسه - نحر نفسه بخنجره (وانظر فتح الباري ٧ / ٥١).  
(٢) في الطبري ٥ / ١٣: بيد رجل سجد لله سجدة واحدة.  
(٣) من بني الحارث بن كعب.  
(٤) المراد بالنبيذ هنا تمرات نبذت في ماء أي نقعت فيه، كانوا يصنعون ذلك لاستعداد الماء.  
(٥) سورة الفتح: ١٨.

الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يتتغون فضلا من الله ورضوانا) (١) ولقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بشرك بالجنة في غير موطن، ولقد خرج من الدنيا وهو عنك

راض، ثم وليت أمور المسلمين بأحسن ما وليها أحد، فأعز الله عز وجل بك الاسلام وأذل بك العدو، حتى فتحت الديار، ومصرت الأمصار، وأقمت المنار، ودونت الدواوين، وجندت الأجناد، فعدلت في رعيتك، وأديت فيهم الأمانة، فجزاك الله عن نبيك وعن خليفته وعن هذه الأمة خير الجزاء. قال: فقال له عمر: ويحك يا بن عباس أو تشهد لي بهذا غدا عند الله؟ قال: فأمسك ابن عباس ولم يتكلم شيئا، فقال له علي عليه السلام: نعم فاشهد له بذلك يا بن عباس! فقال ابن عباس: نعم أنا أشهد لك بذلك عند الله يا أمير المؤمنين، فقال عمر: والله يا بن عباس لو كانت لي بما فيها فافتديت من هول يوم المطلاع، ولوددت أني أخرجت من هذه الدنيا كفافا لا لي ولا علي. ثم أقبل عمر على الناس فقال: أيها الناس! إذا أنا مت وواريتموني في حفرتي فانتظروا ثلاثا، فإن قدم عليكم طلحة بن عبيد الله وإلا فاختاروا لأنفسكم من ارتضيتموه من هؤلاء الستة: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله، فإني قد جعلت الامر في هؤلاء الستة وأدخلوا ابني عبد الله في المشورة على أنه ليس له من الامر شيء، وهذا هو صهيب بن سنان يصلي بكم في هذه الأيام إلى

أن يتفق رضاًؤكم على رجل من هؤلاء الستة، فمن ارتضيتموه واستخلفتموه من هؤلاء الستة فهو الخليفة من بعدي، فإذا أنتم بايعتم رجلا من بعدي وانفقت آراؤكم عليه وعقدتم له البيعة ثم خالفكم أحد فاقتلوه، ألا (٢) وإني أوصي الخليفة من بعدي (٣) بأهل الذمة خيرا فإن لهم ذمة الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يظلمهم ولا يكلفهم فوق

طاقاتهم وأن يوفي لهم بعهدهم ويقا تل عدوهم، نعم وأوصي الخليفة من بعدي بالاعراب خيرا فإنهم أصل العرب ومادة الاسلام أن تؤخذ الصدقات منهم على وجهها

(١) سورة الحشر: ٨.

(٢) وصيته في فتح الباري ٧ / ٦١ والبيان والتبيين ٢ / ٤٨ باختلاف النصوص.

(٣) في فتح الباري: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوأوا الدار والاي مان من قبلهم، أن يقبل من محسنهم، وأن يعفي عن مسيئتهم. وأوصيه بأهل الأمصار خيرا فإنهم ردة الاسلام وجباة المال وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم.

(۳۲۸)

ثم ترد على فقرائهم ومساكينهم.

قال: ثم أقبل عمر رضي الله عنه على ولده عبد الله فقال: يا بني حط رأسي عن الوسادة وضعه على الأرض فعسى الله عز وجل أن يرحمني، ثم قال: يا بني! لو أنك رأيت غدا أباك يقاد إلى النار أما تفديه؟ فقال عبد الله: بلى بجميع ما ملكت من طارف وتالد، قال: يا بني! فأد ما علي من الدين (١) وانظر أن تبيع في ذلك جميع ما لك، فإن لم يف بما علي فاسأل في بني عدي بن كعب، فإن لم يف بما علي فاسأل في قريش ولا تعهدهم إلى غيرهم، واجعل ذلك في بيت المال فإن سألك الخليفة من بعدي أن لا تأتيه بذلك المال فلا تفعل، فإن وهبه لك فلا تقبل واذهب به حتى تضعه في بيت المال كما أخذته منه.

ثم قال: يا بني! صر إلى عائشة فسألها أن تأذن لي أن أدفن مع حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم وخليفته أبي بكر، فإذا أذنت في ذلك فادفوني وإلا فادفوني وإلا فادفوني في مقابر

المسلمين (٢). قال: فأقبل عبد الله بن عمر إلى عائشة رضي الله عنها فاستأذنها في ذلك، فقالت عائشة رضي الله عنها: ارجع إلى أمير المؤمنين فاقرئه مني السلام وقل له قد علمت أنه بيتي الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي إلى جنبه وقد كنت ذخرت

ذلك لنفسي وقد آثرتك به يا أمير المؤمنين، فقال عمر: الحمد لله ما كان عندي شيء أهم من ذلك فإذا أنا مت فأت بي إلى باب عائشة، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب، ولا تقل أمير المؤمنين، فإن أذنت وإلا ردوا بي إلى مقابر المسلمين (٢). قال: ثم توفي عمر رحمة الله عليه يوم الأربعاء بالعشي ليلة الخميس لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة النبوية وهو يومئذ ابن ثلاث وستين سنة (٣) - والله اعلم وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. -

(١) عند ابن سعد ٣ / ٣٥٨ كان عمر بن الخطاب قد استسلف ثمانين ألفاً من بيت المال. قال: وما مضت جمعة بعد أن دفن عمر حتى حمل ابن عمر المال إلى عثمان بن عفان وأحضر الشهود على البراءة بدفع المال.

(٢) في طبقات ابن سعد ٣ / ٣٦٣ بالبقية.

(٣) في يوم وفاته ومدة خلافته ومقدار عمره انظر الطبري ٥ / ١٤ تاريخ خليفة ص ١٥٢ ابن الأثير ٢ / ٢١١

البداية والنهاية ٧ / ١٥٥ المعارف لابن قتيبة ص ٧٩ مروج الذهب ٢ / ٣٣٣ تاريخ يعقوبي ٢ / ١٥٩ طبقات ابن سعد ٣ / ٣٦٥.

ذكر كلام علي بن أبي طالب في عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.  
قال: وكان جعفر بن محمد يقول لأبي: علي بن أبي طالب عليه السلام هو  
الذي غسل عمر رضي الله عنه بيده وحنطه وكفنه ثم وضعه على سريره وأقبل على  
الناس بوجهه فقال: أيها الناس! هذا عمر بن الخطاب رضي [الله] عنه قد قضى  
نحبه ولحق بربه، وهو الفاروق، وقرن من حديد وركن شديد، كان لا تأخذه في الله  
لومة لائم، عقل من الله أمره ونهيه، فكان لا يتقدم ولا يتأخر إلا وهو على بينة من  
ربه حتى كأن ملكا يسدده ويوفقه، كان شفيقا على المسلمين، رؤوفا بالمؤمنين،  
شديدا على الكافرين، كهفا للفقراء والمساكين والأيتام والأرامل والمستضعفين،  
كان يجيع نفسه ويطعمهم، ويعري نفسه ويكسيهم، كان زاهدا في الدنيا راغبا في  
الآخرة، فرحمه الله حيا وميتا! والله ما من أحد من عباد الله عز وجل أحب إلي من أن  
ألقي الله عز وجل بمثل عمله من هذا المجيء بين أظهركم.  
قال: ثم أقبل علي كرم الله وجهه على صهيب بن سنان مولى بني تميم فقال  
له: تقدم رحمك الله فصل عليه كما أمرك.  
قال: فتقدم صهيب فصلى على عمر، فكبر عليه أربعاً، ثم حمل على أعواد  
المنايا يراد به إلى بيت عائشة رضي الله عنها ليدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم،  
وضج المسلمون  
بالبكاء والنحيب. قال: ثم أدخل عمر رضي الله عنه حجرة النبي صلى الله عليه وسلم  
وقد حفره قبره  
ليدفن هنالك، وإذا بهاتف يهتف سمعه جميع المسلمين وهو يقول: شعر:  
ليبك على الاسلام من كان باكيا \* فقد أوشكوا هلكا وكل على العهد  
وأدبرت الدنيا وأدبر خيرها \* وقد ملها من كان يوفق بالوعد  
قال: فدفن عمر إلى جنب أبي بكر رضي الله عنهما فأولهم النبي صلى الله عليه وسلم،  
والثاني  
أبو بكر ورأسه قريب من كتف النبي صلى الله عليه وسلم، والثالث عمر ورأسه قريب  
من كتف أبي  
بكر. قال: وقد ضاق البيت لما دفن فيه عمر فصارت رجلا عمر تحت حائط البيت  
قريبا من موضع الأساس، ولقد سمع أهل المدينة هاتفا من الجن يسمع جميع أهلها  
ويرثي عمر (١).

(١) في طبقات ابن سعد ٣ / ٣٧٤ عن عائشة قالت: سمعت ليلا ما أراه إنسيا نعى عمرا وهو يقول:  
جزى الله خيرا من أمير وباركت \* يد الله في ذلك الأديم الممزق  
فمن يمشي أو يركب جناحي نعامة \* ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق  
قضيت أمورا ثم غادرت بعدها \* بوائق في أكمامها لم تفتق

وعنده عن سليمان يسار أن الجن ناحت على عمر. وذكر أبياتا قريبة من التي سبقت.

(٣٣٠)

ذكر اختلاف المسلمين بعد قتل عمر بن الخطاب وعقد  
الخلافة لعثمان بن عفان رضي الله عنهما.

قال: لما كان بعد وفاة عمر رضي الله عنه بثلاثة أيام اجتمع الناس في دار  
فاطمة بنت قيس (١) أخت الأشعث بن قيس فتشاوروا وتكلموا وكان ثم هنات وكلام  
كثير حتى ارتفع الصوت بين القوم، قال: فوثب عبد الرحمن بن عوف فقال: يا  
هؤلاء! إنكم لم تجتمعوا للحديث والكلام الكثير إن عندي رأيا (٢).

[قال عبد الرحمن (٣): أرى أنكم قد اختلفتم في أمر الخلافة وتنازعتم، وكل  
واحد منكم يتكلم بكلام لتأييد وجهة نظره، ومتى اختلط الكلام بالهوى فلن يؤدي  
إلى سلوك جادة الحق: (أنتم أئمة يهتدى بكم وعلماء يصدر إليكم، فلا تفلوا  
المدى بالاختلاف بينكم ولا تغمدوا السيوف عن أعدائكم فتوتروا تأركم، وتؤلتوا  
أعمالكم. لكل أجل كتاب، ولكل بيت إمام بأمره يقومون بنهيه يرعون قلدوا  
أمركم واحدا منكم تمشوا الهوينا وتلحقوا الطلب) واجتنبوا الهوى ولا تطيعوا  
عددكم، ولا تخالفوا رأي من تمثلون، ولا تسيروا خلف المفسدين وأصحاب  
الأهواء، كي نصل إلى الغاية، ولا يشمت بنا العدو.

فقال عثمان بن عفان (٤): صدق ابن عوف، لقد جعلنا الله أئمة يقتدى بنا  
وأعطانا درجة من العلم يمكن معها لنا أن نستشار، فلا ينبغي أن نختلف كما لا ينبغي  
أن ينتشر كلامنا كي لا يجد المفسدون فرصتهم كي يحرفونا عن طريق الحق  
والصواب يا بن عوف، قل كل ما تراه صوابا في هذا الموضوع وما ترى أنه صالح  
وأرشدنا إلى الطريق المستقيم فإنني أول من يجيبك وأسير على هداك والله شاهد على

(١) في الطبري ٥ / ٣٦ في بيت المسور بن مخزوم ويقال في بيت المال ويقال في حجرة عائشة بإذنها.  
(ابن الأثير ٢ / ٢٢١ قال ابن كثير بعد ما ذكر مختلف الأقوال: (والأول أشبه) يعني في بيت  
المسور بن مخزوم).

(٢) سقط من الأصل، واستدركناه من الترجمة الفارسية للكتاب بعد أن عربت ص ١١٣ - ١١٧.

(٣) قارن مع عبارة الطبري ٥ / ٣٨.

(٤) كلام عثمان في الطبري ٥ / ٣٩ وابن الأثير ٢ / ٢٢٤ باختلاف.

ما أقول وسأمتنع عن الخلاف والسلام.

ثم تكلم الزبير بن العوام فقال (١): (إن داعي الله لا يجهل ومجيبه لا يخذل) ويجب أن يستجاب الداعي، ولقد سبقنا الآخرين بسرعة إجابتنا للدعوة لئلا نموت ميتة عمية ولا (٢) ندعو بدعاء الجاهلية، وإنني واحد ممن يجيبك إلى ما قلت، ومعينك على ما أمرت، ولا حول ولا قوة إلا بالله والسلام.

ثم تكلم سعد بن أبي وقاص وقال (٣): يا أيها الأعزاء احذروا الكذب وإغراء الشيطان الذي استطاع إغواء الكثيرين ممن سبقونا من الأمم السالفة، وأضلهم حتى جعلوا كتاب الله خلفهم وعطلوا أوامر الله ونواهيه، واختاروا المعصية على الطاعة، وسلكوا طريق الغفلة، حتى غضب الله عليهم ومسحهم قردة وخنازير فالآن: اجمعوا رأيكم وفوضوا أمركم لمن هو أهل لهذا الأمر وابدلوا غاية جهدكم لحفظ الاسلام والمسلمين.

ثم تكلم بعده علي بن أبي طالب عليه السلام فقال (٤): (إنكم تعلمون أننا أهل بيت النبوة وسبب نجاة الأمة من المشقة والبلاء. لنا حق إن نعطه نأخذه، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل ولو طال السرى) ونذهب إلى حيثما نراه صالحا ولا نخاف من طول غيابنا حتى نبلغ أجلنا. وبالله لو عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا لانفذنا

عهدنا، ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتى نموت. ومع ذلك فأنا واحد منكم وقد سبقت الجميع إلى الاسلام وأني أوصلكم للرحم فاسمعوا كلامي وعوا منطقي، واعلموا أنني موافق لما تفعلون وتابع لكم، لكن ليكن عملكم مبنياً على أصل، ولا تتبعوا الهوى وافعلوا ما فيه رضا الله ورضا رسوله.

وحين سمع عبد الرحمن بن عوف كلام علي بن أبي طالب واستشف منه موافقته الضمنية سر قلبه وقال: (ارجعوا حتى الغد، لنرى كيف تكون المصلحة في هذا الامر، وإنني لأرجو أن يتم هذا الامر على نحو تتحقق فيه أمنيتكم) فرجع القوم. ثم قال عبد الرحمن بن عوف لعلي بن أبي طالب: يا أبا الحسن، إن أفضى

(١) الطبري ٥ / ٣٩ وابن الأثير ٢ / ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٢) في الطبري وابن الأثير: ولا نعمى عمى جاهلية.

(٣) الطبري ٥ / ٣٩ ابن الأثير ٢ / ٢٢٥ باختلاف.

(٤) الطبري ٥ / ٣٩ ابن الأثير ٢ / ٢٢٥.

الامر إليك فكيف تفعل؟ فقال: التزم جادة العدل والمساواة بين الناس.  
فقال عبد الرحمن: لو تعداك الامر إلى غيرك فما تقول: فقال: اصبر وأرضى  
بما فيه صالح المسلمين. فدعا له عبد الرحمن.

ثم خاطب ابن عوف عثمان قائلاً: إن فوض إليك الامر فكيف تقوم به وأية  
خطة تلتزم؟

فقال عثمان: أسير بما يوفقني الله إليه ولا آلو جهدي.

فقال ابن عوف: أتسير سيرة عمر؟ فقال عثمان: وأينا يطيق ما كان عمر يطيق  
(فقد كان عمر رجلاً قويا دعا له النبي صلى الله عليه وسلم وقد أعز الله الاسلام به)  
لكنني سأبذل

طاقتي وأسعى جهدي في العدل وحسن السيرة والمساواة بين الرعية.  
ثم وقف عبد الرحمن ورفع يده بالدعاء ثم قال: اللهم! ارزقني الخير والتوفيق  
لما فيه الخير لامة محمد صلى الله عليه وسلم حتى أؤدي هذا الامر على أحسن وجه  
(ثلاث مرات) ثم

قال: أي واحد منكم يرغب بنفسه عن هذا الامر فليقم. فخرج الزبير وقال:

إنني تخليت عن سهمي لعلي بن أبي طالب. فأثنى عليه عبد الرحمن خيراً.

ثم أعاد القول ثانية، فخرج سعد بن أبي وقاص ولم يجعل سهمه لاحد.

ثم قال للمرة الثالثة: ليخرج من بيننا من لا يبغى الخلافة.

فقال عثمان: يا عبد الرحمن، لقد كنا خمسة رجال من أصحاب الشورى وكان

سادسنا الذي سماه عمر أمير المؤمنين غائباً. وقد خرج منا اثنان لا يتغون الاشتراك

في أمر الخلافة وبقينا الآن ثلاثة أنت وأنا وعلي، فقل ما فيه الخير، فقال

عبد الرحمن: صدقت، هل ترضيان كلاكما بما أقول بشرط أن أخرج نفسي من

الخلافة؟

فقال كل من عثمان وعلي: نعم قد رضينا، وما تراه صالحاً لن نعدل عنه.

ثم قال عبد الرحمن لجموع المسلمين: هل ترضون حكمي في أمر الخلافة؟

فقال الحاضرون: نعم.

فقال عبد الرحمن لعثمان: إن أنا صرفت الخلافة إليك بدلاً من علي فهل

تحبي ما أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه بإحيائه وتميت ما أمر الله بإماتته؟

فأجاب: أفعل وعلي هذا أمضي.

ثم سأله: وإن أنا صرفت عنك الخلافة إلي علي فهل ترضى أم لا؟ فقال عثمان: أرضى وأطيع أمر أخي.

ثم سأل عبد الرحمن عليا وقال له: إن أفوض إليك أمر الخلافة بدلا من عثمان فهل تحيي ما أمر الله تعالى في كتابه بإحيائه وتميت ما أمر الله بإماتته؟ قال: أفعل وعلى هذا النحو أمضي.

ثم سأله: وإن فوضت الامر لعثمان فهل تطيع أمر أخيك؟ قال: أفعل.

ثم التفت عبد الرحمن إلى الناس وقال: أيها المسلمون. لقد خبرت القوم وعرفت أحوالهم ظاهرا وباطنا فظهر لي أنهم بخلافة عثمان راضون [ويريدونه رئيسا عليهم]. والقلوب إليه مائلة وكلمتهم في هذا الخصوص واحدة.

وبناء لهذا الواقع فإنني راض بعثمان خليفة وهو عميد بني أمية وقد بايعته. ثم خاطبه يا أبا عمرو: أمدد يدك فمد عثمان يده فأخذها عبد الرحمن وبايعه. ثم تابعه أكابر الصحابة ثم تلاهم عامة المسلمين. واستقرت الخلافة لعثمان ورضي به الجميع باستثناء جماعة من أكابر بني هاشم.

وبعد أن تفرق الناس قال عبد الله بن العباس لأمير المؤمنين علي: يا أبا الحسن وأنت قد خدعوك حتى رضيت بخلافة عثمان. فقال علي: إنهم لم يخدعوني بل إنني رأيت الجميع راضون به فلم أحب مخالفة المسلمين حتى لا تكون فتنة بين الأمة.

وفي اليوم التالي للبيعة وصل طلحة بن عبيد الله من السفر فاستقبله الناس وأخبروه بحادثة أمير المؤمنين عمر [وأخبروه بما رآه عمر في حقه في موضوع الخلافة] فبكى كثيرا وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم سأل بماذا تفكرون في أمر الخلافة؟ فقالوا: لقد انتظرنا قدومك ثلاثة أيام كما أمر عمر أمير المؤمنين، وبما أنك تأخرت فقد اتفق الجميع وبايعوا عثمان. واستقرت الخلافة له. وإن كنت لا ترى الصواب في ذلك أعدنا الامر كما كان ونجتمع كلنا حتى يحصل رضا الله على رأي واحد.

فقال طلحة: معاذ الله أن أبطل أمرا أجمع عليه المسلمون، أو أن أخالف رأي المسلمين، وعثمان هو أهل لهذا الامر ولن يفضله أحد.

ثم استقرت خلافة عثمان إلى أن برزت الفتن والاختلافات في عام ٢٣ للهجرة.

بداية أعمال عثمان في عهد خلافته.

لقد بدأ (١) بعزل أبي موسى الأشعري عن إمارة البصرة التي كان ولاه إياها أمير المؤمنين عمر. وعين مكانه عبد الله بن عامر بن كريز. وكان عبد الله هذا ابن خال عثمان، حيث كانت أمه بنت كريز بن ربيعة. [وجدت عبد الله بن عامر من جهة أبيه هي جدة لعثمان من جهة أمه. وكنيتها أم حليلة وهي عمه الرسول صلى الله عليه وسلم واسمها

البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. ثم قال أبو موسى لأهل البصرة (٢): لقد عزلت عن إمارتكم، وقد ولي عليكم شاب من أكابر قريش وأحد أغنيائها الموسرين وله أقارب عديدون].

فوصل عبد الله بن عامر إلى البصرة، وكان شابا له خمس وعشرون سنة. فقدم إليه أهل البصرة ورحبوا به وأثنوا عليه. [ومن بينهم رجل من بني عدي بن عبد الله قال فمن كلامه مهنتا عبد الله بالإمارة: أيها الأمير.. عفا الله عنك وزادك تمكينا في دينه الذي ارتضاه. وجعل مأواك الجنة، وإني لا أبغي لك سوى الخير في السر والعلن] وإنك رجل كامل العقل وافر العلم سريع الخاطر حاد الفهم قد جمعت بين اللين والشدة والصدق والعفاف والتواضع والقوة، والمعرفة بحدود الدين والصبر واليقين فأطال الله عمرك وشمل المسلمين عامة بخيرك والسلام.

وفي يوم الجمعة حين صعد عبد الله بن عامر بن كريز المنبر للقاء الخطبة، ورأى حشود المصلين اندهش وارتج عليه وبدأ كلامه فقال: الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض في ست سنين.

فقام رجل من بني مازن وقال: أصلح الله الأمير: إن كان لابد لك من أن تذكر في خطبتك مدة خلق السماوات والأرض فإن الله قد خلقها في ستة أيام. فخجل عبد الله ولم ينطق بعد ذلك بكلمة ثم نزل وأمر شخصا آخر أن يلقي الخطبة. ثم تقدم فصلى بالناس.

(١) كذا، وفي الطبري ٥ / ٥٤ وابن الأثير ٢ / ٢٤١ والبداية والنهاية ٧ / ١٧٣: عزل أبو موسى عن البصرة سنة ٢٩. وانظر فيها سبب عزله.

(٢) خطبة أبي موسى بعد ما بلغه نبأ عزله الطبري ٥ / ٥٥ يعقوبي ٢ / ١٦٦.

وبعد فراغه من الصلاة تقدم منه رجل من قريش وقال له: لو أنك لم تصعد المنبر ولم تتكلم بشيء وكلفت من يخطب بدلا عنك لكان ذلك أولى، من صعودك المنبر ثم عجزك عن الكلام بعدما رأيت كثرة الناس.  
فقال عبد الله: صدقت. بعد اليوم لن تراني على المنبر أبدا.  
ذكر فتح إصطخر وفارس في زمان أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه.

حين أقام عبد الله (ابن عامر) عدة أيام في البصرة. اضطرب الامر في فارس (١) ووصل الخبر إلى عثمان بأن ماهك بن شاهك قد خرج ومعه ثلاثون ألف رجل واستردوا المنطقة من أيدي المسلمين فكتب عثمان رسالة إلى عبد الله بن عامر يأمره فيها بالذهاب إلى فارس وإطفاء فتنة ماهك وأن يعيد ضبط تلك الولاية ثم من هناك يسير نحو خراسان ويسعى لفتح تلك البلاد، ولما وصلت رسالة أمير المؤمنين عثمان إلى عبد الله. جمع رجال البصرة وتلا عليهم رسالة عثمان وحرصهم على الجهاد والغزو. فأجابه الناس واستعدوا ثم انطلق عبد الله بجيش جرار وجنود شجعان من البصرة إلى فارس. وحين اقترب علم ماهك بالخبر وهياً هو أيضاً جيشاً وفي صحراء إصطخر التقى الجمعان وقامت الحرب بينهما من الصباح حتى صلاة العصر. ولما رأى ماهك طعن المسلمين وضربهم، فر وانهمز فلحق بهم جيش المسلمين يقتلونهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة (٢) ومن بقي منهم فقد التجأ إلى إصطخر، ثم ذهب فوج من الجيش يطلب ماهك فوصل إليه رجل يسمى يزيد بن الحكم الأزدي ولما أراد أن يضربه بالسيف نزع ماهك تاجه وألقاه إليه فأخذ يزيد التاج وعاد إلى أصحابه وشرح لهم ما وقع له.  
ثم نزل عبد الله بن عامر في ظاهر إصطخر وحاصرهم وكان يقاتلهم كل يوم بشدة إلى أن استطاع أن يستولي على إصطخر عنوة. ثم دخل المدينة فقتل فيها

(١) نقض أهل فارس ونكثوا بعبيد الله بن معمر، فسار إليهم وقد اجتمعوا بإصطخر وقاتلهم فقتل عبيد الله وانهمز أصحابه (الطبري ٥ / ٥٥ ابن الأثير ٢ / ٢٤٢ فتوح البلدان ص ٣٨٢).  
(٢) في فتوح البلدان ص ٣٨٢ فقتل نحو من مئة ألف.

المقاتلة (١) وغنم المسلمون غنائم كثيرة فأرسل ماهك رسولا إلى عبد الله يطلب الأمان

فأعطاه الأمان بشرط أن يقيم في إصطخر وأن يؤدي الجزية فقبل ماهك بذلك، حينئذ جاء إلى عبد الله فقربه إليه وأقام في إصطخر على الشرط المذكور. ومن ثم سار عبد الله نحو خراسان.

ذكر فتح نيسابور وطوس في زمن أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه.

وحين وصل عبد الله إلى حدود خراسان، دعا مجاشع بن مسعود وعينه واليا على كرمان وأعطاه ألف فارس ووجهه نحو كرمان وسار بنفسه نحو خراسان وجعل على مقدمة جيشه الأحنف بن قيس التميمي (٢). ولما وصل إلى ولاية نيسابور. كان يوجد فيها ملك يدعى أسوار. فأغار عبد الله على القرى وبدأ الحرب مع أهل البلد وقتل كل من وجده وطال أمره مع نيسابور وفي هذه الأثناء وصلت رسالة من أمير طوس يطلب منه الأمان. فإن أعطاه الأمان سيسارع إلى خدمته ويعينه على فتح نيسابور فأعطاه الأمان (٣) فجاء أمير طوس (كنادبك) (٤) مع جيشه المستعد لخدمته فأكرم عبد الله مقدمه وخلع عليه وعلى وجهاء عسكره بخلع نفيسة واتجه للحرب ضد نيسابور وقد اجتهدوا في أمر الحرب للغاية ووقعت حرب عنيفة بين الطرفين وقتل خلق كثير. فأقسم عبد الله أن لا يتحول عن نيسابور حتى يفتح البلد أو يموت. فلما سمع بذلك ملك نيسابور، أرسل إليه شخصا يطلب الأمان وليختر أحد الأبواب ليدخل منه. فرضي عبد الله بذلك وأعطاه الأمان (٥) وأقسم الطرفان على توكيد العهد. وفي اليوم الثاني منذ بزوغ الشمس فتح أسوار بوابة البلد فدخل عبد الله مع جيش

(١) في فتوح البلدان ص ٣٨٢ قتل أربعين ألفا وأفنى أكثر البيوتات ووجوه الأساورة. وقال خليفة ص ١٦٢ تاريخه: فقتل ابن عامر حتى أسرف في القتل، فأمر بالماء فصب على الدم حتى خرج من باب المدينة.

(٢) في فتوح البلدان ص ٣٩٤ ويقال: عبد الله بن حازم بن أسماء بن الصلت بن حبيب السلمي.

(٣) طوس: على عشرة فراسخ من نيسابور.

وقد كان ابن عامر صالح مرزبان طوس كنازتك على ستمائة ألف درهم. (فتوح البلدان ص ٣٩٦).

(٤) في فتوح البلدان: كنازتك.

(٥) في فتوح البلدان ص ٣٩٥ وابن الأثير ٢ / ٢٥٩ صالح عبد الله بن عامر مرزبان نيسابور على ألف ألف درهم.

المسلمين إلى داخل المدينة وأخذ بالتكبير بصوت عال. وأخذوا بالقتل والإغارة واستمروا على ذلك طوال اليوم، فتقدم كنادبك أمير طوس من عبد الله وقال: أيها الأمير ما دمت قد ظفرت وغلبت فالعفو أجدر بك من الانتقام فقبل عبد الله شفاعته ونادى بالأمان لأهل البلد. ونهى العساكر عن أعمال القتل والإغارة. وعين كنادبك أميراً على نيسابور وسلم إليه البلد.

ذكر فتح مدينة مرو وهرات و بوشنك وسرخس ونسا و باور وفارياب والطالقان وغيرها في زمن أمير المؤمنين عثمان.

وحين بلغ الخبر إلى مدينة مرو بأن طوس ونيسابور قد استسلمت لابن عامر وقد وقعت تلك الولاية بيد المسلمين وعلموا كيفية حربهم وإغارتهم فخافوا وأرسلوا إلى عبد الله طالبين منه الصلح على أساس أن يدفعوا له مليون ومئتي ألف درهم نقداً (١): وفي كل سنة ثلاثمائة ألف درهم كجزية يؤدونها عن أنفسهم فأجابه عبد الله إلى ذلك وأرسل عبد الله بن عوف الحنظلي أميراً إلى مرو وتقرر الصلح مع أهلها وبعده جاء ملك هرات إلى عبد الله وطلب منه الصلح على أن يفوض إليه أمر هرات وفوشنج وفي كل عام يؤدي (ألف درهم) (٢) كذا...

فرضي ابن عامر بذلك وكتب له عهداً (٣). ثم جاء بعده ملك سرخس ماهويه وطلب الأمان بشرط أن تبقى سرخس وقراها في يده ويتعهد بدفع مئة ألف درهم وألف حمل من القمح ومثلها من الشعير وعلى هذا الأساس تم الاتفاق وعاد إلى سرخس (٤). ثم جاء ملك نسا وأبيورد (٥) وطلب منه الصلح مقابل أن يؤدي سنوياً

(١) في فتوح البلدان ص ٣٩٦ وابن الأثير ٢ / ٢٥٩ صالح مرزبان مرو على ألفي ألف ومائتي ألف درهم. زيد في فتوح البلدان: وقال بعضهم: ألف ألف درهم ومائتي ألف جريب من بر وشعير. وكان في صلحهم أن يوسعوا للمسلمين في منازلهم.

(٢) في فتوح البلدان ص ٣٩٦ على ألف ألف درهم.

(٣) نسخته في فتوح البلدان ص ٣٩٦.

(٤) كذا بالأصل بالنسبة إلى سرخس، وخبر فتحها في فتوح البلدان وابن الأثير باختلاف.

(٥) في فتوح البلدان ص ٣٦٥ أن صاحب نسا أتى عبد الله بن خازم وكان عبد الله بن عامر قد وجهه إليها - فصالحه على ثلاثمائة ألف درهم، ويقال على احتمال الأرض من الخراج على أن لا يقتل أحداً ولا يسبيها.

وقدم بهمنة عظيم أبيورد على ابن عامر فصالحه على أربعمئة ألف درهم (فتوح البلدان ص ٣٩٥).

ثلاثمائة ألف درهم وألف حمل من القمح ومثلها من الشعير. وقبل عبد الله بذلك وكتب له كتابا ثم أعاده إلى ناحيته ثم وصل إليه ملك فارياب والطاقان وطلبوا منه الصلح مقابل أن يؤدوا سنويا مئتي ألف درهم وخمسمائة حمل قمح ومثلها من الشعير وقبل أيضا عبد الله بذلك وكتب له عهدا وأعاده إلى بلاده ثم عامل كل من جاءه من الامراء والأكابر على هذا النحو.

ذكر فتح سجستان في زمن أمير المؤمنين عثمان.

ثم استدعى عبد الله بن عامر ابن عمه عبد الرحمن بن سمرة (١) وأعطاه جيشا مجهزا وأرسله إلى سجستان، وحينما اقترب عبد الرحمن مع ذلك الجيش من المدينة قاتله أهل سجستان ووقعت بين الطرفين حرب شديدة ولكن النتيجة كانت لصالح المسلمين ففتحوا البلد عنوة ودخلها المسلمون ينيهون ويأسرون وقد حصلوا على غنائم كثيرة ثم اتجه عبد الرحمن نحو كابل ففتحها (٢).

ذكر فتح كابل.

وبعد مشاورة للجيش اتجه نحو كابل وحين وصل إليها نزل في خارجها فما كان من ملكها إلا أن هيا جيشا وأخذ في مقاومة جيش المسلمين، ثم عاد إلى المدينة وتحصن بها ولم يخرج منها، فحاصره عبد الرحمن. وكانت تقع بين الحين والآخر مناوشات بين الطرفين. واستمر الامر على هذه الحال نحو عام كامل. ولقي المسلمون في ذلك عنقا شديدا وفي النتيجة تغلبوا عليهم وفتحوا المدينة ودخل المسلمون البلد وقتلوا من وجدوه من العساكر وأسروا الباقي، وأسر ملك كابل ولما أحضر إلى عبد الرحمن أمر بقتله إلا أنه أسلم ونطق بالشهادتين فأكرمه عبد الرحمن.

(١) في فتوح البلدان ص ٣٨٥ وابن الأثير ٢ / ٢٦٥ الربيع بن زياد بن أنس بن الديان الحارثي. (انظر تاريخ خليفة ص ١٦٤).

(٢) عزل ابن عامر الربيع واستخلف على سجستان رجلا من بني الحارث بن كعب فأخرج عنها فولى ابن عامر عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس سجستان ومنها انطلقت غزواته (فتوح البلدان ص ٣٨٦ ابن الأثير ٢ / ٢٦٢).

ثم أمر باستخلاص خمس الغنائم وأرسلها إلى عبد الله بن عامر وشرح له كيفية فتح سجستان وكابل واستقر مع عسكره في تلك الولاية. ذكر فتح مرو الروذ وبلخ على يد الأحنف بن قيس.

ثم استدعى عبد الله بن عامر رجلا من العرب المشهورين يسمى الأقرع بن حابس التميمي وأمره (١) على ألف رجل وقال له: اذهب إلى مدينة جوزجانان (٢) وحاربهم حتى يقبلوا الصلح على النحو الذي أخذت منه الجزية في المواضع الأخرى. فذهب الأقرع إلى الجهة التي عينها له عبد الله. وحين اقترب من البلد، خرج إليه أهلها يقرعون الطبول ويلعبون بالسلاح ولما التقى الجيشان وقعت بينهما معركة عظيمة وقتل فيها جمع كثير من المسلمين وعاد الباقون إلى عبد الله بن عامر (٣)

فاستدعى عبد الله بن عامر الأحنف بن قيس وقال له: يا أبا بحر، لقد اقترب موسم الحج وإني عازم على أداء هذه الفريضة وإني أعرف أحوال رجال العرب الذين هم معي ولكنني اخترتك للنيابة عني في إمارة خراسان فيجب عليك أن ترعى شؤون الإمارة وأحوال الناس بأحسن وجه ممكن كما هو معهود فيك من الكفاءة وحسن السيرة. ثم جمع عبد الله الأموال وانطلق نحو الحج. وإذ علم أهل مرو والطارقان بعودة عبد الله بن عامر، اجتمعوا وأعدوا ثلاثين ألف مقاتل. فاتصل الخبر بالأحنف فجمع قواته واستعد للحرب وتوجه نحو الذين نقضوا العهد ونزل في مكان يبعد فرسخين اثنين عن مرو الروذ حيث يعرف بقصر الأحنف وأما جيش مرو الروذ والطارقان فقد اتجهوا إلى الميدان للحرب، ولما التقى الجيشان، حمل عليهم الأحنف بن قيس مع جماعته وهم يكبرون وقد تمكن الأحنف من إصابة ثلاثة من القواد، أصحاب الاعلام برمحه، ولما رأى الكفرة ذلك، انهزموا لا يلوون على

(١) في فتوح البلدان ص ٣٩٨ أن الأحنف بن قيس - وكان عبد الله بن عامر قد بعثه إلى مرو الروذ - قد وجه

الأقرع بن حابس إلى الجوزجان.

(٢) كذا بالأصل، وفي فتوح البلدان والطبري وابن الأثير: جوزجان.

جوزجان وجوزجان هما واحد معجم البلدان.

(٣) كذا، وفي فتوح البلدان: (فكانت في المسلمين جولة ثم كروا فهزموا الكفرة، وفتحوا الجوزجان عنوة). وفي ذلك يقول كثير بن الغريزة النهشلي:

سقى صوب الصحاب إذا استهلّت \* مصارع فتية بالجوزجان  
إلى القصرين من رستاق حوف \* أفادهم هناك الاقرعان

شيء فتعقبهم المسلمون يقتلونهم ويأسرون منهم وقد غنموا غنائم، فما كان من الأحنف إلا أن حمد الله تعالى على هذا الفتح المبين (١) ثم انطلق إلى بلخ ونزل على إحدى بواباتها وأقام معسكرا هناك، ولما رأى ملك بلخ جيش المسلمين على تلك الحال، امتلأ قلبه رعبا فأرسل إلى الأحنف شخصا يطلب الصلح فأجابه الأحنف [ (٢) إلى ذلك وصالحه على أربعمئة ألف درهم نقدا وكل عام يدفع مئة ألف درهم وخمسمئة حمل من القمح وأخرى من الشعير.

قال: وجعل الأحنف يفتح بلدا بلدا، ورستاقا رستاقا، ويدور ما قدر عليه من بلاد خراسان ويجبي أموالها ويحمل خمس ذلك إلى عثمان بن عفان، قال: فكان الأحنف على طوائف خراسان مما كان دون نهر بلخ وعبد الرحمن بن سمرة ببلاد سجستان (٣).

ذكر فتح أرمينية (٤) ومقتل سلمان (٥) بن ربيعة الباهلي بها. قال: ودعا معاوية برجل من قريش يقال له حبيب بن مسلمة الفهري فضم إليه أربعة آلاف فارس وألفي راجل وأمره بالمشير إلى بلاد أرمينية بأمر عثمان بن عفان، قال: فسار حبيب بن مسلمة من الشام يريد إلى بلاد الجزيرة ثم رحل من بلاد الجزيرة يريد بلاد أرمينية، فلما صار إلى شمشاط ونواحيها بلغه أن رجلا من الروم يقال له المرزبان (٦) في نيف وثلاثين ألفا قد نزل قريبا من شمشاط، فكتب حبيب بن مسلمة بذلك إلى معاوية، فكتب [معاوية] بذلك إلى عثمان، وكتب عثمان إلى الوليد بن عقبة بن أبي معيط (٧) وهو يومئذ عامله على الكوفة، فكتب إليه يأمره أن ينتخب من أهل الكوفة عشرة آلاف رجل يضمهم إلى سلمان بن ربيعة الباهلي

(١) كتب مرزبان مرو الروذ إلى الأحنف فصالحه على ستمئة ألف درهم (فتوح البلدان - وابن الأثير). وكتب إليه الأحنف كتابا (أنظر نسخته في الطبري ٥ / ٨١).

(٢) إلى هنا ينتهي ما استدر كناه من الترجمة الفارسية.

(٣) انظر الطبري ٥ / ٨٣ وفتوح البلدان ص ٣٩٨ وابن الأثير.

(٤) أرمينية: اسم صقع عظيم واسع حده من برذعة إلى باب الأبواب.

(٥) بالأصل: (سليمان) تحريف. وما أثبتناه عن الطبري ٥ / ٤٥.

(٦) في الطبري وابن الأثير وفتوح البلدان: الموربان.

(٧) كذا بالأصل والطبري وابن الأثير، وفي رواية الواقدي نقلها الطبري ٥ / ٤٦ وفتوح البلدان ص ٢٠١ أن الذي أمد حبيب بن مسلمة سعيد بن العاص وهو عامله على الكوفة.

ويوجهه إلى حبيب بن مسلمة على أرض شمشاط معونة لهم على عدوهم. قال: فلما ورد كتاب عثمان رضي الله عنه على الوليد بن عقبة بالكوفة قام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (١): أيها الناس! إنه قد كتب إلي أمير المؤمنين عثمان يأمرني أن أوجه سلمان بن ربيعة الباهلي في عشرة آلاف رجل منكم لتمدوا إخوانكم من الشام بأرض شمشاط فإن الروم قد جاشت عليهم، وفي هذا أجر عظيم وثواب جسيم فحفوا رحمكم الله مع سلمان بن ربيعة ولا تتثقلوا عن الجهاد في سبيل الله. فأجابته الناس إلى ذلك واجتمعوا إلى سلمان، فخرج بهم عشرة آلاف من الكوفة يريد حبيب بن مسلمة.

واتصل خبر أهل الكوفة بحبيب فقال لأصحابه: ويحكم يا أهل الشام! إنه قد جاءكم مدد أهل الكوفة وأخاف أن يظفروا بالعدو فيكون الذكر لهم والاسم لهم من دونكم، ولكن هل لكم أن تواقعوا العدو وقعة من قبل قدوم أهل الكوفة علينا؟ فلعلنا نظفر بالعدو، قال فقالوا: الأمر إليك أيها الأمير! فافعل ما أحببت، قال: وكان حبيب بن مسلمة هذا رجلاً بصيراً بالحرب، قال: وكان صاحب مكر ومكائد، فأجمع رأيه على بيات القوم، فلما كان الليل عبي أصحابه ثم سار بهم حتى كبس عسكر الكفار فقتل مقاتلتهم وأسّر منهم خلقاً كثيراً، وانهزم المرزبان (٢) في باقي أصحابه حتى دخل أرض الروم، وغنم أهل الشام غنائم كثيرة فاقتسموها بينهم. قال: وقدم سلمان بن ربيعة في أهل الكوفة بعد ذلك وأهل الشام قد ملأوا أيديهم من الغنائم، فقال لهم أهل الكوفة: يا هؤلاء! أشركونا فيما غنمتم من هذه الغنائم فإنكم إنما نصرتم وقويتم واجترأتم على عدوكم بريحنا (٣).

ذكر ما جرى بين أهل الشام وأهل العراق من العداوة في أمر الغنائم.

قال: فقال حبيب بن مسلمة: يا هؤلاء! إنكم قدمتم علينا وقد هزم الله

(١) مقالة الوليد بن عقبة في الطبري ٥ / ٤٦. باختلاف.

(٢) كذا، مرت الإشارة إلى أن اسمه الموريان.

(٣) كذا بالأصل وفتوح البلدان ص ٢٠١ وفي رواية للطبري ٥ / ٤٦ أن أهل الكوفة دخلوا مع أهل الشام

إلى أرض الروم... فشنوا الغارات على أرض الروم فأصاب الناس ما شاءوا من سبي وملأوا أيديهم من المغنم.

عز وجل العدو وبدد شملهم وقد صارت الغنيمة إلى قوم قد أبلوا وقاتلوا وليس لكم فيها حق، قال: فوقع الكلام بين أهل العراق وأهل الشام حتى أنهم اقتتلوا، فظفر أهل العراق بأهل الشام، فكان ذلك القتال هو أول عداوة كانت بين أهل العراق وأهل الشام، قال: وجعل بعضهم يتوعد بعضا (١)، قال: ثم أرسل حبيب بن مسلمة إلى أهل العراق أن لا تعجلوا على إخوانكم بالمحاربة وأن ينتظروا حتى يكتب في ذلك إلى عثمان بن عفان، قال: فأجابه أهل العراق إلى ذلك، فكتب حبيب بن مسلمة إلى معاوية يخبره بما فيه أهل الشام وأهل العراق من التهديد والوعيد وما كان بينهم من الحرب لأجل الغنائم التي غنمها أهل الشام دون أهل العراق. قال: فكتب معاوية بذلك إلى عثمان بن عفان، قال: فحكّم عثمان بن عفان رضي الله عنه على أهل الشام أن يقاسموا أهل العراق ما غنموا من تلك الغنائم ولا يشاحوهم في ذلك (٢).

قال: فلما ورد كتاب عثمان بن عفان على أهل الشام وحبيب بن مسلمة فقرأه على أهل الشام فقالوا: السمع والطاعة لأمر المؤمنين. قال: ثم إنهم قاسموا أهل العراق ما غنموا، وأقام حبيب بن مسلمة في موضعه الذي هو فيه، وكتب عثمان بن عفان إلى سلمان بن ربيعة يأمره بالمسير إلى أرمينية. ذكر مسير سلمان بن ربيعة الباهلي إلى بلاد أرمينية وفتح من البلاد.

قال: فسار سلمان بن ربيعة ومن معه من أهل العراق نحو بلاد أرمينية، قال: وتسامعت ملوك أرمينية بدخول العرب إلى بلادهم فهربوا على وجوههم حتى تحصنوا في الجبال والقلع والأودية والغياض، وجعل بعضهم يقول لبعض إنه قد جاءنا قوم بلغنا أنهم نزلوا من السماء فليس يموتون ولا يعمل فيهم السلاح. قال: فصار سليمان بن ربيعة يقتل من ناوأه ويفتح ما مر به من المدن والقلع

(١) وقد توعد بعض المسلمين سلمان بالقتل فقال الشاعر:

إن تقتلوا سلمان تقتل حبيبيكم\* وإن ترحلوا نحو ابن عفان نرحل  
(فتوح البلدان ص ٢٠١ وانظر الطبري ٥ / ٧٩).

(٢) كذا، وفي فتوح البلدان ص ٢٠١ وكتب إلى عثمان بذلك فكتب: أن الغنيمة باردة لأهل الشام.

ويتصنفى البلاد حتى صار إلى البيلقان من بلاد أران (١)، قال: فخرج إليه أهل البيلقان في الأمان فأقاموا له الانزال وصالحوه على مال دفعوه إليه (٢)، فقبل ذلك منهم. ثم سار من البيلقان حتى نزل على حصن بردعة (٣) فصالح أهلها (٤) على مال أخذه منهم وفرقه على أصحابه فقواهم به. ثم إنه وجه بخيل له إلى جرزان (٥) فصالح أهلها على شيء معلوم يعطونه في كل سنة. ثم رجع هو وأصحابه وسار حتى عبر نهر الكر (٦) حتى جاز إلى أرض الشروان (٧) فنزلها ودعا ملكها فصالحه على مال أخذه منه. ثم تقدم من الشروان حتى صار إلى شابران (٨) ومسقط (٩)، ثم إنه بعث إلى ملوك الجبال فدعاهم، فأقبل إليه ملك اللكز (١٠) وملك فيلان وملك طبرستان فحملوا إليه الأموال والهدايا، وصالحوه على شيء معلوم يؤدونه إليه في كل سنة، فقبل ذلك منهم. ثم إنه سار يريد مدينة الباب وبها يومئذ خاقان ملك الخزر (١١) في زهاء على ثلاثمائة ألف من الكفار، فلما سمع بمسير العرب إلى ما قبله ارتحل عن مدينة الباب، فقيل له: أيها الملك أنت في ثلاثمائة ألف وهؤلاء في عشرة آلاف وتنهزم من بين أيديهم؟ فقال خاقان: إنه قد بلغني عن هؤلاء القوم أنهم نزلوا من السماء وأن السلاح لا يعمل فيهم، فمن يقوم لهؤلاء؟ قال: ثم جعل يمر على وجهه،

- 
- (١) البيلقان: مدينة قرب الدربند الذي يقال له باب الأبواب، تعد في أرمينيا الكبرى.  
وأران: اسم ولاية واسعة وبلاد كثيرة، وهي من أصقاع أرمينيا. وبالأصل (الران) وما أثبتناه عن معجم البلدان وفتوح البلدان.
- (٢) في فتوح البلدان ص ٢٠٥: فتح مدينة البيلقان صلحا على أن أمنهم على دمائهم وأموالهم وحيطان مدينتهم واشترط عليهم أداء الجزية والخراج (انظر معجم البلدان - بيلقان).
- (٣) في معجم البلدان بردعة. بلد في أقصى أذربيجان.
- (٤) في فتوح البلدان ص ٢٠٦: صالح أهلها على مثل صلح البيلقان.
- (٥) عن فتوح البلدان ومعجم البلدان، وبالأصل (جريان) تحريف.
- (٦) عن فتوح البلدان ص ٢٠٦ ومعجم البلدان وبالأصل (الكروسان).
- (٧) الشروان: مدينة من نواحي باب الأبواب.
- (٨) شابران: مدينة من أعمال أران بينها وبين شروان ٢٠ فرسخا.
- (٩) مسقط: رستاق بساحل بحر الخزر دون باب الأبواب.
- (١٠) اللكز: بليدة خلف الدربند تتاخم خزران.
- (١١) فيلان: بلد قرب باب الأبواب من نواحي الخزر.
- (١١) الخزر: بلاد الترك خلف باب الأبواب، وملكهم يسمى بلسانهم يلك. وملكهم يقال له: خاقان الأكبر. ويقال لخليفته خاقان به.

وأقبل سلمان بن ربيعة حتى دخل بالمسلمين مدينة الباب وليس بها أحد من الكفار، فأقام بها ثلاثة أيام حتى استراح أصحابه، ثم خرج منها في طلب خاقان وأصحابه حتى صار إلى مدينة من مدن الخزر يقال له يرغوا (١) وليس بها أحد من... (٢) ثم رحل... (٢) يريد بلنجر (٣) وهي أيضا مدينة من مدن الخزر.

قال: ونزل سلمان بن ربيعة هنالك إلى أجمة كثيرة الدغل على نهر يجري، وفيه جماعة من الخزر من أصحاب خاقان، فأقبل رجل منهم لينظر إلى عسكر المسلمين، فبينما هو كذلك إذ نظر إلى رجل من المسلمين قد نزل إلى ذلك النهر ليغتسل فيه، فأحب أن يجرب فيه السلاح أيعمل فيه أملا، فاستخرج له سهما فرماه به فقتله، ثم دنا منه فأخذ ثيابه واحتز رأسه، وجاء به حتى وضعه بين يدي خاقان وقال: أيها الملك! هؤلاء الذين بلغك عنهم أن السلاح لا يعمل فيهم وأن القتل لم يكتب عليهم!

قال: فلما نظر خاقان إلى ذلك نادى في أصحابه فجمعهم، ثم إنه رجع على المسلمين في ثلاثمائة ألف فقاتلهم وقاتلوه حتى ما بقي من المسلمين أحد، قال: فقتل سلمان بن ربيعة الباهلي وجميع من كان معه رحمة الله عليهم، فقبورهم هنالك معروفة بالبلنجر يقال لها قبور الشهداء إلى يومنا هذا (٤).

قال: فبلغ عثمان بن عفان مصاب سلمان بن ربيعة (٥) وأصحابه بأرض البلنجر فغمه ذلك وأقلقه حتى منعه من النوم، ثم إنه كتب إلى حبيب بن مسلمة الفهري يأمره بالمسير إلى بلاد أرمينية في جميع أصحابه.

ذكر مسير حبيب بن مسلمة إلى بلاد أرمينية بعد مقتل سلمان بن ربيعة الباهلي.

قال: فلما ورد كتاب عثمان على حبيب بن مسلمة نادى في أصحابه وهم يومئذ ستة آلاف ما بين فارس وراجل، ثم سار بهم نحو بلاد أرمينية، قال: فدخل من

(١) كذا.

(٢) غير واضح بالأصل.

(٣) عن فتوح البلدان ص ٢٠٦، وبالأصل (تنجر) وبلنجر: مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب.

(٤) الخبر في معجم البلدان (بلنجر). وفتوح البلدان ٢٠٦ مختصرا.

(٥) جاء بنعيه إلى عثمان بن عفان (رض) قرظة بن كعب الأنصاري (فتوح البلدان ص ٢٠٦).

الدرب الذي يقال له درب بني زرارة إلى يومنا هذا، وجعل يسير حتى صار إلى مدينة يقال لها خلاط (١)، فنزل في قلعتها وبها جماعة من الكفار، فأقام عليها أياما، ورحل منها حتى صار إلى أرض يقال لها سراج (٢) من بلاد المطامير (٣)، فنزل هنالك

ثم كتب إلى أهل جرزان، فأقبل إليه جماعة من رؤسائهم فصالحهم على ثمانين ألف درهم، فأخذها منهم وكتب لهم بذلك كتابا (٤)، وأقام هنالك في بلاد أرمينية وجعل يكتب إلى ملوكها فيدعوهم إلى الطاعة ويعددهم.

ذكر عزل حبيب بن مسلمة عن بلاد أرمينية وولاية حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما.

قال: فبينما حبيب بن مسلمة كذلك إذ بعث إليه عثمان بن عفان فعزله وولى مكانه حذيفة بن اليمان، قال: فدعا حذيفة برجل من بني عمه يقال له صلة بن زفر العبسي، فوجه به إلى بلاد أرمينية وجعله خليفة لها بها، وأقام حذيفة بالمدينة وأقبل صلة بن زفر العبسي إلى بلاد أرمينية فأقام بها حولا كاملا وجعل يذل ملوكها بغاية الذل والهوان حتى أذعنوا له بالسمع والطاعة. ذكر عزل حذيفة بن اليمان وولاية المغيرة بن شعبة رضي الله عنهما.

قال: ثم إن عثمان بن عفان رضي الله عنه عزل حذيفة من بلاد أرمينية ودعا المغيرة بن شعبة فولاه بلاد أرمينية وأذربيجان، فأقام بها ما شاء الله أن يقيم، ثم عزله عثمان وولى مكانه الأشعث بن قيس الكندي (٥)، فكان بها إلى أن قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، فكان الأشعث على أرمينية وأذربيجان يجبي خراجها ويحمله إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(١) خلاط: بكسر أوله. قصبة أرمينيا الوسطى.

(٢) سراج كورة في أرمينيا.

(٣) المطامير: بلد بالثغور الشامية. وانظر في فتوح البلدان خط سير حبيب بن مسلمة بعد توجهه من خلاط... إلى جرزان.

(٤) نسخة كتاب صلح جرزان في فتوح البلدان ص ٢٠٤.

(٥) في فتوح البلدان ص ٢٠٧ ولى القاسم بن ربيعة بن أمية بن أبي الصلت الثقفي، ويقال ولاها عمرو بن معاوية بن المنتفق العقيلي وبعضهم يقول: وليها رجل من بني كلاب.

ذكر الحبشة وما كان من غاراتهم على سواحل المسلمين.  
قال: فبينما عثمان رضي الله عنه كذلك وقد فتح من البلاد ما فتح إذ بلغه أن قوما من الحبشة أغاروا على بعض سواحل المسلمين وأصابوا منهم أموالا وسبوا منهم سبيا كثيرا، قال: فاغتم لذلك عثمان غما شديدا ثم أرسل إلى جماعة من الصحابة وغيرهم من المسلمين، فدعاهم واستشارهم في غزو الحبشة، فأشار عليه المسلمون أن لا يغزوهم في بلادهم ولا يعجل عليهم حتى يبعث إلى ملكهم فيسأله عن ذلك، فإن كان الذي فعله أصحابه عن أمره ورأيه هيا له المراكب وأرسل إليه بالجنود والمقاتلة، وإن كان ذلك من سفهاء أغاروا على سواحل المسلمين عن غير أمر ملكهم ورأيه أن يشحن السواحل بالخيال والرجال حتى يكونوا على حذر، قال: فعمل عثمان على ذلك ثم دعا محمد بن مسلمة الأنصاري فوجه به إلى ملك الحبشة في عشرة نفر من المسلمين يسأله عما فعل أصحابه، وكتب إليه عثمان بن عفان رضي الله عنه في ذلك كتابا.

قال: فلما قدم محمد بن مسلمة بكتاب عثمان بن عفان وقرأه أنكر ذلك أشد الانكار وقال: مالي بذلك من علم، قال: ثم إنه أرسل إلى قري الحبشة في طلب السبي فجمعهم بأجمعهم ودفعهم إلى محمد بن مسلمة، فأقبل بهم إلى عثمان وخبره بما كان من إنكار ملك الحبشة وطلب السبي، قال: فشحن عثمان السواحل بعد ذلك بالرجال وقواهم بالسلاح والأموال، فكانوا ممتنعين من الحبشة وغيرهم. ذكر فتح جزيرة قبرص (١) على يد معاوية بن أبي سفيان.

قال: وإذا بكتاب (٢) معاوية بن أبي سفيان قد ورد على عثمان يسأله أن يأذن له في ركوب البحر إلى جزيرة قبرص ويخبره في كتابه بقرب المسير إليهم وأن البحر قد

(١) كذا، وفي معجم البلدان والطبري وتاريخ خليفة وابن الأثير وفتوح البلدان والبداية والنهاية: قبرص بالسين المهملة.

في غزوها قيل سنة ٢٨ وقيل سنة ٢٩ وقيل سنة ٣٠.

(٢) في ابن الأثير ٢ / ٢٤٠ كتب معاوية إلى عثمان مرارا (وانظر فتوح البلدان ص ١٥٧).

ذل بعد صعوبته، قال: فكتب إليه عثمان: إني لست بفاعل ذلك ولا آذن لك في ركوب البحر وقد نهاك عنه عمر بن الخطاب (١)، فإن أبيت ذلك ولم يكن لك بد من ركوب البحر فاحمل معك أهلك وولدك حتى أعلم أن البحر هين كما تقول (٢). قال: فلما ورد كتاب عثمان على معاوية وقرأه نشط لركوب البحر إلى قبرص، ثم كتب إلى أهل السواحل فأمرهم بإصلاح المراكب وتقريبها إلى ساحل حصن عكا ليكون ركوب المسلمين من عكا إلى قبرص. قال فأصلحت المراكب وجمعت، ووضع معاوية الارزاق للناس فأعطاهم وأمرهم بالمسير إلى عكا، قال: وعقدت الرايات والألوية ففرقت في المراكب، ونادى معاوية في الناس أن لا يتخلف أحد عنه ممن أخذ أرزاقه.

قال: فخرج الناس من دمشق حتى صاروا إلى عكا، وخرج معاوية من دمشق ومعه أهله (٣) وولده حتى نزل بعكا، وركب معاوية في مركب منها مع أهله وولده، ثم دفعت من عكا يوم الجمعة قبل الصلاة والمراكب في عشرين ومائتي مركب وقد رفع الناس أصواتهم وضجوا بالتهليل والتكبير.

قال: فبينما القوم يسرون في البحر إذ هب الريح وهاج البحر فاضطرب بأمواجه وفرق المراكب يمنا ويسرة، قال: وفزعت امرأة معاوية فزعا شديدا ثم صاحت بالنوتي - وهو الملاح الذي يدبر أمر المركب وكان من القبط واسمه طليا - وقالت: ويحك يا طليا! احبس المركب، قال: فضحك طليا ثم قال: أيتها المرأة! ليس ههنا أحد له سلطان على هذا البحر دون الملك الجليل، وليس إلى حبس المراكب من سبيل، قال: فاغتم معاوية بمن قد حمل معه من نسائه وأولاده، فلم يزالوا كذلك ساعة ثم إن الريح هدأت وسكنت، فسار المسلمون في مراكبهم. قال: وإذا مراكب الروم سائرة في البحر وفيها هدايا قد بعث بها ملك قبرص إلى قسطنطين بن هرقل ملك الروم، قال: فأحرق المسلمون بتلك المراكب

(١) وكان معاوية قد استأذن عمر بغزو قبرص فرفض. وقد مر ذلك.  
(٢) في ابن الأثير ٢ / ٢٤٠ قال له عثمان: (لا تنتخب الناس ولا تفرع بينهم، خيرهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه).  
(٣) حمل معه امرأته فاخنة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف بن قصي.

فأخذوها، فإذ فيها جوار حسان وأثاث فاخر من البزبون (١) والديباج والسقلاطون وغير ذلك، فأخذ معاوية ذلك كله وسار في البحر حتى صار إلى قبرص بكل عافية وسلامة وغنيمة، فأمر بالمراكب فأرسيته على ساحل قبرص، ثم أمر أصحابه فخرجوا من المراكب فأغاروا على قبرص، فغنموا غنائم ليست بالقليل حتى ملأوا المراكب بالجواري والغلمان والأثاث الفاخر، ثم أرسل ملك قبرص إلى معاوية يسأله الصلح والرجوع عنه إلى بلاد الاسلام، فأجابه معاوية إلى ذلك على أنه يؤدي إليه في كل سنة سبعة آلاف دينار ومائتي دينار، فأجابه إلى ذلك وأخذ منه ما أخذ وكتب عليهم بذلك كتابا وميثاقا أنهم لا يغدرون ولا ينقضون ذلك أبدا (٢)، قال: وكان أهل قبرص يؤدون إلى معاوية في كل سنة سبعة آلاف دينار ومائتي دينار وإلى ملك الروم مثل ذلك.

قال: ثم جلس معاوية وأصحابه في المراكب وساروا يريدون إلى الساحل الذي أقبلوا منه ومعهم يومئذ من النساء والذرية نيف وثمانية آلاف، وفي النساء نيف على سبعمائة عذراء والمراكب مشحنة بجميع الأمتعة حتى صاروا إلى الساحل وخرجوا، وأخرج معاوية من ذلك كله الخمس ووجه به إلى عثمان بن عفان وكتب إليه يخبره في كتابه بسلامة المسلمين، وقسم معاوية باقي ذلك في المسلمين. قال: فجعل الناس يقتسمون السبي والخير الكثير بينهم فينادى عليهم فيباع ويشترى. قال: ونظر أبو الدرداء إلى ذلك فجعل يبكي، فقال له جبير بن نفيير الحضرمي (٣): ما يبكيك يا أبا الدرداء؟ وهذا يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله وأذل الشرك وأهله؟ قال: فضرب أبو الدرداء بيده على منكب جبير بن نفيير ثم قال: ثكلتك أمك يا جبير! ما أهون الخلق على الله إذا هم عصوه (٤)، فانظر إلى هؤلاء القوم بينا هم ظاهرون قاهرون لمن ناوأهم، فلما تركوا أمر الله عز وجل وعصوه

(١) البزبون: السندس.

(٢) كذا بالأصل والطبري ٥ / ٥٣ وابن الأثير ٢ / ٢٤٠ البداية والنهاية ٧ / ١٧٢ فتوح البلدان ص ١٥٨.

وزيد في الطبري وابن الأثير: وعليهم أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم.

وزيد في الطبري: على أهل قبرص ألا يتزوجوا من عدونا - الروم - إلا بإذنا.

وفي فتوح البلدان: اشترطوا أن لا يمنعهم المسلمون أداء الصلح إلى الروم.

(٣) عن الطبري ٥ / ٥٣ وفي الأصل: (نصير الخولاني) تحريف.

(٤) الطبري: تركوا أمره.

صاروا إلى ما ترى وسلط الله عز وجل عليهم السبي، ويحك يا جبير! إنه إذا سلط الله عز وجل السبي على قوم فليس لهم فيهم حاجة.  
قال: فبينما المسلمون يقتسمون غنائم قبرص إذ وقع بينهم شيء من الفساد وشح بعضهم على بعض وظهر من بعضهم شيء من الغلول، فقال شيخ من أهل قرص من الروم: ويحكم يا معشر العرب! أتفعلون هذا وأنتم قريب عهد من نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم وأنتم أصحابه؟ فكيف يكون من يأتي من بعدكم؟ فقال له رجل من

المسلمين: يا شيخ! أميرنا لا يرضى بشيء من هذا، فقال له الشيخ الرومي: فأنت لا يسعك الكتمان أو ترفع ذلك إليه، قال: وبلغ ذلك معاوية فنهى عن ذلك أشد النهي، ثم إنه دعا بكتاب أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي كتبه ليزيد بن أبي سفيان حين وجه به إلى الشام فإذا فيه:  
بسم الله الرحمن الرحيم، هذا عهد أبي بكر عبد الله بن عثمان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جميع أمراء الأجناد، إني أوصيكم بتقوى الله أن لا تغلوا ولا

تفسدوا ولا تطغوا ولا تعقروا بهيمة ولا تذبحوا شاة لا تريدون أكلها، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تهدموا بيعة، ولا تقتلوا الولدان ولا الشيوخ ولا النساء، وستجدون قوما قد حبسوا أنفسهم في الصوامع فذروهم ولا تعرضوا لهم إلا بسبيل خير، وستجدون آخرين من حزب الشيطان في أوساط رؤوسهم أفاحيص، فإذا وجدتم أولئك فاضربوهم بالسيف ضربا، هذه وصاتي لكم وعهدي إليكم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.  
قال: فلما سمع المسلمون هذا الكتاب أقصروا عن فسادهم واستغفروا الله عز وجل مما كان منهم.

قال: فبينما الناس كذلك يقتسمون الغنائم وجماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

جلوس ناحية - منهم أبو الدرداء وعبادة بن الصامت وشداد بن أوس [بن ثابت] ووائل بن الأسقع وأبو أمامة الباهلي (١) وعبد الله بن بشر المازني (٢) - إذا برجلين من

(١) واسمه صدي بن عجلان سكن مصر ثم انتقل منها فسكن حمص بها مات سنة ٨١ وقيل ٨٦ وهو آخر من مات بالشام من أصحاب النبي (ص) في قول.

(٢) كذا بالأصل وفتوح البلدان. وفي الإصابة عبد الله بن بسر المازني أبو بسر الحمصي. مات سنة ٨٨ بالشام وقيل بحمص وله ٩٤ سنة وهو آخر من مات بالشام من الصحابة (الإصابة).

(३००)

الأنصار يسوقان حمارين فقال لهما عبادة بن الصامت: ما هذا؟ فقالا: يا أبا الوليد! إن معاوية أمر لنا بهذين الحمارين ونحن نرجو أن نحج عليهما إن شاء الله، قال فقال عبادة: لا والله ما يحل لمعاوية أن يعطيكماهما ولا يحل لكما أن تأخذاهما إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر لكما بذلك، قال: فقالا له الأنصاريان: يا سبحان الله!

وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال لهما عبادة: لعله أوعز إليكما، فقال: إذا فتحتم جزيرة

قبرص يؤمر لكما بحمارين أقمرين فاقبضاهما، قال: فسكت الأنصاريان وردا الحمارين على معاوية وخبراه بمقالة عبادة بن الصامت، فأقبل معاوية إلى عبادة يسأله عن ذلك، فقال له عبادة: يا معاوية! إني شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين

والناس يكلمونه في الغنائم، فرأيتهم وقد أخذ وبرة من جنب بعير ثم قال: (والله ما لي مما أفاء الله عليكم من هذه الغنائم مثل هذه إلا الخمس والخمس مردود عليكم). قال: فقال معاوية: يا أبا الوليد! أتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ذلك

يوم حنين؟ قال عبادة: الله أكبر! إذ قد سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانظر من

تولي غنائم المسلمين؟ قال معاوية: فإني قد وليتك الغنائم فاقسمها في أهلها بما تعلم واتفق الله فيها، فقال عبادة: وكيف اخترتني لذلك؟ فقال: لأنه قد ورد علي كتاب أمير المؤمنين عثمان يأمرني أن أولي ما غنمت من شيء أفضل من أجد، وأنت عندي أفضل من أقدر عليه في وقتي هذا لإسلامك القديم وصحبتك لرسول الله صلى الله عليه وسلم،

فقال عبادة: ولها غيري يا معاوية! فإني لا ألي ذلك أبدا، قال معاوية: فإني لا أجد أحدا يليها سواك. قال: فولى الغنائم عبادة بن الصامت وأعاناه عليها أبو الدرداء وأبو أمامة الباهلي وغيرهم من الصحابة، قال: فنظر بعض المسلمين إلى أم الدرداء امرأة أبي الدرداء وفي يدها سوار من فضة قيمتها عشرة دراهم فقال لها: يا أم الدرداء! أنى لك هذا؟ فقالت: هو من سهم أبي الدرداء في يوم قبرص.

قال: ثم جمع معاوية هدايا كثيرة فوجه بها إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، ووجه بجارية حسناء فائقة الجمال من بنات أهل قبرص ودفعت ذلك كله إلى رجل من المسلمين يقال له عبدة بن عبيد السلمي ووجه به إلى عثمان، فلما ورد الكتاب والمال من الخمس وغيره من الهدايا إلى عثمان نظر إليه ففرح بذلك، ثم فض الكتاب وقرأه فحمد الله على ذلك كثير، ثم نظر إلى الجارية فقال للرسول: هذه من الخمس؟ قال: لا يا أمير المؤمنين! هذه وقعت في سهم معاوية فأحب أن يهديها

إليك، قال عثمان: ما اسمك؟ قال: عبدة بن عبيد، فقال: أكنت من المسلمين

(٣٥١)

بقبرص؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين! قال: فصفها لي، قال: نعم، هي جزيرة واسعة عريضة طويلة، يذكر أهلها أنها ثمانون فرسخا في عرض مثل ذلك، فيها أنهار ومزارع وأشجار وكرون وألوان الثمار، وفيها قصور ذاهبة في الهوى، وهي مع ذلك كثيرة الخيل والبغال والحمير والغنم والبقر، قال عثمان: فكيف قدرتم عليها؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما هو إلا أن وفيناهم ونظروا إلى مراكبنا قد أرسيت إلى ساحلهم حتى خضعوا وذلوا وأعطوا بأيديهم صاغرين، فقال عثمان: ذلك من فضل الله ورحمته بعباده المؤمنين. قال: ثم قسم عثمان ذلك الخمس في أهل المدينة، فأخذ منه بحقه ودفع إلى كل ذي حق حقه وأخذ تلك الجارية لنفسه، فلما صار إلى منزله نظر إليها فإذا هي جارية وضيئة حسناء، قال: فشق ذلك على نائلة بنت الفرافصة زوجة عثمان فقطبت لذلك، فقال لها عثمان: ما شأنك يا نائلة! أتحبين أن أهبها لك؟ قالت: نعم يا عثمان! فقال عثمان: هي لك، قال: فشق ذلك على الجارية فقالت: لا أحب أن أكون لامرأة، ردني إلى أمير الشام حتى يفعل بي ما يريد، قال: فردها عثمان إلى معاوية، فأخذها لنفسه فكانت عنده إلى أن توفيت ولم يكن له منها ولد - والله أعلم -.

ذكر فتح جزيرة رودس (١) على يدي معاوية بن أبي سفيان.

قال: ثم كتب معاوية أيضا إلى عثمان بن عفان رضي الله عنهما يستأذنه في فتح جزيرة أخرى في البحر يقال لها رودس (٢)، قال: فاستشار عثمان المسلمين في ذلك، فقال المسلمون: يا أمير المؤمنين! إن المسلمين قد فتحوا جزيرة قبرص وقد اجتروا عليها وعلى ركوب البحر، فائذن لهم في ذلك فعسى الله أن يغنمهم إياها، قال: فكتب عثمان إلى معاوية أنني قد أذنت لك فيما سألت فاتق الله ولا تضيع الحزم، وإن خوفت من البحر شيئا فلا تتركه فإن هوله عظيم.

(١) عن الطبري، وبالأصل: رودس: وقد فتحت في خلافة معاوية سنة ٥٢ كما في فتوح البلدان ص ٢٣٧ فتحها جنادة بن أبي أمية الأزدي. (وانظر الطبري ٦ / ١٦١ حوادث سنة ٥٣). ولم نجد في المصادر ذكرا لعملية بحرية استهدفت فتح رودس في أيام الخليفة عثمان (رض). ولعل ما حصل كان غارة خاطفة حصلت سنة ٦٥٤ م حيث تعرضت رودس للنهب والغارة من قبل المسلمين (الدولة البيزنطية - السيد الباز العريني ص ١٤٢).

(٢) بالأصل: رودس. وقد صححت في كل مواضع الخبر.

قال: فنادى معاوية في الناس وأمرهم بالمسير إلى صيداء (١) على أن يركب منها إلى رودس، فسار المسلمون في تعبئة حسنة حتى وردوا صيداء وقد جمعت المراكب بها، قال: فجلس معاوية في مركب منها وركب المسلمون المراكب وقد شهروها بالأعلام والمطارف وخطفوا من الساحل بالتهليل والتكبير في البحر، والدليل بين أيديهم في مركب من تلك المراكب ومعه أشد المقاتلة، فلم يزالوا كذلك حتى لاحت لهم الجزيرة في وسط البحر.

قال: وأهل رودس قد استقبلوا المسلمين في مراكبهم، فاقتتلوا في البحر حتى كثرت القتلى بينهم، ثم رزق المسلمون الظفر عليهم، فهزموهم وفضوا أمرهم ومراكبهم حتى ساروا إلى الجزيرة فدخلوها عنوة وقتلوا فيها من قتلوا، وغنموا ما غنموا فيها من مال وأثاث. قال: فبينما المسلمون يدورون في رودس ويجمعون غنائمها إذ دخل منهم رجل يقال له عبد الرحمن بن عرزب الأشعري إلى دار من دورها فلم ير فيها أحدا، فجعل يدور فيها مع نفر من المسلمين وهو يقول: ويحكم! هذه دار نظيفة حسنة البناء ولا تخلو هذه الدار من قوم يكونون فيها، قال: فبينما القوم يجولون في الدار إذا هم بمطمورة (٢) عليها باب قد طمره بالتراب، قال: فنبش التراب وقلع الباب ودخل المسلمون المطمورة فإذا فيها خمسمائة رأس من رقيق بين غلام وجارية! وإذا أثاث كثير من ديباج وبزيون وأنواع الأمتعة! قال: فأخرج كله من المطمورة حتى أتى به إلى المقسم، فإذا رقعة وقعت من جيب جارية! فأخذت الرقعة ففتحت فإذا فيها خاتم ذهب وفص ياقوت أحمر! فأتى به إلى معاوية، فأرسل به معاوية إلى صاحب المقاسم وأمره أن ينادي عليه، قال: فنودي على ذلك الخاتم فبلغ ألف دينار ومائتي دينار، قال: فأخذ معاوية لنفسه وحسبه للمسلمين من سهمه.

قال: ثم جمعت الغنائم فوضعت في المراكب، ثم خطف المسلمون إلى الساحل. وكتب معاوية إلى عثمان يخبره بسلامة المسلمين وما فتح الله عز وجل من رودس، قال: فسر عثمان بذلك سرورا شديدا وقسم الخمس في المدينة.

(١) صيداء: مدينة على ساحل بحر الشام، من أعمال دمشق بينها وبين صور ستة فراسخ.  
(٢) المطمورة: حفرة تحت الأرض، أو مكان تحت الأرض قد هيئ خفية يطمر فيها الطعام والمال (اللسان).

قال: فلم تنزل جزيرة رودس بعد ذلك خرابا يبابا إلى خلافة معاوية، فلما صارت الخلافة إليه أرسل إلى رودس فعمرها وبنى فيها مسجدا وشحنها بالمسلمين وقواهم بالأموال والسلاح وأمرهم بالزراعة، فلم يزل المسلمون بها سبع سنين (١) لا يطمع فيها ملك الروم ولا غيره من الكفار - والله أعلم - .  
ذكر ما ذكر مجاهد عن هذه الجزيرة.

قال مجاهد (٢): لقد دخلت مدينة رودس في سنة ثلاث وخمسين فبينما فيها مسجدا وأقمنا بها مؤذنا ونصلي. قال مجاهد: وكان تبيع [ابن -] (٣) امرأة كعب الأحمبار وكنت أقرئه القرآن فقال لي ذات يوم: يا مجاهد! كأنك بهذه الجزيرة قد خربت وذهب رسمها، فقلت: يا تبيع! وتخرب هذه الجزيرة؟ فقال: وعلامة ذلك أنه يهب ريح عاصف فتلقى هذه الدرجة، قال مجاهد: فوالله ما لبثنا أن جاءت الرياح ذات يوم فرمت بتلك الدرجة وجاءنا كتاب يزيد بن معاوية من الشام بموت معاوية، فقفلنا وخربت الجزيرة إلى الساعة.  
ذكر ما كان من قسطنطين ملك الروم ومحاربه مع المسلمين في البحر (٤).

قال: فبينما المسلمون كذلك إذ وقع الخبر بأن قسطنطين بن هرقل ملك الروم قد جمع الجموع وقد عزم على غزو المسلمين في البحر (٥)، قال: وبلغ ذلك

- 
- (١) وكان ذلك سنة ٥٣ هـ. وقد مرت الإشارة إلى ذلك.  
(٢) هو مجاهد بن جبر ترجم له في حلية الأولياء ٣ / ٢٧٩ البداية والنهاية ٩ / ٢٢٤ شذرات الذهب ١ / ١٢٥.  
(٣) زيادة عن فتوح البلدان ص ٢٣٧.  
(٤) وهي المعركة المعروفة ب (غزوة ذات الصواري) انظر الطبري ٥ / ٦٨ وابن الأثير ٢ / ٢٥٣ البداية والنهاية ٧ / ١٧٧.  
(٥) في أسباب خروج قسطنطين بقوة بحرية هائلة لضرب المسلمين:  
- توسع النشاط البحري الاسلامي بعد ما أدرك المسلمون أن الاتصال بالبحر المتوسط والتعرض لأخطار البيزنطيين يتطلب إنشاء قوة بحرية، ويعتبر معاوية أول سياسي عربي أدرك ما للأسطول من القيمة الاستراتيجية في مواجهة الاخطار البيزنطية.  
- تحرك المسلمين نحو المتوسط عبر عنه غزوة جزيرة قبرس، والتي تعتبر من أعظم القواعد الاستراتيجية للأسطول البيزنطي في الشرق.  
- تجدد العمليات البحرية الاسلامية في الغارة التي شنت على رودس، وجزيرة كوس وجزيرة كريت. ولا شك أن معاوية كان يهدف من وراء هذه العمليات الاستيلاء على القسطنطينية، ويدل على ذلك حرصه على تأمين الطريق المؤدي إليها.  
أما السبب المباشر لحركة قسطنطين فهو ما أصاب المسلمون من البيزنطيين بإفريقيا (الطبري ٥ / ٦٩ الدولة البيزنطية للعريبي ص ١٤٢).

(٣٥٤)

عثمان بن عفان رضي الله عنه، فكتب إلى معاوية وأمره أن يركب في البحر بجنود المسلمين من أهل الشام، وكتب أيضا إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح يأمره أن يركب بأهل مصر، وكتب أيضا إلى عمرو بن العاص يأمره أن يعين عبد الله بن سعد والمسلمين بجميع ما يقدر عليه من المال والسلاح.

قال: فاجتمع أهل مصر وأهل الشام بساحل مدينة عكا في جمع عظيم من العدة والعدد والسلاح، ثم إنهم حملوا الخيل معهم في المراكب وخطفوا من عكا في خمسمائة مركب فيها رجال مقاتلة والخيل والسلاح والطعام الكثير. قال: وخرج قسطنطين بن هرقل من قسطنطينية في قريب من ألف (١) مركب من مراكب الروم فيها

المقاتلة والزرافات والنيران والنفط. قال: فبينا المسلمون قد لججوا في البحر إذا هم بمراكب الروم قد وافتهم.

قال: فكان عبد الله بن أبي سفيان يقول حدثني أبي عن مالك بن أوس (٢) بن الحدثان قال: لقد كنت في تلك المراكب يومئذ وكانت الريح علينا قال: فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلها قط، فدعونا ربنا وتضرعنا إليه، ثم إنا أرسينا ساعة، ثم دنوا منا فأرسوا قبالتنا، وسكنت الريح وجاء الليل، فجعل المسلمون يكثرون من قراءة القرآن ولا يفترون من الصلاة والدعاء، والروم في مراكبهم يضربون (٣) بالصنوج والطنابير ويشربون الخمر وينفخون في الصفارات.

قال: ثم أصبحوا وقد تهيؤوا للقتال، فأرسل إليهم معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن سعد بن أبي سرح: إن شئتم خرجنا نحن وأنتم إلى الساحل حتى يموت الأعجز منا ومنكم؟ قال: فنخرت الروم نخرة واحدة وقالوا: لا، بل البحر بيننا وبينكم، قال مالك بن أوس بن الحدثان: فدنونا منهم، وربطنا المراكب بعضها إلى

(١) في الطبري وابن الأثير: خمسمائة مركب.

(٢) بالأصل: (عن أنس) تحريف وما أثبتناه عن الطبري.

(٣) في الطبري وابن الأثير: يضربون بالنواقيس.

بعض، واصطف المسلمون على جوانب المراكب في أيديهم الرماح والسيوف والقسي والسهام. قال: واقتتل الفريقان قتالا لم يسمع بمثله، وليس بينهم رمية سهم ولا طعنة رمح إلا الضرب بالسيوف والبواتر والخناجر والسكاكين حتى احمر ماء البحر، قال: وجعلت علق الدماء تضربها الأمواج في الساحل حتى صار الساحل كأن عليه مثل التلول في جث الرجال وأن الدم غالب على ماء البحر وقد قتل من المسلمين بشر كثير - رحمة الله عليهم - وقتل من الروم ما لا يحصون عددا، قال: وصبر الفريقان يومئذ بعضهم لبعض صبورا لم يصبروا مثله ساعة قط.

قال: وجرح قسطنطين ملك الروم جراحات كثيرة في رأسه وجسده فولى مدبرا منهزما في مركبه الذي كان فيه (١)، قال: وصاح عبد الله بن سعد بن أبي سرح أمير مصر بالقبط من النواتية: ألا! من قتل رجلا من الروم فله ثلاثة دنانير، قال: فقتلت القبط منهم في ذلك اليوم قريبا من سبعمائة رجل، ووقع عليهم الهزيمة فانهمزوا في مراكبهم وهبت الريح عليهم فقطعت مراكبهم يمنا ويسرة فما التقى منها مراكبان في موضع واحد.

قال: ورجعت مراكب المسلمين إلى الساحل فأرسيت بعكا، وكتب عبد الله بن سعد ومعاوية إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه يخبرانه بهزيمة الكفار، قال: فسر عثمان بذلك - والله أعلم (٢) - . ذكر عزل عمرو بن العاص عن مصر وولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر. قال: فانصرف عمرو بن العاص معزولا (٣) حتى صار إلى فلسطين فنزلها،

(١) زيد في الطبري: مكث فيها حينما جريحا. وفي البداية والنهاية: مكث حينما يداوى منها بعد ذلك.

(٢) ترتب على معركة ذات الصواري:

- أحرز المسلمون انتصارا ساحقا وحلت الهزيمة بالدولة البيزنطية حتى كاد الإمبراطور يقع أسيرا في يد المسلمين.

- تداعت سيادة بيزنطية في البحر.

- تثبيت مواقع البحرية الإسلامية في البحر، غير أن ما أحرزه المسلمون من نصر لم يترتب عليه نتائج مباشرة بسبب ما وقع بين المسلمين من فتن واضطرابات داخلية.

(٣) في أسد الغابة أن عمرو بن العاص بقي على ولاية مصر إلى أن مات عمر بن الخطاب فأقره عليها عثمان أربع سنين أو نحوها ثم عزله عنها واستعمل عبد الله بن سعد بن أبي سرح فاعتزل عمرو بفلسطين، (وانظر الكامل لابن الأثير ٢ / ٢٣٥).

وصارت مصر بأجمعها في يد عبد الله بن سعد بن أبي سرح، قال: وعزم قسطنطين بن هرقل على محاربة المسلمين ثانية في البحر، فجمع أهل مملكته ثم كتب إلى كل من يسكن الضواحي والسواحل من الروم فحشروهم إليه، فاجتمع عنده خلق كثير عظيم، فتجهز وخرج من قسطنطينية في ألفي ومائتي مركب يريد الفسطاط من أرض مصر، قال: فركب الملعون في أيام ربح عاصفة وقد كانت البطارقة أشارت عليه أن لا يركب في مثل تلك الأيام، فأبى عليهم وخالفهم وركب، فلما توسط البحر هاجت الرياح عليهم، فكان الموج يرفع المركب في الهواء ثم يلعب بها لعبا، قال: فكان قسطنطين في ألفي ومائتي مركب فما أفلت منها شيء إلا المركب الذي كان فيه فإنه نجا وألقته الرياح إلى جزيرة في البحر عظيمة يقال لها سقلية (١)، قال: فلما خرج إليها قسطنطين بن هرقل قالوا له: أيها الملك! لقد أشمت بالنصرانية أعداءها وأفنيت رجالها، قال: ثم إنهم اصطنعوا له حماما ليدخله، فلما دخل الحمام دخلوا عليه بالخناجر فقتلوه، ويقال: إنهم ذبحوه ذبحا. قال: وبلغ ذلك عثمان بن عفان فقال: الحمد لله الذي عجل هلاكه فقد كان عدوا لأهل الاسلام.

ذكر فتح إفريقية على يدي عبد الله بن سعد بن أبي سرح.

قال: ثم كتب عبد الله بن سعد بن أبي سرح أمير مصر إلى عثمان بن عفان يستأذنه في غزو إفريقية ويخبره في كتابه بكثرة أمواله وضعف رجالها (٢). قال: فكتب إليه عثمان بن عفان: إني غير فاعل ذلك فلا آذن لك فيه، لأنني قد شهدت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لا أغزيت إفريقية أحدا من المسلمين أبدا ما

(١) كذا بالأصل، وفي معجم البلدان صقلية من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية.  
(٢) وكان عبد الله بن سعد بن أبي سرح قد غزا إفريقية بأمر عثمان سنة ٢٥ هـ. فخرجوا حتى قطعوا أرض مصر ووطئوا أفريقيا، وكانوا في جيش عدته عشرة آلاف من شجعان المسلمين فضالحمهم أهلها على مال يؤدونه، ولم يقدموا على دخول إفريقية والتوغل فيها لكثرة أهلها. (الكامل لابن الأثير ٢ / ٢٣٥ فتوح البلدان ص ٢٢٧).

حملت عيني الماء، والله! ما أرى في فتحها خيرا وقد كرهها عمر بن الخطاب من قبلي - والسلام -.

قال: فلما ورد كتاب عثمان على عبد الله بن سعد كأنه كره أن يراد عثمان في شيء من أمر إفريقية غير أنه كان يوجه بالرجال فيغيرون على أداني أرضها ويأتون بالغنائم، قال: وبلغ ذلك عثمان بن عفان فكأنه نشط لغزوها، ثم أرسل إلى المسور بن مخزومة القرشي فدعاه في جوف الليل، قال: ويحك يا مسور! قد استخرت الله تبارك وتعالى في ليلتي هذه في بعثة الجيوش إلى إفريقية، وقد كتب إلي عبد الله بن سعد يخبرني بجرأة المسلمين عليهم وتقربهم منهم، فهات ما عندك! فقال له المسور: خار الله لأمر المؤمنين وللمسلمين في ذلك، وما الرأي عندي إلا غزوها، قال عثمان: فإني أستخير الله عز وجل في ذلك كثيرا، ولكن إذا أصبحت فاجمع لي الأكابر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآله) حتى أستشيرهم في ذلك، فإن اجتمعت آراؤهم على فتحها فعلت ذلك إن شاء الله ولا قوة إلا بالله. قال: فانصرف المسور بن مخزومة إلى منزله.

فلما كان من غد خرج فدعا له علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وغيرهم من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم وآله)، فلما علم عثمان أنهم قد اجتمعوا في المسجد خرج إليهم بعد طلوع الشمس، فشاورهم في أمر إفريقية حتى ارتفع النهار، فكأنهم كرهوا ذلك، وأكثر من كره ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، فقال له عثمان: ما الذي كرهت من أمر إفريقية؟ فقال سعيد: كرهت ذلك لما سمعت من عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يقول: لا أقربها أحدا من المسلمين ما حملت عيني الماء (١)، ولا أرى لك مخالفة عمر فذرهم ولا تغزهم فإنك لن تخافهم على الإسلام وأنهم لراضون منك أن تقرهم في أماكنهم، قال: ثم قام سعيد بن زيد فخرج، والتفت عثمان إلى مولى له يقال له نائل فقال له: يا نائل! اذهب فادع لي زيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة. قال: فخرج نائل فدعاهما، فاستشارهما عثمان بن عفان في بعثة الجيوش إلى إفريقية، فأشارا عليه بذلك (٢)، فقال عثمان بن عفان: الله أكبر

(١) في معجم البلدان (إفريقيا): كان عمر بن الخطاب قد كتب إلى عمرو بن العاص: لا تدخل إفريقيا فإنها مفرقة لأهلها غير مجتمعة، ماؤها قاس ما شربه أحد من العالمين إلا قست قلوبهم.

(٢) في ابن الأثير ٢ / ٢٣٥: فاستشار عثمان من عنده من الصحابة، فأشار أكثرهم بذلك.

قد أبهج لي رأيي، ثم ندب الناس إلى ذلك فأجابوه سراعا، فأول من أجابه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعبد الله وعاصم ابنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الرحمن (١) بن الأسود بن عبد يغوث وبشر بن أرطاة (٢) والمسور بن مخرمة وجماعة من أولاد الصحابة (٣).

قال: ثم اجتمع الناس إلى عثمان بن عفان بعد ذلك فعرضهم عثمان بالمدينة وعدهم فكانوا أربعة آلاف وثمانمائة من أخلاط القبائل فتجهزوا ما أمكنهم من الجهاز، قال: وأعانهم عثمان بألف يعير بآلتها، وفتح بيوت السلاح فأعطاهم وقواهم، وأمر على الناس مروان بن الحكم فجعله على الجند، وجعل أخاه الحارث بن الحكم على الرجالة، ثم قام عثمان رضي الله عنه في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها المسلمون! إنكم قد أصبحتم بدار لا يصلح فيها التضجيع والتواني وقد رأيتم عمر بن الخطاب رحمه الله وما فتح الله عليه من أرض الأعاجم وقد افتتحتهم أرض مصر وكانت أكبر شوكة وأكثر عددا من إفريقية، وأنا أرجو أن يظفركم الله عز وجل بها ويعينكم ويقويكم على فتحها، فعليكم عباد الله بتقوى الله الذي يبقى ويفنى سواه، وقد كتبت إلى عاملي بمصر عبد الله بن سعد وعهدت إليه أن يحسن صحبتكم وأن يرفق بكم وأن يفضي عن سيئكم، وأرجو أن يكون عند عهدي وأمري إن شاء الله ولا قوة إلا بالله، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ألا! فسيروا رحمكم الله، والله عز وجل خليفتي عليكم.

قال: فسار المسلمون من المدينة حتى قدموا أرض مصر على عبد الله بن سعد، قال: واجتمعت العساكر بمصر، فسار بهم عبد الله بن سعد في ثلاثة وعشرين ألفا يريدون إفريقية.

قال: وكان بإفريقية ملك عظيم يقال له جرجين (٤) من قبل ملك الروم وفي يده

(١) بالأصل (عبد الله) تحريف وما أثبتناه عن الإصابة ٢ / ٣٩٠ ولد على عهد رسول الله (ص).

(٢) عن معجم البلدان، وبالأصل (بشر بن أرطاة) (فتوح البلدان ص ٢٢٨).

(٣) منهم معبد بن العباس بن عبد المطلب، وعبيد الله بن عمر، (فتوح البلدان - معجم البلدان).

وعبد الله بن عباس (الكامل لابن الأثير).

(٤) في الطبري ٥ / ٥٠ وفتوح البلدان ١ / ٢٦٧ والكامل لابن الأثير ٢ / ٢٣٥ وتاريخ خليفة ص ١٥٩:

جرجير وفي تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٦٥ جرجيس.

من طرابلس المغرب إلى طنجة (١)، قال: فسار المسلمون إلى طرابلس المغرب فنزلوها وهي آخر عمل الاسلام، ثم رحلوا منها حتى دخلوا بلاد إفريقية فانتشروا بها وبثوا السرايا، فأصابوا غنائم كثيرة خيل وبغال وحمير وبقر وغنم.

قال: ثم سار عبد الله بن سعد بالمسلمين فجعل يقدم الطلائع بين يديه فمرة يقرب من البحر فيسير على الساحل، ومرة يطلب البر، وإذا بمراكب أهل إفريقية قد أرسيت على ساحل البحر، فلما نظروا إلى خيل المسلمين هموا أن يركبوا المراكب ويلججوا في البحر، فعاجلهم المسلمون فأخذوا المراكب وما كان فيها من مال ومتاع، فقسمه عبد الله بن سعد في المسلمين، ثم قدم أصحاب المراكب وهم مائة رجل فضرب أعناقهم صبوا، ثم أمر بالمراكب فأحرقت إلى آخرها.

قال: وسار المسلمون حتى توسطوا بلاد إفريقية، ودنوا من أرضها، فنزلوا هنالك. وبعث عبد الله بن سعد إلى جرجين (٢) ملك إفريقية يدعوه إلى الاسلام، قال: فغضب جرجين (٢) من ذلك، ثم قال: لا دخلت في دينكم أبدا، قال: فأرسل إليه عبد الله بن سعد أنه لا بد لك من إحدى خصلتين الاسلام أو الجزية، فإذا قد أبيت الاسلام فأد الجزية عن يد وأنت صاغر، فقال جرجين (٢): لو طلبتم مني درهما واحدا ما أعطيتكم ولا تتحدث الملوك عني بذلك أبدا.

قال: ثم تهيأ لقتال المسلمين، وبلغ ذلك عبد الله بن سعد فعبى أصحابه ثم سار إليه، فقال له رجل من أهل مصر: أيها الأمير! إن أهل إفريقية لا يصافونك وهم أربع قلوب من ذلك، ولكن اجعل لهم كميناً أن لا يفلت منهم أحد فإنهم قوم يهربون في وقت الحرب، قال: فعندها كمن عليهم عبد الله بن سعد الكميناء ففرقها في الأودية والأماكن، ثم دنا القوم في تعبئة حسنة وجيش لجب وهم ثلاثة وعشرون ألفاً أو يزيدون، ودنا أهل إفريقية من المسلمين في ستين ألفاً أو يزيدون (٣) وقد رفعوا الصلبان وعليهم من السلاح ما الله عز وجل به عليهم. قال: وجالت الخيل بعضها على بعض فاقتتلوا ساعة من النهار حتى إذا صارت الشمس في السماء قدر رمحين أو

(١) زيد عند ابن الأثير: وكان يحمل إلى هرقل الخراج كل سنة.

(٢) مرت الإشارة إليه.

(٣) ابن الأثير ٢ / ٢٣٥ مائة ألف وعشرين ألف فارس. وفي تاريخ خليفة ص ١٥٩: مائتي ألف. وفي البداية والنهاية ٧ / ١٧١ وتاريخ الذهبي ٢ / ٧٩ كان المسلمون في ٢٠ ألفاً، وجرجير في مائتي ألف وقيل مائة وعشرين ألفاً.

أكثر من ذلك صاح عبد الله بن سعد بالمسلمين ثم حمل وحملوا معه، فولى أهل إفريقية منزهين فخرجت عليهم الكمناء فقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر منهم بشر كثير (١).

ومضى ملكهم جرجين منزهما حتى لحق أقاصي بلاد إفريقية، ثم إنه بعث إلى عبد الله بن سعد يسأله الصلح، فأجابه عبد الله بن سعد إلى ذلك وصالحه على ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار (٢) على أنه يكف عنه ويخرج عن

بلده، فأخذ عبد الله بن سعد منه هذا المال، فأخرج منه الخمس ليوجه به إلى عثمان، وقسم باقي ذلك في المسلمين.

قال: وبلغ ذلك ملك الروم فأرسل إلى جرجين (٣) أنك أعطيت العرب ما أعطيتهم فانظر ذلك فابعث إلي مثله وإلا بعثت إليك من يستأصلك عن حديد الأرض، قال: فأرسل جرجين (٣) إلى رؤساء بلده فدعاهم ثم قال: إن الملك الأعظم أمرني أن آخذ منكم من المال ما أخذه عبد الله بن سعد، فهاتوا ما الذي عندكم من الرأي! قال: فقالوا: أما الذي كان عندنا من المال فقد أفدينا به أنفسنا من العرب، والآن فليس عندنا من المال نعطي الملك، فإن تركنا نكون في بلادنا ونؤدي إليه الخراج الذي كنا نؤديه إليه قبل اليوم، وإلا دخلنا في دين العرب وكنا مع العرب عليه، قال: فلما سمع جرجين (٣) ذلك قال لهم: لا تعجلوا حتى أكتب إليه وأخبره بمقاتلتكم. قال: ثم كتب جرجين إلى ملك الروم وخبره بمقالة أهل إفريقية، قال: فأمسك عنهم ملك الروم وتجافى عن أموالهم.

قال: ورجع عبد الله بن سعد بالمسلمين إلى أرض مصر (٤) وكتب إلى عثمان

(١) وكان ذلك في مكان قرب سببلة، وكانت هذه المدينة هي دار الملك في ذلك الوقت. وهي على سبعين ميلا من القيروان.

(٢) الطبري ٥ / ٥٠ فتوح البلدان ص ٢٢٩ (سقط العشرين ألف دينار)، تاريخ يعقوبي ٢ / ١٦٥. وفي البداية والنهاية ٧ / ١٧١ ومعجم البلدان، وتاريخ خليفة ص ١٥٩ والكامل لابن الأثير ٢ / ٢٣٧ أن جرجير قتل، وأن الصلح تم مع أهل تلك البلاد.

وفي رواية فتوح البلدان أن عبد الله بن الزبير هو الذي قتله.  
(٣) كذا بالأصل.

(٤) وكان مقامه بإفريقيا سنة وثلاثة أشهر (ابن الأثير ٢ / ٢٣٧).

يخبره بفتح إفريقية وسلامة المسلمين (١)، ووجه إليه بالخمسة من أموال إفريقية، فقسمه عثمان في أهل المدينة وحمد الله عز وجل على ذلك، فله الحمد على ذلك دائماً والشكر وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ذكر فتح جزيرة سقلية (١) على يدي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

قال: ثم تهياً المسلمون لغزو سقلية وكانت عظمة الشأن، قال: وإنما كان ملك الروم في ثلاثة مواضع من الأرض في سقلية ورومية وقسطنطينية، قال: وكان ملك قسطنطينية في قديم الدهر إلى يومنا هذا يلبس خفين أحمرين، ويأذن لصاحب سقلية في أن يلبس فرداً أحمر وفرداً أصفر، ويأذن لصاحب رومية أن يلبس فرداً أحمر وفرداً أخضر، ويأذن لسائر البطارقة أن يلبسوا أخفافاً سوداً. قال: وكانت جزيرة سقلية هذه جزيرة واسعة خصيبة مسيرة ثلاثة أيام في مثل ذلك، فيها عيون غدقة وزروع وأشجار وخير كثير، فعزم معاوية على غزوها وكتب إلى عثمان في ذلك قال: وبلغ أهل إفريقية فبعثوا إلى أهل سقلية بأن العرب قد أجمعوا على حربكم فكونوا من ذلك على حذر.

قال: واتصل هذا الخبر بصاحب سقلية فغضب لذلك وقال: وطمعت العرب في غزونا لعلهم يظنون أننا كأهل إفريقية، ولا يرضى العرب منا أن نمسك عنهم ولا نغزوهم. قال: وخطف المسلمون من ساحل البحر في ثلاثمائة مركب فلم يشعر أهل سقلية إلا ومراكب المسلمين قد طلعت عليهم، فنظروا إليها. قال: وبلغ ذلك ملك سقلية، فأشرف من قصره ومعه جماعة من بطارقه، فنظر إلى مراكب المسلمين قد أقبلت وعليها الرايات والمطارف والاعلام، وفيها الرجال بالسلاح الشاك الذي لم ير مثله، قال: فنظر ملك سقلية إلى مراكب كثيرة وإلى سلاح شاك لم يكن يظن أنه يكون عند العرب مثله.

قال: وكان صاحب قيسارية لما هرب من أيدي المسلمين صار إلى صاحب

(١) أرسل عبد الله بن الزبير بالبشارة إلى عثمان، فقدم المدينة في عشرين ليلة. (تاريخ يعقوبي ١٦٦ / ٢).

(٢) كذا وردت بالأصل في كل مواضع الخبر، مرت الإشارة إلى ورودها في المصادر ومعجم البلدان (سقلية).

سقلية و كان عنده في ناحية، فكان يحدث صاحبك سقلية عن العرب وما فتحت من أرض الشام ومن مدنها وسواحلها. فلما كان ذلك اليوم، التفت صاحبه سقلية إلى صاحب قيسارية فقال له: إن هؤلاء أكثر من أولئك الذين كانوا بأرض الشام؟ فقال له صاحب قيسارية: أيها الملك! كانوا أكثر من هؤلاء، وكانوا أيضا قوما صالحين أصحاب نيات وبصائر، يقاتلون على نية ودين وحسن يقين، وهؤلاء أظن أنهم يريدون الدنيا، فلو أن الملك أعطاهم شيئا يدفع به عن بلده لكان ذلك عندي له الرأي، قال: فغضب ملك سقلية من ذلك ثم قال له: أنت رجل مرعوب لأنك قد رأيت منهم بقيسارية ما قد رأيت من ظهورهم على بر الشام وبحرها، وإن في سقلية اليوم من الرجال الذين يحملون السلاح مثل ما في الشام في برها وبحرها ومثل ما في أرض مصر، وإني لأعرضهم على مائة عارض فيمكنون سنة يعترضون، قال: فقال له صاحب قيسارية: صدقت أيها الملك! ولذلك فارقت ملك الروم لما مضى إلى القسطنطينية وصرت إليك لما أعلم من حزمك وعزمك وكثرة خيلك ورجلك، وإن سقلية عندي أيها الملك لتقاس إلى رومية، قال: فسرى عن صاحب سقلية وقال: صدقت أيها الملك هي كذلك، قال: وإنما خدعه صاحب قيسارية بهذا الكلام لان رومية في البر دون مدينتها أربعون ميلا.

قال: وأرسي المسلمون مراكبهم إلى جزيرة سقلية، قال: فأرسل إليهم ملكها أن ابعثوا إلي منكم رجلا له بيان حتى أكلمه بما أريد.

قال: فبعث المسلمون إليه برجل ومعه ترجمان يخبره بما يقول الروم فأقبل حتى وقف حذاءه وصاحب سقلية مشرف عليه، فقال: ما أنتم؟ فقال المسلم: من العرب الذين قد بلغت دعوتنا أطراف الأرض وأكناف الجبال وأقطار البحار، لان الله عز وجل بعث إلينا رسولا هو أفضلنا بيتا وأصدقنا حديثا وأكرمنا نفسا، فدعانا إلى الله عز وجل، فأجبنا رسول الله وآمنا به وصدقناه، واتبعه منا من اتبعه وأبي منا من أبي، فقاتل من أبي عليه بالذين اتبعوه حتى أظهره الله عز وجل على العرب قاطبة إما راغب فيما دعاه إليه وإما راهب من فرق السيف، ولقد أقر له هرقل ملك الروم من قبل اليوم بالنبوة وشهد له بالرسالة ولم ينكر له ذلك، ولقد خبرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من قبل وفاته

بأن الله تعالى يفتح علينا ويظهرنا على جميع الأديان، وقد بلغك ما كان منا بأرض الشام لما قتلنا أهلها وسبيناهم حتى لم يلتق منهم اثنان في موضع واحد، ونحن على ما نحن عليه من الضعف وقلة المال والسلاح والكراع حتى هرب منا هرقل إلى

قسطنطينية خائفا مرعوبا، فلم يزل كذلك حتى مات بحسرتنا، ثم قال من بعده قسطنطين، فقد بلغك ما نزل به منا وإنا قتلنا أصحابه في البحر وأخذته الرماح وأثخنته الجراحات، حتى صار إليكم وشمتم به، فهذه قصتنا وهذه حالتنا، فلم تسألنا عن أمرنا كأنك لا تعرفنا أو كأنك جاهل بما لقيتم منا. قال: فتبسم صاحب سقلية ثم قال: صدقت، نحن قتلناه، لأنه خرج بالروم في أيام ريح عاصفة فأهلكهم في البحر، ثم نجا وصار إلينا، فلم نحب أن يرجع إلى أهله سالما حتى توتم أهله منه وولده كما أيتم الروم، قال: ثم التفت صاحب سقلية إلى صاحب قيسارية فقال: ما يخفى على العرب شيء من أمرنا؟ فقال: نعم أيها الملك، وكذلك لا يخفى علينا شيء من أمورهم. قال: ثم أقبل صاحب سقلية على المسلم فقال: خبرني الآن عنكم لماذا قصدتمونا في مثل هذا البحر؟ فقال له المسلم: قصدناكم لندعوكم إلى أن تدخلوا في الاسلام وتأمنوا على دياركم وأموالكم، ونولي عليكم رجلا منكم تقيمون الصلوات الخمس وتصومون شهر رمضان وتحجون البيت الحرام وتؤخذ الصدقة من أغنيائكم فتزد على فقرائكم، فإن أبيتم الدخول في ديننا فاقبلوا عهدنا وذمتنا وأدوا الجزية إلينا وقروا في دياركم آمنين، فإن أبيتم ما عرضناه عليكم فقد أنذرناكم وأعدرنا إليكم، فاعلموا أن ما بيننا وبينكم إلا السيف، فإن قتلنا كنا على بينة من ربنا، إنا في الجنة وأنتم في النار وأظفرنا بكم، فذاك ما وعدنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. قال: فقال صاحب سقلية لترجمانه: قل له الآن عني إنك تكلمت

وقلت ما أردت فذرنا حتى نتكلم بما نريد، فقال المسلم: قل ما تشاء، فقال: قل له عني: إنكم قد اغتررتم بأنفسكم بغزوكم إيانا في مثل هذا البحر وظننتم أن سقلية إنما هي كمدائن الروم التي افتتحتموها من قبل، وليس الأمر كما تقولون ولا كما ظننتم، إن سقلية أمتع من ذلك، وأنتم قد ندمتم على مسيركم إلينا عندما رأيتم من جمعنا وعددنا وكثرة سلاحنا، فلو أنكم أردتم أن ترجعوا إلى بلادكم لم تقدرنا على ذلك، لأنكم قد لججتم في هذا البحر حتى وصلتكم إلينا، ولسنا نحب أن تعادوا هذه العادة علينا في قتلكم وكثرتنا، لأنه لم يطمع أحد من أعدائنا في هذا منا ولم يغزنا قط أحد من قبلكم إلا ذل وخضع، وإنا لنغزو جميع أهل الأديان في ديارهم فنسيبهم ونذلهم ونأتي بهم إلى جزيرتنا هذه أسارى أدلة صاغرين، وأما ما عرضتموه علينا من اتباع دينكم فهذا ما لا يكون ولست أفارق ديني أبدا، وأما ما سألتموه من الجزية فقد يجب عليكم أن ترضوا مني بالمساكنة والمسالمة أن لا أغزو في بلادكم. فلما فرغ

صاحب سقلية من كلامه أقبل المسلم على الترجمان فقال: قل له عني: إني أراك قد بغيت في كلامك، والبغي منقصة وشؤم ومصرعة وحتم، ونحن نرجو أن يدال عليكم ببغيتكم، ونحن قوم لا نرى القتل سبة ولا الموت عارا، والقتل إلينا أحب إلينا من الخمر إليكم.

قال: فبينما المسلم يكلم صاحب سقلية بهذا الكلام ونحوه وإذا بطريق منهم قد أشرف من جدار القصر وقال: أيها العربي! قد أكثرت علينا من كلامك ولكن من يبارزني منكم؟ فقال له المسلم: يبارزك أدانا رجلا وأضعفه في نفسه، قال: فغضب الطريق من ذلك وقال: يا كلاب! وفيكم من يبارزني! ثم إنه بادر ونزل، فخرج من باب القصر وفي يده سيف له مشطب ودرقة مذهبة، وعليه قباء حرير ويلمق ديباج، قال: فبرز إليه رجل من أهل إفريقية واختلفا بضربتين، ضربه الإفريقي ضربة على أم رأسه فسقط الطريق قتيلًا، ثم وقف عليه الإفريقي فجعل يسلبه وصاحب سقلية مع بطارقه ينظرون إليه، ثم وقف الإفريقي ونادى بأعلى صوته: من يبارزني؟ قال صاحب سقلية: من هذا منكم؟ فقال له المسلم: هذا رجل من أهل إفريقية وقد كان من خدمكم، فمن الله عز وجل عليه بالاسلام فأسلم، وقد رأيت ما فعل بصاحبكم، فكيف لو برز إليه رجل من حزبنا.

قال: فنزل صاحب سقلية من قصره مغموما، وخرج المسلمون من المراكب فأغاروا على أطراف سقلية، فسبوا وغنموا، ثم أخرجوا مجانيق كانت معهم فنصبوها على حصونهم ورموهم رميا متداركا، ورزق الله عز وجل المسلمين من اعتدال حجارة مجانيقهم وقصدها لحصون الكفار وقصورهم شيئا عجيبا، قال: ورمت الروم بالعدادات فلم يكن لعداداتهم نكاية. قال: وقهرهم المسلمون حتى أحجزوهم في دورهم وقصورهم.

قال: فعندها خرج صاحب سقلية من قصره، واجتمع إليه أهل مملكته بأجمعهم فحطوا ونفخوا في البوقات، وأظهروا ما قدروا عليه من آلة السلاح، قال: وصف المسلمون صفوفهم وأظهروا سلاحهم، واقتحمت الروم على ميسرة المسلمين وكشفوهم وثبتت الميمنة والقلب، فقاتلوهم ساعة ثم رجعت ميسرة المسلمين إلى موضعها، ودامت الحرب بينهم يومهم ذلك، فقتل من الفريقين جماعة، ثم افترقوا وذلك وقت المساء، حتى إذا مضى من الليل بعضه أغار المسلمون على قراهم

و حصونهم، فسبوا سبيا كثيرا وغنموا من الغنائم ما ملأت أيديهم، ثم رجعوا  
مراكبهم.

قال: وبلغ ذلك صاحب سقلية فاعتم لذلك غما شديدا ثم أرسل إلى مقاتلته  
فدعاهم إليه وقال: ما بالكم لا تغيرون عليهم كما يغيرون عليكم؟ سوءا لكم! لقد  
خشيت أن تؤخذ سقلية منكم كما أخذت الشام من قبل، قال: فسكتت الروم ولم  
يقولوا شيئا، فقال له صاحب قيسارية: أيها الملك! إني أشير عليك أن تكتب إلى  
الملك الأكبر وتسأله المدد، فقال: لا فعلت ذلك أبدا ولو أخذت سقلية من يدي.  
قال: فلم يزل المسلمون في المحاربة حتى ملأوا أيديهم من الغنائم وقتلوا منهم بشرا  
كثيرا.

قال: وبلغ ذلك ملك الروم فجهز إلى سقلية ستمائة مركب فيها المقاتلة  
والسلاح، قال: واتصل الخبر بالمسلمين قبل أن يتصل بأهل سقلية، فرأوا من  
الرأي أن يرحلوا، فقال لهم أميرهم: ليس الرأي أن ترحلوا نهارا، فإننا لا ندري ما  
يكون من الحدثان ولكن أخرجوا هذا إلى الليل، فقالوا: ذاك أيها الأمير! قال: فلما  
كان الليل وهدأت العيون قعد المسلمون في مراكبهم وخطفوا من ساحل سقلية،  
وهبت الرياح ورفعوا الشراع وسارت المراكب على تودة بغير هول، ولا فزغ حتى  
أصبحوا على بلد بعيد من سقلية، ثم صاروا حتى صاروا إلى ساحل الشام، فخرج  
المسلمون من المراكب فأرسوها ثم أخرجوا تلك الغنائم وذلك السبي، فأخرج  
معاوية من ذلك كله الخمس ووجه به إلى عثمان، وكتب إليه يخبره بسلامة المسلمين  
وما كان من أمر سقلية، قال: فسر عثمان بذلك وقسم الخمس على أهل المدينة،  
وقسم معاوية ما بقي من بعد الخمس في المسلمين. قال: ولم يكن للمسلمين غزوة  
في البحر في زمن عثمان بن عفان بعد سقلية إلا غزوة أرواد.  
ذكر فتح جزيرة أرواد.

وذلك أن المسلمين أسروا من الروم رجلا في بعض السواحل، فقالوا: من  
أين أنت؟ فقال: من أرواد (١)، فأتوا به إلى معاوية، فجعل معاوية يسأله عن أرواد  
ويستخبره عن موضعها من البحر، فقال له الرومي: نعم أيها الأمير! إنها جزيرة

(١) أرواد: اسم جزيرة في البحر قرب قسطنطينية.

عظيمة ومن حالها وحال أهلها كذا وكذا. قال: فدعا معاوية برجل من أبطال أهل الشام يقال له جنادة بن أبي أمية، فضم إليه أربعة آلاف رجل وأمره أن يغزو أرواد (١).

قال: فخرج جنادة حتى صار إلى الساحل، ثم حمل أصحابه في المراكب وهي عشرون مركبا ومعهم ذلك الرجل الرومي يدلهم على الجزيرة حتى أنهم إذا فتحوها يردون عليه أهله وماله وولده. قال: فسارت المراكب حتى إذا قاربت الجزيرة أمرهم الدليل بأن يرسوا في البحر على وجه الماء، ففعلوا ذلك حتى إذا أظلم الليل أمرهم بالليل بالمسير، فساروا حتى وافوا الجزيرة وأهلها غافلون، فأرسي المسلمون بمراكبهم على ساحل الجزيرة، ثم خرجوا منها بالسلاح، وأصبح المسلمون في الجزيرة، ففتحوا باب حصنهم وخرجوا، وكبس المسلمون فما كانوا إلا بمنزلة غنم تذبح، فقتل من مقاتلتهم من قتل واتقى الباقون منهم في البيوت كأنهم النساء، فأقرهم جنادة بن أبي أمية في حصنهم ذلك على صلح بمال أخذه منهم والجزية جعلها عليهم، وأخذ من غنائمهم ما أخذ، وخطف حتى صار إلى ساحل الشام سالما غانما، وأتى بالغنائم إلى معاوية، فأخرج منها معاوية الخمس فوجه به إلى عثمان، وما بقي من ذلك قسمه في المسلمين.

وهذا ما كان في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه: قال: وفي تلك السنة قتل عثمان بن عفان رحمة الله عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، حسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) وكان ذلك سنة ٥٤ في خلافة معاوية الطبري ٦ / ١٦٤ ابن الأثير ٢ / ٥٠٤ معجم البلدان (أرواد) فتوح البلدان ص ٢٣٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلا بالله

قال أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي حدثني أبو الحسين علي بن محمد القرشي قال حدثني عثمان بن سليم عن مجاهد (١) عن الشعبي (٢) وأبي محصن عن أبي وائل (٣)، وعلي بن مجاهد عن أبي إسحاق، قال وحدثني نعيم بن مزاحم قال: حدثني أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي الأسلمي قال: وحدثني إسحاق بن يوسف الفزاري قال: حدثني أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب قال: حدثني لوط به يحيى بن سعيد الأزدي عن الحارث بن الحصين بن عبد الرحمن بن عبيدة والنضر بن صالح بن حسين بن زهير قال: وحدثني عمران بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الله بن يزيد عن صالح بن إبراهيم وزيد بن عبد الرحمن الواقفي وعلي بن حنظلة بن أسعد الشامي وغير هؤلاء ذكروا هذا الحديث سرا وعلانية، وقد جمعت ما سمعت من رواياتهم على اختلاف لغاتهم فألفته حديثا واحدا على نسق واحد، وكل يذكر أنه لما صار الامر إلى عثمان بن عفان

- 
- (١) هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي مترجم في الثقات ٥ / ٤١٩ التهذيب ١٠ / ٤٢ حلية الأولياء ٣ / ٢٧٩ البداية والنهاية ٩ / ٢٢٤ شذرات الذهب ١ / ١٢٥.
- (٢) هو عامر بن شراحيل الشعبي ترجم له في التهذيب ٥ / ٦٥ ثقات العجلي ص ٢٤٣.
- (٣) هو شقيق بن سلمة الأسدي، أبو وائل الكوفي أدرك النبي (ص) مات بعد الجماجم سنة ٨٢ (تهذيب ٤ / ٣٦١).
- (٤) عن تقريب التهذيب، وبالأصل: زيد.

واجتمع إليه الناس أرسل إلى عمال عمر بن الخطاب فأقرهم على أعمالهم التي هم عليها مدة يسيرة من ولايته، ثم إنه بعث إليهم فعزلهم عن الاعمال وجعل يقدم أهل بيته وبني عمه من بني أمية فولاهم الولايات، فولى عبد الله بن عامر بن كريز (١) البصرة، وولى الوليد بن عقبة بن أبي معيط الكوفة (٢)، وأثبت معاوية بن أبي سفيان على الشام، وعمرو بن العاص على فلسطين، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح على مصر (٣)، ثم فتح الفتوح ودرت عليه الأموال من سجستان وخراسان وفارس وكرمان ومصر والشام والجزيرة والعراق، ودرت عليه حلب والبلاد، وهو مع ذلك يسير بسيرة مرضية، ولا يرى المسلمون منه إلا ما يحبون.

قال: ثم كثر المال عليه، فكان كل ما اجتمع عنده شيء من ذلك يفرقه في الناس ويزيدهم في العطايا، حتى كان يأمر للرجل الواحد بمائة ألف درهم (٤).  
قال: ثم قدم عليه عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية فوصله

(١) وهو ابن خال عثمان، فأمر عثمان هي أروى بنت كريز بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس (تاريخ خليفة ص ١٥٦).

(٢) وهو أخو عثمان بن عفان لأمه أروى (الإصابة).

(٣) وهو أخو عثمان من الرضاعة وكانت أمه أشعرية. أجاره عثمان بعد أن أمر النبي (ص) بقتله يوم الفتح (الإصابة).

(٤) بهامش الأصل: (من مروح الذهب للمسعودي: ذكر عبد الله بن عتبة أن عثمان رضي الله عنه كان يوم قتل في خزانته من المال خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار وخلف إبلا وخيلا كثيرا، وفي أيام عثمان اقتنى جماعة من الصحابة الضياع والدور منهم الزبير بن العوام، بني داره بالبصرة وهي المعروفة في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة تنزلها التجار وأرباب الأموال وأصحاب الجهات من البحرين وغيرهم وابتنى أيضا دورا بالكوفة ومصر والإسكندرية وما ذكرنا من دوره وضياعه فمعلوم غير مجهول إلى هذه الغاية، وبلغ ثمن روحاته بعد وفاة الزبير خمسين ألف دينار وخلف الزبير ألف فرس وألف عبد و [ألف] أمة، وكذلك طلحة بن عبيد الله التيمي ابنتى داره بالكوفة المشهورة به في هذا الوقت بدار الطلحيتين وكانت غلته من العراق في كل يوم ألف دينار وقيل أكثر من ذلك وبناحية سراة أكثر مما ذكرنا وشيد دارا بالمدينة فبناها بالجص والأجر والساج، وكذلك عبد الرحمن بن عوف الزهري وكان على مربطه ألف فرس ومن الإبل ألف بغير وغير ذلك. وقد ذكر سعيد بن المسيب أن زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار. ومات يعلى بن منية وخلف خمسمائة ألف دينار وعقارات وغير ذلك بما قيمته ثلاثمائة ألف دينار). راجع مروج الذهب المطبوع بالمطبعة البهية المصرية ج ١ ص ٤٣٣ - ٤٣٤.

بثلاثمائة ألف درهم، ثم بعث إلى الحكم بن أبي العاص فرده إلى المدينة وهو  
طريد (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وصله بمائة ألف درهم من بيت مال  
المسلمين وجعل له

خمس إفريقية (٢)، وجعل [من بني] أمية الحارث بن الحكم على سوق المدينة  
ووصل ابنه بمال جليل.

قال: فكبر ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكرهوا ذلك من فعله، ثم  
إنهم

دخلوا على عبد الرحمن بن عوف فشكوا إليه أمر عثمان وقالوا: يا بن عوف! هذا  
من فعالك بنا ولسنا نلزم هذه الإمامة أحدا سواك، فقال عبد الرحمن: يا هؤلاء! إني  
كنت أخذت لكم بالوثيقة ولم أعلم بما يكون، والآن فالامر إليكم.

فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: فهكذا تحب أن يكون؟ فقال: يا  
أبا الحسن! إنه لم يكن عندي علم هذا والآن فخذ سيفك وخذ سيفي. قال: وبلغ  
الخبر إلى عثمان أن عبد الرحمن بن عوف قد قال كذا وكذا، فقال عثمان  
عبد الرحمن رجل منافق لا يبالي بما قال ويهون عليه أن يشيط بدمي. وبلغ ذلك  
عبد الرحمن بن عوف فغضب، قال: ما كنت أظن [أن] أعيش إلى دهر يقول لي  
عثمان [إني] منافق، ثم حلف عبد الرحمن أنه لا يكلمه أبدا ما بقي (٣).

قال: والناس تكلموا في عثمان وقالوا فيه بعض القول وبلغه ذلك، فنادى  
في الناس: الصلاة جامعة! فلما اجتمعوا صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:  
أيها الناس! اذكروا نعمة الله عليكم واشكروها يزدكم واعرفوا حقه، فإنكم أقوام  
مسلمون، وبين أظهركم كتاب الله فيه كل شيء، وقد علمتم الذي أمركم الله به من  
الطاعة لولاة الأمر منكم، فاتقوا الله ربكم، واعلموا أن حق الخلافة عظيم، فأمرها  
فوق ما تظنون، وإنما جعل الله تبارك وتعالى السلطان في الأرض ليكون حاجزا بين  
قويهم وضعيفهم يلجؤون إليه في أمورهم وسنتهم وأحكامهم، وفيكم من قد أدرك

(١) قال في الاستيعاب: اختلف في السبب الموجب لنفيه فقيل كان يتحيل ويستخفي ويستمع ما يسره  
النبي (ص) إلى كبار أصحابه في مشركي قريش وسائر الكفار. والمنافقين فكان يفشي ذلك عنه.  
وكان يحكيه في مشيئته وبعض حرركاته.

(٢) وقيل إنه أعطاه مروان بن الحكم، الذي اشتراه بخمسمائة ألف دينار فوضعها عند عثمان، قال ابن  
الأثير: وكان هذا مما أخذ عليه (الكامل ٢ / ٢٣٧).

(٣) قارن مع العقد الفريد ٤ / ٣٥٠.

النبى صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه ورأى سنته مع ما قد بين الله تبارك وتعالى لكم  
في هذا الكتاب

الناطق وأخذ عليكم الحجة ووعدكم من نفسه كل خير إن شكرتم من ثواب الله  
وحسن

ثواب الآخرة، وقد رأيتم مساكن الأعاجم وغيرهم وسلطانهم وقد كانوا والله أشد  
منكم

قوة وأكثر جمعا وأوسع بلدا وأرغد عيشا، فلما تركوا ما أمروا به وشرهت أنفسهم إلى  
ما قد علمتم من الفساد في الأرض واختاروا دنياهم على أخراهم انتزع الله تبارك  
وتعالى ما كان في أيديهم فجعله لكم وفي أيديكم لينظر كيف تعملون! وبعد فقد  
رأيتم أثر نعمة الله عليكم والذي آتاكم من الخير على عهد نبيكم محمدا صلى الله عليه  
وسلم

والخليفين من بعده، وأنا اليوم محقوق بهذا الامر وقد ولاني الله تبارك وتعالى خلافة  
من مضى من قبلي وقد تقلدت أمرا عظيما وخطرا جسيما لا يعين عليه إلا الذي قلدني  
إياه وقدره لي، والأمين مؤتمن وكل أمير مسؤول عن رعيته، وقد بلغني أن قوما منكم  
يقولون: لو أن أمير المؤمنين فرق هذا المال في المقاتلة والذرية الذين في الأمصار  
لكان ذلك أعود عليه وعلينا وأقرب له إلى الله عز وجل، وقد قبلت ذلك منكم وأنا  
باعث إلى كل مصر أن تقسم أمواله بين أهله بالسوية إن شاء الله تعالى، فإن فضل منا  
شيء صرفناه في نوائبنا التي تنزل بنا ونجعله في ضعفاء العرب ومساكينهم  
وأيتامهم وأراملهم إن شاء الله تعالى، وأنا جالس لكم في كل وقت أنظر في أموركم،  
وليس لي حجاب ولا بواب ولا باب يغلق من دونكم، والسلام.

قال: فلما سمع المسلمون ذلك الكلام من عثمان دعوا له بالبركة والصلاح  
وأثنوا عليه وانصرفوا إلى منازلهم شاكرين لما كان من كلامه. قال: وأقام عثمان بعد  
ذلك في خلافته بالسياسة الحسنة والعدل في الرعية والرحمة للضعفاء والمساكين  
والشفقة على جماعة المسلمين.

قال: فلم يزل عثمان كذلك حتى مضت له سنة من السنين كانت فيها أمور  
كثيرة من أمور عثمان كلها كانت عندهم مكروهة، فعاتبه المسلمون عليها، فلم  
يعينهم ولم ينزع عنها. قال: واجتمع نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم  
إنهم كتبوا كتابا

وذكروا فيه كل حدث أحدثه عثمان منذ يوم ولي الخلافة إلى ذلك اليوم (١)، ثم إنهم  
خوفوه في الكتاب وأعلموه [أنه -] إن لم ينزع عما هو عليه خلعه واستبدلوا به

(١) انظر فيما نغم الناس على عثمان العقد الفريد ٤ / ٣٠٥ البداية والنهاية ٧ / ١٩٠ تاريخ يعقوبي



(۳۷۲)

غيره. قال: فكتبوا هذا الكتاب ثم قالوا ننطلق به جميعا حتى نضعه في يده، فإننا إن ذهبنا نكلمه وليس معنا كتاب لم يحضرنا من الكلام ما نريد، ثم أقبلوا على عمار بن ياسر وقالوا له: يا أبا اليقظان! هل لك أن تكفيننا هذا الامر وتنطلق بالكتاب إلى عثمان؟ فقال عمار: أفعله، ثم أخذ الكتاب وانطلق إلى عثمان، فإذا عثمان وقد لبس ثيابه وخفيه في رجليه، فلما خرج من باب منزله نظر إلى عمار واقفا والكتاب في يده فقال له: حاجة يا أبا اليقظان؟ فقال عمار: مالي حاجة ولكننا اجتمعنا فكتبنا كتابا نذكر فيه أمورا من أمورك لا نرضاها لك، قال: ثم دفع إليه الكتاب فأخذه عثمان فنظر فيه حتى قرأ سطرا منه، ثم غضب ورمى به من يده، فقال له عمار: لا ترم بالكتاب وانظر فيه حسنا فإنه كتاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا والله

ناصح لك! فقال له عثمان: كذبت يا بن سمية! فقال عمار: أنا والله ناصح لك! فقال عثمان: كذبت يا بن سمية! فقال عمار: أنا والله ابن سمية وابن ياسر. قال: فأمر عثمان غلمانه، فضربوه ضربا شديدا حتى وقع لجنبه، ثم تقدم إليه عثمان فوطئ بطنه ومذاكيره، حتى غشي عليه وأصابه الفتق، فسقط لما به لا يعقل من أمر شيئا.

قال: واتصل الخبر ببني مخزوم، فأقبل هشام بن الوليد بن المغيرة في نفر من بني مخزوم فاحتملوا عمارا من موضعه ذلك وجعلوا يقولون: والله لئن مات الآن لنقتلن به شيخا عظيما من بني أمية، ثم انطلقوا بعمار إلى منزله مغشيا عليه، فلم يصل ظهرا ولا عصرا ولا مغربا ولا عشاء حتى ذهب بعض الليل، ثم أفاق بعد ذلك من غشيته فقام فقضى ما فاته من صلواته كلها (٢).

قال: فكان هذا من إحدائه الذي نقموا عليه.  
قال: فبلغ ذلك أبا ذر وكان مقيما بالشام فجعل يظهر عيب عثمان هناك ويذكر منه خصالا قبيحة (٣)، فكتب معاوية بن أبي سفيان بذلك إلى عثمان (٤): بسم الله

(١) الخبر العقد الفريد ٤ / ٣٠٧ باختصار، وأشار المسعودي في مروج الذهب ٢ / ٣٧٤ إلى ما ناله عمار.

(٢) في العقد الفريد: ثم ندم عثمان وبعث إليه طلحة والزبير يقولان له: اختر إحدى ثلاث: إما أن تعفو، وإما أن تأخذ الأرش، وإما أن تقتص. فقال: والله لا قبلت واحدة منها حتى ألقى الله.

(٣) خبر أبي ذر في الطبري ٥ / ٦٦ ابن الأثير ٢ / ٢٥١ تاريخ يعقوبي ٢ / ١٧٢ و كان عثمان قد سيره إلى

الشام إلى معاوية بعد ما بلغه أن يطعن عليه في مسجد رسول الله (ص) أمام الناس. (مروج الذهب ٢ / ٣٧٥ وتاريخ يعقوبي ٢ / ١٧١).

(٤) مروج الذهب واليعقوبي والطبري باختصار.

الرحمن الرحيم، لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن صخر، أما بعد! إني أخبرك يا أمير المؤمنين بأن أبا ذر قد أفسد عليك الشام وذلك أنه يظهر لأبي بكر وعمر بكل جميل، فإذا ذكرك أظهر عيبك وقال فيك القبيح، وإني أكره أن يكون مثله بالشام أو بمصر أو بالعراق، لأنهم قوم سراع إلى الفتن وأحب الأمور إليهم الشبهات وليسوا بأهل طاعة ولا جماعة - والسلام - .

قال: فكتب إليه عثمان: أما بعد! فقد جئني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من أمر أبي ذر جندب بن جنادة، فإذا ورد عليك كتابي هذا فابعث به إلي واحمله على أغلظ المراكب وأوعرها، وابعث معه دليلاً يسير به الليل مع النهار حتى يغلبه النوم فينسيه ذكرى وذكرك - والسلام - .

قال: فلما ورد كتاب عثمان على معاوية دعا بأبي ذر فحمله على شارف من الإبل بغير وطاء وبعث معه دليلاً (١) عنيفاً يعنف عليه حتى يقدم المدينة. قال: فقدم بأبي ذر المدينة وقد سقط لحم فخذه (٢)، وكان أبو ذر رحمه الله رجلاً آدم طويلاً ضعيفاً نحيفاً شيخاً أبيض الرأس واللحية، فلما أدخل على عثمان ونظر إليه قال: لا أنعم الله بك عينا يا جنيدب! فقال أبو ذر: أنا جندب بن جنادة وسماني النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله، فقال عثمان: أنت الذي تزعم بأننا نقول أن يد الله

مغلولة وأن الله فقير ونحن أغنياء؟ فقال أبو ذر: أو كنتم لا تقولون ذلك لأنفقتم مال الله على عباده المؤمنين؟ إني لم أقل ذلك ولكني أشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو يقول: (إذا بلغ بنو أمية العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولا، وعباد الله خولا، ودين الله دخلاً، ثم يريح الله العباد منهم) (٣)، فقال عثمان لمن بحضرته من المسلمين: أسمعتم هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ما سمعناه، فقال

عثمان: ويلك يا جندب! أتكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبو ذر لمن حضر:

أتظنون أنني كذبت ولم أصدق في هذا الحديث! فقال عثمان: ادعوا لي علي بن أبي طالب، فدعي له، فلما جلس قال عثمان لأبي ذر: أقصص عليه حديثك في بني

(١) في مروج الذهب: معه خمسة من الصقالبة يطرون به.

(٢) مروج الذهب: تسلخت بواطن أفخذه وكاد أن يتلف.

(٣) نقله ابن كثير ٦ / ٢٤٢ عن البيهقي، وهو في دلائل النبوة البيهقي ٦ / ٥٠٧ - ٥٠٨ عن أبي هريرة

ومسند

أحمد ٣ / ٨٠ وفيه: بنو أبي فلان.

(۳۷۴)

أبي العاص، قال: فأعاد الحديث أبو ذر، فقال عثمان: يا أبا الحسن! هل سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال علي رضي الله عنه: لم أسمع هذا ولكن قد صدق أبو

ذر، فقال عثمان: وبما ذا صدقته؟ فقال علي: بحديث النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (ما

أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أحدا أصدق لهجة من أبي ذر) (١)، فقال جميع من حضر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدق علي رضي الله عنه، وقال أبو ذر:

أحدثكم أني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتهموني، ما كنت أظن أني أعيش حتى

أسمع هذا منكم. فقال عثمان: كذبت، أنت رجل محب للفتنة، فقال أبو ذر: اتبع سنة صاحبيك أبي بكر وعمر حتى لا يكون لاحد عليك كلام، فقال عثمان: ما أنت وذاك لا أم لك؟ فقال أبو ذر: والله ما أعرف لي إليك ذنبا إلا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال: فاشتد غضب عثمان ثم قال: أشيروا علي في أمر هذا الشيخ الكذاب فقد فرق جماعة المسلمين! فقال علي رضي الله عنه: أما أنا فأشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون: (فإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) (٢)، فقال عثمان: التراب بفيك يا علي! فقال علي: بل بفيك يا عثمان! أتصنع هذا بأبي ذر وهو حبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب كتبه إليك معاوية من قد عرفت رفقه وظلمه؟ قال: فأمسك

عثمان عن علي، ثم أقبل علي أبي ذر فقال: اخرج عنا من بلدنا! فقال أبو ذر: ما أبغض إلي جوارك ولكن إلى أين أخرج؟ فقال عثمان: إلى حيث شئت، فقال: أرجع إلى الشام فإنها أرض الجهاد، فقال عثمان: إني إنما جئت بك من الشام لما تفسد بها علي ولا أحب أن أدرك إليها، قال أبو ذر: فأخرج إلى العراق، قال عثمان: لا، لأنهم قوم أهل شبهة وطعن على الأئمة، فقال أبو ذر: فإني حيث كنت فلا بد لي من قول الحق، فإلى أين تحب أن أخرج؟ فقال عثمان: إلى بلد هو أبغض إليك، قال: الربذة (٣)، قال: فأخرج إليها ولا تعدها.

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢ / ١٦٣، ١٧٥، ٢٢٣ وسنن ابن ماجه: المقدمة (١١) وتاريخ يعقوبي

٢ / ١٧٢ البداية والنهاية ٧ / ١٨٥.

(٢) سورة غافر: ٢٨.

(٣) الربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أيام قربية من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة.

وفي رواية الطبري ٥ / ٦٦ وابن الأثير ٢ / ٢٥١ أن أبا ذر استأذن عثمان في الخروج من المدينة فأذن له، فنزل الربذة.  
وفي مروج الذهب ٢ / ٣٧٦ واليعقوبي ٢ / ١٧٢ أن عثمان فرض عليه مغادرة المدينة إلى الربذة.

قال: ثم أمر مروان بن الحكم أن يخرج أبا ذر من المدينة على بعير بغير وطاء، وتبعه جماعة من الناس يشيعونه ويحزنون لحزنه، منهم علي بن أبي طالب والحسن والحسين رضي الله عنهم وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود وعيينة بن عباس (١). قال: وتقدم علي رضي الله عنه إلى أبي ذر فجعل يعزیه فيما قد نزل به ويأمره بالصبر والاحتساب إلى وقت الفرج. قال: وتقدم مروان بن الحكم إلى علي رضي الله عنه فقال: أليس قد أمر أمير المؤمنين أن لا يخرج أحد مع هذا الشيخ ولا يشيعه أحد من الصحابة؟ قال: فرفع علي رضي الله عنه قضيبا (٢) كان في يده فضرب به بين أذني بعير مروان، ثم قال: إليك عنا يا بن الزرقاء! أمثلك يعترض علينا في الذي نصنع.

قال: فرجع مروان إلى عثمان فأخبره بذلك، ومضى أبو ذر حتى صار إلى الربذة، ورجع علي رضي الله عنه ومن معه إلى المدينة، فأرسل إليه عثمان فدعاه، فقال: ألم أمر أن لا تشيع أبا ذر؟ فلم شيعته أنت وغيرك؟ فقال علي رضي الله عنه: ليس كل ما تأمر به أنت يجب أن نقبل وإن كان غير صواب! فقال عثمان: هذا مروان يذكر أنك ضربت بين أذني بعيره وشتمته، فأرضه من حقه! فقال علي رضي الله عنه: هذا بعيري فليضرب بين أذنيه كما ضربت بين أذني بعيره، وأما الشتيمة فوالله لئن شتمني مروان لا شتمته، لأن مروان ليس لي بكفوء فأشاتمته. ثم وثب علي رضي الله عنه من عند عثمان مغضبا حتى صار إلى منزله (٣).

قال: ولم يزل أبو ذر مقيما بالربذة يغشاه الصادر والوارد من الحاج وغيرهم فيعرضون عليه الحوائج فلا يقبل من أحد شيئا إلى أن حضرته الوفاة. ذكر وفاة أبي ذر بالربذة رضي الله عنه.

قال: فلما حضرت أبا ذر الوفاة جعلت امرأته (٤) أم ذر تبكي تحت رأسه فقال

(١) في مروج الذهب واليعقوبي: عبد الله بن جعفر، وفي مروج الذهب: عقيل أخو علي بن أبي طالب. ولم يرد ذكر المقداد فيهما.

(٢) عند المسعودي واليعقوبي: السوط.

(٣) انظر مقالة علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما في مروج الذهب ٢ / ٣٧٧ - ٣٧٨.

(٤) في تاريخ اليعقوبي ٣ / ١٧٣ ابنته. (الطبري ٥ / ٨٠).

لها أبو ذر: ما يبكيك يا أم ذر؟ قالت (١): أبكي لضيعتك ههنا في أرض غربة وأنا امرأة ضعيفة غريبة وأخاف أن أعجز عن أمرك، قال: لا تبكي يا أم ذر! فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرني أنني أموت في أرض غربة ويلى أمري ودفني قوم صالحون،

ولكن انظري يا أم ذر إذا أنا مت فاستعيني بمن يذبح لك شاة من غنمي فاطبخيها والزمي قارعة الطريق، فإذا مر بك نفر من أهل الإسلام فقول لهم: هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قضى نحبه ولحق بربه فواروه رحمكم الله! فإنهم سيلون

أمري، فإذا فرغوا من أمري فأطعميهم الشاة ثم انصرفي إلى المدينة فكوني بها إلى أن يأتيك الموت كما أتاني.

قال: ثم توفي أبو ذر رحمه الله (٢)، فجلست امرأته عند رأسه مغمومة بأمره وقد اصطنعت الشاة كما أمرها أبو ذر، فإذا هي برهط قد أقبلوا من بيت الله الحرام (٣)، منهم الأحنف بن قيس التميمي وصعصعة بن صوحان العبدي وخارجة بن الصلت التميمي وعبد الله بن مسلمة التميمي وبلال بن مالك المزني، وجرير بن عبد الله البجلي، والأسود بن يزيد بن قيس النخعي وعلقمة بن قيس بن يزيد النخعي، وتاسع القوم الأشتر واسمه مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي. قال فنظروا إلى امرأة قاعدة على قارعة الطريق فظنوا أنها متعرضة لمعروفهم، فلما دنوا منها وثبت قائمة وقالت: يا هؤلاء! هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قضى نحبه (٤) ولحق بربه وقد عجزت عن أمره وما أدري ما أصنع.

قال: فضج القوم بالبكاء والنحيب ثم قالوا: رحم الله أبا ذر وصلى على روحه! ثم نزلوا عن رواحلهم وأخذوا في غسله ثم تنافسوا في كفنه حتى جعلوه من جماعتهم، وأخرج بعضهم حنوطا فحنطه ثم كفن، وحفرت له حفيرة وصلوا عليه وأحدوه في حفرتة.

فلما سووا عليه التراب قام الأشتر على قبره فحمد الله وأثنى عليه وذكر نبيه

(١) عند يعقوبي: إني وحدي في هذا الموضع، وأخاف أن تغلبنى عليك السباع.

(٢) وذلك في سنة ٣٢ هـ. في ذي الحجة (البداية والنهاية).

(٣) في البداية والنهاية ٧ / ١٨٥ إذ قدم عبد الله بن مسعود من العراق في جماعة من أصحابه. (الطبري ٥ / ٨٠ - ٨١ وفيه: ابن مسعود وكانوا ١٤ راكبا. وعند يعقوبي: كانوا سبعة نفر فيهم حذيفة بن اليمان والأشتر وانظر الكامل لابن الأثير ٢ / ٢٦٥).

(٤) في رواية أنهم حضروا موته (البداية والنهاية).

(३११)

محمدا صلوات الله عليه، ثم قال: اللهم! هذا أبو ذر جندب بن جنادة بن سكن الغفاري صاحب رسولك محمد صلى الله عليه وسلم، اتبع ما أنزلت من آياتك، وجاهد في

سبيلك، ولم يغير ولم يبدل، ولكن رأى منكرا فأنكره بلسانه وقلبه، فحقر وحرم حتى افتقر وضيع حتى مات غريبا في أرض غربة، اللهم! فأعطه من الجنة حتى يرضى، واقصم من طرده وحرمه ونهاه من مهاجرة حرم رسولك محمد صلى الله عليه وسلم.

قال: ثم أقاموا يومهم ذلك عند قبره، فلما كان بالعشي عرضت عليهم أم ذر الطعام فأكلوا، فلما كان من غد سلموا عليها وانصرفوا إلى بلدهم. (١)  
قال: وبلغ ذلك عثمان فقال: رحم الله يا أبا ذر! فقال عمار بن ياسر: فرحم الله أبا ذر من كل قلوبنا (٢)! قال: فغضب عثمان ثم قال: يا كذا وكذا أنظن أنني ندمت على تسييره إلى ربذة؟ قال عمار: لا والله ما أرى ذلك! قال عثمان: ادفعوا في قفاه، وأنت فالحق بالمكان الذي كان فيه أبو ذر ولا تبرحه أبدا ما بقيت وأنا حي، فقال عمار: والله إن جوار السباع لاحب إلي من جوارك، ثم قام عمار فخرج من عنده.

قال: وعزم عثمان على نفي عمار، وأقبلت بنو مخزوم (٣) إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقالوا: إنه يا أبا الحسن قد علمت بأنا أحوال أبيك أبي طالب، وهذا عثمان بن عفان قد أمر بتسيير عمار بن ياسر، وقد أحببنا أن نلقاه فنكلمه في ذلك ونسأله أن يكف عنه ولا يؤذينا فيه، فقد وثب عليه مرة ففعل به ما فعل وهذه ثانية، ونخاف أن يخرج معه إلى أمر يندم ونندم نحن عليه، فقال: أفعل ذلك فلا تعجلوا، فوالله! لو لم تأتوني في هذا لكان ذلك من الحق الذي لا يسعني تركه ولا عذر لي فيه.

(١) في الطبري ٥ / ٨٠ وابن الأثير ٢ / ٢٦٥ أنهم حملوا أهله معهم حتى أقدموهم مكة.

(٢) عند اليعقوبي: أنفسنا.

(٣) قال في الاستيعاب: عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن حصين العنسي ثم المذحجي. قال الواقدي وغيره أن ياسرا والد عمار عرني قحطاني مذحجي إلا أن عمار مولى لبني مخزوم لأن أباه ياسر تزوج أمة لبني مخزوم اسمه سمية بنت خياط (وهي أمة أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم). فولدت له عمارا فأعتقه أبو حذيفة فمن هنا هو عمار مولى لبني مخزوم. ولهذا الحلف والولاء تدخل بنو مخزوم لمصلحة عمار في المرة الأولى التي تعرض فيها عمار للضرب من قبل عثمان وغلماانه، وفي هذا الموقف له من أبي ذر.

قال: ثم أقبل علي رضي الله عنه حتى دخل على عثمان فسلم وجلس فقال:  
اتق الله أيها الرجل وكف عن عمار وغير عمار من الصحابة (١)، فإنك قد سيرت  
رجلا

من صلحاء المسلمين وخيار المهاجرين الأولين حتى ملك في تسييرك إياه غريبا، ثم  
إنك الآن تريد أن تنفي نظيره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم! فقال  
عثمان: لانت أحق

بالمسير منه، فوالله ما أفسد علي عمارا وغيره سواك! فقال علي رضي الله عنه: والله  
يا عثمان! ما أنت بقادر على ذلك ولا إليه بواصل فروم ذلك إن شئت، وأما قولك:  
إنني أفسدهم عليك، فوالله ما يفسدهم عليك إلا نفسك، لأنهم يرون ما ينكروه فلا  
يسعهم إلا تغيير ما يرون.

قال: ثم وثب علي رضي الله عنه فخرج واستقبله الناس فقالوا له: ما صنعت  
يا أبا الحسن؟ فقال: صنعت إنه قال لي كذا وكذا وقلت له كذا، فقالوا له:  
أحسنت والله وأصبت يا أبا الحسن! فوالله لئن كان هذا شأن عثمان ورأيه فينا كلما  
غضب علي رجل منا نفاه إلى بلد غير بلده فلا يموت أحد منا إلا غريبا في غير أهل  
ولا عشيرة، وإلى من يوصي الرجل عند موته وبمن يستعين فيما ينويه، والله! لئن  
نموت في رحالنا خير لنا من حياة الأبد بالمكان الذي مات فيه أبو ذر رحمة الله  
تعالى.

قال: ثم أقبل علي رضي الله عنه على عمار بن ياسر فقال له: اجلس في  
بيتك ولا تبرح منه، فإن الله تبارك وتعالى مانعك من عثمان وغير عثمان، وهؤلاء  
المسلمون معك، فقالت بنو مخزوم: والله يا أبا الحسن! لئن نصرتنا وكنت معنا لا  
وصل إلينا عثمان بشيء نكرهه أبدا. وبلغ ذلك عثمان فكف عن عمار وندم على ما  
كان منه (٢).

قال: وجعل لا يدخل عليه أحد من وجوه المسلمين إلا شكا إليه علي بن أبي  
طالب رضي الله عنه، فقال له زيد بن ثابت: يا أمير المؤمنين! أفلا أمشي إليه فأخبره

(١) وكان عبد الرحمن بن عوف قد غاضب عثمان رضي الله عنه في أمور (مرت الإشارة إليها) وحلف ألا  
يكلمه أبدا. وغاضب عبد الله بن مسعود (فغضب له بنو هذيل وبنو زهرة)، وحنق على أبي ذر (وقد  
مر ذلك) وسير عبد الرحمن بن حنبل صاحب رسول الله (ص) إلى القموس من خيبر، وكان سبب  
تسييره إياه أنه بلغه كرهه مساوي ابنه وخاله وأنه هجاه (اليقوبي ٢ / ١٧٣).

(٢) تاريخ اليقوبي ٢ / ١٧٣.

بموجدتك عليه؟ فقال عثمان: بلى، إن شئت ذلك.

قال: فأقبل زيد بن ثابت ومعه المغيرة بن الأحنس بن شريق الثقفي (١) حتى دخلوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فسلموا وجلسوا، وبدأ زيد بن ثابت بالكلام فقال: أما بعد يا أبا الحسن! فإن لك سلفا صالحا في الإسلام وأنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان الذي لا يعدله أحد، فأنت للخير كله أهل ومعدن، وأمير

المؤمنين أصلحه الله عثمان بن عفان ابن عمك وولي أمر هذه الأمة، وله عليك حقان، حق القرابة وحق الولاية، وقد شكاك إلينا وذكر أنك تعترض عليه في أمره، وقد مشينا إليك نصحا لك وكراهة أن يقع بينك وبين ابن عمك أمر نكرهه وتكرهه لكم

صلحاء المسلمين، فقال علي رضي الله عنه: والله ما أريد الاعتراض عليه في أمر من الأمور إلا أن يأتي منكرا فلا يسعنا أن نقول فيه إلا بالحق، ولكن والله لأكفن عنه ما وسعني الكف. قال: فتكلم المغيرة بن الأحنس فقال: والله! لتكفن عنه شئت أو أبيت، وهو والله أقدر عليك منك عليه، وإنما بعثنا إليك لنكون له شهودا عليك وليعذر فيما بينك وبينه فيكون له عليك الحجة بعد هذا اليوم. قال: فغضب علي رضي الله عنه من كلام المغيرة ثم قال: يا بن المغيرة الأبتري والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع، يا بن العبد الأبق (٢)! أنت تكفني عنه فوالله ما أعز الله من أنت ناصره! أخرج أبعده الله نواءك وأجهد بلاءك، ثم أجهد بعدها جهدك فلا أبقى الله عليك إن أبيت.

قال: فسكت المغيرة لا يقول شيئا، وتكلم زيد بن ثابت فقال: لا والله يا أبا الحسن! ما جئناك لنكون عليك شهودا، ولكننا مشينا إليك التماسا للاجر في أن يصلح الله تبارك وتعالى بينك وبين ابن عمك وأن يجمع كلمتكم على أحسن الأحوال، قال: فدعا له علي رضي الله عنه ولقومه بخير.

ثم قام زيد بن ثابت والمغيرة بن الأحنس إلى عثمان فأخبراه بما كان من الكلام.

(١) هو المغيرة بن الأحنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى... بن ثقيف الثقفي حليف بني زهرة. ذكره أبو عمر في الصحابة. وأبوه الأحنس (اسمه أبي) سمي بالأحنس لأنه رجع ببني زهرة من بدر لما جاءهم الخبر أن أبا سفيان نجح بالبعير فقبيل خنس الأحنس ببني زهرة. أسلم وهو من المؤلفلة قلوبهم، ثم هرب، وقيل عن ابن عطية لم يثبت قط أنه أسلم (الإصابة).  
(٢) انظر الحاشية السابقة.

خبر الوليد (١) بن عقبة مع أهل الكوفة.  
قال: وإذا بنفر من أهل الكوفة قد قدموا على عثمان فسلموا عليه، فرد عليهم السلام ثم قال: تكلموا لحاجتكم، فقالوا (٢): إننا أتيناك في أمر الوليد بن عقبة، قال عثمان: وما شأن الوليد؟ فقالوا: إنك وليته علينا فأساء السيرة، ثم إننا دخلنا عليه في منزله وهو يشرب الخمر، فإن رأيت أن تعزله عنا! فقال عثمان: سبحان الله ما أظن هذا كما تقولون (٣)، فقالوا: بلى، قد كان ذلك، ولا نشهد عليه إلا بما رأينا، قال: فتقدم رجل من أهل الكوفة يكنى أبا زينب فقال: بلى يا أمير المؤمنين! أنا دخلت عليه ومعي قوم يشهدون بذلك ثم إنهم وجدوه يقيء الخمر وليس يعقل شيئا

(١) الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخو عثمان لأمه أروى بنت كرز، وياه عثمان الكوفة بعد أن عزل عنها سعد بن أبي وقاص سنة ٢٥ (انظر في سبب ذلك الكامل لابن الأثير ٢ / ٢٣١).  
بهامش الأصل: (من مروج الذهب: الوليد هذا أخو عثمان بن عفان لأمه ومن جملة ما نغموه على عثمان ما فعله الوليد في مسجد الكوفة، وذلك أنه بلغه عن رجل من اليهود من ساكني قرية من قرى الكوفة مما يلي جهة بابل يقال له زرارة أنه يعمل أنواعا من السحر والخيالات وأنواع الشعوذية (المطبوع: الشعبذة) يعرف بنظروي (المطبوع: بمطروي)، فأراه في المسجد ضربا من التخاييل وهو أن أظهر له في الليل فيلا عظيما على فرس يركض في صحن المسجد، ثم صار اليهودي ناقة يمشي على جبل، ثم أراه صورة حمار دخل من فيه وخرج من دبره، ثم ضرب عنق رجل وفرق بين جسمه ورأسه، ثم أمر بالسيف عليه فقام الرجل، وكان جماعة من أهل الكوفة حضورا منهم جندب بن كعب الأزدي فجعل يستعيد بالله من فعل الشيطان ومن عمل يبعد من الرحمن وعلم أن ذلك هو ضرب من السحر والتخييل فاخترط بسيفه وضرب به اليهودي طار رأسه ناحية وجثته ناحية، وقال: (جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا). وقيل: إن ذلك كان نهارا أو أن جندبا خرج إلى السوق ودنا من بعض الصياقلة وأخذ سيفا ودخل فضرب عنق اليهودي وقال: إن كنت صادقا في نفسك [فأحي نفسك]، فأنكر ذلك الوليد عليه وأراد أن يقتله [فمنعه الأزدي] فحبسه، وأراد قتله غيلة فنظر السجنان إلى قيامه ليله إلى الصبح، فقال له: انج بنفسك، فقال جندب: تقتل بي؟ فقال: ليس ذلك بكبير أمر من مرضاة الله والدفع عن ولي من أوليائه، فلما أصبح الوليد دعا به واستعد لقتله فلم يجده فسأل السجنان عنه فأخبره بهربه، فضرب عنق السجنان وصلبه بين الكناس). راجع مروج الذهب ١ / ٤٣٧ - ٤٣٨.

(٢) وكان وفد من أهل الكوفة عليهم أبي زينب بن عوف الأزدي وجندب بن زهير الأزدي (مروج الذهب ٢ / ٣٧٠) ومورع بن أبي مورع الأسدي (ابن الأثير ٢ / ٢٤٥) قدموا المدينة يشكون الوليد.  
(٣) في رواية ابن الأثير ٢ / ٢٤٦ أن هؤلاء الرهط قدموا المرة الأولى على عثمان فردهم خائبين، فلما رجعوا

أتاهم كل موتور فاجتمعوا معهم على رأيهم... (ثم قدموا على عثمان). قال في مروج الذهب ٢ / ٣٧١ أن عثمان زجرهما ودفع في صدورهما وقال: تنحيا، فخرجا من عنده وأتيا علي بن أبي طالب (رض) وأخبراه القصة، فأتى عثمان وهو يقول: دفعت الشهود وأبطلت الحدود.

من أمره فأخذت خاتمه من إصبعه (١) وها هو في يدي. فأرسل عثمان إلى علي رضي الله عنه فدعاه وأخبره بذلك فقال: ما الرأي عندك في هذا يا أبا الحسن؟ فقال علي رضي الله عنه: الرأي عندي أن تبعث إلى صاحبك فتخبره وتدعو بالشهود، فإذا شهدوا عليه في وجهه أقمت عليه الحد.

قال: فأرسل عثمان إلى الكوفة فجيء بالوليد بن عقبة، واجتمع الناس وتقدم أبو زينب ومن معه من أهل الكوفة فشهدوا عليه في وجهه بشرب الخمر، قال: فأمر به عثمان، فجرد عن ثيابه ثم جلد الحد (٢)، وعزله عن الكوفة وولي مكانه سعيد بن العاص، ثم كتب عثمان إلى أهل الكوفة (٣): بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى من قرىء عليه كتابي هذا من أهل الكوفة، سلام عليكم! إنني أحمد الله الذي لا إله إلا هو إليكم، أما بعد! فإن رجلا فيكم قد قدموا إلي من قبل فشكوا الوليد بن عقبة وشهدوا عليه بما شهدوا، فإن يكونوا صدقوا فقد قضينا ما كان علينا، وإن يكونوا كذبوا فالله حسيبهم، فاتقوا الله عباد الله، ووازرُوا أمراءكم وناصروهم ولا تبغوا عليهم، وإياكم والقذف والبهت وإن تحقق الأمر السيء، وقد وليت عليكم أشرف ما علمت فأحسنوا إليه فإنني قد أمرته بالاحسان إليكم - والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته -.

قال: فأقبل سعيد بن العاص (٤) حتى دخل الكوفة، ثم أقبل إلى المسجد الأعظم فدخله فصلى فيه ركعتين، ثم صعد المنبر وقد نودي له في الناس، فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أهل الكوفة! إن أحبكم إلي أقرأكم لكتاب الله، أفقهكم في دين الله، فليكن أولئك من أألفي وأأخذاني، وإن أبغضكم إلي المسرف على

(١) قارن مع رواية الطبري ٥ / ٦١ وابن الأثير ٢ / ٢٤٦ في شأن انتزاع خاتمه. أما رواية المسعودي فهي كالأصل.

(٢) جلده سعيد بن العاص (ابن الأثير) وقيل جلده علي بن أبي طالب وقيل بل جلده عبد الله بن جعفر (مروج الذهب - ابن الأثير - اليعقوبي).

(٣) نسخة الكتاب في العقد الفريد ٤ / ٣٠٧ مختصرا.

(٤) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي أبو عثمان كان له يوم مات النبي (ص) تسع سنوات، وقتل أبوه يوم بدر كافرا، ربي في حجر عمر (وقيل عثمان) ولما فتح الشام قدمه، فأقام مع معاوية. كان فيمن انتدبه عثمان لكتابة القرآن. ثم استعمله على الكوفة بعد عزل الوليد. (انظر ابن سعد ٥ / ٣٠).

نفسه، المصر على ذنبه الذي لا هم له إلا المضاحيك والأباطيل، فلا يقربني أولئك. قال: ثم نزل عن المنبر ودعا بعبد الرحمن بن خنيس الأسدي فولاه الشرطة وانصرف إلى دار العمارة. فكان أشرف أهل الكوفة وقراءهم يأتونه ويحدثونه وينصرفون عنه، وهم مع ذلك لا يرون منه إلا ما يحبون من حسن السيرة وبسط العدل ولين الجانب.

قال: فبينما هو عشية في مسجد الكوفة وذلك في آخر يوم من شهر رمضان والناس يقول بعضهم لبعض: غدا الفطر، إذ سمع سعيد بن العاص ذلك فقال لمن حوله من الناس: من منكم رأى الهلال؟ فقال قوم: ما رأيناه بعد، فقام هشام (٢) بن عتبة بن أبي وقاص وقال: بلى! قد رأيته والحمد لله، فقال سعيد بن العاص: كيف رأيته بعينك هذه العوراء من بين الناس؟ فقال له هشام (٢): أتعيرني بعيني العوراء وقد فقئت في سبيل الله يوم اليرموك في جيش المسلمين، وأنت مع أمك بتهامة في رعي البهم. قال: ثم وثب هشام (٣) من المجلس فصار إلى منزله، فلما كان من الغد لم يأمر سعيد الناس بالافطار، وأصبح هشام (٣) في داره مفطرا، فتغدى عنده خلق كثير من الناس، وبلغ ذلك سعيد بن العاص فأرسل إليه وأحضره، ثم أمر به فضرب، وأمر بداره فأحرقت.

قال: وبلغ ذلك سعد بن أبي وقاص وهو بالمدينة (٤) فغضب وأقبل إلى عثمان بن عفان ومعه وجوه المهاجرين فقال: يا أمير المؤمنين! لماذا وثب عاملك سعيد بن العاص على ابن أخي هاشم فضربه وأحرق داره بالكوفة؟ والله! لا برحت أو انتصفت منه أو لتكونن ههنا أشياء، فقال عثمان (٥): اصنع ما بدا لك يا سعد! فوالله

---

(١) ذكر الطبري ٥ / ٦٣ خطبة أخرى قال فيها: والله لقد بعثت إليكم وإني لكاره ولكني لم أجد بدا إذ أمرت

أن أأتمر ألا إن الفتنة قد أطلعت خطمها وعينيها، والله لأضربن وجهها حتى أقمعها أو تحييني وإني لرائد نفسي اليوم (انظر ابن الأثير ٢ / ٢٤٧).

(٢) في طبقات ابن سعد: هاشم) وخبره مع سعيد في الطبقات ٥ / ٣٢.

(٣) ابن سعد: هاشم.

(٤) وكان نافع بن أبي وقاص وأم الحكم بنت عتبة بن أبي وقاص قد غادرا الكوفة وقدا المدينة وأبلغا سعدا بذلك (طبقات ابن سعد ٥ / ٣٢).

(٥) سعيد لكم بهاشم اضربوه بضربه، ودار سعيد لكم بدار هاشم فأحرقوها كما حرق داره.

إنك لتعلم أنه ما لي في ذلك من ذنب. قال: فوثب عمر بن سعد بن أبي وقاص، وهو يومئذ غلام حدث، حتى أتى إلى دار سعيد بن العاص بالمدينة فأشعل فيها النار، وأرسلت عائشة إلى عمر (١) بن سعد بن أبي وقاص فطلبتة إليها وسألته أن يصفح عن ذلك، ففعل.

قال: ثم كتب عثمان إلى سعيد بن العاص يعذله على فعله بهشام (٢) بن عتبة ويقبح عليه رأيه، فسكت سعيد بن العاص ولم يرتفع بما فعل.

قال: فبينما سعيد بن العاص ذات يوم في مسجد الكوفة وقت صلاة العصر وعنده وجوه أهل الكوفة إذ تكلم حسان بن محدوج (٣) الذهلي فقال: والله إن سهلنا لخير من جبلنا، فقال عدي بن حاتم: أجل، السهل أكثر برا وخصبا وخيرا، فقال الأشر: وغير هذا أيضا، السهل أنهاره مطردة ونخله باسقات، وما من فاكهة ينبتها الجبل إلا والسهل ينبتها، والجبل خور وعر يحفي الحافر، وصخره يعمي البصر ويحبس عن السفر، وبلدنا هذه لا ترى فيها ثلجا ولا قرا شديدا.

قال: فقال عبد الرحمن بن خنيس الأسدي (٤) صاحب شرطة سعيد بن العاص: هو لعمرى كما تذكرون، ولوددت أنه كله للأمير ولكم أفضل منه، فقال له الأشر: يا هذا! يجب عليك أن تمنى للأمير أفضل منه ولا تمنى له أموالنا، فما أقدرك أن تتقرب إليه بغير هذا، فقال عبد الرحمن بن خنيس: وما يضرك من ذلك يا أشر؟ فوالله! إن شاء الأمير لكان هذا كله له، فقال له الأشر: كذبت والله يا بن خنيس! والله إن لو رام ذلك لما قدر عليه، ولو رمته أنت لفرغت دونه فزعا يذل ويخشع.

قال: فغضب سعيد بن العاص من ذلك، ثم قال: لا تغضب يا أشر! فإنما السواد (٥) كله لقريش فما نشاء منه أخذنا وما نشاء تركنا، ولو أن رجلا قدم فيه رجلا

(١) عند ابن سعد: إلى سعد بن أبي وقاص.

(٢) مرت الإشارة إليه.

(٣) بالأصل (مجروح) وما أثبتناه عن جمهرة النسب لابن الكلبي، وهو حسان بن محدوج بن بشر بن حوط بن سعة بن ربيعة بن عبودة بن مالك بن الأعور كان معه لواء بكر بن وائل يوم الجمل، فقتل.

(٤) في الطبري ٥ / ٨٨ وابن الأثير ٢ / ٢٦٣ عبد الرحمن الأسدي.

(٥) عند ابن سعد: هذا السواد بستان لأغيلة من قريش. وفي مروج الذهب ٢ / ٣٧٢ هذا السواد قطين لقريش.

لم يرجع إليه، أو قدم فيه يدا لقطعتهما، فقال له الأشتر: أنت تقول هذا أم غيرك؟ فقال سعيد بن العاص: لا بل أنا أقوله، فقال الأشتر: أتريد أن تجعل مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بأسيافنا (١) بستانا لك وقومك، والله! ما يصيبك من العراق إلا كل ما يصيب رجلا من المسلمين.

قال: ثم التفت الأشتر إلى عبد الرحمن بن خنيس فقال: وأنت يا عدو الله ممن يزين له رأيه في ظلمنا والتعدي علينا لكون ولاءك الشرطة، قال: ثم مد الأشتر يده فأخذ حمائل سيف ابن خنيس فجذبه إليه وقال: دونكم يا أهل الكوفة! هذا الفاسق فاقتلوه حتى لا يكون للمجرمين ظهير. قال: فأخذته الأيدي حتى وقع لجنبه ثم جروا برجله، فوثب سعيد بن العاص مسرعا حتى دخل إلى منزله، وقام الأشتر فخرج من المسجد وخرجوا معه أصحابه وهم يقولون: وفقك الله فيما صنعت وقلت! فوالله لئن رخصنا لهؤلاء قليلا لزعموا أن دورنا وموارثنا التي ورثناها عن آبائنا في بلادنا لهم من دوننا.

قال: فكتب سعيد بن العاص من ساعته بذلك إلى عثمان كتابا (٢) في أوله: (بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من سعيد بن العاص، أما بعد! فإني أخبر أمير المؤمنين أنني ما أملك من الكوفة شيئا مع الأشتر النخعي، ومعه قوم يزعمون أنهم القراء وهم السفهاء، فهم يردون علي أمري ويعيبون علي صالح أعمالي، وأن الأشتر كان بينه وبين صاحب شرطي كلام ومراجعة في شيء لا أصل له، فأغرى به الأشتر سفهاء أصحابه وأشرار أهل المصر حتى وثبوا عليه وأنا جالس، فضربوه حتى وقع لجنبه وهو لما به، فكتب إلي أمير المؤمنين برأيه أعمل به إن شاء الله.

فكتب إليه عثمان كتابا في أوله: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد! فقد بلغني كتابك تذكر فيه أنك لا تملك من الكوفة شيئا من الأشتر، ولعمري إنك تملك منها العريض الطويل، وقد كتبت إلى الأشتر كتابا وضمنته كتابك فادفعه إليه وانظر أصحابه هؤلاء الذين ذكرتهم فألحقهم به - والسلام -.

(١) في مروج الذهب: بظلال سيوفنا.

(٢) انظر الطبري ٥ / ٨٨ وابن الأثير ٢ / ٢٦٨. وفي مروج الذهب ٢ / ٣٧٢ أن الأشتر خرج في سبعين رجلا

من أهل الكوفة إلى عثمان وذكروا له سوء سيرة سعيد بن العاص وسألوه عزله عنهم.

قال: ثم كتب عثمان إلى الأشر: أما بعد! فقد بلغني يا أشر أنك تلقح وتريد أن تنبح، وأيم الله إنني لا أظن أنك تستر أمرا لو أنك أظهرته لحل به دمك، وما أراك منتهيا عن الفتنة أو يصيبك الله بقارعة ليس معها بقيا، فانظر إذا أتاك كتابي هذا فقرأته ورأيت أن لي عليك طاعة فسر إلى الشام فتكون بها مقيما حتى يأتيك أمري، واعلم أنني إنما أسيرك إليها لا لشيء إلا لإفسادك على الناس وذلك بأنك لا تألوهم خبالا وضلالا.

قال: فلما ورد كتاب عثمان على الأشر وقرأه عزم على الخروج عن الكوفة، وأرسل إليه سعيد بن العاص أن أخرج وأخرج من كان معك على رأيك، فأرسل إليه الأشر أنه ليس بالكوفة أحد إلا وهو يرى رأيي فيما أظن، لأنهم لا يحبون أن تجعل بلادهم بستانا لك ولقومك، وأنا خارج فيمن اتبعني فانظر فيما يكون من بعد هذا. قال: ثم خرج الأشر من الكوفة ومعه أصحابه وهم صعصعة بن صوحان العبدي وأخوه (١) وعائذ بن حملة الظهري، وجندب بن زهير الأزدي (٢) والحرث بن

عبد الله الأعور الهمداني، وأصفر بن قيس الحارثي ويزيد بن المكف، وثابت بن قيس بن منقع (٣) وكميل بن زياد ومن أشبههم من إخوانهم (٤)، حتى صاروا إلى كنيسة يقال لها كنيسة مريم، فأرسل إليهم معاوية فدعاهم، فجاءوا حتى دخلوا ثم سلموا وجلسوا فقال لهم معاوية: يا هؤلاء! اتقوا الله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) (٥)، قال: ثم سكت معاوية، قال له كميل بن زياد: يا معاوية! (فهدي الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه) (٦) فنحن أولئك الذين هداهم الله، فقال له معاوية: كلا يا كميل! إنما أولئك الذين أطاعوا الله ورسوله وولاة الامر فلم يذنبوا محاسنهم ولا أشاعوا مساوئهم، فقال كميل: يا معاوية! لولا أن عثمان بن عفان وفق منك بهذا الكلام وهذه الخديعة لما اتخذك

(١) هو زيد بن صوحان العبدي (الطبري ٥ / ٩٠).

(٢) الطبري: الغامدي. وفي البداية والنهاية ٧ / ١٨٦: العامري.

(٣) عن الطبري، وبالأصل: مقعقع.

(٤) قارن الأسماء في رواية الطبري ٥ / ٨٨ و ٥ / ٩٠ والبداية والنهاية ٧ / ١٨٦ وفيه: (وكانوا عشرة،

وقيل

تسعة وهو الأشبه) ولم يذكر سوى ثمانية.

(٥) سورة آل عمران: ١٠٥.

(٦) سورة البقرة: ٢١٣.

لنا سجننا. فقال له الأشتر: يا كميل! ابتدأنا بالمنطق وأنت أحدثنا سنا، قال: فسكت كميل وتكلم الأشتر فقال: أما بعد! فإن الله تبارك وتعالى أكرم هذه الأمة برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فجمع به كلمتها وأظهرها على الناس، فلبث بذلك ما شاء الله

أن يلبث، ثم قبضه الله عز وجل إلى رضوانه ومحل جنانه - صلى الله عليه وسلم كثيرا، ثم ولى من بعده قوم صالحون عملوا بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وجزاهم بأحسن ما أسلفوا

من الصالحات، ثم حدثت بعد ذلك أحداث فرأى المؤمنون من أهل طاعة الله أن ينكروا الظلم وأن يقولوا بالحق فإن أعاننا ولاتنا أعفاهم الله من هذه الاعمال التي لا يحبها أهل الطاعة، فنحن معهم ولا نخالف عليهم، وإن أبوا ذلك فإن الله تبارك وتعالى قد قال في كتابه وقوله الحق: (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون) (١) فلسنا يا معاوية! بكاتمي برهان الله عز وجل ولا بتاركي أمر الله لمن جهله حتى يعلم مثل الذي علمنا، وإلا فقد غششنا أئمتنا وكنا كمن نبذ الكتاب وراء ظهره، فقال له معاوية: يا أشتر! إنني أراك معلنا بخلافنا مرتضيا بالعداوة لنا، والله لأشدن وثاقل ولأطيلن حبسك. فقال له عمرو بن زرارة (٢): يا معاوية! لئن حبسته لتعلمن أن له عشيرة كثيرة عددها لا يضام، شدها شديد على من خالفها ونبزها، فقال معاوية: وأنت يا عمرو تحب أن يضرب عنقك ولا تترك حيا، اذهبوا بهم إلى السجن. قال: فذهبوا بهم إلى السجن، فقال زيد بن المكفكف (٣) فقال: يا معاوية! إن القوم بعثوا بنا إليك لم يكن بهم عجز في حبسنا في بلادنا لو أرادوا ذلك، فلا تؤذينا وأحسن مجاورتنا ما جاورناك، فما أقل ما نجاورك حتى نفارقك إن شاء الله تعالى.

قال: ثم وثب صعصعة بن صوحان فقال: يا معاوية! إن مالك بن الحارث الأشتر وعمرو بن زرارة رجلان لهما فضل في دينهم وحالة حسنة في عشيرتهم وقد حبستهم، فأمر بإخراجهم فذلك أجمل في الرأي، فقال معاوية: علي بهم، فأتي

(١) آل عمران: ١٨٧.

(٢) لم يرد ذكره فيمن أخرجوا من الكوفة، ولعله كان حاضرا لقاء معاوية معهم.

(٣) كذا، وقد مر قريبا يزيد بن المكفكف. ولم يرد اسمه فيمن ذكرهم الطبري ولا ابن الأثير ولا ابن كثير، وفي طبقات ابن سعد: يزيد بن المكفكف.

بهم من الحبس، فقال معاوية: كيف ترون عفوي عنكم يا أهل العراق بعد جهلكم واستحقاقكم الحبس؟ رحم الله أبا سفيان لقد كان حليما (١)، ولو ولد الناس (٢) كلهم

لكانوا حلما! فقال صعصعة بن صوحان: والله يا معاوية! لقد ولدهم من هو خير من أبي سفيان، فسفهاؤهم وجهالهم أكثر من حلماهم، فقال معاوية: قاتلك الله يا صعصعة! قد أعطيت لسانا حديدا، اخرجوا واتقوا الله وأحسنوا الثناء على أئمتكم فإنهم جنة لكم، فقال صعصعة: يا معاوية! إننا لا نرى لمخلوق طاعة في معصية الخالق، فقال معاوية: اخرج عني، أخرجك الله إلى النار! فلعمري أنك حدث (٣). فخرج القوم من عند معاوية وصاروا إلى منازلهم، فلم يزلوا مقيمين بالشام، وقد وكل بهم قوم يحفظونهم أن لا يبرحوا (٤).

قال: وحج عثمان في تلك السنة، فلما قدم من حجه إلى المدينة قدم عليه قوم من الكوفة فعاتبوه على تسييره الأشر وأصحابه إلى الشام، ثم شكوا عاملهم سعيد بن العاص، وجاء أقوام آخرون من البصرة فشكوا عاملهم عبد الله بن عامر بن كريز، وكثرت الشكايات إلى عثمان من عماله من جميع البلاد (٥). ذكر قدوم عمال عثمان عليه لما كثرت شكاية الناس منهم.

قال: فأرسل عثمان إلى جميع عماله (٦) فأشخصهم إليه من جميع البلاد، ثم

(١) الطبري ٥ / ٨٩ كان أكرمها وابن أكرمها إلا ما جعل الله لنبيه نبي الرحمة (ص).

(٢) الطبري: لم يلد إلا حازما.

(٣) انظر مقابلة معاوية وصعصعة بن صوحان في الطبري ٥ / ٨٩ ابن الأثير ٢ / ٢٧٠.

(٤) في الطبري ٥ / ٨٩ - ٩٠ أن معاوية كتب إلى عثمان بشأنهم فرد عليه أن يسيرهم إلى الكوفة، فلما وصلوا كتب سعيد بن العاص إلى عثمان مجددا بشأنهم فبعث إليه عثمان أن يسيرهم إلى حمص إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فسيرهم سعيد إلى حمص.

(٥) تكاتب المنحرفون عن طاعة عثمان وكان جمهورهم من أهل الكوفة (والمنفيون) وثاروا على سعيد بن العاص. (البداية والنهاية ٧ / ١٨٦) واجتمع ناس من المسلمين فتذاكروا أعمال عثمان وما صنع فاجتمع رأيهم وبعثوا إليه رجلا يكلمه ويخبره بأحداثه، وفيما اعتمد من عزل كثير من الصحابة وتولية جماعة من بني أمية من أقربائه وطلبوا منه أن يعزل عماله ويستبدل بهم غيرهم من السابقين ومن الصحابة. (الطبري ٥ / ٩٤ وابن الأثير ٢ / ٢٧٤ والبداية والنهاية ٧ / ١٨٧).

(٦) معاوية بن أبي سفيان (الشام)، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح (مصر) سعيد بن العاص (الكوفة) عمرو بن العاص (فلسطين) عبد الله بن عامر بن كريز (البصرة). وكان ذلك سنة ٣٤ هـ.

أقبل عليهم فقال: يا هؤلاء! إنه قد كثرت شكايات الناس منكم، فأما القريب فقد بادهنني وأما البعيد فما نالوا جهداً، فماذا عندكم من الرأي؟ قال: فتكلم عبد الله بن عامر بن كريز وقال (١): يا أمير المؤمنين! إنه ليس يرضي الناس عنك إلا ما أسخطهم عليك، فإن الناس إنما نقموا عليك لأجل هذا المال، فأعطهم إياه حتى يرضوا به عنك ولا يشكوك أحد بعد ذلك. قال: ثم تكلم عبد الله بن سعد بن أبي سرح فقال: يا أمير المؤمنين! إن لك على الناس حقاً في كتاب الله ولهم عليك مثل ذلك، فادفع إليهم حقوقهم واستوف منهم حقك، فإنه قد ولي أمر هذه الأمة من قبلك رجلين خيرين فاضلين أبا بكر وعمر فساراً بسيرة، فسر بسيرتهما واستسن بسنتهما واعمل بعملهما، يرضى الناس عنك ولا يشكوك أحد. قال: ثم تكلم سعيد بن العاص فقال (٢): لا والله يا أمير المؤمنين! ما دعا الناس أن نقموا عليك إلا الحمام والفراغ من الحروب، وذلك أن العرب اليوم جلست في المحافل وتحدثت بالأحاديث، فاشغل العرب بالغزو وقاتل بهم العدو حتى لا يرجع أحدهم، إذا رجع إلى منزله قد أهمته نفسه لا يتفرغ لعب الامراء. قال: ثم تكلم معاوية فقال: يا أمير المؤمنين! إنك قد جمعتنا وذكرت أنه قد كثرت الشكايات منا وأنت قد ملكتنا رقاب الناس وجعلتنا أوتادا في الأرض، فخذ كل واحد منا بما يليه من عمله حتى نكفيك ما قبله ولا يكون ههنا شكاية أحد ولا ينقم أحد عليك (٣). قال: فعلم عثمان أن الرأي ما قال معاوية، فعزم على أن يرد عماله إلى بلادهم وأعمالهم، ثم أوصاهم وعهد إليهم وحذرهم الشكايات، فرجع معاوية إلى الشام، وعبد الله بن عامر إلى البصرة، وسعيد بن العاص إلى الكوفة (٤)، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى مصر، فلم يزدادوا على الناس إلا غلظة وجنفاً وجوراً في الأحكام وعدولاً عن السنة.

(١) عبارة الطبري ٥ / ٩٤: أرى يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك وأن تجرمهم في المغازي حتى يذلوا لك فلا يكون همّة أحدهم إلا نفسه.

(٢) عبارة الطبري: أن لكل قوة قادة متى تهلك يتفرقوا ولا يجتمع لهم أمر.

(٣) زيد عند الطبري ٥ / ٩٤ - ٩٥ وابن الأثير ٢ / ٢٧٥ مقالة ع مرو بن العاص انظرها فيهما.

(٤) في الطبري: فخرج أهل الكوفة عليه بالسلاح فتلقوه فردوه. (انظر مروج الذهب ٢ / ٣٧٢ - ٣٧٣ ابن سعد ٥ / ٣٣).

ذكر كتاب أهل الكوفة إلى عثمان رضي الله عنه  
وخبر كعب بن عبيدة النهدي.

قال: فجلس نفر من أهل الكوفة منهم يزيد بن قيس الأرحبي، ومالك بن حبيب اليربوعي، وحجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وزباد بن حفيظة التميمي، وعبد الله بن الطفيل البكائي، وزباد بن النضر الحارثي، وكرام بن الحضرمي المالكي، ومعقل بن قيس الرياحي، وزيد بن حصن السنبسي، وسليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجبة الفزاري، ورجال كبير من قرى أهل الكوفة ورؤسائهم، فكتبوا إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه: (بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من الملأ المسلمين من أهل الكوفة، سلام عليك! فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد! فإننا كتبنا إليك هذا الكتاب نصيحة لك واعتذارا وشفقة على هذه الأمة من الفرقة، وقد خشينا أن تكون خلقت لها فتنة وأن لك ناصرا ظالما وناقما عليك مظلوما، فمتى نقم عليك الناقم ونصرك الظالم اختلفت الكلمتان وتباين الفريقان، وحدثت أمور متفاقمة أنت جنيتها بأحداقك، يا عثمان! فاتق الله والزم سنة الصالحين من قبلك، وانزع عن ضرب قرابتنا ونفي صلحائنا، وقسم فينا بين أشرارنا والاستبدال عنا واتخاذك بطانة من الطلقاء وابن الطلقاء دوننا، فأنت أميرنا ما أطلعت الله واتبعت ما في كتابه وأنت إليه وأحييت أهله وجانبت الشر وأهله وكنت للضعفاء ورددت من نفيت منا وكان القريب والبعيد عندك في الحق سواء، فقد قضينا ما علينا من النصيحة لك، وقد بقي ما عليك من الحق، فإن تبت من هذه الأفاعيل نكون لك على الحق أنصارا وأعوانا، وإلا فلا تلوم إلا نفسك فإننا لن نصالحك على البدعة وترك السنة، ولن نجد عند الله عذرا إن تركنا أمره لطاعتك، ولن نعصي الله فيما يرضيك، هو أعز في أنفسنا وأجل من ذلك، نشهد الله على ذلك وكفى بالله شهيدا، ونستعينه وكفى بالله ظهيرا، راجع الله بك إلى طاعته، يعصمك بتقواه من معصيته - والسلام -.

قال: فلما كتبوا الكتاب وفرغوا منه قال رجل منهم: من يبلغه عنا كتابنا؟ فوالله إن ما نرى أحدا يجترئ على ذلك، قال: فقال رجل من عنزة آدم ممشوق فقال: والله ما يبلغ هذا الكتاب إلا رجل لا يبالي أضرب أم حبس أم قتل أم نفي أم حرم، فأيكم عزم على أن يصيبه خصلة من هذه الخصال فليأخذها، فقال القوم ما ههنا أحد يحب أن يتلي بخصلة من هذه الخصال، فقال العنزي: هاتوا كتابكم

فوالله إني لا عافية [لي]، وإن ابتليت فما أنا يائس أن يرزقني ربي صبراً وأجراً، قال: فدفعوا إليه كتابهم.

وبلغ ذلك كعب بن عبيدة النهدي وكان من المتعبدین، فقال: والله لأكتبن إلى عثمان كتاباً باسمي واسم أبي (١)، بلغ ذلك من عنده ما بلغ! ثم كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من كعب بن عبيدة، أما بعد! فإني نذير لك من الفتنة، متخوف عليك فراق هذه الأمة، وذلك أنك قد نفيت خيارهم ووليت أشرارهم وقسمت فيأهم في عدوهم واستأثرت بفضلهم ومزقت كتابهم وحميت قطر السماء ونبت الأرض، وحملت بني أيبك على رقاب الناس حتى قد أوغرت صدورهم واخترت عداوتهم، ولعمري لئن فعلت ذلك فإنك تعلم أنك إذا فعلت ذلك وتكرمت فإنما تفعله من فيئنا وبلادنا، والله حسيبك يحكم بيننا وبينك، وإن أنت أبيت وعנית قتلنا وأذانا ولم تفعل فإننا نستعين الله ونستجيره من ظلمك لنا بكرة وعشياً - والسلام -.

ثم جاء كعب بن عبيدة بكتابه هذا إلى العنزي وقد ركب يريد المدينة فقال: أحب أن تدفع كتابي هذا إلى عثمان، فإن فيه نصيحة له وحثاً على الاحسان إلى الرعية والكف عن ظلمها، فقال: أفعل ذلك، قال ثم أخذ الكتاب منه ومضى إلى المدينة. ورجع كعب بن عبيدة حتى دخل المسجد الأعظم فجعل يحدث أصحابه بما كتب إلى عثمان، فقالوا: والله يا هذا لقد اجترأت وعرضت نفسك لسطوة هذا الرجل! فقال: لا عليكم فإني أرجو العافية والاجر العظيم، ولكن ألا أخبركم بمن هو أجرأ مني؟ قالوا: بلى ومن ذلك؟ فقال: الذي ذهب بالكتاب، فقالوا: بلى صدقت، إنه لكذلك وإنا لنرجو أن يكون أعظم هذا المصير أجراً عند الله غداً. ذكر قدوم العنزي على عثمان وما كان من قصته معه.

قال: وقدم العنزي على عثمان رضي الله عنه بالمدينة، فدخل وسلم عليه ثم ناوله الكتاب الأول وعنده نفر من أهل المدينة، فلما قرأه عثمان ارتد لونه وتغير

(١) لعله عبيدة بن عبد الله النهدي وهو الذي بعثه أبو بكر الصديق إلى بني نهد في حال ردتهم فأسلم منهم جماعة (الإصابة).

وجهه، ثم قال: من كتب إلي هذا الكتاب؟ فقال العنزي: كتبه إليك ناس كثير من صلحاء أهل الكوفة وقرائها وأهل الدين والفضل، فقال عثمان: كذبت! إنما كتبه السفهاء وأهل البغي والحسد، فأخبرني من هم؟ فقال العنزي: ما أنا بفاعل، فقال عثمان: إذا والله أوجع جنبك وأطيل حبسك، فقال العنزي: والله لقد جئتك وأنا أعلم أنني لا أسلم منك، فقال عثمان: جردوه! فقال العنزي: وهذا كتاب آخر فاقرأه من قبل أن تجردني، فقال عثمان: آت به، فناوله إياه، فلما قرأه قال: من كعب بن عبيدة هذا؟ قال العنزي: إيه! قد نسب لك نفسه، قال عثمان: فمن أي قبيل هو؟ قال العنزي: ما أنا مخبرك عنه إلا ما أخبرك عن نفسه، قال: فالتفت عثمان إلى كثير بن شهاب الحارثي فقال: يا كثير! هل تعرف كعب بن عبيدة قال كثير: نعم يا أمير المؤمنين! هو رجل من بني نهد، قال: فأمر عثمان بالعنزي، فجردوه من ثيابه ليضرب، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لماذا يضرب هذا الرجل؟ إنما هو رسول جاء بكتاب وأبلغك رسالة حملها، فلم يجب عليه في هذا ضرب، فقال عثمان رضي الله عنه: أفترى أن أحبسه؟ قال: لا، ولا يجب عليه الحبس.

قال: فخلى عثمان عن العنزي، وانصرف إلى الكوفة وأصحابه لا يشكون أنه قد حبس أو ضرب أو قتل، قال: فلم يشعروا به إلا وقد طلع عليهم، فما بقي في الكوفة رجل مذكور إلا أتاه ممن كان على رأيه، ثم سألوه عن حاله فأخبرهم بما قال وما قيل له، ثم أخبرهم بصنع علي رضي الله عنه، فعجب أهل الكوفة من ذلك ودعوا لعلي بخير وشكروه على ما فعله.

قال: وكتب عثمان إلى سعيد بن العاص (١) أن تسرح إلي كعب بن عبيدة مع سائق عفيف حتى يقدم علي به - والسلام. قال: فلما ورد كتاب عثمان رضي الله عنه على سعيد بن العاص ونظر فيه أرسل إلى كعب بن عبيدة فشده في وثاق ووجه به إلى عثمان مع رجل فظ غليظ، فلما صار في بعض الطريق جعل الرجل ينظر إلى صلاة كعب بن عبيدة وتسبيحه واجتهاده فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، بعثت مع رجل مثل هذا أهديه إلى القتل والعقوبة الشديدة أو الحبس الطويل، ثم أقبل بكعب بن عبيدة حتى أدخله على عثمان.

(١) كذا، وقد مر أن أهل الكوفة منعوا سعيدا من الوصول إلى الكوفة فعاد إلى المدينة من مكان يدعى الجرعة (وقيل: بواقصة). (انظر مروج الذهب ٢ / ٣٧٣ وابن الأثير ٢ / ٢٧٣).

فلما سلم عليه جعل عثمان ينظر إليه ثم قال: (تسمع بالمعيدي خير من أن تراه)! (١) أنت تعلمني الحق وقد قرأت القرآن وأنت في صلب أب مشرك، قال كعب: علي رسلك يا بن عفان، فإن كتاب الله لو كان للأول دون الآخر لم يبق للآخر شيء، ولكن القرآن للأول والآخر، فقال عثمان: والله ما أراك تدري أين ربك! قال: بلى يا عثمان! هو لي ولك بالمرصاد، فقال مروان: يا أمير المؤمنين! حلمك علي مثل هذا وأصحابه أطمع فيك الناس، فقال كعب: يا عثمان! إن هذا وأصحابه أغمروك وأغرونا بك، قال عثمان: جردوه، فجردوه و ضربه عشرين سوطا، ثم أمر به فرد إلى الكوفة، وكتب إلى سعيد بن العاص: أما بعد، فإذا قدم عليك كعب بن عبيدة هذا فوجهه به مع رجل فظ غليظ إلى جبال كذا، فليكن منفيًا عن بلده وقراره. قال: فلما قدم كعب علي سعيد بن العاص دعا به فضمه إلى رجل من أصحابه يقال له بكير بن حمران الأحمري فخرج به حتى جعله كذلك حيث أمر عثمان.

قال: وأقبل طلحة والزبير حتى دخلا علي عثمان، ثم تقدم إليه الزبير وقال: يا عثمان! ألم يكن في وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن لا تحمل آل بني معيط علي رقاب الناس إن وليت هذا الامر؟ قال عثمان: بلى، قال الزبير: فلم استعملت الوليد بن عقبة علي الكوفة؟ قال عثمان: استعملته كما استعمل عمر بن الخطاب عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، فلما عصى الله وفعل ما فعل عزلته واستعملت غيره علي عمله، قال: فلم استعملت معاوية علي الشام؟ فقال عثمان: لرأي عمر بن الخطاب فيه، قال: فلم تشتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولست بخير

منهم؟ قال عثمان: أما أنت فلست أشتمك، ومن شتمته فما كان به عجز عن شتمي، فقال مالك ولعبد الله بن مسعود هجرت قراءته وأمرت بدوس بطنه، فهو في بينه لما به وقد أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عثمان: إن الذي بلغني من ابن مسعود أكثر

مما بلغت منه، وذلك أنه قال: وددت أني وعثمان برممل عالج يحث علي وأحث عليه حتى يموت الأعجز منا، قال: فما لك ولعمار بن ياسر أمرت بدوس بطنه حتى أصابه الفتق؟ فقال: لأنه أراد أن يغري الناس بقتلي، قال: فما لك ولأبي ذر حبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، سيرته حتى مات غريبا طريدا؟ قال: لما قد علمت أنه قد أفسد علي

(١) مثل يضرب لمن خبره خير من مرآه. قصته في الميداني ١ / ٨٦ أمثال الضبي ص ٩ الفاخر لابن عاصم ص ٥٦. أول من قاله المنذر بن ماء السماء.

(۳۹۳)

الناس ورماني بكل عيب، قال: فما لك وللأشتر وأصحابه نفيتهم إلى الشام وفرقت بينهم وبين أهاليهم وأولادهم؟ فقال: لان الأشتر أغرى الناس بعاملي سعيد بن العاص وأضرم الكوفة علي نارا. فقال الزبير: يا عثمان! إن هذه الاحداث التي عددتها عليك هي أقل أحداثك، ولو شئت أن أرد عليك جميع ما تحتج به لفعلت، وأراك تقرأ صحيفتك من حيث تريد، وأخاف عليك يوما له ما بعده من الأيام. قال: وتقدم إليه طلحة بن عبيد الله فقال: يا عثمان! أهلكك بنو أمية وأطمعك فينا آل أبي معيط، وعند غب الصدر يحمد الورد أو يذم، وأنا لك كما كنت لنا، فإذا لم تكن لنا كنا عليك، ثم خرجوا من عنده (١).

قال: فدعا عثمان من ساعته بدواة وقرطاس وكتب إلى عامله بالكوفة سعيد بن العاص: أما بعد، فإني خشيت أن أكون قد اقترفت ذنبا عظيما وإثما كبيرا من كعب بن عبيدة، وإذا ورد كتابي هذا إليك فابعث إليه فليقدم عليك ثم عجل به علي - والسلام. -

قال: فلما ورد الكتاب علي سعيد بن العاص دعا ببيكر بن حمران الأحمر، وأنفذه إلى كعب بن عبيدة فأشخصه إليه، ثم وجه به إلى المدينة، فلما أدخل علي عثمان سلم، فرد عليه السلام ثم أدنى مجلسه وقال: يا أبا بني نهد! إنك كتبت إلي كتابا غليظا ولو كتبت أنت لي فيه بعض اللين وسهلت بعض التسهيل لقبلت مشورتك ونصيحتك، ولكنك أغلظت لي وتهددتني واتهمتني حتى أغضبتني فنلت منك ما نلت، وإنه وإن كان لكم علي حق فلي عليكم مثله مما لا ينبغي أن تجهلوه، قال: ثم نزع عثمان قميصه ودعا بالسوط فدفعه إليه وقال: ثم يا أبا بني نهد! اقتص مني ما ضربتك، فقال كعب بن عبيدة: أما أنا فلا أفعل ذلك فإني أدعه لله تعالى ولا أكون أول من سن الاقتصاص من الأئمة، والله لئن تصلح أحب إلي من أن تفسد، ولئن تعدل أحب إلي من أن تجور، ولئن تطيع الله أحب إلي من أن تغضبه. ثم وثب كعب بن عبيدة فخرج من عند عثمان فتلقيه قوم من أصحابه فقالوا: ما منعك أن تقتص منه وقد أمكنك من نفسه؟ فقال: سبحان الله والي أمر هذه الأمة! ولو شاء لما أفداني من نفسه، وقد وعد التوبة وأرجو أن يفعل. قال: وتقدم قوم من أهل الشام فشكوا معاوية إلى عثمان رضي الله عنه،

(١) الخبر باختلاف بين عثمان وعلي رضي الله عنهما رواه الطبري ٥ / ٩٧.

وتقدم قوم من خيار أهل الكوفة فشكوا سعيد بن العاص (١) إلى عثمان، فقال عثمان: يا هؤلاء! إلى كم تكون هذه الشكوى من هذين الرجلين! فقال له الحجاج بن غزية الأنصاري: يا هذا! إنهم لا يشكون هذين الرجلين فقط ولكنهم يشكون جميع عمالك، وقد بعثت إليهم فأشخصتهم إليك ثم بادرت فرددتهم إلى أعمالهم، فابعث إليهم ثانية ثم أحضرهم في هذا المسجد بحضرة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ثم خذ عليهم المواثيق والعهود أنهم لا يظلمون أحدا واستحلفهم على ذلك ثم ردهم إلى أعمالهم، وإلا فاستبدل بهم غيره، فإن صلحاء المسلمين كثير.

قال: وأشار عليه عامة الناس بمثل ذلك (٢) فأرسل عثمان إلى جميع عماله فأشخصهم إليه من جميع البلاد، ثم أحضرهم وأقبل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أيها الناس! هؤلاء عمالي الذين أعتمدتهم، فإن أحببتهم عزلتهم ووليت من تحبون. قال: فتكلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال: يا عثمان! إن الحق ثقيل مر وإن الباطل خفيف، وأنت رجل إذا صدقت سخطت وإذا كذبت رضيت، وقد بلغ الناس عنك أمور تركها خير لك من الإقامة عليها، فاتق الله يا عثمان وتب إليه مما يكرهه الناس منك. قال: ثم تكلم طلحة بن عبيد الله فقال: يا عثمان! إن الناس قد سفهوك وكرهوك لهذه البدع والاحداث التي أحدثتها ولم يكونوا يعهدونها فإن تستقم فهو خير لك وإن أبيت لم يكن أحد أضربك في الدنيا والآخرة منك. قال: فغضب عثمان رضي الله عنه ثم قال: ما تدعوني ولا تدعون عتبي ما أحدثت حدثا ولكنكم تفسدون علي الناس، هلم يا بن الحضرمية (٣)! ما هذه الاحداث التي أحدثت؟ فقال طلحة: إنه قد كلمك علي من قبلي فهلا سألته عن هذه الأحوال التي أحدثت فيخبرك بها، ثم قام طلحة فخرج من عند عثمان، وجعل يدبر رأيه بينه وبين نفسه أيرد عماله إلى أعمالهم أم يعزلهم ويولي غيرهم.

(١) كذا.

(٢) عند الطبري أن عثمان كتب إلى أهل الأمصار: أما بعد فأني آخذ عمالي بموافاتي في كل موسم وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يرفع علي شيء ولا على أحد من عمالي إلا أعطيته... من ادعى شيئا... فليواف الموسم... (٥ / ٩٩ ابن الأثير ٢ / ٢٧٨).

(٣) نسبة إلى أمه: الصعبة بنت الحضرمي امرأة من أهل اليمن.

خبر الأشتر وخروجه بالكوفة على عثمان.

قال: فبينما عثمان كذلك وإذا بكتاب أهل الكوفة قد ورد على الأشتر وهو بالشام: بسم الله الرحمن الرحيم، من جماعة أهل الكوفة إلى مالك بن الحارث، سلام عليك، أما بعد! فإننا نخبرك بالصحيح من الأمر أنه قد اجتمع الملا من إخوانك فتذكروا أعمال الظلمة وأحداث المبتدعة وما أتى إليك وإلى نظرائك من المسلمين، فرأوا أنهم لا يسعهم الاقرار على ذلك ولا الرضى به، وقد خرج عنا سعيد بن العاص مرة وهذه ثانية إلى صاحبه عثمان، وقد أعطينا الله تبارك وتعالى عهدنا وموآثيقنا أن لا يدخل علينا سعيد بن العاص واليا أبدا، فالعجل العجل علينا إن كنت تريد أن تدر كنا وتشهد على أمورنا - والسلام -.

قال: فلما قرأ الأشتر كتاب أهل الكوفة جعل يتمثل بهذا البيت لقيس بن الخطيم الأنصاري حيث يقول:

ولما رأيت الحرب قد جل جدها \* لبست مع البردين ثوب المحارب.

قال: ثم نادى الأشتر في أصحابه بالرحيل، فرحلوا حتى وافوا الكوفة لاثنتي عشرة ليلة من مسيرهم قبل الظهر وذلك في يوم الاثنين، فدخل الأشتر الكوفة وجاء حتى دخل المسجد الأعظم فصعد المنبر وقد اجتمع إليه الناس، فحمد لله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إن الله تبارك وتعالى بعث فيكم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بشيرا

ونذيرا، وأنزل عليه كتابا بين فيه الحلال والحرام والفرائض والسنن، ثم قبضه إليه وقد أدى ما كان عليه، ثم استخلف على الناس أبا بكر فسار بسيرته واستسن بسنته، واستخلف أبو بكر عمر فاستسن بمثل تلك السنة. وهذا عثمان بن عفان قد علمتم ما كان منه من الاحداث المكروهة والافعال القبيحة بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، والآن

حين قرأنا كتاب الله عز وجل وتفقهنا في دين الله يريد أن نبدل دين الله أو نغير سنة نبينا

محمد صلى الله عليه وسلم، كلا والله لا نفعل ذلك أبدا! ألا! ولا يصبح أحد منكم إلا بالجرعة (١)،

فإني معسكر هنالك إن شاء الله ولا قوة إلا بالله (٢).

(١) الجرعة: موضع قرب الكوفة، وهو المكان الذي فيه سهولة ورمل. وقيل: الجرعة بين النجفة والحيرة، وقيل: مكان مشرف على القادسية.

(٢) كذا ترد الرواية هنا. وثمة ملاحظات لابد من تسجيلها بعد درسنا للاحداث خلال سنتي ٣٣ و ٣٤. أ - خلال سنة ٣٣ بدأت الاحداث بالكوفة تأخذ منحى خطيرا وتزايد التملل والنقمة على سياسة واليها سعيد بن العاص، وتفاقم الامر بينه وبين زعماء أهل الكوفة، فكتب الفريقان إلى عثمان والذي

رد بدعم واليه وأمره بتسيير من يزعه إلى الشام، ثم ردوا إلى الكوفة ثم أبعدها من جديد إلى حمص. وبذلك تكاد تكون الكوفة قد خلت من أهم المعارضين للوالي.

ب - بعد تزايد الشكاوى وتوافد الوفود إلى عثمان وتواتر الكتب والرسائل إليه دعا عثمان بن عفان سنة ٣٤ عماله جميعاً أن يوافوه في الموسم (وكان ثمة اجتماع تقليدي للخليفة مع ولاته يعقد كل موسم) وبعد التشاور معهم في أمور ولاياتهم وبعد الاطلاع على وجهات نظرهم أعادهم إلى أعمالهم مع التأكيد على تنفيذ ما تم الوصول إليه خلال هذا الاجتماع.

ج - ورد في رسالة أهل الكوفة إلى الأشتر ما يشير إلى خروج سعيد بن العاص إلى عثمان مرتين. (ويعني خلال سنتي ٣٣ و ٣٤) وما يفهم من روايات الطبري وابن الأثير ومروج الذهب أنه لم يجر أي اجتماع بين عثمان وولاته سنة ٣٣، أو إن كان حصل هكذا اجتماع لم تكن الأمور مطروحة في الولايات، وخاصة في الكوفة بصورة خطيرة. ولم تشر الروايات إلى أي اجتماع خاص بين عثمان والوالي سعيد بن العاص. وكل ما وصلنا اجتماع عثمان بولاته قبل يوم الجمعة.

د - أما بالنسبة للأشتر ففي مكان وجوده أقوال: فعند الطبري وابن الأثير أنه كان قد أبعده مجدداً من الكوفة إلى حمص - بعد ما أرسله معاوية مع المسييرين من الكوفة إليها - وهذا ما يشير إليه ابن الأثير من أن يزيد بن قيس كاتب المسييرين في القُدوم عليه - وكان يريد خلع عثمان - فسار إليه الأشتر والذين عند عبد الرحمن بن خالد في حمص، فسبقهم الأشتر إلى الكوفة أما رواية المسعودي فتشير - وقد مر ذلك - إلى أن الأشتر قد خرج في سبعين راكباً من أهل الكوفة إلى عثمان يسألونه عزل سعيد عنهم، وبعد الاجتماع الشهير بين عثمان وعماله وأمره لهم بالعودة إلى أعمالهم، ومنهم سعيد بن العاص، وكان الأشتر لا يزال في المدينة أبلغه طلحة والزبير بذلك استعجل المسير إلى الكوفة ووصل قبل سعيد بن العاص إليها، وبعد وصوله صعد المنبر وقال: أما بعد فإن عاملكم الذي أنكرتم تعديته وسوء سيرته قد رد عليكم، وأمر بتجهيزكم في البعوث (وهذا من ضمن ما تم الوصول إليه بين عثمان وولاته) فبايعوني على ألا يدخلها. فبايعه عشرة آلاف من أهل الكوفة وخرج متخفياً يريد المدينة أو الكوفة، فلقي سعيداً بواقصة (وقيل بالجرعة) فأخبره الخبر، فانصرف إلى المدينة. (الطبري حوادث سنة ٣٣ و ٣٤ ابن الأثير، البداية والنهاية، طبقات ابن سعد ٥ / ٣٠ - ٣١ مروج الذهب ٢ / ٣٧٢ - ٣٧٣).

قال: فلما قضى الأشر كلامه وثب إليه قبيصة بن جابر الأسدي وقال: يا  
أشتر! دام شترك وعفى أترك، شتر الله دينك كما شتر عينك (١)، فلقد أطلت الغيبة  
وجئت بالخيبة، أتأمر بالفتنة ونكث البيعة وخلع الخليفة! والله! لئن أطعناك لتفترقن  
كلمتنا ولتسبكن دماؤنا.

-----  
(١) مالك بن الحارث النخعي المعروف بالأشتر، والأشتر لقب، وكان سببه تلقبه به أنه ضربه رجل يوم  
اليرموك على رأسه فسألت الجراحة قيحا إلى عينيه فشرتها (الإصابة).

قال: ثم أخذ كفا من حصباء المسجد فحصبه، فضرب الناس يده فقصرت الحصباء ولم تبلغ الأشر، قال: فصاح به الأشر وقال: وما أنت أيها العسير الخضوف (١) والكلام في أمر العامة، والله! ما أسلم قومك إلا كرها ولا هاجروا إلا فقرا. قال: ثم وثب الناس على قبيصة فضربوه وطردوه وأخرجوه، وقام رجل من أهل المسجد فناشدهم الله حتى كفوا عنه. قال: واحتمل قبيصة إلى منزله، ونزل الأشر عن المنبر ونادى في الناس، فاجتمعوا إليه، واستقبل فصلى بالناس، فلما انفلت عن صلاته أمر بإخراج خليفة سعيد بن العاص من القصر، فأخرجوه وهو ثابت بن قيس بن الخطيم الأنصاري (٢).

قال: ثم خرج الأشر فعسكر بالجرعة بين الكوفة والحيرة، وبعث بعائد بن حملة الظهري فعسكر في طريق البصرة في خمسمائة فارس، وبعث حمزة بن سنان الأسدي إلى عين التمر فعسكر هنالك ليكون مصلحة فيما بينه وبين أهل الشام في خمسمائة فارس، وبعث بعمر بن أبي حنة الوداعي إلى حلوان وما والاها في ألف فارس، وبعث يزيد بن حجية التيمي إلى المدائن وكوخي وما والاها في سبعمائة فارس.

(٣) [كما أرسل كعب بن مالك الأرحبي إلى مكان يدعى العذيب (٤) مع خمسمائة فارس وأمره قائلا، إن جاء سعيد بن العاص من المدينة أميرا على الكوفة فأعده ولا تسمح له بدخول الكوفة وخذ كل ما معه من مال ومتاع وضعه أمانة في منزل

الوليد بن عقبة في الكوفة، فتقدم الأشر (عند ما سمع الخبر) ومعه ثلاثمائة فارس وجاء إلى باب المنزل وأمرهم بأن ينهبوا ما في البيت. فدخل الناس وأخذوا كل ما وجدوه وأخرجوها ثم قلعوا الأبواب وأحرقوها حتى احترق كل ما بقي في البيت. وحين علم عثمان بذلك (وقد بلغه ما صنعه الأشر) ضاق صدره بذلك واعتبر أن هذا العمل كان بتحريض أو تأييد من علي رضي الله عنه وقال: لا أعلم ماذا أفعل

(١) الخضوف: يقال امرأة خضوف أي الردوم، والخيضف: الظروف من الرجال والنساء. يقال: خضف بها إذا ضرط. (اللسان).

(٢) في ابن الأثير: عمرو بن حريث.

(٣) من هنا سقطة طويلة بالأصل، استدرك من الترجمة الفارسية للكتاب ص ١٤٤ - ١٤٩ بعد تعريبها.

(٤) العذيب: ماء بين القادسية والمغيشة، يبعد عن القادسية أربعة أميال.

مع علي الذي يظهر محاسني للناس على شكل نقائص ويحرض الناس علي وعلى أعمالي. ثم استدعى سعيد بن العاص (١) وأعادته إلى الكوفة وقال له: إذا وصلت إليها، تقرب من الناس وعدهم مواعيد حسنة وقل للأشتر بأن يتخلى عن تلك الاعمال ولا يثيرن الفتنة وغالب ظني أن الناس حين يرونك سيتخلون عن الأشتر ويأتون إليك فذهب سعيد كما أمره عثمان إلى الكوفة وحين اقترب من (العذيب) تصدى له عبد الله بن كنانة بن الخطاب (٢) ومعه ثلاثمائة فارس وقالوا له: يا عدو الله، أين تذهب، عد من حيث أتيت، فو الله لن ندعك تشرب من ماء الفرات قطرة واحدة، فكيف تطمع بغير ذلك [ثم حمل كل منهما على الآخر] فأيقن سعيد أنه لا قبل له بهم فعاد.

ذكر رسالة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه إلى مالك الأشتر. حين أرسل عثمان سعيد بن العاص نحو الكوفة، كتب رسالة لأهلها وأرسلها بواسطة عبد الرحمن بن أبي بكر ومضمونها كما يلي:  
بسم الله الرحمن الرحيم.

من عبد الله عثمان بن عفان أمير المؤمنين إلى مالك بن حارث وأصحابه الذين معه. أما بعد، فاعلموا بأن الاعتراض على الخليفة والطعن عليه ذنب عظيم، والإقدام على المعصية عاقبتها وخيمة، وليس له جزاء إلا العذاب والنكال، وقد علمت بما فعلتموه مع عاملي ونائبي لديكم، فاعلموا بأن الظلم نتيجه ستكون عليكم، وبذلك قد فتحتم على أنفسكم باب سخط الله وغضبه، كما فتحتم للعامة باب الفتنة ونقضتم بذلك العهد، فأنتم أول من بدأ بالعصيان وسنتم سنة الفرقة، ذلك أن كل من يرغب من هذه الأمة بالعصيان فسيوافقكم ويقتدي بكم وسيكون وبال ذلك الامر في أعناقكم. فاتقوا الله يا عباد الله، وعودوا إلى الحق، وتوبوا عن

---

(١) وكان سعيد بن العاص لا يزال بالمدينة وقد انتهى الاجتماع بين عثمان وولاته وقد علم الأشتر بنتائجه من طلحة والزبير اللذين أعلمهما ما دار في الاجتماع عمرو بن العاص وكان حاضرا المداولات، فغادر الأشتر على الفور المدينة فيما كان سعيد يستعد لمغادرة المدينة. (مروج الذهب ٢ / ٣٧٢ - ٣٧٣).  
(٢) عند ابن سعد ٥ / ٣٣ أن يزيد بن قيس الأرحبي وعبد الله بن كنانة العبدي لقياه وقالوا له: ارحل إلى صاحبك، فقال: إيلي أنضاء أعلفها أياما ونقدم المصرفنشتري حوائجنا وتترود ثم أرتحل. فقالوا: لا والله ولا ساعة، لتترحلن أو لنضربن عنقك. فلما رأى الجد منهما ارتحل لاحقا بعثمان (انظر مروج الذهب ٢ / ٣٧٣ ابن الأثير ٢ / ٢٧٤).

أعمالكم المنكرة لعلكم تنجوا. وإذا كان لكم أي هدف أو مطلب تهدفون إليه من مشاغبتم فاكتبوا إلي، وإذا لم ترضوا عن أمير، أرسلته إليكم فإني أعزله وأبعث شخصا آخر مكانه.

ولما وصل عبد الرحمن بن أبي بكر إلى الكوفة وأبلغهم رسالة عثمان، تداعى أهل الكوفة واطلعوا على مضمون الرسالة وقالوا للأشتر: أجب عن الرسالة فكتب الأشتر الجواب على الشكل التالي:

جواب الأشتر عن رسالة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه.

بسم الله الرحمن الرحيم.

هذه رسالة من مالك بن الحارث وجماعة المسلمين إلى الخليفة المتكبر عن سنة نبيه محمد، أما بعد.

فاعلم بأن رسالتك قد وصلت وما ذكرته فيها بأن الاعتراض على الخليفة ومفارقة الجماعة والطعن في الأئمة أمر عظيم وخسارة ظاهرة، فإن هذا الكلام صحيح شرط أن يكون الخليفة عادلا، وأن يسير الأمور على سبيل الحق، أما إذا سار الخليفة على غير طريق السداد والصلاح فإن الاعتراض عليه وسيلة وقربة عظيمة إلى الله، وما ذكرته عن الوالي بأننا ظلمناه ولم نحترمه فإننا لم نظلم عاملك بل دفعناه عن ظلم نفسه وظلم عباد الله تعالى، ويجب عليك أن تنهي نفسك وعمالك عن الظلم والعدوان لكي نطيع أوامرك ونعينك في سبيل الحق، وما كتبتك حول الظلم العامل فهو ظن خاطئ سيؤدي إلى ضررك، فإنك تسمي العدل جورا وطلب الانصاف ظلما، وإننا بحمد الله على الطريق المستقيم سالكين طريق الرجال الأبرار وليس عندنا في ذلك شك. ولن نبدل موقفنا وكل من يقلدنا فهو على الصراط المستقيم وسيكون مهتديا إلى طريق السعادة ومعززا في الدنيا والآخرة، وسيكون مع الرجال الذين يعينون الظالمين، ولا يداهنون في إقامة السنن والفرائض، وأما ما أمرتنا به من التوبة والرجوع إلى الحق، فإننا إن أطعناك سنكون من الضالين وبعيدين عن التقوى. وأما ما ذكرته بأن نكتب إليك بمطالبنا وأنت ستعين الأمير الذي نرضى نحن به فإن أول مطلب لنا هو أن تستغفر الله وأن تتوب إليه من ذنبك بسبب التعديت والمظالم التي وقعت علينا وعلى عيالنا وأولادنا وعن تسليطك العمال الظالمين والفاستقين على رقاب المسلمين. فإن أصلحت نفسك وصححت موقفك حسب أوامر الله سبحانه وتعالى

ورسوله فنحن من المطيعين لك و ننفذ أوامرك وإلا سنبقى على عصياننا ومعارضتنا  
وسنصر على ذلك إلى أن يحكم الله بيننا وبينك. وإن قبلت نصائحنا وتبت عن  
الاعمال الغير مقبول فسنرسل إليك رجالا من طرفنا فأعنههم حتى إذا رجعوا إلينا  
وأخبرونا عن حالك وإنابتك كما فصلنا لك ذلك فأرسل إلينا عبد الله بن قيس لكي  
يسير بالعدل بين الناس ويقيم شرائع الاسلام، وانصب حذيفة بن اليمان من أجل  
تحصيل أموال الخراج وحقوق بيت المال لكي يحصلوا الأموال المتوجبة حسب  
الأصول من الناس، وأما سعيد بن العاص ووليد بن عقبة وأمثالهما من أقاربك وأهل  
بيتك الذين يظلمون الناس ويرون ذلك جائزا ويتغون أهواء أنفسهم، فاحتفظ بهم  
لديك، فإن وافقت على هذا فنحن مطيعون لامرك وإلا فاتق الله ودع هذه الولاية  
بدون بدع واحفظ كرامتها واتركها على جادة الاستقامة ومنهاج التقوى وكن على  
يقين

بأن كل ما تقوم به من خير أو شر ستجازى عليه يوم القيامة (ليجزى الذين أسأؤوا بما  
عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) والسلام (١).

ثم بعد ما فرغ الأشتر من كتابة الرسالة استدعى رجالا يثق بهم ودفع إليهم  
الرسالة وقال: اذهبوا إلى المدينة وأوصلوها إلى عثمان.

وحين وصل هؤلاء إلى المدينة ذهبوا إلى مقر أمير المؤمنين فسلم بعضهم على  
عثمان بالخلافة وبعضهم لم يفعل. فسئلوا لم لم تسلموا على أمير المؤمنين فقال  
الكميل بن زياد: بسبب الاعمال الخطأ التي عملها، فإن عاد عنها وتاب منها وسلك  
نهج الصواب فهو أميرنا، وإلا فليس بأمر لنا فسألوه: ما هي مطالبكم وما هي  
أهدافكم، فقالوا: أولا، أن لا نخرج من أوطاننا المألوفة ولا نفارق عيالنا وأولادنا  
وأن توصل إلينا رواتبنا، وأن لا يرسل إلينا شبابا أغرارا من أقاربه يتأمرون علينا وقد  
اتبعوا أهواءهم وشهواتهم وأن لا يقدم الأشرار على الأخيار، فقال أمير المؤمنين

(١) في مروج الذهب ٢ / ٣٧٣ أن الأشتر كتب إلى عثمان، وذلك بعدما صرف سعيد بن العاص: إنا  
والله ما منعنا عاملك الدخول لنفسد عليك عملك، ولكن لسوء سيرته فينا وشدة عذابه، فابعث إلى  
عملك من أحببت.

فكتب إليهم: انظروا من كان عاملكم أيام عمر بن الخطاب فولوه. فنظروا فإذا هو أبو موسى  
الأشعري، فولوه.

وفي رواية الطبري ٥ / ٩٤ أن سعيد بن العاص بعدما وصل إلى عثمان وأخبره خبره، قال: ما يريدون  
أخلعوا يدا من طاعة؟ قال: أظهروا أنهم يريدون البدل، قال: فمن يريدون؟ قال: أبو موسى.

عثمان رضي الله عنه: أي أشرار قدمتهم على أختياركم! فتقدم رجل من قراء الكوفة يدعى زيد بن حسين الطائي وقال: لقد كان رجل صالح رأى منكرا فأنكره بلسانه من أجل إعلاء كلمة الحق وإطفاء نائرة الظلم وقبل أن يتحرك من مكانه ضربوه حتى عض الأرض بأسنانه، وإنني أتكلم بهذا الكلام فإن كنت تريد أن تأمر بضربي فاعلم بأني قد توقعت ذلك فأناشدك الله أن تعود يا عثمان وأن تتخلى عن الاعمال التي ينكرونها عليك وإلا فإن المؤمنين من قريش سيخرجون عن طاعتك ويخلعونك. فقال عثمان: إنني تبت وتركت كل شيء تكرهونه وأعاهدكم بأن أعمل بكتاب الله وسنة رسوله فقالوا: إن تفعل هكذا فنحن مطيعون لامرك ونقبل بحكمك ثم أمر عثمان بأن ينزلوهم في خير منزل ويكرمهم، ثم كتب جوابا لأهل الكوفة على هذا النحو. رسالة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه لأهل الكوفة.

أما بعد، فاعلموا يا أهل الكوفة بأن رسالتكم قد وصلت وقرئت وقد تعجبت فيما كتبتموه كما عجبت لجرأتكم علي، وعيبكم إياي بما لم أفعله ولم أمر به، وتأملت في من يكون صاحب هذه الجرأة فلم أر سوى نزغات الشيطان، وليس سوى إبليس يستطيع أن يملي مثل هذه الرسالة فضقت بمبلغ جهالتكم، وعلمت بأنكم مغدورين ومفتونين ومع كل ذلك تظنون أنفسكم على طريق الهداية وعلى الصراط المستقيم، وقد كتبتكم أن أرسل إليكم أبا موسى الأشعري ليقوم بشؤونكم ويصلي بكم وأن أرسل إليكم حذيفة بن اليمان ليقبض الخراج، وإن كان هذا يعد تحكما منكم وقد أجبتمكم يا أهل الكوفة إلى ذلك، فاتقوا الله الذي إليه ترجعون ولا تلقوا بأنفسكم إلى الفتنة، ولا تفارقوا الجماعة ولا تقبلوا كلاما لم أقله ولا تنسبوا إلي عملا لم أفعله وإنني لن أطيع هواكم وأخالف ما أرى أنه الحق وأطلب لي ولكم الهداية من الله وإنني مواظب على طاعة الله جل ذكره حتى يرضى عنا ولا حول ولا قوة إلا بالله (١). ثم أرسل إليهم أبا موسى الأشعري إلى الكوفة وحذيفة بن اليمان إلى سوادها. ثم عاد الأشتر بعد أن قضى أربعين يوما بين الجيش الذي اجتمع لديه. وكان يتردد عليه أبو موسى الأشعري وقد قام كل من أبو موسى وحذيفة بأداء واجبه على طريق العدل وكانوا يحسنون معاملة الناس. وبعد أن سير أمير المؤمنين أبا موسى وحذيفة إلى الكوفة صعد المنبر وخطب

(١) نسخة أخرى لكتاب عثمان لأهل الكوفة الطبري ٥ / ٩٤ وابن الأثير ٢ / ٢٧٤.

في الناس فأثنى على الله تعالى ثم سلم على رسوله وقال:  
أيها الناس: اتقوا الله وأطيعوا أولي الامر وإياكم ومفارقة الجماعة واحفظوا  
بيعتكم واعلموا بأن الأمور منوطة بتقدير الله تعالى، وأنه لا راد لقضاء الله، ولا مانع  
لحكمه وأنكم كلما بذلتم لنا الطاعة فإنكم تزدادون منا قربا، وكلنا أمل بالله أن يعمنا  
بفضله ولطفه وأوكلنا أمورنا إليه واتكلنا على عونه وحفظه ثم رفع يديه ودعا:  
اللهم لا تكلني إلى نفسي فأعجز عن أمري، ولا إلى أحد من خلقك  
فيخذلني، بل أنت يا رب فتول أمر دنياي التي أعيش فيها وأخرتي التي أنا صائر  
إليها، وإنك على كل شيء قدير وذلك على الله يسير.  
ذكر وصول بعض المصريين إلى المدينة وشكايتهم ضد عاملهم.  
ولما توجه أبو موسى الأشعري وحذيفة بن اليمان إلى الكوفة كان أول ما فعلوه  
أن التقوا بالأشتر (١). وكان موسم الحج قد اقترب فنأدى عثمان عبد الله بن العباس  
وأمره بأن يذهب إلى الحج ليقوم للناس مناسكهم ويرعى مصالحهم فذهب ابن عباس  
وأقام مناسك الحج ثم عاد إلى المدينة (٢).  
وفي ذلك الوقت وصلت من مصر جماعة من الوجهاء يشتكون عاملهم (٣)  
ودخلوا إلى المسجد النبوي فرأوا عدة من المهاجرين والأنصار فسلموا عليهم فردوا  
عليهم السلام وسألوهم عن الامر الذي دعاهم للحضور فقالوا: لقد جئنا استنكارا

(١) في الطبري أن أبا موسى وصل إلى الكوفة وصعد المنبر وخطبهم قال: (أيها الناس لا تنفروا في هذا  
ولا تعودوا لمثله. الزموا جماعتكم والطاعة وإياكم والعجلة فكأنكم بأمير). ثم جدد البيعة لعثمان في  
رقاب الناس. (الطبري ٥ / ٩٤ ابن سعد ٥ / ٣٣).  
(٢) كذا بالأصل. وفي مروج الذهب ٤ / ٤٤٨ أن عثمان حج بالناس من ٢٥ إلى ٣٤ - عثمان بن عفان -

ولم يحج عبد الله بن عباس إلا سنة ٣٥ بأمر عثمان وهو محصور.  
سياق الاحداث والتطورات كانت بين سنتي ٣٣ إلى ٣٤. وقد حج بالناس هذه السنة عثمان بن عفان  
رضي الله عنه.  
(٣) قال ابن كثير أن سبب ذلك أن الخوارج من المصريين كانوا محصورين من عمرو بن العاص مقهورين  
معه لا يستطيعون أن يتكلموا فما زالوا حتى شكوه إلى عثمان فعزله وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح  
وما زالوا يسعون بعمرو حتى انتقل إلى المدينة، وكان في نفسه من عثمان أمر عظيم وجعل يؤلب الناس  
على عثمان، وكان بمصر جماعة ييغضون عثمان ويتكلمون فيه... ونشأ بمصر طائفة من أبناء  
الصحابة يؤلبون الناس على حربه والانكار عليه. (البداية والنهاية ٧ / ١٩٠).

لبعض الاعمال التي صدرت عن عاملنا. فقال لهم علي بن أبي طالب: لا تتعجلوا في أمركم وأخبروا الامام ما تريدون مشافهة وقلوا إن العامل كان يفعل ما يشاء. بحسب رأيه وليس حسب أوامر الخليفة وأخبروه بكل الأمور التي تنكرونها عليه. ثم هو يعاتبه ويستدعيه فيحصل مطلوبكم أما إذا لم ينكر عليه وتركه في مكانه، حينئذ تأملوا في وجه المصلحة وما يجب أن تفعلوه. فدعا له المصريون وقالوا: نأمل أن تتلطف بنا وتكلف نفسك بالمجيء معنا إلى عثمان. فقال علي: لا حاجة لكم بحضوري ففيكم الكفاية. فقالوا: صحيح، ولكننا نرغب في حضورك لتشهد علينا فقال علي: هناك شاهد أقوى مني سيكون. (وكل ما يجري سيراه ويسمعه فقالوا من ذاك الذي ستكون شهادته أعظم من شهادتك وحضوره أعظم من حضورك وأنت أخ للرسول صلى الله عليه وسلم فقال علي: الله جل جلاله). إنه أعظم من جميع المخلوقات وأرحم

بعباده من أنفسهم (فاتركوني وشأني واذهبوا إلى أمير المؤمنين واشرحوا حالكم، وما تنقمونه على العامل فقولوا لعله يحصل مقصودكم وتكونون راضين).

حينئذ توجه المصريون إلى منزل عثمان وطلبوا الاذن عليه فلما أذن لهم دخلوا وسلموا عليه فأكرم أمير المؤمنين مثوهم وقربهم إليه ثم قال لهم: ما الذي جاء بكم، هل أنتم ناقدون على أحد حتى مللتم ثم جئتم بلا أمر مني أو من عاملكم (فاذكروا مطالبكم، فقال المصريون): لقد جئنا بسبب الاعمال غير المرضية التي ظهرت من عاملكم وجئنا لانكارها كي تستدعيه وتسأله عنها. أيها الخليفة، إن نعمة الله عليك كثيرة فأد شكر النعمة واتق الله فقال: أية أفعال غير مقبولة صدرت عني، بينوها لي فقال المصريون: بما أنك تطلب منا الحق فسنقول لك. أول ما ننقمه عليك أنك قربت الحكم بن أبي العاص الذي نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف.

ثانيا: إحراقك لاجزاء المصحف، وثالثا، احتجازك لماء المطر الذي هو رزق من الله لعباده وإعطائه لأقاربك ومنعت الناس عنه، وأخيرا نفيك لجماعة من صحابة الرسول بغير حق من البلد وفصلهم عن أهله وعشيرتهم بينما يقول الله تعالى في كتابه: (وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون) (١).

وأیضا كونك تطيع الناس ظاهرا ثم تستبد برأيك بينما حكم الشرع في حق من يعصى الله بأن لا يطاع فإن أنت أطعت الله تعالى واتبعت أوامره فنحن نطيعك ونتبع

(ξ · ξ)

أوأمرك ونعظم حرمتك كما هو والحال بين الولد وأبيه وأمه وأما إذا رفضت الافعال  
الحسنة وتابعت سيرك على هذا النحو فلن نطيعك ولن ننفذ أوامرك وستكون العاقبة  
هلاكنا وهلاكك فاتق الله واعتقد بأنك عبد وستحاسب على النكير (١) والقطمير (٢)  
والله

سبحانه وتعالى مطلع على أحوال عباده وإليه سيرجعون جميعا. وبمقدار سلطة  
الانسان ومسؤوليته سيكون سؤاله بينما سيكون حساب الضعفاء أقل صعوبة. لقد قلنا  
لك ما علمناه وأخرجنا ذلك ذلك من أعناقنا وبعد ذلك الامر هو لك.  
وبعد ما سمع عثمان كلام المصريين تغير لونه وأطرق ساعة يفكر. ثم بعد ذلك  
رفع رأسه وخاطبهم.

يا قوم لقد بالغتم وتكلمتم بكلام كثير لا أدري كيف أبدأ الجواب، أما  
بخصوص الحكم بن أبي العاص الذي كان قد قدم بأعمال غير مناسبة ونسبت إليه  
بحق الرسول صلى الله عليه وسلم وقد تأذى منه النبي وأخرجه من المدينة.  
(وبعد ذلك تقدمت أنا من النبي عليه السلام وشفعت به إلى الرسول لكي  
يعيده فأجابني الرسول إلى ذلك ثم بسبب انتقال الرسول عليه السلام إلى جوار ربه  
ومرور عدة سنوات على ذلك. وبعد ما وصلت إلي الخلافة وبسبب أملي في أن النبي  
عليه السلام كان ينوي إعادته وبسبب القرابة بيننا أرسلت إليه وأحضرتة إلى المدينة  
وكان في المدينة مسالما لم يتأذى منه أحد. وإذا اشتكى منه أحد فإنني حريص على  
رضاكم وسنرسل من يحقق في أعماله وأعمال وكلائه ثم نقيم عليهم الحجة حتى  
يسلكوا طريق العدل والصدق ويحترزوا من طريق الشر. فقال المصريون: ليس هذا  
كافيا بل يجب أن تستدعي العمال والنواب إليك ثم ترسل أشخاصا يحققون في  
أحوالهم ومعاملاتهم (٣) فإذا ما أخبروك بمثل ما أخبرناك فإنك بعد ذلك تواجههم  
بأعمالهم وتقررهم بها فأجابهم أمير المؤمنين: هكذا سأفعل وعلى الرأس والعين ثم  
كتب رسالتين: واحدة إلى أهل الكوفة وأخرى لأهل مصر على هذا النحو:

(١) النكير: النكتة في النواة منها تنبت النخلة. وقيل: النكير: ما نقب من الخشب والحجر ونحوهما.  
وقيل: النكير: أصل النخلة ينقر فينبذ فيه. (اللسان).

(٢) قطمير: شق النواة. وفي الصحاح: القطمير: الفوقة التي في النواة، وهي القشرة الدقيقة التي على  
النواة، بين النواة والتمر.

(٣) في الطبري أن عثمان دعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة وأرسل  
عمار بن ياسر إلى مصر ليقفوا على أخبار الأمصار (ج ٥ / ٩٩).

بسم الله الرحمن الرحيم.

هذا كتاب من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى جملة عماله ونوابه، أما بعد، فاعلموا أن الناس يتكلمون في حقي بكلام ينسبونني منه إلى الظلم وإنني لا أرضى أبدا بالظلم ولا أقبل بأن يقوم عمالي ونوابهم بأي عمل أو حكم لا يوافقوا أحكام الله ثم أقسم عليكم بأن كل من يرى لي عليه حقا ويرى لزوم طاعتي بمجرد اطلاعه على مضمون هذه الرسالة أن يتجه إلي في الحال وليحضر إلى المدينة لأتحقق من أحوالكم فإن صدر عنكم أي جور أو ظلم أصلحته ثم أولي رجلا أمينا عادلا مكانه وسأحافظ على حقوق الرعية كما يجب إن شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فلما وصلت هذه الرسالة إلى أهل الكوفة والبصرة ومصر وعلم الناس بمحتواها، كان الأشتر النخعي أول من وصل إلى المدينة ومعه مئة نفر (١) من أهل الكوفة ثم تلاه حكيم بن جبلة من البصرة ومعه مئتان وخمسون رجلا (٢) وبعده أبو عمرو يزيد (٣) بن ورقا الخزاعي وعلقمة بن عديس البلوي (٤) وكنانة بن بشر التجيبي (٥)، وسودان بن حمران المرادي مع أربعمئة (٦) رجل من أهل مصر وقد اجتمعوا في المدينة وقد اتصل بهؤلاء بعض المهاجرين والأنصار الذين كانت لهم بعض المآخذ على عثمان، وتشاوروا حول عثمان فقرر رأي الجميع على عزله من الخلافة وإلا فإنهم يقتلونه. (على هذا القرار اتفقوا) ثم واجهوا عثمان بقرارهم فندم عثمان على دعوتهم وفرغ منهم، ثم دخل منزله وأغلق بابه وصعد إليهم وكلمهم من السطح قائلا:

أيها الناس ماذا تريدون مني وأي عمل من أعمالي لا توافقون عليه حتى أبدله، وما هو هدفكم حتى أحققه لكم، وأحصل على رضاكم، فأجابوا: لقد حجزت عنا

- 
- (١) في الطبري ٥ / ١٠٤ وابن الأثير ٢ / ٢٨٠ في عداد أهل مصر (بين الخمسمائة والألف) وفيهم زيد بن صوحان العبدي والأشتر النخعي وزيد بن النضر الحارثي وعبد الله بن الأصم العامري وعليهم جميعا عمرو بن الأصم. وفي مروج الذهب ٢ / ٣٨٠ في مائتي رجل.
- (٢) في الطبري وابن الأثير: كعداد أهل مصر. وفي مروج الذهب: في مئة رجل.
- (٣) في البداية والنهاية ٧ / ١٩١ عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي.
- (٤) الطبري وابن الأثير: عبد الرحمن بن عديس البلوي.
- (٥) في الطبري وابن الأثير: الليثي. وفي ابن سعد: الكندي.
- (٦) في مروج الذهب والطبري: ستمائة.

ماء المطر ومنعت مواشينا من ورود ذلك الماء. فقال عثمان: لقد حجزت الماء من أجل إبل الصدقة والآن إذا كان هذا لا يرضيكم فهو لكم فافعلوا به ما تشاؤون فقالوا: لقد حجزت ذلك الماء أكثر مما حجزه عمر رضي الله عنه فقال: لقد كثرت إبل الصدقة في هذه الأيام فلذلك اشتدت الحاجة إلى الماء ولهذا كنت قد حجزت الماء. ثم قالوا: لقد مزقت المصاحف وأحرقتها. فقال عثمان: لقد كثرت القراءات وحشيت أن يختلف الناس وقد جاء إلي حذيفة بن اليمان وقال لي: إن الناس قد اختلفوا في وجوه القرآن. فيقول أحدهم: قراءتي أفضل ويأتي آخر فيقول: قرائتي أفصح. فأردت أن أزيل أسباب الخلاف وأجمع الناس على قراءة واحدة (١)، ولم أقصد بهذا العمل إلا خير المسلمين، ولو أنني تركتهم على حالهم ربما ألحقوا بالقرآن أشياء ليست من القرآن. وعند ذلك يبدأ الخلاف حول القرآن والقراءة بين الأمة. فقالوا: هذا أمر مضى (إننا نعذر في هذا الأمر) فلما ذا لم تشهد غزوة بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال عثمان: لقد كنت في ذلك الوقت صهرا للنبي

محمد عليه الصلاة والسلام وكانت زوجتي مريضة جدا. فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: إني

قلق عليها فأنت معنى من حضور هذه الغزوة وكن إلى جانبها وعالجها حتى تبلى من مرضها، ولما عاد النبي عليه السلام أعطاني حصتي من غنائم بدر كما لو كنت حاضرا وهذا الأمر معروف لديكم. ثم قالوا: لم لم تحضر بيعة الرضوان فقال: إنكم تعلمون إلى أين أرسلني النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت (٢) وحين البيعة وضع

عليه السلام يده اليمنى على يده اليسرى وقال: هذه يدي عن عثمان. ثم قالوا: ماذا تقول في هروبك من معركة أحد وقد تركت النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ذنب كبير فقال:

لقد عفا الله عني في هذه المسألة. ثم قالوا: وماذا تقول حول ضربك بعض الرجال الصالحين وإخراجهم من البلد، وحول تعيينك بعض الشباب الاغرار فتصرفوا في

(١) أمر عثمان زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان: إذا اختلفتم فاكتبوها بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم. وبعد ما نسخوا الصحف أرسل إلى كل مصر بمصحف وأمر بحرق ما سوى ذلك. قال السيوطي في الاتقان أنه أرسل إلى الآفاق خمسة. وقال ابن أبي داود من طريق سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: كتب سبعة مصاحف فأرسل إلى مكة والشام وإلى اليمن وإلى البحرين وإلى البصرة وإلى الكوفة وحبس بالمدينة واحدا.

(وانظر ابن القيم الجوزية: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص ١٨ - ١٩).

(٢) كان رسول الله (ص) بعثه إلى مكة، فأشيع أنهم قتلوه (الإصابة).



(ξ·γ)

دمائنا وأموالنا بغير حق، ثم إنك منعت العطاء عن الذين نفيتهم حتى ماتوا في بلاد  
الغربة بعيدين عن أولادهم وأعزائهم، ولم يجدوا كفنا عند موتهم، وإن هم وجدوا  
فكان من باب الصدقة عليهم؟

فقال عثمان: إن الذين أخرجتهم من أوطانهم وأرسلتهم إلى نواح أخرى  
بسبب مصلحة رأيها، فقد كان ذلك الشخص يسيء لي القول باستمرار، ويحرض  
الناس علي، فرأيت أن يقيم في مكان آخر. ولو تركتهم في أماكنهم فإنهم سيثيرون  
علي الناس وينشرون الفرقة بين المسلمين، فإن كان هذا ذنبا فليست بأول وال يدفع  
الإساءة عن نفسه بمثل هذا الذي تعتبرونه ذنبا علي. ولئن مات واحد من هؤلاء في  
الغربة فإن الله يحكم بيننا وإن رأيتم شخصا في حال الاغتراب وتروني مذنبا بإبعاده  
فابعثوا إليه وليحضر. وإن كنت قد ضربت أحدا ظلما فخذوا مني القصاص.

فقالوا: إن عمار بن ياسر هو أول شخص سيقبض منك.  
فقال أمير المؤمنين: إن سبب ضرب عمار هو أنه تعجل وعبس في وجهي  
ونعتني بالظلم ولم يحفظ حرمتي. والآن الامر سهل. قولوا له: ليأت وليقتص  
مني (١).

أما قولكم عن عمالي فإن ترون أحدا منهم يعامل الرعية بصورة سيئة فاعزلوه،  
وأما من وجدتموه مستقيما وعادلا فأقروه في عمله إن شئتم. ثم قالوا: ما قولك في  
الأموال التي هي أموال عامة وقد وزعتها بين أقاربك وأهل بيتك؟  
فقال: إن أمير المؤمنين عمر كان يتصرف هكذا: فقد كان يرجح في العطاء  
أهل الفضل والسابقة. فقالوا: يا عدو الله. إن أعطيات عمر لا تبلغ واحدا من مائة  
مما أعطيت (ومعنى هذا الكلام أن أسرفت جدا).

فقال لهم: حاسبوني ثم انظروا ما وهبته كم يبلغ وإني أتعهد أن أؤديه من مالي  
فإن بقي منه شيء أتعهد بسداده.

أيها المسلمون: لماذا تريدون قتلي؟ تجاوزوا عن هذا فقد سمعت النبي صلى الله عليه  
وسلم يقول:

(١) مر أن عثمان عرض على عمار ثلاث خصال: إما العفو، وإما الدية وإما الاقتصاص منه. فرفض عمار  
القبول بأي منها.

(لا يحل دم امرئ مسلم إلا في إحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه فيقتل. أو رجل زنى بعد إحصانه فيرجم، أو رجل قتل نفسا بغير نفس) (١).  
وإني أقسم بالله بأنني منذ هداني الله تعالى لم أغير ديني. ولم أقتل أحدا أبدا ولم أزن في جاهلية أو في إسلام. ولقد استحييت بعد أن وضعت يدي في يد النبي صلى الله عليه وسلم أن أضع يدي مرة أخرى على عورتني. فتأثر الناس بكلامه وخجلوا مما كانوا يظنون به وتفرقوا.  
ثم أرسل عثمان بعضا من خواصه إلى عمار بن ياسر وطلب منه المصالحة أو يقتص منه فأبى عمار وتكلم بكلام خشن وصاح في وجوه الموفدين من طرف عثمان: لن يخدعني عثمان، وقد فعل ما فعله بي من الضرب والإهانة.  
ثم أرسل عثمان شخصا إلى عبد الله بن عمر فلما حضر عنده قال له: فكر معي فيما وصلت إليه. فقال: يا عثمان. لقد كنت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكان راضيا  
عني، وكذلك في أيام أبي بكر ثم في أيام أبي وكان له علي حقان، حق الأبوة وحق الخلافة وكان دائما راضيا عني، ولم يسمع مني كلمة غير مناسبة، حتى جاءت نوبتك للخلافة فبذلت لك الطاعة والنصيحة بقدر وسعي، ولا أظن أنك غضبت علي فالآن مرني حتى أفعل فقال عثمان: يا أبا عبد الرحمن. إني لا أسألك عن هذا. جزى الله آل عمر خيرا. ولكنك ترى هؤلاء القوم، ماذا يقولون، وفيهم يفكرون ويريدون أن يخلعوني من خلافة (٢)؟  
فقال عبد الله: إن تطعمهم فإنك تعلم أنك لست خالدا في الدنيا. قال: أعلم ومهما عشت فلا بد أن أذهب.  
فقال عبد الله: هل الجنة والنار بيدهم أم لا؟ فقال: لا.  
فقال عبد الله: فالرأي هو أن لا تقر مثل هذه البدع في الإسلام (٣)، ففي أي وقت يمكن لمجموعة من الناس أن يسخطوا على الخليفة ويعزلوه ويعينوا مكانه.

(١) الحديث أخرجه الامام أحمد بن مسنده ١ / ٦١ - ٦٣ - ٧٠ - ٣٨٢ - ٤٤٤ - ٤٦٥ و ٦ / ٥٨ - ٢١٤.

ونقله ابن كثير ٧ / ٢٠١ وابن سعد ٣ / ٦٧. وقد رواه أهل السنة الأربعة.  
(٢) في ابن سعد ٣ / ٦٦: يريدون خلعي، فإن خلعت تركوني وإن لم أخلع قتلوني.  
(٣) عند ابن سعد: فلا أرى أن تسن هذه السنة في الإسلام.

احفظ القميص الذي ألبسك الله إياه ولا تنزعه وقل لأولئك القوم: بيني وبينكم كتاب الله وسنة نبيه. وعلى كل حال لا أرغب في خلافكم (فإن هم رضوا بذلك فيها ونعمت، وإلا فقد أدبت ما عليك، وليكن من أمرهم ما يكون).

فوقع هذا الكلام من عثمان موقعا حسنا. ثم طلب المغيرة بن شعبه وقال له: اذهب إلى أولئك القوم واسترضهم. وتعهد لهم بأداء كل ما يطلبونه. وأخبرهم بأن عثمان يحتكم وإياهم إلى كتاب الله وسنة رسوله (وفي كل حال لا يود خلافكم) فقال المغيرة: أفعّل. فذهب إليهم وحين اقترب منهم صاحوا به: ارجع يا أعور ارجع يا فاسق ارجع يا فاجر. فقال المغيرة وأخبر عثمان بما أسمعوه إياه.

ثم استدعى عثمان عمرو بن العاص وحمله إليهم الرسالة السابقة. فكان ردهم عليهم أقبح وقالوا له: لا سلام عليك ارجع يا عدو الله يا بن النابغة فلست عندنا بمأمون ولا نثق بك. فعاد عمرو بن العاص وأخبر عثمان بما لقي منهم. حينئذ قال عبد الله بن عمر: يا أمير المؤمنين، إن أولئك القوم لم يستمعوا إلا لعلي بن أبي طالب فإن أرسلته إليهم يمكن أن يسمعوا كلامه فيطيعوا الامر [ (١) ].

قال: فأرسل عثمان إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فدعاه فقال: يا أبا الحسن أنت لهؤلاء القوم فادعهم إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه واكفني مما يكرهون، فقال له علي: إن أعطيتني عهد الله وميثاقه أنك توفي لهم بكل ما أعطيتهم فعلت ذلك، فقال عثمان: نعم يا أبا الحسن، اضمن لهم عني جميع ما يريدون.

قال: فأخذ علي عليه عهدا غليظا وميثاقا مؤكدا، ثم خرج من عنده فأقبل نحو القوم (٢)، فلما دنا منهم قالوا: ما وراءك يا أبا الحسن فإننا نجلك، فقال: إنكم تعطون ما تريدون وتعافون من كل ما أسخطكم ويولي عليكم من تحبون ويعزل عنكم من تكرهون، فقالوا: ومن يضمن لنا ذلك؟ قال علي: أنا أضمن لكم ذلك، فقالوا: رضينا (٣).

(١) إلى هنا ينتهي ما استدر كناه من الترجمة الفارسية.

(٢) في الطبري ٥ / ١١٠ وابن الأثير ٢ / ٢٨٣ انطلق علي رضي الله عنه في ركب من المهاجرين والأنصار ثلاثون رجلا فيهم سعد بن زيد وأبو جهم العدوي وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام ومروان بن الحكم وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وأبو أسيد الساعدي وزيد بن ثابت وحسان بن ثابت وكعب بن مالك ونيار بن مكرز وغيرهم. (انظر مروج الذهب ٢ / ٣٨٠ والبداية والنهاية ٧ / ١٩١).

(٣) قال المسعودي: فسار إليهم علي، فكان بينهم خطب طويل، فأجابوه إلى ما أراد وانصرفوا (مروج الذهب ٢ / ٣٨٠). وقال في البداية والنهاية ٧ / ١٩١: ويقال أنه ناظرهم في عثمان، وسألهم ماذا ينعمون عليه فذكروا أشياء... وروي أن عثمان خطب الناس بهذا كله بمحضر من الصحابة... ويروى أنهم بعثوا طائفة منهم فشهدوا خطبة عثمان هذه.

قال: فأقبل علي إلى عثمان ومعه وجوه القوم وأشرفهم، فلما دخلوا عاتبوه فأعتبهم من كل ما كرهوا (١)، فقالوا: اكتب لنا بذلك كتابا وأدخل لنا في هذا الضمان

عليا بالوفاء لنا بما في كتابنا، فقال عثمان: اكتبوا ما أحببتم وأدخلوا في هذا الضمان من أردتم، قال: فكتبوا: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عبد الله عثمان بن عفان أمير المؤمنين لجميع من نقم عليه من أهل البصرة والكوفة وأهل مصر، أن لكم علي أن أعمل فيكم بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأن

المحروم يعطى والخائف يؤمن والمنفي يرد، وأن المال يرد على أهل الحقوق، وأن يعزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن أهل مصر ويولى عليهم من يرضون). قال فقال أهل مصر: نريد أن تولي علينا محمد بن أبي بكر، فقال عثمان: لكم ذلك، ثم أثبتوا في الكتاب: (وأن علي بن أبي طالب ضمين للمؤمنين بالوفاء لهم بما في هذا الكتاب، شهد على ذلك الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وسهل بن حنيف وأبو أيوب خالد بن زيد، وكتب في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين).

قال: فأخذ أهل مصر كتابهم وانصرفوا ومعهم محمد بن أبي بكر أميرا عليهم، حتى إذا كانوا على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة (٢) وإذا هم بغلام أسود (٣) على بغير له

يخبط خبطا عنيفا فقالوا: يا هذا! اربع قليلا ما شأنك؟ كأنك هارب أو طالب، من أنت؟ فقال: أنا غلام أمير المؤمنين عثمان وجهني إلى عامل مصر، فقال له رجل منهم: يا هذا! فإن عامل مصر معنا، فقال: ليس هذا الذي أريد، فقال محمد بن أبي بكر: أنزلوه عن البعير، فحطوه فقال له محمد بن أبي بكر: اصدقني غلام من أنت؟ قال: أنا غلام أمير المؤمنين (٤)، قال: فإلى من أرسلت؟ قال: إلى عبد الله بن سعد عامل مصر، قال: وبماذا أرسلت؟ قال: برسالة، قال محمد بن

(١) انظر الحاشية السابقة، والبداية والنهاية ٧ / ١٩٢، وانظر خطبة عثمان في الطبري ٥ / ١١١.

(٢) في مروج الذهب ٢ / ٣٨٠ الموضوع المعروف بحسمى.

(٣) في مروج الذهب: هو ورش غلام عثمان. وفي الطبري: أبو الأعور السلمي.

(٤) في العقد الفريد ٤ / ٢٨٨ فأقبل مرة يقول: غلام أمير المؤمنين، ومرة: غلام مروان، حتى عرفه رجل منهم أنه لعثمان.

أبي بكر: أسمعك كتاب؟ قال: لا.  
قال: فقال أهل مصر: لو فتشناه أيها الأمير فإننا نخاف أن يكون صاحبه قد  
كتب فينا بشيء، ففتشوا رحله ومتاعه ونزعوا ثيابه حتى عروه فلم يجدوا معه شيئا،  
وكانت على راحلته إداوة (١) فيها ماء فحركوها فإذا فيها شيء يتقلقل، فحركوه  
ليخرج

فلم يخرج، فقال كنانة بن بشر التجيبي: والله! إن نفسي لتحدثني أن في هذه  
الإداوة كتابا، فقال أصحابه: ويحك! ويكون كتاب في ماء؟ قال: إن الناس لهم  
حيل، فشقوا الإداوة فإذا فيها قارورة مختومة بشمع وفي جوف القارورة كتاب،  
فكسروا القارورة وأخرجوا الكتاب، فقرأه محمد بن أبي بكر فإذا فيه (٢):  
(بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى عبد الله بن  
سعد، أما بعد! فإذا قدم عليك عمرو بن يزيد (٣) بن ورقاء فاضرب عنقه صبرا، وأما  
علقمة (٤) بن عديس البلوي وكنانة بن بشر التجيبي وعروة بن سهم (٥) الليثي فاقطع  
أيديهم وأرجلهم من خلاف ودعهم يتشحطون في دمائهم حتى يموتوا، فإذا ماتوا  
فاصلبهم على جذوع النخل، وأما محمد بن أبي بكر فلا يقبل منه كتابه وشد يدك به  
واحتل في قتله وقر على عملك حتى يأتيك أمري إن شاء الله تعالى).  
ذكر رجوع أهل مصر إلى محاربة عثمان  
بعد ما وجدوا الكتاب.

قال: فلما قرأ محمد بن أبي بكر الكتاب رجع إلى المدينة هو ومن معه، ثم  
جمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم الكتاب وأخبرهم بقصة الكتاب،  
قال: فلم يبق  
بالمدينة أحد إلا حنق على عثمان، واشتد حنق بني هذيل خاصة عليه لأجل صاحبهم  
عبد الله بن مسعود، وهاجت بنو مخزوم لأجل صاحبهم عمار بن ياسر، وكذلك غفار  
لأجل صاحبهم أبي ذر.

(١) في العقد: إداوة قد ييست.

(٢) قارن مع نسخة الكتاب في الطبري ٥ / ١١٩ ومروج الذهب ٢ / ٣٨٠ وابن الأثير ٣ / ١٦٨ والعقد  
٤ / ٢٨٩.

(٣) مر قريبا: عمرو بن بديل بن ورقاء.

(٤) مر قريبا: عبد الرحمن بن عديس.

(٥) الطبري: عروة بن النباع الليثي.

ثم إن عليا أخذ الكتاب وأقبل حتى دخل على عثمان فقال له: ويحك لا أدري على ماذا أنزل! استعتبك القوم فأعتبتهم بزعمك وضمنتني ثم أحقرتني وكتبت فيهم هذا الكتاب! قال: فنظر عثمان في الكتاب ثم قال: ما أعرف شيئا من هذا، فقال علي: الغلام غلامك أم لا؟ قال عثمان: بل هو والله غلامي والبعير بعيري وهذا الخاتم خاتمي والخط خط كاتبتي، قال علي رضي الله عنه: فيخرج غلامك علي بعيرك بكتاب وأنت لا تعلم به؟ فقال عثمان: حيرتك يا أبا الحسن! وقد يشبه الخط الخط وقد تختم على الخاتم، ولا والله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر، فقال علي: لا عليك فمن نتهم؟ قال: أتهمك (١) وأتهم كاتبتي، قال علي: بل هو فعلك وأمرك، ثم خرج من عنده مغضبا.

قال: وعرف الناس الخط أنه خط مروان وإنما كتبه عن غير علم عثمان، ومروان كان كاتب عثمان وخاتم عثمان في إصبع مروان وشك الناس في مروان. قال: ثم خرج عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى المسجد وصعد المنبر فحمد

(١) كذا بالأصل، ولم تشر أي من المصادر التي ذكر قصة الكتاب إلى اتهام عثمان عليا بكتابتها. إلا أنه جاء في دائرة المعارف الإسلامية (النسخة الانكليزية، المجلد الثالث ص ١٠١٠: (إن البلاذري روى دون غيره من المؤرخين أن عثمان اتهم عليا بتزوير الكتاب. وهذا ما ظنه كيتاني في حويلياته ج ٨ ص ١٥٩ من غير أن يطلع على رواية البلاذري).

وما يتبادر إلى الذهن فورا ضعف هذا الاتهام، وسقوط روايته لأسباب أهمها:

- استبعاد أن عثمان يمكن أن يتهم عليا بتزوير الكتاب فالغلام غلامه، والبعير بعيره والخاتم خاتمه فكيف يصل علي إلى هذا كله، بل كيف يصل إلى خاتمه وهو بيد كاتبه مروان بن الحكم.

- الخط الذي كتب به الكتاب خط مروان وقد عرف.

كيف يمكن لعلي أن يكتب كتابا لابن أبي سرح بقتل محمد بن أبي بكر وأصحابه وهم ليسوا بأعداء لعلي، بل من محبيه ومؤيديه.

- ولماذا يكتب علي إلى ابن أبي سرح بالقتل، والمعروف عنه تقواه وخوفه من الله، والعمل من أجل إخماد الفتنة وقد لعب دورا كبيرا في ذلك. وقد تدخل لدى المعارضين وأقنعهم بالعودة إلى ديارهم.

- ما مصلحة علي من ذلك، لا نرى له أي مصلحة وقد كان إلى جانب عثمان يحاول دائما معالجة الأمور وتدارك الاخطار والتدخل لمنع الانهيار، ودفع عثمان - أكثر من مرة - في الاتجاه الذي يحرره من سيطرة أقربائه والعمل من أجل مد الجسور بينه وبين المعارضين.

من هنا يستبعد، بل يستحيل أن يكون عثمان قد وجه اتهاما لعلي بتزوير الكتاب، أو أنه فكر بذلك، لأنه كان مقتنعا أن هذا العمل من مروان.

الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! لا تتهموني في هذا الكتاب ولا تظنوا أنني كتبت، فإنكم إن قلتم ذلك أثمتم، فوالله ما كتبت ولا أمرت به والآن فإنكم تعطون الحق ويعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حتى ترضوا وتعتبوا (١).

قال: فوثب إليه كنانة بن بشر التجيبي فقال: يا عثمان! إننا لا نرضى بالصفة دون العمل قد عاتبناك فأعتبتنا بزعمك فكتبت لنا بالوفاء إلى ذلك كتابا وأشهدت شهودا وأعطيتنا عهد الله وميثاقه، ثم إنك كتبت فينا ما كتبت! فقال عثمان: إنني لم أكتب وقد حلفت لكم وليس يجب علي شيء هو أكبر من اليمين، فقال كنانة بن بشر: إننا لا نصدقك على يمينك.

قال: ثم وثب كثير بن عبد الله الحارثي فقال: يا عثمان! أتظن أنك تنجو منا وقد فعلت ما فعلت؟ فقال عثمان: يا سبحان الله! أما لهذا أحد يكفينيه؟ قال: فقام إليه موالي عثمان فأثخنوهم ضربا، ثم إنهم حصبوا عثمان من كل جانب حتى نزل عن المنبر وقد كاد أن يغشى عليه فحملوه حملا حتى أدخلوه إلى منزله (٢). قال: ودخل عليه نفر من الصحابة يتوجعون له لما نزل به، وفي جملة من [دخل] عليه علي بن أبي طالب، فقالت له بنو أمية: يا بن أبي طالب! إنك كدرت علينا العيش وأفسدت علينا أمرنا وقبحت محاسن صاحبنا، أما والله لئن بلغت الذي ترجو لنجاهدناك أشد الجهاد، قال: فزبرهم علي رضي الله عنه وقال: أعزبوا فما بلغ الله لكم من القدر ما تحابون! فإنكم سفهاء وأبناء سفهاء وطلاقاء وأبناء طلاقاء، إنكم لتعلمون أنه ما لي في هذا الأمر ناقة ولا جمل. ثم خرج علي من عند عثمان مغضبا.

قال: فلما كان من غد جلس عثمان وكتب إليهم كتابا، نسخته: (بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى المؤمنين المسلمين، سلام

(١) قال في العقد الفريد ٤ / ٢٨٩ فسألوه أن يدفع إليهم مروان، فأبى... قالوا: لا نبرئ عثمان إلا أن يدفع إلينا مروان، حتى نمتحنه ونعرف أمر هذا الكتاب... فإن يك عثمان كتبه عزلناه، وإن يك مروان كتبه على لسانه نظرنا في أمره (انظر مروج الذهب ٢ / ٣٨٠).

(٢) في البداية والنهاية ٧ / ١٩٦ قال له جهجاه: قم يا نعثل فانزل عن هذا المنزل وأخذ العصا فكسرها على ركبتة اليمنى... فنزل عثمان... فما خرج بعد ذلك اليوم إلا خرجة أو خرجتين، حتى حصر وقتل.

عليكم، أما بعد! فإني أذكركم الله الذي أنعم عليكم بالاسلام، وهداكم من الضلال، وأنقذكم من الكفر، وأراكم اليسار وأوسع عليكم في الرزق، وبصركم من العمى، (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) (١) (وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفار) (٢) فاتقوا الله! (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) (٣) ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون\* (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) (٤) (يا أيها الذين آمنوا... أذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قتلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور\*) (٥) (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) (٦) (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله [ولا ينظر إليهم يوم القيامة] ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) (٧) ألا! وقد علمتم أن الله تعالى رضي لكم السمع والطاعة وحذركم المعصية والفرقة وتقدم إليك في ذلك لتكون له الحجة عليكم إن عصيتموه، فاقبلوا نصيحة الله واحذروا عذابه فإنكم لم تجدوا أمة هلكت من قبلكم إلا من بعد ما اختلفت ولم يكن لها رأس يجمعها، ومتى تفعلون بي ما قد أزمعتم عليه فإنكم لا (٨) تقيمون صلاة جميعا ولا تخرجون زكاة جميعا، ويسلط عليكم عدوكم ويستحل بعضكم حرمة بعض، ثم تكونوا شيعة، كما قال الله تعالى: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله) (٩) الآية، ألا وإني أوصيكم بما أوصاكم الله به وأحذركم بما حذركم الله به من عذابه،

- 
- (١) سورة لقمان الآية ٢.  
(٢) سورة إبراهيم الآية ٣٤.  
(٣) آل عمران الآية ١٠٢.  
(٤) آل عمران الآيتان ١٠٤ - ١٠٥.  
(٥) سورة المائدة الآيتان ٦، ٧.  
(٦) سورة الحجرات الآية ٦.  
(٧) سورة آل عمران الآية ٧٧.  
(٨) عند ابن سعد ٣ / ٦٧ لا تصلوا جميعا أبدا ولا تغزوا جميعا أبدا ولا يقسم فيؤكم بينكم. وانظر فيه ص ٧١ رواية أخرى.  
(٩) سورة الانعام الآية ١٥٩.

فقد علمتم أن شعيبا عليه السلام لما نسبه قومه إلى الشقاق قال الله تعالى: (لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد\*) (١) واعلموا أيها الناس! أنني قد أنصفتكم وأعطيتكم من نفسي الرضا على أن أعمل فيكم بالكتاب والسنة وأسير فيكم بالسيره وأعزل عن أمصاركم من كرهتم وأولي عليكم من أحببتم، وأنا أضمن لكم من نفسي أن أعمل فيكم بما كانا يعملان الخليفتان من قبلي جهدي وطاقتي فقد علمتم أن من تولى أمر الرعية يصيب ويخطئ، وكتابي هذا معذرة إلى الله وإليكم ويتصل إليكم مما كرهتم (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم\*) (٢) فاكتفوا مني بهذا العهد (إن العهد كان مسؤولا) (٣) وإني أتوب إلى الله من كل شيء كرهتموه وأستغفره من ذلك فإنه لا يغفر الذنوب إلا الله، وقد تبت إلى الله من كل ما كرهتموه فإن رحمته وسعت كل شيء - والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (٤) - . قال: فلما جاءهم كتاب عثمان وقرأوا لم يقبلوا شيئا مما وعظهم به ثم نادوا من كل ناحية

وأحاطوا بداره وخاصموه وعزموا على قتله وخلعه.

ذكر استنصار عثمان بعماله

لما أيس من رعيته.

قال: وخشي أن يعالجه القوم فيقتل، فكتب إلى عبد الله بن عامر بن كريز وهو الأمير بالبصرة وإلى معاوية بن أبي سفيان، وهو أمير الشام بأجمعها فكتب إليهم عثمان نسخة واحدة (٥): بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد! فإن أهل البغي والسفه والجهل والعدوان من أهل الكوفة وأهل مصر وأهل المدينة قد أحاطوا بداري ولم يرضهم شيء دون قتلي أو خلعي سربالا سربلنيه ربي، ألا! وإني ملاق ربي فأعني برجال ذوي نجدة ورأي، فلعل ربي يدفع بهم عني بغي هؤلاء الظالمين الباغين علي - والسلام - .

(١) سورة هود الآية ٨٩.

(٢) سورة يوسف الآية ٥٣.

(٣) سورة الاسراء الآية ٣٤.

(٤) نسخة الرسالة في الطبري ٥ / ١٤٠ - ١٤١.

(٥) نسخة أخرى للكتاب في الطبري ٥ / ١١٥ والإمامة والسياسة ١ / ٣٦ وفيه أن عثمان كتب إلى

المسلمين

الذين حضروا الموسم وبعثه مع نافع بن طريف يستغيثهم وأهل مكة. نسخته فيه ج ١ / ٣٦.

قال: وأما معاوية فإنه أتاه بالكتاب المسور بن مخرمة فقرأ لما أتاه ثم قال: يا معاوية! إن عثمان مقتول فانظر فيما كتبت به إليه، فقال معاوية: يا مسور! إني مصرح أن عثمان بدأ فعمل بما يحب الله ويرضاه ثم غير فغير الله عليه، أفيتهاً لي أن أرد ما غير الله عز وجل (١).

قال: وأما عبد الله بن عامر فإنه لما ورد عليه كتاب عثمان نادى في أهل البصرة فجمعهم ثم قال: أيها الناس! إن أمير المؤمنين كتب إلي يخبرني أن شرذمة من أهل الكوفة وأهل المدينة وأهل مصر نزلوا بساحته، فأعطاهم من نفسه النصفة ودعاهم إلى الحق، فلم يقبلوا ذلك منه، وإنه كتب إلي يسألني أن أبعث إليه منكم نفراً من أهل الدين والصلاح فلعل الله أن يدفع بكم عنه ظلم الظالمين وعدوان المعتدين، قال: فأمسك الناس عنه ولم يجبه أحد منهم بشيء (٢).

قال: وعلم أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل مصر أن عثمان قد كتب إلى أهل الشام وأهل البصرة يستنجدهم، فكبس عليهم فلجوا في حصاره ومنعوه من الماء، فأشرف عليهم من جدار داره ثم قال: أيها الناس! هل فيكم علي بن أبي طالب؟ قالوا: لا، فسكت ونزل. قال: وبلغ ذلك علياً رضي الله عنه وهو في منزله، فأرسل إليه بغلامه قنبر فقال: انطلق إلى عثمان فسله ماذا يريد، فجاء قنبر إلى عثمان فدخل وسلم ثم قال: إن مولاي أرسلني إليك يقول لك: ما الذي تريد؟ فقال عثمان: أردته أن يوجه إلي بشيء من الماء فإني قد منعتة وقد أضرب بي العطش وبمن معي في هذه الدار! فرجع قنبر إلى علي فأخبره بذلك، فأرسل إليه علي ثلاث قرب من الماء مع نفر من بني هاشم، فلم يتعرض لهم أحد حتى دخلوا على عثمان فأوصلوا إليه الماء (٣)، فشرب وشرب من كان معه في الدار. قال: ودخل عمرو بن العاص على عثمان مسلماً، فقال له عثمان: يا بن

(١) في الطبري ٥ / ١١٥ أن معاوية بعد وصول كتاب عثمان إليه تربص به. عندئذ أرسل عثمان يستغيث بيزيد بن أسد بن كرز البجلي وبأهل الشام. فاستنفر الناس وندبهم ولما وصلوا إلى وادي القرى جاءهم خبر مقتل عثمان فرجعوا.

(٢) وعند الطبري أن عبد الله استنفر الناس فأجابوه واستعمل عليهم مجاشع بن مسعود فساروا حتى وصلت مقدمتهم صرار أخبروا بمقتل عثمان (٥ / ١١٦).

(٣) في مروج الذهب ٢ / ٣٨٠ فما وصل إليه ذلك حتى خرج جماعة من موالي بني هاشم وبني أمية. وفي العقد الفريد ٤ / ٢٩٠ جرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية، حتى وصل إليه الماء.

العاص! وأنت أيضا ممن توليت على الناس فيما بلغني وتسعى في الساعين علي حتى قد أضرمتها وأسعرتها ثم تدخل مسلما علي! فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين! إنه لا خير لي في جوارك بعد هذا، ثم خرج عمرو من ساعته ومضى حتى قد صار إلى الشام ونزل بأرض فلسطين وكان بها مقيما.

قال: ثم أقبل عثمان حتى أشرف على الناس ثانية فسلم عليهم، فردوا عليه سلاما ضعيفا، فقال عثمان: أفيكم طلحة؟ قال: نعم ها أنا ذا، فقال عثمان: سبحان الله! ما كنت أظن أن أسلم على جماعة أنت فيهم ولا ترد علي السلام، فقال طلحة: إني قد رددت عليك، فقال عثمان: لا والله ما ذلك لك يا أبا محمد! إني أسمعك السلام ولم تسمعني الرد. قال: وسمع عثمان بعضهم يقول: لا نقتله ولكننا نعزله، فقال عثمان: أما عزلي فلا يكون، وأما قتلي فعسى وأنا أرجو أن ألقى الله وبأسكم بينكم، قال: وتكلم رجل من الأنصار يقال له مجمع بن جارية (١) فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أخاف والله أن يقتل هذا الرجل، فقال له رجل من الصحابة: وإن قتل فماذا والله نبي مرسل ولا ملك مقرب! قال: وعثمان مشرف من جدار داره يسمع ذلك.

ذكر استمالة القلوب بعد إياسه من نصرة عماله.

فقال عثمان: أهنا سعد بن أبي وقاص؟ أهنا الزبير بن العوام؟ فقالوا: نعم، نحن ههنا فقل ما تشاء! فقال: ناشدكم الله تعالى جميعا بالذي لا إله إلا هو هل تعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما: (من يتناع لي مربد بني فلان غفر الله له)، فابتعته ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله! إني قد ابتعت لك مربد فلان،

فقال: (اجعله في المسجد وأجره لك)، ففعلت ذلك؟ فقالوا: قد كان ذلك، قال عثمان: اللهم أشهد! ثم قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو هل تعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما: (من يتناع بئر رومة غفر الله له)، فابتعتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك)، ففعلت ذلك؟ فقالوا: قد كان ذلك، قال

(١) عن الإصابة، وهو مجمع بن جارية بن عامر بن مجمع بن العطف... بن عوف الأنصاري الأوسي. بعثه عمر إلى الكوفة يعلمهم القرآن. وبالأصل حارثة بدل جارية. تحريف.

عثمان: اللهم أشهد! ثم قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو. هل تعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر ذات يوم في وجوه أصحابه وذلك في يوم جيش العسرة فقال: (من)

جهز هؤلاء غفر الله له)، فجهزتم حتى ما فقدوا خطاما ولا عقالا (١)؟ فقالوا (٢): قد كان كل الذي ذكرت ولكنك غيرت وبدلت، فقال عثمان: يا سبحان الله! أأستم تعلمون أنكم دعوتم الله ربكم يوم توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يختارني لكم؟ قالوا: بلى، قال عثمان: فما ظنكم بالله تبارك وتعالى أتقولون إنه لم يستجب لكم وهنتم عليه؟ أم تقولون إنه هان عليه هذا الدين فلم يبال من ولاه أمره؟ أم تقولون إن الله لم يعلم ما في عاقبة أمري حين كنت في بعض أمري محسنا ثم إنني أحدثت من ذلك ما أسخط الله عز وجل؟ فهل لا عافاكم الله؟ فقد تعلمون ما لي من الفضائل الشريفة والسوابق الجميلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فارتدعوا عما قد أزمعتم عليه

من قتلي (٣)، فإنكم إن قتلتموني وضعتم السيف على رقابكم ثم لم يرفعه الله عز وجل عنكم أبدا إلى يوم القيامة، فاتقوا الله فإنني أدعوكم إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه مفاتيح بيوت أموالكم ادفعوها إلى من شئتم وأمروا على

أمصاركم من أحببتهم وأنتم معتبون من كل ما ساءكم، وأما ما ادعيتم علي أنني كتبت فيكم فهاتوا بينتكم، وإلا فأنا أحلف لكم بالله العظيم أنني ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به، قال: فنادته قوم من المصريين: يا هذا إننا قد اتهمناك فاعتزلنا وإلا قتلناك.

قال: فسكت عثمان وتكلم زيد بن ثابت وكان إلى جانب عثمان، فقال: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله) (٤)، قال: فصاح به الناس: يا زيد! إن عثمان قد أشبعك من أموال الأراامل ولا بد لك من نصره.

قال: فنزل عثمان من موضعه ذلك إلى داره واقبل إليه عبد الله بن سلام فقال:

(١) الحديث في مسند أحمد ١ / ٧٠ ونقله ابن كثير عنه في البداية والنهاية ٧ / ١٩٨ - ١٩٩ والطبري باختلاف واختصار ٥ / ١٢٥.

(٢) عند ابن كثير: فقالوا: اللهم نعم! فقال: اللهم أشهد، اللهم أشهد اللهم أشهد، ثم انصرف.  
(٣) زيد في الكامل لابن الأثير ٢ / ٢٨٩ قالوا: وأما ما ذكرت من قدمك وسلفك مع رسول الله (ص) فقد كنت كذلك وكنت أهلا للولاية، ولكن أحدثت ما علمته ولا ترك إقامة الحق عليك مخافة الفتنة عاما قابلا.

(٤) سورة الانعام الآية ١٥٩.



يا أمير المؤمنين! إن حقتك اليوم على كل مسلم كحق الوالد على الولد، فأمرني بأمرك! فقال له عثمان: تخرج إلى هؤلاء القوم تكلمهم، فعسى الله تبارك وتعالى أن يحري على يديك خيرا أو يدفع بك شرا.

قال: فخرج عبد الله بن سلام إلى الناس، فلما نظروا إليه ظنوا أنه إنما جاء ليكون معهم، فرحبوا به وأوسعوا له في المجلس، فلما جلس حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ثم وعظهم وذكرهم وقال (١): أيها الناس! إن الله تبارك

وتعالى اختار من الأديان كلها دين الإسلام، ثم اختار لدينه رسولا جعله بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، ثم اختار له من البقاع المدينة فجعلها دار الهجرة ودار الإسلام، فلم تزل الملائكة تحف بها منذ سكنها رسوله محمد صلى الله عليه وسلم إلى يومكم هذا

وما زال سيف الله مغمودا عنكم، فأنشدكم الله أن لا تطردوا جيرانكم من الملائكة وأن لا تسلوا سيف الله المغمود، فإن الله عز وجل سيفا لم يسله قط على قوم حتى يسلوه على أنفسهم، فإذا سلوه لم يغمده عنهم إلى يوم القيامة، فإياكم وقتل هذا الشيخ! فإنه خليفة، ووالله! ما قتل نبي قط إلا قتل به سبعون ألفا من أمته عقوبة لهم، ولا قتل خليفة من بعده إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفا، فاتقوا الله ربكم في هذا الشيخ. قال: فنادوه من كل جانب: كذبت يا يهودي! فقال عبد الله بن سلام: بل كذبتم أنتم، لست بيهودي ولكني تركت اليهودية وتبرأت منها واخترت الله ورسوله ودار الهجرة والسلام، وقد سماني الله تبارك وتعالى بذلك مؤمنا، فقال عز وجل فيما أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به

وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم) (٢) ولقد أنزل الله تعالى آية أخرى إذ يقول الله عز وجل: (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) (٣).

قال: ثم وثب عبد الله بن سلام من عند القوم فصار إلى عثمان فأخبره بذلك، فبقي عثمان لا يدري ما يصنع.

(١) قارن مع الطبري ٥ / ١٣٠ والإمامة والسياسة ١ / ٤٢.

(٢) سورة الأحقاف آية ١٠.

(٣) سورة الرعد الآية ٤٣.

خروج عائشة إلى الحج لما حوَّصر عثمان  
وأشرف على القتل ومقالها فيه.

قال: وعزمت عائشة على الحج، وكان بينها وبين عثمان قبل ذلك كلام،  
وذلك أنه أخرج عنها بعض أرزاقها إلى وقت من الأوقات فغضبت، ثم قالت: يا  
عثمان! أكلت أمانتك وضيقت رعيتك وسلطت عليهم الأشرار من أهل بيتك، لا  
سقاك الله الماء من فوقك وحرملك البركة من تحتك! أما والله لولا الصلوات الخمس  
لمشى إليك قوم ذو ثياب وبصائر يذبحوك كما يذبح الجمل، فقال لها عثمان:  
(ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا  
صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع  
الداخلين) (١).

قال: وكانت عائشة تحرض على قتل عثمان جهدها وطاقتها وتقول: أيها  
الناس! هذا قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبل وبليت سنته، اقتلوا نعثلا  
(٢)، قتل الله  
نعثلا.

قال: فلما نظرت عائشة إلى ما قد نزل بعثمان من إحصار القوم له قربت  
راحتها وعزمت على الحج، فقال لها مروان بن الحكم: يا أم المؤمنين! لو أنك  
أقمت (٣) لكان أعظم لاجرك، فإن هذا الرجل قد حوَّصر فعسى الله تبارك وتعالى أن  
يدفع بك عن ذمه! فقالت: الآن تقول هذا وقد أوجبت الحج على نفسي، لا والله  
لا أقمت، وجعل مروان (٤) يتمثل بهذا البيت:  
ضرم قيس على البلاد دما\* إذا اضطرمت يوم به أحجما (٥)

(١) سورة التحريم الآية ١٠.

(٢) نعثل: رجل من أهل مصر كان طويل اللحية، قيل إنه كان يشبه عثمان رضي الله عنه. وكان عثمان إذا  
نيل منه وعيب شبه بهذا الرجل المصري. (اللسان).

(٣) في تاريخ يعقوبي ٢ / ١٧٥ لو قمت فأصلحت بين هذا الرجل وبين الناس.

(٤) عند يعقوبي: قال: فيدفع إليك بكل درهم أنفقته درهمين. قالت لعلك ترى إني في شك من  
صاحبك؟ أما والله لو ددت أنه مقطوع في غرارة من غرائري، وإني أطيق حمله فأطرحه في البحر.

(٥) البيت للربيع بن زياد العبسي وهو في شرح الحماسة والعقد الفريد ٤ / ٢٩٩ وفيه:

وحرقت قيس على البلا\* د حتى اضطرمت أجذما.

والبيت على ما في الأصل ساقط الوزن.

فقال عائشة: قد فهمت ما قلت يا مروان! فقال مروان: قد تبينت ما في نفسك، فقلت: هو ذلك.

ثم إنها خرجت تريد مكة، فلقيها ابن عباس فقالت له: يا بن عباس! إنك قد أوتيت عقلا وبيانا فيإيك أن ترد الناس عن قتل هذا الطاغي عثمان، فإنني أعلم أنه سيشأم قومه كما شأم أبو سفيان قومه يوم بدر، ثم إنها مضت إلى مكة وتركت عثمان على ما هو فيه من ذلك الحصار والشدّة.

ذكر ما أشير به على عثمان من إحراز دمه والنظر لنفسه.

قال: وأقبل سعيد بن العاص على عثمان فقال: يا أمير المؤمنين! أرى لك من الرأي أن تخرج على القوم وأنت ملب كأنك تريد الحج، فإنني أرجو أن لا يتعرضوا لك إذا نظروا إليك مليبا، ثم تأتي مكة، فإذا أتيتها لم يقدم عليك أحد بما تكرهه، فقال عثمان: لا والله لا أختار على هذه المدينة التي أختارها الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

قال: فقال له سعيد بن العاص الثقفي: يا أمير المؤمنين! فإنني أخبرك بثلاث خصال فاختر واحدة، قال عثمان: وما ذلك؟ قال: إما أن تقاتل القوم وتجاهدهم فنقاتل معك حتى نفني أرواحنا، قال عثمان: ما أريد ذلك، قال: فتركب نجائبك حتى تأتي الشام، فإن بها معاوية وهو ابن عمك وبها شيعتك وأنصارك، قال عثمان: والله لا أريد ذلك! قال: فأقلك على نجائبك حتى أقدم بك البصرة، فإن بها قوما من الأزدي وفيهم معروف لي وهم لي شاكرون، فتنزل بين أظهرهم فيمنعوك، فقال عثمان: لا والله لا أخرجت من المدينة كائنا في ذلك ما كان.

قال: وأقبل أسامة بن زيد إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أبا الحسن! والله لأنك أعز علي من سمعي وبصري، وإنني أعلمك أن هذا الرجل ليقتل، فأخرج من المدينة وسر إلى ضيعتك ينبع (١)، فإنه إن قتل وأنت بالمدينة

(١) ينبع: موضع على سبع مراحل من المدينة، قال ابن دريد: ينبع بين المدينة ومكة. قال في الإمامة والسياسة ١ / ٣٤: وذكروا أنه لما اشتد الطعن على عثمان، استأذنه علي في بعض بواديه ينتحي إليها فأذن له.

شاهد رماك الناس بقتله، وإن قتل وأنت غائب لم يعذل بك أحد من الناس بعده، فقال له علي: ويحك! والله إنك لتعلم أنني ما كنت في هذا الأمر إلا كالأخذ بذنوب الأسد، وما كان لي فيه من أمر ولا نهى.

قال: ثم دعا علي بابنه الحسن، انطلق يا ابني إلى عثمان فقل له: يقول لك أبي: أفتحب أن أنصرك! فأقبل الحسن إلى عثمان برسالة أبيه، فقال عثمان: لا ما أريد ذلك، لأنني قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامي فقال: يا عثمان!

إن قاتلتهم نصرت عليهم، وإن لم تقاتلهم فإنك مفطر عندي (١)، وإني قد أحببت الإفطار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسكت الحسن وانصرف إلى أبيه فأخبره بذلك.

ذكر ما كان منهم من حرق الباب والاقترحام على الدار.

قالوا: قد كان طلحة بن عبيد الله قد استولى على حصار عثمان مع نفر من بني

تيم (٢)، وبلغ ذلك عثمان فأرسل إلى علي بهذا البيت:

فإن كنت مأكولا فكن أنت أكلي\* وإلا فأدركني ولما أمزق (٣)

أترضى أن يقتل ابن عمك وابن عمك ويسلب نعمتك وأمرك؟ فقال علي رضي الله عنه: صدق والله عثمان! لا والله لا نترك ابن الحضرمية يأكلها.

ثم خرج علي إلى الناس، فصلى بهم الظهر والعصر، وتفرق الناس عن طلحة ومالوا إلى علي، فلما رأى طلحة ذلك أقبل حتى دخل على عثمان فاعتذر إليه

(١) طبقات ابن سعد ٣ / ٧٥ وابن كثير ٧ / ٢٠٤.

(٢) قال في الإمامة والسياسة ١ / ٥٢ (من تحقيقنا): ورجا الزبير وطلحة - بعد خروج علي من المدينة - أن

يميلاً إليهما قلوب الناس، ويغلبا عليهم، واغتنما غيبة علي، فكتب عثمان إلى علي إذا اشتد الطعن عليه. أما بعد فقد بلغ السيل الزبي، وجاوز الحزام الطيبين. وارتفع أمر الناس في شأني فوق قدره! وزعموا أنهم لا يرضون دون دمي، وطمع في من لا يدفع عن نفسه.

وإنك لم يفخر عليك كفأخر

ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب.

وقد كان يقال: أكل السبع خير من افتراس الثعلب.

وانظر العقد الفريد ٤ / ٣١٠ والكامل للمبرد ١ / ٢٦.

(٣) البيت للمزق العبدى: الأصمعيات ص ١٦٦ الكامل للمبرد ١ / ٢٦ الإمامة والسياسة ١ / ٥٣.

مما كان منه، فقال له عثمان: يا بن الحضرمية! وليت على الناس ودعوتهم إلى قتلي، حتى إذا فاتك ما كنت ترجو وعلاك علي رضي الله عنه على الامر جئتني معتذرا، لا قبل الله ممن قبل منك.

قال: فخرج طلحة من عنده، وأشرف عثمان على الناس فقال: أيها الناس! إن لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم نصيبا جليلا وسابقة في الاسلام، وأنا وال مجتهد، وإن

أخطأت في الاجتهاد أو تعمدت فاقبلوا مني فإني أتوب إلى الله تعالى وأستغفره مما كان مني، قال: فشمته المصريون خاصة شتما قبيحا. فتكلم زيد بن ثابت وقال: يا معشر الأنصار! إنكم قد نصرتم النبي صلى الله عليه وسلم فكنتم

أنصار الله فانصروا خليفته اليوم لتكونوا أنصار الله مرتين فتستحقوا الاجرين. قال: فناده جيلة بن عمرو الساعدي (١) وقال: كلا والله يا زيد! لا يقبل ذلك منك، ولا نحب أن نكون عند الله غدا من أولئك الذين قالوا: (إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) (٢)، والله يا زيد! إذا لم يبق من عمره إلا من بين العصر إلى الليل، لتقربنا إلى الله بدمه، قال: وصاح الحجاج بن غزية الأنصاري (٣) بالقاعة من أهل مصر فقال: لا تسمعوا من هذا القائل ما قال، واعزموا على ما أنتم عليه عازمون، فوالله ما تدري هذه البقرة ما تقول.

قال: فسب القوم زيد بن ثابت. وبادر رجل من القوم إلى شيء من الحطب، فأضرم فيه النار (٤) وجاء به حتى وضعه في إحدى البابين، فاحترق الباب وسقط، ودفع الناس الباب الثاني فسقط أيضا، فأنشأ المغيرة بن الأحنس بن شريق يقول: لما تهدمت الأبواب واحترقت \* تمت منهن بابا غير محترق.

(١) يعد في أهل المدينة، من فضلاء الصحابة وفقهائهم. شهد صفين مع علي. قال ابن الأثير: (الأنصاري)، وقوله: (الساعدي وهم). (أسد الغابة).

(٢) الأحزاب: ٦٧.

(٣) كذا بالأصل، وهو حجاج بن عمرو بن غزية بن ثعلبة... الأنصاري الخزرجي ثم من بني مازن بن النجار. له صحبة. (أسد الغابة).

(٤) في الطبري أن اقتحام الباب وحرقه كان بسبب قتل نيار بن عياض أحد الصحابة - وكان مع الناس - وقد

رماه رجل من أصحاب عثمان فقتله بسهم، فقالوا لعثمان: ادفع لنا قاتله فلنقتله به ففرض فثاروا إلى الباب فأحرقوه. (٥ / ١٢٤).

شدا أقول لعبد الله أمره \* إن لم تقا تل لذي عثمان فانطلق.  
هو الامام فلست اليوم تاركه \* إن الفرار علي اليوم كالسرق.  
فلست أتركه ما دام بي رمق \* حتى يفرق بين الرأس والعنق.  
قال: فلما نظر عثمان إلى الباب وقد احترق، قال لمن عنده في الدار: ما  
أحرق الباب إلا لامر هو أعظم من إحراقه. ثم اقتحم الناس الدار على عثمان وهو  
صائم، وذلك في يوم الخميس أو يوم الجمعة لثمانى عشرة أو سبع عشرة خلت من  
ذي الحجة سنة خمس وثلاثين على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا خلت  
من مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: والتفت عثمان إلى الحسن بن علي  
وهو جالس عنده فقال: سألتك بالله يا بن الأخ إلا ما خرجت! فإني أعلم ما في قلب  
أبيك من الشفقة عليك، فخرج الحسن بن علي رضي الله عنه وخرج معه عبد الله بن  
عمر.

ذكر مقتل عثمان رحمة الله عليه  
قال: ونظر عثمان فإذا مروان وقد سل سيفه وتهياً للقتال وهو يقول:  
آليت جهدا لا أبايع بعده \* إماما ولا أصغي لما قال قائل  
وأصلي بحر الحرب ما هبت الصبا \* بذي رونق قد أصقلته الصياقل  
حسام كلون الملح ليس بعائد \* إلى الجفر ما هبت رياح الشمائل  
أجالد من دون ابن عفان أنه \* إمام وقد حلت لديه الفضائل  
قال: فقال عثمان: عزمت عليك إن قاتلت! قال: وأنا أعزم على نفسي إن  
لم أقاتل.

قال: ثم شد مروان على الناس هو وسعيد بن العاص والمغيرة بن الأحنس،  
وعبد الله بن أبي ربيعة (١) وعبد الله بن ميسرة بن عوف بن السباق، وعبد الله بن  
عبد الرحمن بن العوام، ورجال من موالي عثمان فشدوا على من دخلوا في  
الدار (٢)، فدفعوهم حتى أخرجوهم من الدار، قال: فالتفت عثمان إلى مواليه وقد  
سلوا سيوفهم، قال: من وضع سلاحه وأغمد سيفه فهو حر لوجه الله! انصرفوا

---

(١) عن أسد الغابة ٣ / ١٥٥ وبالأصل (زمعة) قال ابن الأثير أنه لما حصر عثمان جاء لينصره فسقط عن  
راحلته قرب مكة فمات.

(٢) في الطبري أن الذي شجع مروان وأصحابه على القتال أنه بلغهم أن مددا من أهل البصرة نزلوا صرارا  
وأن أهل الشام قد توجهوا مقبلين إلى المدينة لنصرتهم. (٥ / ١٢٥).

يا هؤلاء إلى منازلكم ودعوني والقوم! فأغمد القوم سيوفهم.  
وأقبل عثمان علي من معه في الدار من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أعزم علي

كل من يرى لنا عليه طاعة أن لا يمد يده ولا سلاحه! قال: وكف الناس عن القتال،  
ورمي عثمان بالحجارة من وراء داره من دار ابن حزم (١) الأنصاري، فقال عثمان: ما  
هذه الحجارة؟ قال: فصاح رجل منهم: لسنا نرميك يا عثمان ولكن الله يرميك،  
فقال عثمان: كذبتهم، لو رماني ربي لما أخطأني.

قال: واقتحم الناس الدار ثانية وقد أصلتوا سيوفهم وعثمان ساكت لا يحرك يدا  
ولا رجلا، فلما نظر اقتحامهم عليه قال: ادخلوا فإن لي مصرعا قد كتبه الله علي وأنا  
لاقيه، وإني لصائم حتى ألقى ربي.

قال: وتقدم المغيرة بن الأحنس بالسيف وهو يرتجز ويقول:

قد علمت جارية عطبول \* لها وشاح ولها جديل (٢)

أني بنصل السيف خنشليل \* لتمنعن منكم الخليل (٣)

بصارم ليس به فلول

قال: فشد عليه رفاعه بن رافع الأنصاري وهو يقول:

قد علمت ذات القرون الميل \* والكف والأنامل الطفول

أني أروع أول الرعيل \* [بفاره] مثل قطا الشليل (٤)

ثم شد عليه الأنصاري فقتله (٥)، قال: ثم تقدم مروان بن الحكم بالسيف وهو

يقول:

قد علم القوم إذا الحرب اشتغل \* وانتضى الأسياف فيها والأسل

(١) عن الطبري ٥ / ١٢٥ والبداية والنهاية ٧ / ٢١٠ وابن الأثير ٢ / ٢٩٣ وبالأصل (ابن حرب) تحريف.

في العقد الفريد ٤ / ٢٩٠ محمد بن حزم الأنصاري.

(٢) في الطبري ٥ / ١٢٥ حجول. وفي صفحة ١٢٨ ذات وشاح ولها جديل.

(٣) في الطبري ٥ / ١٢٨ لأمنعن منكم خليلي.

(٤) الأرجاز في الطبري ٥ / ١٢٣ وتمثل بها مروان بن الحكم، وفي الطبري أيضا ٥ / ١٢٩ ذكر الرجزيين

الأولين مع آخرين غيرهما تمثل بهما المغيرة بن الأحنس الثقفي.

(٥) في الطبري: قتله عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي.

واحولت الأحداق فيها والمقل \* إني أنا الليث هناك والقلل  
قال: فقصدته الحجاج بن [عمرو بن] (١) غزية الأنصاري وهو يقول:  
قد علمت بيضاء حسناء الطلل \* واضحة الخدين عجزاء الكفل  
إني غداة الروع مقدام بطل \* اطحطح الهامات والحرب وهل  
قال: ثم شد على مروان فضربه ضربة على عاتقه (٢)، فقطع الدرع ووصل  
السيف إلى عاتق مروان فجرحه جراحة منكرة.

قال: وتقدم عبد الله بن عبد الرحمن بن مروان بن العوام حين وقف في وجوه  
القوم فقال: يا هؤلاء! أما تتقون الله في هذا الشيخ؟ وقد علمتم أنه إمام مفترض  
الطاعة! يا هؤلاء بيننا وبينكم كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، قال:  
فشده عليه

عبد الرحمن بن حنبل الجمحي فضربه بسيفه ضربة قتله، ثم انصرف عنه وهو  
يقول:

لأضربن اليوم بالقرصاب \* ضرب امرئ ليس بذئ ارتياب  
أأنت تدعو إلى الكتاب \* نبذته في سالف الأحقاب  
قال: واقتحم الأشتر الدار وسيفه في يديه، فنظر إليه مولى لعثمان فحمل عليه  
يريد قتله، فالتفت إليه الأشتر فضربه [ضربة] قتله، ثم شد على عبد الله بن  
وهب بن زمعة بن الأسود فقتله (٣)، ثم حمل على مولى لعثمان فضربه ضربة فأطب  
يده اليسرى، ثم ضربه أخرى فقتله، وشد على عبد الله بن ميسرة بن عوف فقتله،  
ثم أقبل الأشتر يريد عثمان ليقتله، فلما نظر إليه وحيدا ليس عنده مانع ندم واستحيا  
فرجع عنه، وصاح رجل من أهل الكوفة يقال له مسلم بن كثير الفرافصي، قال:  
ويحك يا أشتر! دخلت على الرجل تريد قتله فلما نظرت إليه نكصت ورجعت عنه.  
قال: ودخل محمد بن أبي بكر فلم يكذب إلى أن صار إلى عثمان، فقال:

(١) سقطت من الأصل، مرت الإشارة إليه قريبا.

(٢) في الطبري ٥ / ١٢٥ رفاعة بن رافع الأنصاري هو الذي ضرب مروان بن الحكم. وفي ابن الأثير  
٢ / ٢٩٣ ضربه رجل من بني ليث يدعى النباع. ضرب مروان على رقبتة فأثبتته وقطع إحدى علباويه  
(العلباوان: أصل العنق وعصبه).

(٣) كذا بالأصل والإصابة وأسد الغابة أنه قتل يوم الدار. وفي الإصابة عن ابن حبان أنه قتل يوم الحرة وبه  
حزم الكلبى.

يا نعثل! فقال عثمان: أنا عثمان بن عفان أمير المؤمنين وأنت كذاب من الكذابين، قال: فضرب محمد بيده إلى لحية عثمان وقال: كيف ترى صنع الله بك؟ فقال عثمان: ما صنع بي ربي إلا خيرا، فاتق الله ودع لحيتي، فإن أباك لو كان حيا لم يأخذها أبدا، فقال محمد: لو كان أبي حيا وراك تفعل هذه الفعال لأنكرها، قال: فضرب عثمان بيده إلى مصحف عن يمينه فوضعه في حجره ثم فتحه وقال: هذا كتاب الله بيني وبينكم، إنني أعمل بما فيه ولكم العتبي مما تكرهون، فقال له محمد بن أبي بكر: (ألئن وقد عصيت قبل و كنت من المفسدين)، ثم جاءه بمشاقص كانت في يده فأدماه ولم يقطع (١) والله أعلم، قال: وأول قطرة قطرت من دمه - والله أعلم - وقعت على هذه الآية (فسيكفيكم الله وهو السميع العليم) (٢)، قال: ثم تنحى محمد بن أبي بكر وضربه كنانة بن بشر النخعي بعمود كان في يده على رأسه، وثناه سودان (٣) بن حمران المرادي بالسيف، فسقط عثمان رحمة الله عليه على قفاه (٤).

قال: وأخذته السيوف والجراحات فصاحت امرأته نائلة بنت الفرافصة الكلبية: يا هؤلاء! إن تقتلوه فإنه لم يزل صواما قواما، يحيي الليل ويختم القرآن في ركعة واحدة، قال: فشتموها من كل ناحية وهموا بقتلها، فتواتر عنهم. قال: ثم إنهم غادروا عثمان في داره قتيلا وجعلوا يرتجزون بالاشعار. ذكر ما قيل فيه بعد قتله رضي الله عنه.

قال: فأول من خرج من دار عثمان رضي الله عنه عبد الرحمن بن حنبل الجمحي وهو يقول:

- 
- (١) كذا بالأصل والطبري وابن الأثير، لكنه ضعف روايته وثمة اتفاق في المصادر على أن محمد عبث بلحيته ثم ندم وتركه وخرج. والمشقص: سهم فيه نصل عريض.  
(٢) سورة البقرة الآية ١٣٧.  
(٣) بالأصل: (سندان) تحريف وما أثبتناه عن ابن سعد ٣ / ٧٤.  
(٤) اختلف أهل السير في قتله، كيف قتل، ومن قتله، ومن أجهز عليه. انظر مختلف الأقوال في ذلك: الطبري ٥ / ١٣٠ مروج الذهب ٢ / ٣٨١ - ٣٨٢ ابن سعد ٣ / ٧٢ - ٧٤ العقد الفريد ٤ / ٢٩١ تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧٦ البداية والنهاية ٧ / ٢١٠ الإمامة والسياسة ١ / ٤٣ تاريخ خليفة ص ١٧٤ - ١٧٥.

فدق أبا عمرو بسوء الفعل \* وذي صنيع فاجر ذي جهل  
لما سددت باب كل عدل \* وصرت ترجى حقنا بالمطل  
عدا عليك أهل كان فضل \* بمشرفيات حداث الصقل  
كذاك يجري كل عان وعل  
قال: ثم خرج في أثره سبرة بن درهم وآخر يرتجز وهو يقول:  
نحن قتلنا نعثلا ذا السيرة \* إذ زاغ عن أعلامنا المنيره  
يحكم بالجور على العشيرة \* وقد قتلنا قبله المغيرة (١)  
نالته أسياف لنا مآثوره \* إنا أناس نعرف البصيرة  
إن نحن أعلننا وفي السريرة  
قال: ثم خرج في أثره الحجاج بن [عمرو بن] (٢) غزية الأنصاري وهو  
يقول:

نحن قتلنا نعثلا في المجلس \* نحن جلسناه بشر مجلس  
وخر عند الماهر بن الأحنس \* حتى جرى طائره بالأبخس  
نجوز بين أروس وأروس \* خطفا بأطراف الرماح الدعس  
وفر مروان فرار الأكيس \* حين رأى وقع السيوف الخلس  
قال: ثم خرج في أثره محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة (٣) وهو يرتجز  
ويقول:

إنا نهضنا وبنا انتصار \* بالسيف والسيف له غرار  
وفيلق يقدمها عصار \* فدروا سيوفها حذار  
قال: ثم خرج سودان (٤) بن حمران المرادي وسيفه ملطخ بالدم من عثمان وهو  
يقول:

(١) يريد المغيرة بن الأحنس بن شريق.  
(٢) سقطت من الأصل، وقد مرت الإشارة إليه.  
(٣) هو محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف العيشمي، أبو القاسم.  
صحابي ولد بأرض الحبشة. وكان من أشد الناس تأليبا على عثمان. أقره علي بن أبي طالب، وقتله  
معاوية لما أراد الخروج إلى صفين. (الإصابة).  
(٤) بالأصل (سندان) وقد مرت الإشارة إليه.

أقبلن من مصر ومن أشتات \* علي في عتاق مرسلات  
ما أن نبالي كلما قد يأتي \* في الله ما نلقي من الهنات  
من ابن عفان أخي السوءات \* المسنخط الله في أوقات  
في غير ما يعطى من الهنات \* ونقذف الغي إلى الغوات  
إلى بنيه وإلى البنات

قال: ودخل حسان بن ثابت يعرض بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو  
يقول:

خذلته الأنصار أن (١) حضر المو \* ت وكانت ثقاته (٢) الأنصار  
أين أين الوفاء إذ منع الما \* ء ففته النفوس والابصار (٣)  
من عذيري من الزبير ومن طل \* - حة هاجا أمرا له أعصار (٤)  
ثم قالأ أراد يستبدل الذي \* ن اعتذارا وللأمور قرار  
فوليه (٥) محمد بن أبي بك \* - ر جهارا وبعده عمار  
هكذا ضلت اليهود عن الح \* - ق بما زخرفت لها الأحبار  
باسط للذي يريد ذراعي \* - ه عليه (٦) سكينه ووقار  
يرتحي الامر..... \* كالذي..... له الاقدار (٧)

قال: وأقبل عبد الرحمن بن أبي بكر وأبو جهم بن حذيفة العدوي إلى باب  
عثمان فإذا هم بالحجاج بن [عمرو بن] غزية الأنصاري ومعه نفر من بني عمه قد  
وقفوا على باب عثمان لا يتركون أحدا أن يدخل عليه، فقال أبو جهم بن حذيفة: يا

(١) في مروج الذهب ٢ / ٣٨٣ والعقد الفريد ٤ / ٢٩٧: إذ.

(٢) في مروج الذهب: ولاية.

(٣) البيت في العقد:

أين أهل الحياء إذ منع الما \* ء ففته الاسماع والابصار

(٤) في المروج: وطلحة إذ جاء أمر له مقدار.

(٥) في المروج: (فتولى) وفي العقد: ثم وافى. وفيهما: وخلفه عمار.

(٦) في العقد: باسطا للتي يريد يديه وعليه...

(٧) موضع النقاط غير واضح بالأصل، والبيت في العقد:

يرقب الامر أن يزف إليه \* بالذي سببت له الاقدار

هؤلاء! إنكم قد قتلتم الرجل فدعونا نحمله فنصلي عليه! فقالت الأنصار ومن هنالك: كلا والله لا ندعكم تصلون عليه حتى يبائع الناس رجلا نرتضيه، فقال أبو جهم بن حذيفة: إنكم لم تدعونا نصلي عليه فإن الله وملائكته قد صلوا عليه، فقال له الحجاج بن [عمرو بن] غزية الأنصاري: إن كنت كاذبا أدخلك الله مدخله! فقال أبو جهم: نعم وحشرنني الله معه! قال: فقال له رجل من البصريين: لا عليك! فإن الله عز وجل حاشرك معه ومع الشيطان الرجيم، والله إن تركنا إياك من غير أن نلحقك به لعجز، قال: فقال له أصحابه: ويحك أبا جهم! أما لك في نفسك حاجة؟ دع القوم وامض لشأنك! فانصرف أبو جهم وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فتلقيه حسان بن ثابت وقال: ما وراءك يا أبا جهم؟ فقال: ورائي والله أن عثمان بن عفان في داره مقتول وقد منعنا أن نصلي عليه! فقال له حسان بن ثابت: عن قريب ترى غب هذا أبا جهم! فانصرف إلى منزلك ولا تعرض نفسك لهؤلاء الغاغة، فإنه من يقدر على عثمان فيقتله يهون عليه قتل غيره من الناس. قال: فانصرف أبو جهم إلى منزله، وأنشأ حسان بن ثابت قصيدة (١):

من سره الموت صرفا لا مزاج له \* فليأت مأدبة (٢) في دار عثمانا  
مستشعري حلق الماضي قد سفعت (٣) \* قبل المخاطم بيض زان أبدانا  
رضيت حقا (٤) بأهل الشام نافرة \* وبالامير وبالاخوان إخوانا  
إني لمنهم وإن غابوا وإن شهدوا \* ما دمت حيا وما سميت حسانا  
يا ليت شعري وليت الطير تخبرني \* ما كان شأن علي وابن عفانا  
لتسمعن وشيكا في دياركم (٥) \* خيلا تكدس تحت النخع فرسانا

(١) الأبيات في ديوانه المطبوع ص ٤٠٩ والطبري ٥ / ١٥١ وابن الأثير ٢ / ٣٠١ والعقد الفريد ٤ / ٢٩٧

٢٩٨ والبيتان الأخيران في مروج الذهب ٢ / ٣٨٣ والبداية والنهاية ٧ / ٢١٩ والاستيعاب لابن عبد البر.  
(٢) الطبري وابن الأثير والديوان والعقد والبداية والنهاية: مأسدة.  
(٣) الطبري ابن الأثير: شفعت. والبداية والنهاية: فوق بدل قبل.  
(٤) الطبري وابن الأثير: فقد رضينا.  
(٥) في المصادر السابقة: ديارهم الله أكبر يا ثارات عثمانا.  
وبعده في ابن الأثير والعقد:  
ضحوا بأشمط عنوان السجود به \* يقطع الليل تسيحا وقرآنا

قال بعض أهل العلم: وكان مقتل عثمان رضي الله عنه في أيام التشريق، وقال بعضهم: قتل عثمان يوم الخميس لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة، وقال عوانة بن الحكم: قتل عثمان في يوم الجمعة وقت العصر لسبع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وهو ابن إحدى وثمانين سنة، وكان مقتله على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وثمانية عشر يوما من مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١).

قال: وترك عثمان قتيلا (٢) إلى أن بويع علي رضي الله عنه وأتى به إلى حفرتة، وصلى عليه حكيم بن حزام. وقال قوم: بل صلى عليه جبير بن مطعم بن عدي، ودفن ببقيع الغرقد.

(١) أجمع أهل السير ومترجمو سيرة عثمان رضي الله عنه على مقتله في ذي الحجة. واختلفوا في وقت مقتله، وفي مدة ولايته وقدر مدة حياته.  
انظر في ذلك: الطبري ٥ / ١٤٥ - ١٤٦ مروج الذهب ٢ / ٣٦٦ تاريخ خليفة ص ١٧٧ طبقات ابن سعد ٣ / ٧٧ كتاب المحبر ص ٦٣ العقد الفريد ٤ / ٢٨٤ مآثر الإنافة ١ / ٩٥ تاريخ أبي الفداء ١ / ١٧٠.  
(٢) في الطبري ٥ / ١٤٣ بقي ثلاثة أيام لا يدفن.

ذكر بيعة أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال: وأقبل الناس إلى علي بن أبي طالب بعرف الضبع (١) فقالوا: يا أبا الحسن! إنه قد قتل هذا الرجل ولا بد للناس من إمام، وليس لهذا الأمر أحد سواك، فهلم فبايع الناس حتى يدفن هذا الرجل فإنه في داره قتيل، فقال علي: لا حاجة لي في البيعة، فقال له بعض القوم: يا سبحان الله! لم لا تجيب القوم إلى البيعة وقد تعلم أن قتل عثمان كان لله عز وجل رضا، فقال علي: ليس الأمر كما تقولون لقد قتلتموه بلا دية ولا قود، فدعوني والتمسوا غيري لهذا الأمر، فإنني أرى أمرا له وجوه ولا تقوم لها القلوب ولا تثبت عليها العقول، فعليكم بطلحة والزبير! قالوا: فانطلق معنا إلى طلحة والزبير، فقال علي: أفعل ذلك.

ثم خرج من منزله مع القوم حتى صار إلى طلحة في داره، فقال: يا أبا محمد! إن الناس قد اجتمعوا إلي في البيعة، وأما أنا فلا حاجة لي فيها، فابسط يدك حتى يبايعك الناس، فقال طلحة: يا أبا الحسن! أنت أولى بهذا الأمر وأحق به مني لفضلك وقرابتك وسابقتك، فقال له علي: إني أخاف إن بايعني الناس

(١) كذا بالأصل، وفي الطبري ٥ / ١٥٣ والبداية والنهاية ٧ / ٢٥٣ دخل حائط بني عمرو بن مبدل. وفي الكامل لابن الأثير ٢ / ٣٠٢ كان في بيته، وقيل في حائط لبني عمرو بن مبدل. وعرف الضبع: اسم جبل لغطفان، والضبع أيضا: موضع قبل حرة بني سليم. والضبع أيضا: واد قرب مكة بينها وبين المدينة.

واستقاموا على بيعتي أن يكون منك أمر من الأمور! فقال طلحة: مهلا يا أبا الحسن! فلا والله لا يأتيك مني شيء تكرهه أبدا، قال علي: فالله تبارك وتعالى عليك راع وكفيل! قال طلحة: يا أبا الحسن نعم! قال علي: فقم بنا إذا إلى الزبير بن العوام. فأقبل معه طلحة إلى الزبير فكلمه علي بما كلم به طلحة، فرد عليه الزبير شبيها بكلام طلحة وعاقده وعاهده أنه لا يغدر به ولا يحبس بيعته. قال: فرجع علي إلى المسجد واجتمع الناس، فقام نفر من الأنصار منهم أبو الهيثم (١) بن التيهان ورفاعة بن رافع (٢) ومالك بن العجلان وخزيمة بن ثابت والحجاج بن [عمرو بن] غزية وأبو أيوب خالد بن زيد، فقالوا: أيها الناس! إنكم رأيتم ما سار فيكم عثمان، وأنتم اليوم على شرف أن تقعوا في مثلها، فاسمعوا قولنا وأطيعوا أمرنا! قال: فقال له الكوفيون والمصريون: فإننا قد قبلنا منكم فأشيروا علينا فإنكم أهل السابقة وقد سماكم الله أنصارا، فأمرونا بأمركم، فقالت الأنصار: إنكم قد عرفتم فضل علي بن أبي طالب وسابقته وقرابته ومنزلته من النبي صلى الله عليه وسلم مع علمه

بحلالكم وحرامكم وحاجتكم إليه من بين الصحابة ولن يألوكم نصحا، ولو علمنا مكان أحد هو أفضل منه وأجمل لهذا الأمر وأولى به منه لدعوناكم إليه، فقال الناس كلهم بكلمة واحدة: رضينا به طائعين غير كارهين، فقال لهم علي: أخبروني عن قولكم هذا رضينا به طائعين غير كارهين أحق واجب هذا من الله عليكم أم رأي رأيتموه من عند أنفسكم؟ قالوا: بل هو واجب أوجبه الله عز وجل لك علينا، فقال علي رضي الله عنه: فانصرفوا يومكم هذا إلى غد، قال: فانصرف الناس.

فلما كان من غد أقبل الناس إلى المسجد، وجاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إن الأمر أمركم فاخترتوا لأنفسكم من أحببتهم وأنا سامع مطيع لكم! قال: فصاح الناس من كل ناحية وقالوا: نحن على ما كنا عليه بالأمس، فابسط يدك حتى يبايعك الناس! قال: فسكت علي

(١) هو مالك بن التيهان بن مالك بن عتيك... بن الأوس الأنصاري، أبو الهيثم وبالأصل (أبو القاسم) تحريف. مات سنة ٢٠ أو ٢١ هـ وقيل إنه أدرك صفين وشهدها مع علي وقتل بها.  
(٢) هو رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان... الأنصاري الخزرجي. وبالأصل ابن نافع بدل (ابن رافع) تحريف. شهد العقبة، وقيل إنه شهد بدرًا وأحدا والمشاهد كلها مع النبي (ص) (أسد الغابة ١٧٨/٢).

وقام طلحة إلى علي فبايعه وضرب بيده علي يد علي، وكان به شلل من ضربة أصابته يوم أحد، فلما وقعت يده علي يد علي قال قبيصة بن جابر (١): إنا لله وإنا إليه راجعون! أول يد وقعت على كف علي أمير المؤمنين يد شلاء، لا والله لا يتم هذا الامر من قبل طلحة بن عبيد الله أبدا. قال: ثم وثب الزبير وبايع، وبايع الناس بعد ذلك بالبيعة من المهاجرين والأنصار ومن حضر من العرب والعجم والموالي. قال: وتقدم رجل من أهل مصر يقال له سودان (٢) بن حمران المرادي فقال له: يا أبا الحسن! إنا قد بايعناك على إن عملت فينا كما عمل عثمان قتلناك، فقال علي رضي الله عنه: اللهم فنعم، قال: فبايعه الناس على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. قال: وأنشأ عبد الرحمن بن حنبل الجمحي قصيدة مطلعها: لعمرى لقد بايعتم ذا حفيظة \* على الدين معروف العفاف موقفا إلى آخره.

[دفن عثمان رضي الله عنه] (٣).

قال: ثم أمر علي بدفن عثمان، فحمل وقد كان مطروحا على مزبلة ثلاثة أيام حتى ذهبت الكلاب بفرد رجله، فقال رجل من المصريين وأمة: لا ندفنه إلا في مقابر اليهود (٤)! قال حكيم بن حزام: كذبت أيها المتكلم! لا يكون ذلك أبدا ما بقي رجل من ولد قصي، قال: فحمل عثمان رحمة الله عليه على باب صغير قد جازت رجلاه من الباب، وأن رأسه ليتقعقع، وأوتي به إلى حفرة، فتقدم حكيم بن حزام فصلى عليه (٥)، ودفن في بقيع الغرقد، فأنشأ حسان بن ثابت الأنصاري يقول:

إذا ما أردتم من أخي الدين تارك \* يد الله في ذاك الأديم الممزق

(١) في الطبري ٥ / ١٥٣ وابن الأثير ٢ / ٣٠٢ حبيب بن ذؤيب. وفي تاريخ يعقوبي ٢ / ١٧٨ رجل من بني

أسد.

(٢) بالأصل: سندان. وقد مر.

(٣) استدرك للايضاح.

(٤) بدير سلح، مقبرة اليهود.

(٥) في ابن الأثير: صلى عليه جبير بن مطعم، وقيل حكيم بن حزام وقيل مروان ٢ / ٢٩٥.

قال: ثم أمر علي رضي الله عنه بكل مال وسلاح في دار عثمان بن عفان رحمة الله عليه ونجائب أخذها من مال الصدقة، فقبضت وجعلت في بيت مال المسلمين وما كان سوى ذلك جعله علي رضي الله عنه ميراثا بين أهله وولده وجمع علي رضي الله عنه ما كان في بيت المال ففرقه في المهاجرين والأنصار، وأصاب كل رجل ثلاثة دنانير - والله أعلم - .  
ذكر قدوم عائشة من مكة وما كان من كلامها بعد قتل عثمان.

قال: وقدمت عائشة من مكة وقد قضيت حجها، حتى إذا صارت قريبا من المدينة (١) استقبلها عبيد (٢) بن أبي سلمة الليثي وكان يقال له ابن أم كلاب فقالت له

عائشة: ويحك! ألنا أم علينا؟ فقال: قتل عثمان بن عفان، فقالت: ثم ماذا؟ فقال: بايع الناس علي بن أبي طالب، قالت عائشة: وددت أن هذه وقعت علي قتل - والله - عثمان بن عفان مظلوما وأنا مطالبة بدمه، والله ليوم من عثمان خير من علي الدهر كله. فقال لها عبيد بن أم كلاب: ولم تقولين ذلك؟ فوالله ما أظن أن أحدا بين السماء والأرض في هذا اليوم أكرم من علي بن أبي طالب على الله عز وجل، فلم تكرهين ولايته؟ ألم تكونين تحرضين الناس على قتله؟ ثم إنك أظهرت عيبه وقلت: اقتلوا نعثلا فقد كفر، فقالت عائشة: لعمرى قد قلت ذلك وقالوا: ثم رجعت عما قلت لما عرفت خبره من أوله، وذلك أنكم استتبتموه، حتى إذا جعلتموه كالفضة البيضاء قتلتموه، فوالله لأطلبن بدمه! فقال لها عبيد بن أم كلاب: هذا والله التخليط يا أم المؤمنين! ثم أنشأ يقول (٣):  
إذا زرتها فقول لها \* وحط القضاء بذاك القدر  
فمنك (٤) البداء ومنك الغير \* ومنك الرياح ومنك المطر

(١) وصلت إلى سرف (الطبري - ابن الأثير) وهو موضع بين مكة والمدينة.  
(٢) عن الطبري ٥ / ١٦٥ وعنده ٥ / ١٧٢ (عبد) وبالأصل: عبيد الله.  
(٣) الأبيات في الطبري ٥ / ١٧٢ وابن الأثير ٢ / ٣١٣.  
(٤) في الطبري: منك.

وأنت أمرت بقتل الامام \* وقلت كذا إنه قد كفر (١)  
فهنا أظعنك في قتله \* فقاتله عندنا من أمر  
فقد بايع الناس ذا مرة (٢) \* يزيل الشبا ويقيم الصعر  
ويلبس للحرب أثوابها \* وما من وفي مثل من قد غدر (٣)  
فلم يسقط السقف من فوقنا \* ولم ينكسف شمسنا والقمر  
قال: فقالت عائشة: يا عبيد (٤) إنه لو قال هذه الأبيات غيرك لم يحتمل ولكنك  
في عثمان غير ظنين. ثم إن عائشة رجعت إلى مكة من المدينة وأقامت بها.  
ذكر بيعة أهل البلدان بعد ذلك  
لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.  
قال: وبلغ أهل الكوفة قتل عثمان وبيعة الناس لعلي بن أبي طالب رضي الله  
عنه فقامت الناس إلى أميرهم أبي موسى الأشعري (٥) فقالوا: أيها الرجل! لم لا  
تبايع عليا وتدعو الناس إلى بيعته فقد بايعه المهاجرون والأنصار؟ فقال أبو موسى:  
حتى أنظر ما يكون وما يصنع الناس بعد هذا قال: فأنشأ رجل من أهل الكوفة (٦) أبياتا  
مطلعها:

أبايع غير مكنتم عليا \* وإن لم يرض ذاك الأشعريا  
إلى آخره.

قال: وأقبل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى أبي موسى الأشعري فقال: يا  
أبا موسى! ما الذي يمنعك أن تبايع عليا؟ فقال: أنتظر الخبر، قال: وأي خبر

- 
- (١) في الطبري وابن الأثير: وقلت لنا.  
(٢) الطبري وابن الأثير: ذا تدرأ.  
(٣) عن الطبري وابن الأثير: وبالأصل: وفيمن وفي وفيمن غدر.  
(٤) عن الطبري، وبالأصل: عبيد الله.  
(٥) مر أن عثمان ولي الكوفة بعد سعيد بن العاص، وكان أهل الكوفة استقبلوا سعيدا، وأعادوه إلى المدينة  
من الجرعة.  
(٦) هو هاشم بن عتبة بن أبي وقاص كما في الإصابة.

تنتظر وقد قتل عثمان؟ أتظن أنه يرجع إلى الدنيا؟ إن كنت مبايعاً لأمير المؤمنين وإلا فاعتزل أمرنا، ثم أنشأ أبياتا مطلعها:  
إن ابن عفان إذ أودى بشقوته \* طغى فحل به من ذلكم غير  
إلى آخره.

قال: ثم ضرب هاشم بن عتبة بيده على الأخرى وقال: لي شمالي ويميني  
لعلي بن أبي طالب، فلما قال هاشم ذلك وثب أبو موسى الأشعري فبايع ولم يجد  
بدا من ذلك قال: وبايعت أهل الكوفة علياً رضي الله عنه بأجمعهم، وأنشأ هاشم بن  
عتبة أبياتا مطلعها:

أبايعه في الله حقاً وما أنا \* أبايعه مني اعتذاراً ولا بطلا  
إلى آخره.

قال: فبايعت أهل الحجاز وأهل العراقين لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.  
ذكر الوفود القادمة على علي بن أبي طالب  
بعد بيعتهم إياه في بلادها.

قال: وبلغ ذلك أهل اليمن فبايعوا طائعين غير مكرهين، ثم إنهم قدموا عليه  
يهنونه بالخلافة، فأول من قدم عليه رفاعه بن وائل الهمداني في قومه من همدان وهو  
يقول أبياتا مطلعها:

نسير إلى علي ذي المعالي \* بخير عصابة يمن كرام  
إلى آخره.

قال: وقدم عليه كيسون بن سلمة الجهني في قومه من جهينة وأنشأ يقول أبياتا  
مطلعها:

أجبنا علياً بعل بنت نبينا \* على كل خنذيد من الخيل سابح  
إلى آخره.

قال: ثم قدم عليه روية بن وبر البجلي في قومه من بجيلة وأنشأ يقول أبياتا  
مطلعها:

أجنبناه دون الهاشمي سوابخ \* ومواه برق مقفرات موادخ  
إلى آخره.

قال: فكانت هؤلاء الوفود يسرون من بلاد اليمن يريدون المدينة الليل مع  
النهار ولا يفترون من السير، وقد ذكر بعضهم ذلك في أرجوة له حيث يقول أبياتا  
مطلعها:

سيروا بنا في ظلمة الحنادس \* في مهمه قفر الفلاة واهس (١)  
إلى آخره.

قال: وبلغ ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فدعا بالأشتر النخعي فأمره  
أن يخرج فيتلقاهم في أهل المدينة، فخرج الأشتر في تعبئة حسنة حتى يلقاتهم  
فرحب بهم، وقال: قدمتم خير مقدم إلى قوم يحبونكم وتحبونهم، وإلى إمام عادل  
خليفة فاضل قد رضي به المسلمون وبايعه الأنصار والمهاجرون. قال: فدخل القوم  
المدينة فنزلوا، وجاء الأشتر حتى دخل على علي رضي الله عنه رافعا صوته وهو يقول  
أبياتا مطلعها:

أتتك عصابة من خير قوم \* بما ينوون من حضر وبادي  
إلى آخره:

قال: وأقام القوم يومهم ذلك، فلما كان من الغد بعث إليهم، فأقبل رؤساء  
القوم منهم العياض بن خليل الأزدي ورفاعة بن وائل الهمداني وكيسوم (٢) بن سلمة  
الجهني ورويبة بن وبر البجلي ورفاعة بن شداد الخولاني وهشام بن أبرهة النخعي  
وجميع بن خيثم الكندي والأخنس بن قيس العتكي وعقبة بن النعمان النجدي  
وعبد الرحمن بن ملجم المرادي، قال: فلما دخل إليه هؤلاء العشرة وسلموا عليه رد  
عليهم السلام، ثم قربهم وأدناهم وقال لهم: إنكم صناديد اليمن وساداتها فليت

(١) واهس: قال الجوهري: التوهس مشي المثقل في الأرض. والوهس: شدة الغمز. وهمسه وهسا:  
وطئه وطئا شديدا. (اللسان).

(٢) مر قريبا (كيسوم).

شعري إن دهمنا أمر من الأمور كيف صبركم على ضرب الطلا وطعن الكلا؟ قال:  
فبادر عبد الرحمن بن ملجم بالكلام فقال: يا أمير المؤمنين! ارم بنا حيث شئت إذا  
شئت لتعلم ذلك، فوالله! ما فينا إلا كل بطل أهيس (١)، وحازم أكيس، وشجاع  
أشرس، وليث أعبس، ورثنا ذلك عن الآباء والأجداد، وكذلك يرثه عنا صالح  
الأولاد، وأنشأ يقول أبياتا مطلعها:  
أبادر في الحروب إلى الأعادي \* بكل مهند يوم الضراب  
إلى آخره.

قال: فدعا علي رضي الله عنه بالحبر اليمانية والثياب الالحمية فجعلها  
عليهم، وانصرفوا إلى رحالهم فرحين مسرورين.  
ذكر من فشل عن البيعة وقعد عنها.

قال: وأقبل عمار بن ياسر إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أمير  
المؤمنين! إن الناس قد بايعوك طائعين غير كارهين، فلو بعثت إلى أسامة بن زيد  
وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك فدعوتهم  
ليدخلوا فيما دخل فيه الناس من المهاجرين والأنصار (٢)! فقال علي رضي الله عنه:  
إنه لا حاجة لنا فيمن لا يرغب فينا، قال فقال له الأشر: يا أمير المؤمنين! إننا وإن  
لم يكن لنا في السابقة ما لهم فإنهم ليسوا بشيء أولى من أمور المسلمين منا، وهذه  
بيعة عامة، الخارج منها طاعن علينا، فلا تدعهم أو يبائعوا، فإن الناس اليوم إنما  
هم باللسان وغدا باللسان، وليس كل من يتناقل عليك كمن يخف معك، وإنما  
أرادك القوم لأنفسهم فردهم لنفسك، فقال له علي رضي الله عنه: يا مالك جدي  
ورأبي، فإني أعرف بالناس منك. قال: وكان الأشر وجد من ذلك في نفسه،  
فأنشأ أبياتا مطلعها:

منحت أمير المؤمنين نصيحة \* فكان امرءا تهدي إليه النصائح

(١) الأهيس: الشجاع. (اللسان).

(٢) انظر ما ذكره الطبري ٥ / ١٥٣ وابن الأثير ٢ / ٣٠٣ وابن كثير ٧ / ٢٥٣ فيمن تخلف عن بيعة علي  
رضي الله عنه.

وقال الواقدي: وتربص سبعة نفر لم يبائعوا... ولم يتخلف أحد من الأنصار إلا بايع فيما نعلم  
(نقله الطبري ٥ / ١٥٥).

إلى آخرها.

قال: فوثب إلى علي رضي الله عنه رجل اسمه زياد بن حنظلة التميمي، فقال: يا أمير المؤمنين! ما الرأي إلا ما رأيت وأنه من عاند نفسه فإنك غير مشفع به، فإن بايعك كرها فدع عنك هؤلاء الراغبين عنك، فوالله لانت الأمين والمأمون على الدين والدنيا - والسلام - ثم أنشأ التميمي أبياتا مطلعها:  
أبا حسن متى ما تدع فينا \* نجبك كأننا دفاع بحر  
إلى آخرها.

قال: وأقبل سعد بن أبي وقاص إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أبا الحسن! والله ما أشك فيك أنك على الحق، ولكني أعلم أنك تنازع في هذا الامر والذي ينازعك فيه هم أهل الصلاة، فإن أحببت أني أبايعك فأعطني سيفاً له لسان وشفتان يعرف المؤمن من الكافر حتى أقاتل معك من خالفك بعد هذا اليوم، فقال علي رضي الله عنه: يا بن نجاح يا سعد! أترى لو أن سيفاً نطق بخلاف ما نزل به جبريل عليه السلام هل كان إلا شيطاناً، ليس هكذا يشترط الناس على واليهم، بايع واجلس في بيتك، فإني لا أكرهك على شيء، فقال سعد: حتى أنظر في ذلك يا أبا الحسن (١)! قال فوثب عمار بن ياسر فقال: ويحك يا سعد! أما تتقي الله الذي إليه معادك؟ أيدعوك أمير المؤمنين إلى البيعة فتسأله أن يعطيك سيفاً له لسان وشفتان؟ أما والله إن فيك لهنات! ثم أنشأ عمار أبياتا مطلعها:  
قال سعد لذي الامام وسعد \* في الذي قاله حقيق ظلوم  
إلى آخرها.

ذكر خبر مروان بن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة مع علي رضي الله عنه في أمر البيعة له.

قال: ثم بعث علي رضي الله عنه إلى هؤلاء الثلاثة فدعاهم وقد كانوا تحلفوا

(١) وبقي سعد معتزلاً في بيته لم يبايع علياً (الإصابة - البداية والنهاية) وهو ما نقله الطبري ٥ / ١٥٥ من الواقدي.

عن بيعته. فقال لهم: ما لي أراكم قد أبطأتم عن بيعتي؟ قال: فتكلم الوليد بن عقبة فقال: يا أبا الحسن: إنك وترتنا بأجمعنا، أما أنا فقتلت أبي صبيرا يوم مكة (١)، وخذلت أخي عثمان بن عفان فلم تنصره، وأما سعيد بن العاص فقتلت أباه يوم بدر وكان سيد بني أمية، وأما مروان فسحقت أباه (٢) عند عثمان لما رده إلى المدينة وضمه إليه، ونحن نبايعك الآن على أن تقتل من قتل صاحبنا عثمان، وعلى أنك تسوغنا ما يكون منا، وعلى أنا إن خفناك على أنفسنا لحقنا بالشام عند ابن عمنا معاوية، فقال علي رضي الله عنه: أما ما ذكرتني أني وترتككم فإن الحق وتركم، وأما وضعي عنكم ما يكون منكم فليس لي أن أضع عنكم حقا لله تعالى قد وجب عليكم، وأما قتلي لقتلة عثمان فلو لزمني اليوم قتلهم لقتلتهم أمس، وأما خوفكم إياي فإنني أو منكم مما تخافون. قال: فقال له مروان: أفأريت إن نحن لم نبايعك ماذا تصنع بنا؟ فقال علي: اصنع بكم أني أحبسكم حتى تدخلوا فيما دخل فيه المسلمون، وإن طعنتم ذلك عاقبتكم أشد العقوبة، قالوا: فإننا نبايع. قال: فبايع مروان والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص صاغرين (٣)، ثم إن الوليد بن عقبة أنشأ أبياتا مطلعها:

تقدمت لما لم أجد لي مقدا \* أمامي ولا خلفي من الموت مرحلا  
إلى آخرها.

قال: فبلغ عليا هذا الشعر، فأرسل إلى الوليد بن عقبة وإلى صاحبيه مروان وسعيد بن العاص، فقال: إن خفتهم من أمري شيئا أمنتكم منه، وإن أبيتم إلا ما في أنفسكم فالحقوا بأي بلدة شئتم، فقال مروان: لا بل نقيم، فقال علي: ذاك إليكم.

قال: فأقام القوم بالمدينة (٤)، فقال رجل: يا مروان! كم أتت عليك من

(١) كذا بالأصل وهو تحريف والصواب يوم وقعة بدر (انظر سيرة ابن هشام).  
(٢) مر أن عثمان رضي الله عنه كان قد رد الحكم بن العاص وكان قد نفاه رسول الله (ص) من المدينة، وكان هذا مما نقمه الناس عليه.  
(٣) الخبر في مروج الذهب ٢ / ٣٩٠ وتاريخ يعقوبي ٢ / ١٧٨ - ١٧٩ باختلاف، في حين أنه لم يشر أي  
من المصادر الأخرى إلى أنهم بايعوا عليا، وفي الإمامة والسياسة ١ / ٤٧ (وأمر بطلب مروان، فهرب منه، وطلب نفرا من بني أمية وابن أبي معيط، فهربوا).  
(٤) انظر ما سبق، وفي الطبري ٥ / ١٥٦ (... على رأس خمسة أيام من مقتل عثمان رضي الله عنه... وجدوا بني أمية قد هربوا إلا من لم يطق الهرب وهرب الوليد وسعيد إلى مكة في أول من خرج وتبعهم مروان).

السنين؟ فلست من أعمارنا، وذلك لأننا لا نأمن عليا على أنفسنا، قال فقال الرجل: يا مروان! احذر عليا ولا يبلغه عنك هذا، فقال مروان: والله ما أبالي أن قصر عني يده وإن طول علي لسانه، فقال له الرجل: مهلا! فإنه إن طال عليك لسانه طال عليك سيفه، فقال مروان: كلا إن اللسان أدب والسيف خطر. قال: ثم انصرف مروان إلى منزله وجعل يقول أبياتا مطلعها:

إن تكن يا علي لم تصب الذن \* - ب جهارا فإن ذلك سرا  
إلى آخرها.

قال: ففشا هذا الشعر بالمدينة وهم المسلمون يقتل مروان، فقال علي رضي الله عنه: دعوه فإنه لم يرد بهذا الشعر غيري، قال: وبلغ الوليد بن عقبة ما قاله مروان فعذله على ذلك وبعث إليه أبياتا مطلعها:

حللت المدينة رخو الخناق \* وقد كانت النفس عند الحقم  
إلى آخرها.

قال: ففشا هذا الشعر وبلغ عليا، فقال: كل ما قال حسن إلا البيت الأخير (١)، فإنه يخوفنا فيه بحر به إيانا، قال: فكف مروان بن الحكم ولم يقل شيئا.

خبر الحجاج بن خزيمة بن نبهان  
وقدومه على معاوية.

قال: وجعل معاوية يتجسس أخبار المدينة، فبينما هو كذلك إذ دخل عليه حاجبه فقال: أيها الأمير! إن بالبواب رجلا يطلب الدخول عليك ويزعم أنه أقبل من المدينة، فقال معاوية: ائذن له بالدخول! فأذن له فدخل حتى وقف بين يدي معاوية

-----  
(١) أما البيتان الأخيران فهما:  
ولا ييسطن إليه اليدين \* ولا ينقلن إليه القدم  
إلى ترى الكف فيها البنان \* وقرنا... لنا قد نجم

وسلم، فرد عليه السلام ثم قال: من أنت أيها الرجل؟ قال أنا الحجاج بن خزيمة بن نبهان (١)، وأنا النذير العريان، أنعي إليك عثمان، ثم انطلق يقول (٢): إن بني عمك عبد المطلب \* قد قتلوا عثمان حقا لا كذب (٣) فأنت أولى الناس بالوثب فنب \* واغضب جهارا (٤) للإله واحتسب وسر مسير الليث قدما إذ غضب \* بجمع أهل الشام ترشد وتصب فقال له معاوية: ويحك! قد بلغني قتل عثمان، ولكن هل شهدت المدينة يوم قتل؟ فقال: نعم والله لقد شهدت ذلك اليوم (٥)! فقال: أخبرني من تولى قتله، فقال: على الخبير سقطت، حضره [قيس بن] (٦) المكشوح المرادي، وحكم في دمه حكيم جبلة، وهجم عليه محمد بن أبي بكر والأشتر النخعي وعمار بن ياسر وعمرو بن الحمق الخزاعي وسودان (٨) بن حمران وكنانة بن بشر (٩) وجماعة لا

أقف على أسمائهم - وكانت ثم أبحاث لا أحب ذكرها من رجلين - دبوا في ذلك ومشوا وحرصوا على قتله، قال: وأنشأ الرجل أبياتا مطلعها: إن ابن عفان أصيب وحوله \* إخوانه وجماعة الأنصار إلى آخرها.

قال: فقال له معاوية: وكيف لا يضيع دم عثمان وقد خذله ثقاته واجتمع عليهم أمر عدوهم؟ أما والله! لئن بقيت لهم وساعدني أهل الشام لاسوينهم إن شاء الله تعالى، ثم أنشد معاوية أبياتا مطلعها:

(١) في وقعة صفين لابن مزاحم ص ٧٧: (الحجاج بن خزيمة بن الصمة). (انظر الاخبار الطوال ص ١٥٥).

(٢) الارجاز في وقعة صفين ص ٧٧ وبعضها في الاخبار الطوال ص ١٥٥.

(٣) في وقعة صفين والاحبار الطوال: هم قتلوا شيخكم غير الكذب.

(٤) وقعة صفين: معاوي.

(٥) في الاخبار الطوال أنه لقي رجلا في الطريق - وكان قد خرج مع يزيد بن أسد لنصر عثمان - فأخبرهم بمقتل عثمان وأنه ممن شايع على قتله، فقتلاه. (انظر وقعة صفين).

(٦) سقطت من الأصل، وقد مر.

(٧) بالأصل: (حنبل) وقد مر.

(٨) بالأصل: (سندان) وقد مر.

(٩) بالأصل: بشير. وقد مر.

أتاني من الانباء أمر مجمم \* أجود بأنفاس الرجال فضيعوا إلى آخرها.

قال: ثم أقبل معاوية على هذا الرجل القادم عليه فقال: أيها الرجل! إن كان عندك مهز فهزني، فقال: نعم، فاسمع ما أشير به عليك، إن عليا قد بايعه أهل الحجاز وأهل اليمن وأهل مصر وأهل الكوفة ولا أظن أهل البصرة بايعوه، وأنت لتقوى على علي إن أردت مخالفته بدون ما تقدره نفسك، لان الذين معك من أهل الشام لا يقولون إذا قلت، ولا يسألون إذا سألت (١)، والذين مع علي يقولون إذا قال، ويسألون إذا أمر، فقليل من معك خير من كثير من معه، واعلم يا معاوية! إن غلبه العراق والحجاز حتى تأخذ الشام دون العراق، فقال معاوية: والله! لقد صدقت في جميع ما قلت، ولقد ندمت عن قعودي عن عثمان، وقد استغاث بي فلم أجبه وأنا القائل في ذلك أبياتا مطلعها:

أتاني أمر فيه للنفس غمة \* وفيه بكاء للعيون طويل (٢)  
إلى آخرها.

قال: فشاعت هذه القصيدة بالمدينة وبلغ ذلك المغيرة بن شعبة (٣) فجاء إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين! إن لك عندي نصيحة فاقبلها، فقال علي: وما تلك يا مغيرة؟ قال: لست إنني أخاف عليك أحدا يخالفك ويشعث عليك إلا معاوية بن أبي سفيان، لأنه ابن عم عثمان والشام في يده، فابعث إليه بعهدته وألزمه طاعتك، وابعث إلى عبد الله بن عامر بن كريز بعهدته على البصرة، فإنه يسكن عنك الأعداء ويهدي عليك البلاد، فقال علي: ويحك يا مغيرة! والله ما منعني من ذلك إلا قول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (وما

كنت متخذ المضلين عضدا) (٤) والله! لا يراني الله تعالى وأنا أستعمل معاوية

(١) وقعة صفين: أمرت. وفي الاخبار الطوال: لا يقولون إذا سكت ويسكتون إذا نطقت ولا يسألون إذا أمرت.

(٢) من أبيات ذكرها نصر بن مزاحم في وقعة صفين ص ٧٩ والابخار الطوال ص ١٥٥ - ١٥٦.  
(٣) خبر المغيرة بن شعبة ونصيحته لعلي (رض) في الطبري ٥ / ١٥٩ ومروج الذهب ٢ / ٣٩١ البداية والنهاية ٧ / ٢٥٥ ابن الأثير ٢ / ٣٠٦.  
(٤) سورة الكهف الآية ٥١.

على شيء من أعمال المسلمين أبداً، ولكنني أدعوه إلى ما نحن فيه، فإن هو أجاب إلى ذلك أصاب رشده وإلا حاكمته إلى الله عز وجل، قال: فسكت المغيرة بن شعبة وانصرف إلى منزله وأنشأ أبياتا مطلعها:

منحت عليا في ابن حرب نصيحة\* فرد فما منى له الدهر ثانية (١)  
إلى آخره.

[نصيحة أبي أيوب الأنصاري] (٢)

قال: وأراد علي الشخوص إلى الشام ليزور أهلها وينظر ما رأي معاوية، فأقبل أبو أيوب الأنصاري، فقال: يا أمير المؤمنين! إنني لأشير عليك أن تقيم بهذه البلدة فإنها الدرع الحصينة ومهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبها قبره ومنبره فأقم بها، فإن استقامت

لك العرب كنت بها كمن كان من قبلك، وإن تشعب عليك قوم رميتهم بأعدائهم من الناس، قال: فقال له علي رضي الله عنه: صدقت يا أبا أيوب! ولكن الرجال والأموال بالعراق، وأهل الشام لهم وثبة، أحب أن أكون قريبا منهم، ولن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، قال فأنشأ أبو أيوب أبياتا مطلعها:  
أقول وقد أودى بعثمان يومه\* ولا علم لي ما يصنع الله في غد  
إلى آخرها.

قال: وأخذ علي رضي الله عنه برأي أبي أيوب الأنصاري في الإقامة بالمدينة، ثم دعا بابن أخته (٣) جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي فعقد له عقدا

(١) البيت في مروج الذهب ٢ / ٤١٤:

نصحت عليا في ابن هند مقالة\* فردت فلا يسمع لها الدهر ثانية  
وبعده فيه:

وقلت له أرسل إليه بعهد\* علي الشام، حتى يستقر معاوية  
ويعلم أهل الشام أن قد ملكته\* وأم ابن هند عند ذلك هاويه  
فلم يقبل النصح الذي جئته به\* وكانت له تلك النصيحة كافية  
(٢) استدرك للإيضاح.

وهو خالد بن زيد بن كليب... الأنصاري الخزرجي، صحابي، عقبي، بدري أحدي كان مع علي  
ومن خاصته. مات سنة ٥١ عند القسطنطينية فدفن هناك.

(٣) بالأصل (ابن أخيه) تحريف وهو ابن أم هاني بنت أبي طالب، أخت علي.

وولاه على بلاد خراسان (١) وأمره بالمسير ليفتح ما بقي منها، ثم دعا  
بعبد الرحمن مولى بديل (٢) بن ورقاء الخزاعي، فعقد له عقدا وأمره بالمسير إلى  
أرض الماهين (٣) أميرا وعاملا عليها، ووجه بعماله إلى جميع البلاد (٤) التي كانت  
تحت طاعته، فسمع القوم وأطاعوا.

- 
- (١) وكان ذلك بعد ما فرغ من حرب أصحاب الجمل (تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٨٣).  
(٢) بالأصل: (يزيد) وفي الإصابة عبد الرحمن بن بديل بن ورقاء الخزاعي وهو أخو عبد الله. قتلا  
بصفيين مع علي (رض).  
(٣) الماهان: تشية الماه. والماهان: الدينور ونهاوند، والماهان ماه البصرة (نهاوند) وماه الكوفة  
(الدينور) معجم البلدان.  
(٤) انظر في تفريق علي (رض) عماله على الأمصار الطبري ٥ / ١٦١ ابن الأثير ٢ / ٣٠٩ وتاريخ اليعقوبي  
٢ / ١٧٩ - ١٨٠.

ذكر وقعة الجمل وأوائله.

قال: وبلغ ذلك عبد الله بن عامر وهو يومئذ أمير البصرة، فأيقن بأخذ البصرة من يده (١) وأن ينفذ إليها جيشا، فقام في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إن خليفتم عثمان بن عفان قتل مظلوما وبيعته في أعناقكم، ونصرته ميتا كنصرته حيا، ولي عليكم اليوم ما كان لي بالأمس، وقد بايع الناس عليا ونحن اليوم طالبون بدم عثمان، فأعدوا للحرب عدتها، قال: فوثب إليه حارثة (٢) بن قدامة السعدي، فقال له: يا بن عامر! إنك لن تملكنا عنوة ولن نوليكَ عن مشورة إنما بطاعة غيرك، وقد قتل عثمان بحضرة المهاجرين والأنصار فلم يغيروا على قاتله، وقد بايع الناس عليا، فإن أقرك على عملك أطعناك، وإن عزلك عصيناك - والسلام، قال: فسكت عبد الله بن عامر ونزل عن المنبر وأمر بمراكبه فهيئوها، ثم دعا برجل من حضرموت قد كان ولاءه شيئا من عمله، فقال له: احتفظ بعملك فإنني خارج نحو المدينة انظر ما يؤول أمر الناس إليه، ثم خرج عبد الله بن عامر في جوف الليل هاربا نحو المدينة (٣)، وأصبح أهل البصرة يظنون أنه بين أظهرهم، فلما علموا أنه هرب أنشأ رجل منهم أبياتا مطلعها:

لعمرك والأيام غير غوابر\* لقد كادنا عما أراد ابن عامر  
أيأمرنا بالحرب والليل [أظلم]\* وقد يدرك المحنتال ريب المقادر

---

(١) في التعيينات التي أقرت، عزل علي (رض) عبد الله وولى البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري.  
(٢) كذا بالأصل ومروج الذهب، وفي الطبري وابن الأثير: جارية.  
(٣) انظر مروج الذهب ٢ / ٣٩٤.

لشقق به عرض الفلات (؟) ... يدع  
كأن ركابيه على ظهر طائر  
وخلف فينا الحضرمي وإنما \* لفي قتله من بين ناه وأمر  
فإن يتركوه يتركوه و... \* وإن يقتلوه فالأمور مقادر  
وقد كانت الاخبار عنه بأسرها \* وفي راحة التسليم محض السرائر  
وإن عليا حاملا من أطاعه \* على الحق إن والاه أهل البصائر  
وإن عليا خير من وطئ الحصى \* وأفضلهم من ناصر ومهاجر  
قال: فلما قدم عبد الله بن عامر المدينة لقيه طلحة والزبير فقالا له: لا مرحبا  
بك يا مضيع ولا أهلا! تركت البصرة والأموال وأتيت المدينة فرعا من علي بن أبي  
طالب رضي الله عنه! هل لا أقمت بالعراق حتى وافيناك بها؟ قال: ثم بعث إليه  
الوليد بن عقبة (١) بن أبي معيط أبياتا مطلعها:  
تركت العراق وفيها الرجال \* وجئت إلى البلدة الخامله  
إلى آخرها.

قال: وانتفضت البلاد على علي رضي الله عنه، فجعل كلما وجه عاملا من  
عماله إلى بلدة من البلدان حاربوه وتبروه إلا أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل مصر  
وقليل من أهل الحجاز، فقال علي رضي الله عنه لأصحابه: اعلموا أنه قد وقع الامر  
الذي كنت أحذركم إياه، وإن الفتنة كالنار كلما أسعرت ازدادت، وإنما سأمسك هذا  
الامر ما استمسك، فإذا لم أجد بدا فآخر الداء الكي.  
قال: ثم خرج علي رضي الله عنه ذات ليلة من منزله لحاجة، فمر بباب زينب  
بنت أبي سفيان فسمع صوت دف ينقر وصاحبه تقول أبياتا مطلعها:  
ظلامه عثمان عند الزبير \* وأظلم منه لنا طلحة  
إلى آخرها.

قال: فانصرف علي رضي الله عنه من هنالك وأقبل حتى دخل المسجد، فإذا  
هو بلغام متوسد ذراعه، وهو يقول أبياتا مطلعها:

-----  
(١) بالأصل: ابن أبي عقبة تحريف.

أبا حسن إن ثبتت الأمور \* ستأتيك باللبث والحسره إلى آخرها.

قال: فتعجب علي رضي الله عنه من قول الغلام ثم دنا منه فقال: يا غلام! من يقول هذه الأبيات؟ فاستوى الغلام جالسا وقال: أنا أقولها يا أمير المؤمنين! قال: فتاركوه متاركة الأهل، لا الحریم ممن كان لله مجيئا ولدعوة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مجييا، قال: فتركه علي رضي الله عنه وانصرف وهو يقول أبياتا مطلعها:

لقد طال ليلي فالحزين موكل \* حذارا لامر عاجل ومؤجل إلى آخرها.

قال: وأصبح علي رضي الله عنه فصلى بالناس صلاة الصبح ثم جعلت يحدث بعضهم بما سمع من الغلام ثم أمر طلحة والزبير، فقال الناس: يا أمير المؤمنين! يد الله على من لم ينكث وقد برئ الله ممن نكث، ثم تفرق الناس ودخل علي رضي الله عنه إلى منزله، وأنشأ خزيمة بن ثابت الأنصاري أبياتا مطلعها: إذا نحن بايعنا عليا فحسبنا \* أبو حسن مما نخاف من الفتن (١) إلى آخرها.

ذكر خروج طلحة والزبير إلى مكة معتمرا زعما وما أزمعا عليه من الخروج على علي رضي الله عنه والنكث بعده.

قال: ثم أقبل الزبير وطلحة إلى علي رضي الله عنه فاستأذناه في العمرة، فقال لهما علي رضي الله عنه: إنكما ليس إلى العمرة تريدان، وقد كنت قلت لكما في أول الامر: إنكما تفعلان أمر من الأمور، فأبيتما إلا بيعتي طائعين غير مكرهين:

(١) هو خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة بن عامر بن غياث. بدري. شهد مع علي (رض) الحمل وقتل بصفين. (الإصابة).

(٢) بعده في الإصابة:

وفيه الذي فيهم من الخير كله \* وما فيهم بعض الذي فيه من حسن

والآن فقد أذنت لكما فاذهبنا حيث شئتما راشدین! قال: فخرج الزبير وطلحة إلى مكة، وخرج معهما عبد الله بن عامر بن كریز (١) وهو ابن خال عثمان، فجعل يقول لهما: أبشرا! فقد نلتما حاجتكما، والله لامدنكما بمائة ألف سيف.

قال: وقدموا مكة وبها يومئذ عائشة وحرصوها على الطلب بدم عثمان، وكان معها جماعة من بني أمية، فلما علمت بقدوم طلحة والزبير فرحت بذلك واستبشرت وعزمت على ما أرادت من أمرها، قال: وتكلمت بنو أمية ورفعت رؤوسها عند قدوم طلحة والزبير على عائشة ولم يزلوا يحرضوها على الطلب بدم عثمان، قال: وكتب الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى من كان بالمدينة من بني هاشم أبياتا مطلعها (٢):  
بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم\* ولا تنهبوه لا تحل مناهبه (٣)  
إلى آخرها.

قال: فأجابه الفضل بن العباس بن [عتبة بن أبي لهب] (٤) وهو يقول أبياتا مطلعها (٥):

سلوا أهل مصر عن سلاح ابن أختكم (٦) \* فهم سلبوه سيفه وحرائبه (٧)  
إلى آخرها.

وأقبل طلحة والزبير إلى عبد الله بن عمر وهو يومئذ مقيم بمكة (٨)، فقالوا له:

(١) في الطبري ٥ / ١٦٦ وابن الأثير ٢ / ٣١٣ (أنه قدم عليهم من البصرة) وقد مر أنه هرب من البصرة بعد ما

وليها عثمان بن حنيف. قال المسعودي إنه جهزم بألف ألف درهم ومائة من الإبل وغير ذلك (مروج الذهب ٢ / ٣٩٤).

(٢) كذا بالأصل، وفي المصادر التي ذكرت الأبيات لم يرد هذا البيت في مطلع الشعر.

(٣) ذكر عدة أبيات غيره في مروج الذهب ٢ / ٣٨٤ الاستيعاب ٣ / ٦٣٦ - ٦٣٧ الأغاني ٥ / ١٢٠.

(٤) عن مروج الذهب والاستيعاب، وبالأصل: ابن عبد المطلب تحريف.

(٥) كذا، ولم يرد هذا البيت في مطلع الأبيات في المصادر.

(٦) في مروج الذهب ٢ / ٣٨٤ ابن أختنا.

(٧) في مروج الذهب ٢ / ٣٨٤ والاستيعاب ٢ / ٦٣٧ عدة أبيات.

(٨) وكان ابن عمر - قد غادر إلى مكة معتمرا بعدما طلب إليه علي النهوض معه فاعتذر إليه وأبلغه أنه مقيم على طاعته إلى النهوض (الطبري ٥ / ١٦٤ وانظر الإمامة والسياسة ١ / ٥٩ - ٦٠).

أبا عبد الرحمن! إن عائشة قد خافت في هذا الامر وعزمت على المسير إلى البصرة فاشخص معنا ولك بنا أسوة، فأنت أحق بهذا الامر، قال: وكلمه الزبير وقال: أبا عبد الرحمن! لا تنظرن إلى أول أمرنا في عثمان وبيعتنا عليا ولكن انظر إلى آخر أمرنا، إننا ما نريد في مسيرنا هذا إلا علاج الأمة وقد خافت عائشة وليست بك عنها رغبة، قال: فقال عبد الله بن عمر: أيها الرجال! أتريدان أن تخدعاني لتخرجاني من بيتي كما يخرج الأرنب من جحره، ثم تلقينني بين لحيي علي بن أبي طالب، مهلا يا هذان! فإن الناس إنما يخدعون بالوصف والوصيفة والدينار والدرهم ولست من أولئك، إنني قد تركت هذا الامر عيانا وأنا أدعى إليه، فدعوني واطلبوا لامركم غيري، قال فقال الزبير: يغني الله عنك.

قال: وقدم يعلى بن منية من اليمن، وقد كان عاملا عليها من قبل، فقدم ومعه أربعمائة بعير (١) فدعا الناس إلى الحملان، فقال له الزبير: دعنا بين إبلك هذه، هات فأقرضنا مما لك ما نستعين به على ما نريد، فأقرضهم ستين ألف دينار، ففرقها الزبير فيمن أحب ممن خف معه، قال: ثم شاوروا في المسير، فقال الزبير: عليكم بالشام! فيها الرجال والأموال وبها معاوية وهو عدو لعلي، فقال الوليد بن عقبة: لا والله ما في أيديكم من الشام قليل ولا كثير! وذلك أن عثمان بن عفان قد كان استعان بمعاوية لينصره وقد حوصر فلم يفعل وتربص حتى قتل، لذلك يتخلص له الشام، أفتطمع أن أسلمها إليكم؟ مهلا عن ذكر الشام وعليكم بغيرها (٢) ثم اعتزلهم الوليد بن عقبة وأنشأ يقول أبياتا مطلعها:  
قولا لطلحة والزبير خطتتما \* بقتلكما عثمان خير قتيل  
إلى آخرها.

قال: واتصل الخبر بمعاوية أن طلحة والزبير وعائشة قد تحالفوا على علي رضي الله عنه وقد اجتمع إليه جماعة من الناس وأنهم يريدون الشام، فكأنه اغتم

---

(١) الطبري وابن الأثير والبداية والنهاية: ستمائة بعير وستمائة ألف درهم. وفي مروج الذهب: أربعمائة ألف درهم وكراعا وسلاحا. وبعث بالجمل المسمى عسكرا إلى عائشة... وفي الإمامة والسياسة: أربعمائة بعير، وأقرض الزبير ستين ألفا، وأقرض طلحة أربعين ألفا.  
(٢) في الطبري وابن الأثير أن هذا قول عبد الله بن عامر بن كريز، وزيد عندهما أنه أقنع الخارجين بالتوجه إلى البصرة فإن له فيها صنائع وأن أهلها لهم هوى في طلحة. وانظر الإمامة والسياسة.

بذلك ثم كتب إليهم أبياتا لا عن لسانه ولا عن لسان غيره، مطلعها:  
قل للزبير على ما كان من عند\* والمرء طلحة قولا غير ذي أود  
إلى آخرها.

قال: فلما وردت الأبيات على طلحة والزبير نظرا فيها قال الزبير: والله ما  
هذا إلا من قول معاوية ولكنه جعله على لسان غيره.

خبر عائشة مع أم سلمة حين  
أرادت المسير إلى البصرة.

قال: وأقبلت عائشة حتى دخلت على أم سلمة (١) زوجة النبي صلى الله عليه وسلم  
وهي يومئذ

بمكة، فقالت لها: يا بنت أبي أمية! إنك أول ظعينة هاجرت مع رسول الله صلى الله  
عليه وسلم،

وأنت كبيرة أمهات المؤمنين وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لنا بين  
بيتك، وقد خبرت

أن القوم استتابوا عثمان بن عفان حتى إذا تاب وثبوا عليه فقتلوه، وقد أخبرني  
عبد الله بن عامر أن بالبصرة مائة ألف سيف يقتل فيها بعضهم بعضا، فهل لك أن  
تسيري بنا إلى البصرة لعل الله تبارك وتعالى أن يصلح هذا الامر على أيدينا؟ قال:  
فقلت لها أم سلمة رحمة الله عليها: يا بنت أبي بكر! بدم عثمان تطيبين! والله لقد  
كنت من أشد الناس عليه، وما كنت تسميه إلا نعثلا، فما لك ودم عثمان؟ وعثمان  
رجل من عبد مناف وأنت امرأة من بني تيم بن مرة، ويحك يا عائشة! أعلى علي  
وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرجين وقد بايعه المهاجرون والأنصار؟ ثم  
جعلت أم سلمة

رحمة الله عليها تذكر عائشة فضائل علي رضي الله عنه وعبد الله بن الزبير على الباب  
يسمع ذلك كله، فصاح بأم سلمة وقال: يا بنت أبي أمية! إننا قد عرفنا عداوتك لآل  
الزبير، فقلت أم سلمة: والله لتوردنها ثم لا تصدرنها أنت ولا أبوك! أتطمع أن  
يرضى المهاجرون والأنصار بأبيك الزبير وصاحبه طلحة وعلي بن أبي طالب حي وهو  
ولي كل مؤمن ومؤمنة (٢)؟ فقال عبد الله بن الزبير: ما سمعنا هذا من رسول الله صلى  
الله عليه وسلم

(١) وهي أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية، أم  
المؤمنين، واسمها هند، وقيل اسمها رملة. كانت زوج أبي سلمة سعيد بن عبد الأسد بن المغيرة  
فمات عنها. تزوجها النبي (ص). ماتت سنة ٥٩ وقيل سنة ٦١ وقيل سنة ٦٢.  
(٢) أخرجه الامام أحمد في مسنده ٤ / ٤٣٨ وأخرجه الترمذي في المناقب ح ٣٧١٢ ج ٥ / ٦٣٢ ونقله  
ابن

كثير في البداية والنهاية ٧ / ٣٨١ باختلاف اللفظ.

(٤٥٤)

ساعة قط، فقالت أم سلمة رحمة الله عليها: إن لم تكن أنت سمعته قد سمعته خالتك عائشة وها هي فاسألها! فقد سمعته صلى الله عليه وسلم يقول: (علي خليفتي عليكم في

حياتي ومماتي فمن عصاه فقد عصاني). أتشهدين يا عائشة بهذا أم لا؟ فقالت عائشة: اللهم نعم! قالت أم سلمة رحمة الله عليها: فاتقي الله يا عائشة في نفسك واحذري ما حذرک الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولا تكوني صاحبة كلاب الحوآب (١)، ولا

يغرناك الزبير وطلحة فإنهما لا يغنيان عنك من الله شيئاً. قال: فخرجت عائشة من عند أم سلمة وهي حنقة عليها، ثم إنها بعثت إلى حفصة فسألته أن تخرج معها إلى البصرة، فأجابتها حفصة إلى ذلك (٢). قال: فعند ذلك أذن مؤذن طلحة والزبير بالمسير إلى البصرة، فسار الناس في التعبية والآلة والسلاح وسارت معهم عائشة وهي تقول: اللهم! إني لا أريد إلا الإصلاح بين المسلمين، فأصلح بيننا إنك على كل شيء قدير. ذكر كتاب أم سلمة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه تخبره بأمر عائشة وطلحة والزبير.

قال: وكتبت (٣) أم سلمة رحمة الله عليها إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لعبد الله علي أمير المؤمنين، من أم سلمة بنت أبي أمية، سلام عليك ورحمة الله وبركاته، أما بعد! فإن طلحة والزبير وعائشة وبنيتها بني السوء وشيعة الضلال

(١) إشارة إلى قوله (ص) لبعض نسائه: (ليت شعري أيتكن التي تنبأها كلاب الحوآب) نقله ابن كثير في البداية والنهاية عن عائشة رضي الله عنها. وقال: هذا إسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجه. وأخرجه الامام أحمد في مسنده ٦ / ٥٢، ٩٧.

والحوآب: موضع في طريق البصرة محاذي البقرة ماء أيضاً من مياههم. (٢) في الطبري وابن الأثير أن حفصة أرادت الخروج فجاءها عبد الله بن عمر وطلب إليها أن تتعد فقعدت وبلغت ذلك إلى عائشة.

(٣) في الطبري رواية تشير إلى أن أم سلمة كانت بالمدينة وقد قامت إلى علي فقالت: يا أمير المؤمنين لولا أن أعصى الله عز وجل وأنت لا تقبله مني لخرجت معك وهذا ابني عمر والله لهو أعز علي من نفسي فيخرج معك فيشهد مشاهدك (٥ / ١٦٧) وذكر ابن عبد البر أن أم سلمة أرسلت رسالة إلى عائشة تنصحها بعدم الخروج إلى البصرة وقد ردت عليها عائشة. نص الرسالتين في العقد الفريد ٤ / ٣١٦ - ٣١٧ وانظر الإمامة والسياسة ١ / ٥٦ - ٥٧.

خرجوا مع ابن الجزار عبد الله بن عامر إلى البصرة، يزعمون أن عثمان بن عفان قتل مظلوما وأنهم يطلبون بدمه، والله كافيكم وجعل دائرة السوء عليهم إن شاء الله تعالى، وتالله لولا ما نهى الله عز وجل عنه من خروج النساء من بيوتهن وما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته لشخصت معك، ولكن قد بعثت إليك بأحب الناس إلى

النبي صلى الله عليه وسلم وإليك ابني عمر بن أبي سلمة - والسلام - .  
قال: فجاء عمر بن أبي سلمة إلى علي رضي الله عنه فصار معه، وكان له فضل وعبادة وعقل، فأنشأ رجل من أصحاب علي رضي الله عنه يمدح أم سلمة وهو يقول أبياتا مطلعها:

أم يا أمة لقيت الظفر\* ثم لا زلت تسقين المطر  
إلى آخرها.

قال: ثم أنشأت امرأة أيضا من نساء بني عبد المطلب تمدح أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وتذكر عائشة وفعالها فقالت أبياتا مطلعها:  
بنت أبي أمية الداهشة\* كف إلى الخير لها مائشة  
إلى آخرها.

قال: وكتبت أم الفضل بنت الحارث إلى علي رضي الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله علي أمير المؤمنين من أم الفضل بنت الحارث أما بعد! فإن طلحة والزبير وعائشة قد خرجوا من مكة يريدون البصرة، وقد استنفروا الناس إلى حربك ولم يخف معهم إلى ذلك إلا من كان في قلبه مرض، ويد الله فوق أيديهم والسلام -:

قال: ثم دفعت أم الفضل هذا الكتاب إلى رجل من جهينة له عقل ولسان يقال له ظفر فقالت: خذ هذا الكتاب وانظر أن تقتل في كل مرحلة بعيرا وعلي ثمنه، وهذه مائة دينار قد جعلتها لك، فجد السير حتى تلقى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فتدفع إليه كتابي هذا (١).

قال: فسار الجهني سيرا عنيفا حتى لحق أصحاب علي رضي الله عنه وهم

(١) انظر الطبري ٥ / ١٦٧ وابن الأثير ٢ / ٣١٤.

على ظهر المسير (١)، فلما نظروا إليه نادوه من كل جانب: أيها الراكب: ما عندك؟ قال: فنأدى الجهني بأعلى صوته شعرا يخبر فيه قدوم عائشة وطلحة والزبير، قال: فلما سمع علي ذلك دعا محمد بن أبي بكر وقال له: ألا ترى إلى أختك عائشة كيف خرجت من بيتها الذي أمرها الله عز وجل أن تقر فيه وأخرجت معها طلحة والزبير يريدان البصرة لشقائي وفراقي؟ فقال له محمد: يا أمير المؤمنين! لا عليك، فإن الله معك ولن يخذلك، والناس بعد ذلك ناصروك، والله تبارك وتعالى كافيك أمرهم إن شاء الله.

قال: فعندها نادى علي رضي الله عنه في أصحابه فجمعهم، ثم قال (٢): أيها الناس! إن الله تبارك وتعالى بعث كتابا ناطقا لا يهلك عنه إلا هالك وإن المبتدعات المشتبهات (٣) هن المهلكات المرديات إلا من حفظ الله، وإن في سلطان الله عصمة أمركم، فأعطوه طاعتكم، ألا! وتهيأوا لقتال الفرقة الذين يريدون تفريق جماعتكم فلعل الله تعالى يصلح بكم ما أفسد أهل الشقاق، ألا (٤) إن طلحة والزبير قد تمالا علي بسخط أقاربي (٥) ودعوا الناس إلى مخالفتي وأنا سائر إليهم ومنازهم حتى يحكم

الله بيني وبينهم - والسلام -.

قال: فأجابه الناس إلى ذلك، وعائشة قد تقدمت فيمن معها من الناس، حتى إذا بلغت إلى ماء الحوآب وذلك في وقت السحر نبحت الكلاب، فسمعت عائشة رجلا من أهل عسكرها يسأل ويقول: أي ماء هذا؟ فقيل له: هذا ماء الحوآب، فقال عائشة: ردوني! فقيل لها: ولم ذلك؟ فقالت: لأنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: (كأني بامرأة من نسائي تنبح عليها كلاب الحوآب، فاتقي

(١) وكان علي (رض) قد تهيأ للخروج إلى الشام، بعد تردد بالمدينة أربعة أشهر ينتظر جواب معاوية على كتب أرسلها إليه متتالية، ثم أتاه جوابه على غير ما يجب. (الطبري - ابن الأثير).

وفي الإمامة والسياسة: فلما كان ببعض الطريق (متوجها نحو الشام) أتاه كتاب أخيه عقيل بن أبي طالب يخبره فيه خبر عائشة وطلحة والزبير.

(٢) وردت الخطبة في الطبري ٥ / ١٦٣ - ١٦٤ وذلك عندما تجهز وعبأ الناس للسير نحو الشام.

(٣) الطبري: والشبهات.

(٤) في الطبري جاءه خبر طلحة والزبير فقام وخطب فيهم، وما ذكر من هنا جزء من خطبته بعدما أبلغ الخبر.

(٥) الطبري: إمارتي.

الله أن تكوني أنت يا حميراء) (١).  
قال: ونزل القوم هنالك، فلما أصبحوا إذا عبد الله بن الزبير (٢) قد أتى  
بخمسين رجلا يشهدون عندها أن هذا الماء ليس بماء الحوآب وأنهم قد جازوا ماء  
الحوآب بليل، قال: فكانت هذه الشهادة أول شهادة زور شهد بها في الإسلام.  
قال: وسار القوم حتى إذا دنوا من البصرة خرج إليهم عثمان بن حنيف  
الأنصاري (٣) في شعبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم بمحاربتهم، ثم إنه  
كره القتال ومشى بعضهم إلى بعض وسألوه الصلح إلى أن يقدم علي بن أبي طالب  
رضي الله عنه على أن يكون المال ودار الامارة في يد عثمان بن حنيف، قال:  
فرضي الفريقان بذلك وكتبوا بينهم كتابا (٤)، وأقام طلحة والزبير وعائشة بموضع يقال  
لها الخريبة (٥) يدبرون أمرهم وآراءهم بينهم.

ذكر ما جرى من الكلام بين عائشة

والأحنف بن قيس حين دعي إلى نصرتها.

قال (٦): ثم إنهم بعثوا إلى الأحنف بن قيس فدعوه وقالوا: إننا نريد منك أن  
تنصرنا على دم عثمان بن عفان فإنه قتل مظلوما، قال: فالتفت الأحنف إلى عائشة  
وقال: يا أم المؤمنين! أنشدك الله أما قلت لك ذلك اليوم إن قتل عثمان فمن أبايع؟  
قلت: علي بن أبي طالب؟ فقالت عائشة: قد كان ذلك يا أحنف، ولكن ههنا أمور  
نحن بها أعلم منك، فقال الأحنف: لا والله لا أقاتل علي بن أبي طالب أبدا وهو  
أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه وزوج ابنته وأبو سبطيه، وقد بايعه  
المهاجرون  
والأنصار.

قال: ثم وثب الأحنف حتى صار إلى ديار قومه من بني تميم ثم نادى فيهم

(١) تقدمت الإشارة إليه.

(٢) في مروج الذهب ٢ / ٣٩٥ طلحة بن عبيد الله.

(٣) وكان قد ولاه علي البصرة.

(٤) انظر نسخة الكتاب بين عثمان بن حنيف وأنصار عائشة (رض) في الطبري ٥ / ١٧٧.

(٥) الخريبة: محلة من محال البصرة، وكانت عنده وقعة الجمل بين علي وعائشة (معجم البلدان).

(٦) خبر الأحنف بن قيس في الطبري ٥ / ١٩٧، والعقد الفريد ٤ / ٣١٩ - ٣٢٠ باختلاف وزيادة.

فاجتمع إليه أربعة (١) آلاف رجل، فسار بهم حتى نزل بهم على فرسخين من البصرة (٢).

قال: وعزم طلحة والزبير ومن كان معهم أن يهجموا على عثمان عامل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيقتلوه ويقتلوا الأنصار الذين لعلي وأزمعوا على ذلك، فلما كان الليل لم يسع عثمان بن حنف إلا وطلحة والزبير وابنه عبد الله و مروان بن ا لحكم

وأصحابه قد هجموا عليهم ووضعوا فيهم السيف، فقتلوا أشياعه (٣) وهم أنصار علي بن أبي طالب، ثم أخذوا عثمان بن حنيف فأرادوا قتله، فقال بعضهم لبعض: هذا رجل من الأنصار وله بالمدينة عشيرة، فإن نحن قتلناه ازدادوا علينا غلظة، فلم يقتلوه ولكن أخذوه ففتنوا لحيته وشاربه وأشفار عينيه وحلقوا رأسه.

قال: وأمرت عائشة عبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة بالصلاة، فكان أحدهم يصلي بالناس صلاة والآخر يصلي بالناس صلاة.

قال: وعلي يومئذ كان قد خرج من المدينة وهو نازل بالربذة، فلما بلغه ذلك سار من الربذة حتى نزل بذي قار (٤)، ثم إنه وجه ابنه الحسن (٥) وعمار بن ياسر إلى

الكوفة يستنفرون أهلها إلى البصرة لمحاربة القوم.

خبر أبي موسى الأشعري لما وافاه

الحسن بن علي وعمار بن ياسر بالكوفة.

قال: فلما قدم الحسن بن علي وعمار بن ياسر إلى الكوفة استنفروا أهلها،

وثب أبو موسى الأشعري وهو يومئذ عامل عليها فقال: يا أهل الكوفة! اتقوا الله

(ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما\*) (٦) (ومن يقتل مؤمنا متعمدا

(١) في الطبري: ستة آلاف.

(٢) في الطبري بموضع: الجلاء.

(٣) في مروج الذهب ٢ / ٣٩٥ قتل منهم سبعون غير من جرح، وخمسون من السبعين ضرب رقابهم صبيرا من بعد الأسر. وهؤلاء أول من قتل ظلما في الاسلام وصبرا. وعند ابن الأثير: أربعون رجلا، (وانظر اليعقوبي ٢ / ١٨١).

(٤) ذو قار: ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة.

(٥) بالأصل: الحسين تحريف وما أثبتناه عن الطبري.

(٦) سورة النساء: ٢٩.

فجزأوه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما \* (١) قال:  
فغضب عمار بن ياسر، ثم وثب أبو موسى فأسكته، فقام رجل من بني تميم إلى  
عمار بن ياسر فقال: اسكت أيها الرجل الأجدع! بالأمس كنت مع غوغاء مصر علي  
عثمان واليوم تسكت أميرنا، قال: فوثب زيد بن صوحان وأصحابه مع شيعة علي  
بالسيوف وقالوا: من لم يطع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فما له عندنا إلا  
السيف، فقال أبو موسى: أيها الناس! اسكتوا واسمعوا كلامي، هذا كتاب  
عائشة (٢) إلي تأمرني فيه أن أقرأه إن أقر الناس في منازلهم إلى أن يأتيهم ما يحبون من  
صلاح أمر المسلمين، فقال له عمار بن ياسر: يا أبو موسى! إن عائشة أمرت بأمر  
وأمرنا بغيره، أمرت أن تقر في بيتها، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة، فأمرتنا هي  
بما أمرت وركبت ما أمرنا به. قال: فكثر الكلام يومئذ بين الناس، فوثب زيد بن  
صوحان العبدي فقال: (بسم الله الرحمن الرحيم ألم \* أحسب الناس أن يتركوا أن  
يقولوا آمنا وهم لا يفتنون \* ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا  
وليعلمن الكذابين \* (٣) أيها الناس! سيروا إلى أمير المؤمنين وانفروا إليه أجمعين  
تصيبوا الحق راشدين. قال: ثم وثب عمار بن ياسر فقال: أيها الناس! إنه لا بد  
لهذا الامر ولهؤلاء الناس من وال يدفع المظالم ويعين المظلوم، وهذا ابن عم  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنفركم إلى زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وإلى طلحة والزبير، فأخرجوا  
وانظروا في الحق فمن كان الحق معه فاتبعوه. قال: ثم وثب الحسن بن علي فقال:  
أيها الناس! إنه سيوجد لهذا الامر من ينفر إليه، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما قد  
بلينا به، فوالله إنني لأعلم أن من سمع بهذا الامر ولم يكن إلا مع الحق أنه لسعيد.  
قال: فوثب الهيثم بن مجمع العامري (٤) فقال: أيها الناس! إن أمير المؤمنين قد  
دعانا وأرسل إلينا رسله وهذا ابنه الحسن فاسمعوا قوله وأطيعوا أمره وانفروا إلى  
أميركم وأشيروا عليه برأيكم.  
قال: فأجاب الناس إلى ذلك ونفر من أهل الكوفة تسعة آلاف ومائتا رجل (٥)،

(١) سورة النساء الآية ٩٣.

(٢) نسخة كتاب عائشة إلى أهل الكوفة في الطبري ٥ / ١٨١ - ١٨٢.

(٣) سورة العنكبوت الآيات ١ - ٣.

(٤) في الطبري ٥ / ١٨٩ وابن الأثير ٢ / ٣٢٩ هند بن عمرو.

(٥) في الطبري وابن الأثير: قريب من تسعة آلاف، أخذ في البر ستة آلاف ومائتان، وأخذ في الماء ألفان  
وأربعمائة. وفي مروج الذهب ٢ / ٣٩٦ نحو من سبعة آلاف، وفي تاريخ خليفة ص ١٨٤ ما بين السنة  
آلاف إلى السبعة.



فأخذ بعضهم في البر وبعضهم في البحر حتى قدموا على علي بن أبي طالب، فاستقبلهم علي رضي الله عنه ورحب بهم وأدناهم وحياهم، ثم قال: يا أهل الكوفة! إنكم وليتم شوكة الأعاجم وملوكهم ففضضتم جموعهم وهدمتم عزهم، حتى صارت إليكم مواريتهم وأموالهم، ثم منعتهم (١) حوزتكم وأعتتم الناس على عدوهم، وقد دعوتكم الآن لتشهدوا معنا إخواننا هؤلاء من أهل البصرة، فإن يتقوا الله ويرجعوا فذلك ما تريدون وإن أبوا ذلك نداويهم (٢) باللين والشدّة، ولسنا ندع أمرا فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله ولا قوة إلا بالله. قال: فاجتمع الناس بذي قار مع علي بن أبي طالب ستة آلاف من أهل المدينة وأهل مصر وأهل الحجاز وتسعة آلاف (٣) من أهل الكوفة وجعل الناس يجتمعون حتى

صاروا في تسعة عشر ألف رجل من فارس وراجل، وسار علي رضي الله عنه عن ذي قار يريد البصرة في جميع أصحابه والناس يتلاحقون به من كل أوب. ذكر تعبئة أهل البصرة للحرب.

قال: وبلغ طلحة والزبير أن عليا قد تقارب من البصرة في خيله وجمعه، فعزموا على تعبئة الناس، فكانت الخيل كلها إلى طلحة ورجالة إلى عبد الله بن الزبير، وعلى خيل الميمنة مروان بن الحكم وعلى رجالتها عبد الرحمن (٤) بن عتاب بن

أسيد، وعلى خيل الميسرة هلال بن وكيع الدارمي، وعلى رجالتها حاتم بن بكير الباهلي، وعلى الجناح عمر بن طلحة، وعلى رجالتها عبد الله بن حكيم بن حزام، وعلى خيل الكمين جندب بن يزيد المجاشعي، وعلى رجالتها مجاشع بن مسعود السلمي (٥).

قال: وصاح رجل من بني ضبة: وطنوا أنفسكم على الصبر، فإنه يلقاكم أسد

(١) الطبري ٥ / ١٩٠ فأغنيتهم.

(٢) الطبري: داويناهم بالرفق وبايناهم حتى يبدؤنا بظلم.

(٣) انظر ما سبق.

(٤) بالأصل عبد الله تحريف. وما أثبتناه عن الطبري ٥ / ٢٠٣.

(٥) انظر في تعبئة طلحة والزبير للناس الطبري ٥ / ٢٠٣.

خفان وجماهير أهل الحجاز وأفاعي أهل الكوفة مع علي بن أبي طالب، فانظروا أن تفضحوا قبائل مضر، قال: ثم أنشأ أبياتا مطلعها:  
ألا قولاً لطلحة والزبير \* وقولاً للذين هم النصار  
إلى آخرها.

قال: فقال له الزبير: بئس ما قلت يا أخوا بني ضبة! فقال الضبي: أنا عبد الله، إني أعلم من تقدم علينا غدا، فإذا كان ذلك فاطلبنى في الرعيل الأول. قال: وبلغ ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: إن القوم قد تعبوا لحربكم فماذا عندكم من الرأي؟ فقال له رفاعة بن شداد البجلي: يا أمير المؤمنين! تعبنا لتعبية، وحق يدفع باطلا، وهذا ما كنا نريد، فأبشر وقر عيننا! فسترى منا ما تحب، قال: ثم أنشأ رفاعة بن شداد يقول أبياتا مطلعها:  
أتتك الأمور بسعد السعود \* وسرت إلى الفئة الناكثة  
إلى آخرها.

قال: ودنا علي في أصحابه من البصرة، فقال طلحة بن عبيد الله لأصحابه: اعلّموا أيها الناس! أن عليا وأصحابه قد أضربهم السفر وتعب الطريق، فهل لكم أن نأتيهم الليلة فنضع فيهم السيف؟ فقال مروان بن الحكم: والله لقد استبطأت هذه منك أبا محمد! وليس الرأي إلا ما رأيت، قال: فضحك الزبير من ذلك ثم قال: أمن علي تصاب الفرصة وهو من قد عرفتم؟ أما علمتم أنه رجل ما لقيه أحد قط إلا شكته أمه؟ فسكت طلحة ولم يرد إلى الزبير شيئا. قال: فلما كان الليل إذا بسلام من بني تيم بن مرة قد أقبل حتى وقف إلى جنب منزل طلحة بن عبيد الله وأنشأ أبياتا مطلعها:  
يا طلح يا بن عبيد الله ما ظفرك \* كفاك إذ رزت في عريسة الأسد  
إلى آخره.

قال: ثم وثب رجل من أصحاب الزبير يكنى أبا الجرباء (١) فقال للزبير: أبا عبد الله! ما الرأي عندي إلا أن تبيتوا هذا الرجل، فإن الرأي في الحرب من

(١) وهو من بني عثمان بن مالك بن عمرو بن تميم (الطبري ٥ / ٢٠١).

النجدة، فقال له الزبير: يا أبا الجرباء! إننا لنعرف من الحرب ما لم يعرفه كثير من الناس غير أن القوم أهل دعوتنا، ونحن وهم مسلمون، وهذا أمر حدث في أمتنا لم يكن قبل اليوم، ولا كان فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم قول، وبعد ذلك فهو علي بن أبي

طالب رضي الله عنه من لم يلق الله فيه بعذر انقطع عذره يوم القيامة، ونحن مع ذلك نرجو الصلح إن أجابوا إليه، وإلا فأخر الداء الكي.

قال: وأقبل الأحنف بن قيس في جماعة من قومه إلى علي رضي الله عنه فقال (١): يا أمير المؤمنين! إن أهل البصرة يقولون بأنك إن ظفرت بهم غدا قتلت رجالهم وسبيت ذريتهم ونساءهم، فقال له علي: ليس مثلي من يخاف هذا منه، لان هذا ما لا يحل إلا ممن تولى وكفر، وأهل البصرة قوم مسلمون، وسترى كيف يكون أمري وأمرهم! ولكن هل أنت معي فأعلم! فقال الأحنف: يا أمير المؤمنين! اختر مني واحدة من [اثنتين] (٢) إما أن أكون معك مع مائتي رجل من قومي، وإما أن أرد عنك أربعة آلاف سيف، فقال علي رضي الله عنه: لا بل ردهم عني، فقال الأحنف: أفعل ذلك يا أمير المؤمنين! ثم انصرف.

قال: وخرج الزبير وطلحة فنزلوا موضعا يقال له زابوقة (٣)، وهم ثلاثون ألف مقاتل، وبلغ ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقام في الناس خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إنني قد منيت بثلاث مرجعهن على العباد من كتاب الله: أحدها البغي ثم النكث والمكر، قال الله تعالى: (يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم) (٤)، ثم قال: (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) (٥)، ثم قال: (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) (٦)، ووالله لقد منيت بأربع لم يمن بمثلهن أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم، منيت بأشجع الناس الزبير بن العوام، وبأخذع الناس

طلحة بن عبيد الله، وبأطوع الناس في الناس عائشة بنت أبي بكر، وبمن أعان علي

(١) الطبري ٥ / ١٩٦ - ١٩٧.

(٢) عن الطبري: اثنتين. وبالأصل يمين خطأ.

(٣) عن معجم البلدان، وهو موضع قريب من البصرة وبالأصل (رانوقة).

(٤) سورة يونس الآية ٢٣.

(٥) سورة الفتح الآية ١٠.

(٦) سورة فاطر الآية ٤٣.

بأنواع الدنانير يعلى بن منية، ووالله لئن أمكنني الله منه لأجعلن ماله وولده فيئا للمسلمين.

قال: فوثب خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين فقال: والله يا أمير المؤمنين! لقد بغوا عليك ونكثوا عهدك ومكروا بك، ولقد علم الزبير بأنه ما له مثل نجدتك، ولا لطلحة مثل علمك، ولا لعائشة مثل طاعتك، ومال الله أكثر من مال يعلى بن منية، ولقد جمعه ظلما وأنفقه جهلا، ثم جعل يقول أبياتا مطلعها:  
[و] أما الزبير فأكفيكه \* وطلحة يكفيكه وجوحه  
إلى آخره.

قال: وزحف علي رضي الله عنه حتى نزل قبالة القوم فنزلت مضر إلى مضر وربيعة إلى ربيعة واليمن إلى اليمن، قال: فعرض علي رضي الله عنه من معه من أصحابه وأعوانه، فكانوا عشرين ألفا، والزبير في ثلاثين ألفا.  
ذكر كلام ما جرى بين حفصة بنت عمر بن الخطاب وبين أم كلثوم بنت علي رضي الله عنه.

قال: وبلغ ذلك حفصة بنت عمر بن الخطاب فأرسلت إلى أم كلثوم فدعتها ثم أخبرتها باجتماع الناس إلى عائشة، كل ذلك ليغمها بكثرة الجموع إلى عائشة، قال: فقالت لها أم كلثوم: على رسلك يا حفصة! فإنكم إن تظاهرتم على أبي فقد تظاهرتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان الله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد

ذلك ظهير، فقالت حفصة: يا هذه! أعوذ بالله من شرك فقالت أم كلثوم: وكيف يعيدك الله من شري وقد ظلمتني حقي مرتين: الأول ميراثي من أمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، والثاني ميراثي من أبيك (١) عمر بن الخطاب! قال: ولامت النساء حفصة على ذلك لوما شديدا.

(١) وكانت أم كلثوم بنت علي (رض) قد مات عنها زوجها عمر بن الخطاب (رض).

ذكر الكتاب الذي كتب علي  
إلى طلحة والزبير.

قال: ثم كتب علي إلى طلحة والزبير: أما بعد! فقد علمتم أنني لم أرد الناس حتى أرادوني، ولم أبايعهم حتى أكرهوني، وأنتم ممن أرادوا بيعتي، ولم تبايعوا لسلطان غالب (١) ولا لغرض حاضر، فإن كنتم قد بايعتم مكرهين فقد جعلتم إلي السبيل عليكم بإظهاركم الطاعة وكتمانكم المعصية، وأنت يا زبير فارس قريش! وأنت يا طلحة شيخ المهاجرين! ودفعكم هذا الأمر (٢) قبل أن تدخلوا فيه كان أوسع لكم من خروجكم منه بعد إقراركم، وأما قولكم: إني قتلت عثمان بن عفان، فبيني وبينكم من يحلف عني وعنكم من أهل المدينة ثم يلزم كل امرئ بما يحتمل، وهؤلاء بنو عثمان بن عفان فليقرؤا بطاعتي ثم يخاصموا قتلة أبيهم إلي، وبعد فما أنتم وعثمان قتل مظلوما! كما تقولان أنتما رجلا من المهاجرين، وقد بايعتموني ونقضتم بيعتي، وأخرجتم أمكم من بيتها الذي أمرها الله تعالى أن تقر فيه - والله حسبكم - والسلام.

ذكر كتاب علي إلى عائشة.

قال: ثم كتب إلي عائشة (٣): أما بعد فإنك قد خرجت من بيتك عاصية (٤) لله تعالى ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم تطلبين أمرا كان عنك موضوعا، ثم تزعمين أنك تريدن

الإصلاح بين المسلمين، فأخبريني ما للنساء وقود العساكر والإصلاح بين الناس فطلبت! زعمت بدم عثمان وعثمان رجل من بني أمية وأنت امرأة من بني تيم بن مرة، ولعمري أن الذي عرضك للبلاء وحملك على المعصية لأعظم إليك ذنبا من قتلة عثمان! وما غضبت حتى أغضبت ولا هجت حتى هيجت، فاتقي الله يا عائشة وارجعي إلى منزلك واسبلي عليك بستر - والسلام -.

قال: وأما طلحة والزبير فإنهم لم يجيبوا عليا عن كتابه بشيء لكنهم بعثوا إليه برسالة أن يا أبا الحسن! قد سرت مسيرا له ما بعده، ولست براجع وفي نفسك منه

(١) في الإمامة والسياسة ١ / ٩٠ لسلطان خاص.

(٢) يعني خلافته.

(٣) الإمامة والسياسة ١ / ٩٠.

(٤) الإمامة: غاصبة.

حاجة، ولست راضيا دون أن ندخل في طاعتك، ونحن لا ندخل في طاعتك أبدا، واقض ما أنت قاض - والسلام (١).

قال: فأنشأ حبيب بن يساف الأنصاري يقول أبياتا مطلعها:  
أبا حسن أيقظت من كان نائما\* وما كل ما يدعى إلى الحق يسمع  
إلى آخره

ذكر خطبة عبد الله بن الزبير لأهل البصرة.

قال: ثم وثب عبد الله بن الزبير فقال: أيها الناس! إن علي بن أبي طالب هو الذي قتل الخليفة عثمان بن عفان، ثم إنه الآن قد جاءكم ليبين لكم أمركم، فاغضبوا لخليفتمكم وامنعوا حريمكم وقاتلوا على أحسابكم، قال: فوثب إليه رجل من بني ناجية فقال: أي رحمك الله! إننا قد سمعنا كلامك ونحن على ما يحب أبوك وخالك، وسترى منا ما تقر به عينك إن شاء الله تعالى.

ذكر خطبة الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام لما بلغه كلام ابن الزبير.

قال: وبلغ عليا رضي الله عنه ما تكلم به عبد الله بن الزبير، وقد خطب الناس وذكر لهم أنني أنا الذي قتلت عثمان بن عفان، وزعم لهم أنني أريد أن أبين للناس أمورهم، وقد بلغني أنه شتمني، فقم يا بني فاخطب للناس خطبة بليغة موجزة ولا تشتمن أحدا من الناس.

قال: فوثب الحسن (٢) بن علي رضي الله عنهما فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إنه قد بلغنا مقالة عبد الله بن الزبير، فأما زعمه أن عليا قتل عثمان فقد علم المهاجرون والأنصار بأن أباه الزبير بن العوام لم يزل يجتني عليه الذنوب ويرميه بفضيحات العيوب، وطلحة بن عبيد الله راكد رأيته على باب بيت ماله وهو حي، وأما شتمته لعلي فهذا ما لا يضيق به الحلقوم لمن أرادته، ولو أردنا أن نقول لفضلنا، وأما قوله إن عليا أبتى الناس أمورهم، فإن أعظم حجة أبيه الزبير أنه زعم أنه بايعه بيده

(١) زيد في الإمامة والسياسة ١ / ٩١ وكتب عائشة: جل الامر عن العتاب، والسلام.

(٢) بالأصل: الحسين خطأ.

دون قلبه، فهذا إقرار بالبيعة، وأما تورّد أهل الكوفة على أهل البصرة فما يعجب من أهل حق وردوا على أهل باطل، ولعمري ما نقاتل أنصار عثمان، ولعلي أن يقاتل أتباع الجمل - والسلام -.

قال: فأنشأ رجل من الأنصار يقول أبياتا مطلعها:  
حسن الخير يا شبيهه أبيه \* قمت فينا مقام أنهى خطيب  
إلى آخرها.

قال: ودنا القوم من بعضهم بعضا، وخرج صبيان أهل البصرة وعبيدهم إلى عبيد أهل الكوفة، وأقبل كعب بن سور (١) إلى عائشة فقال لها: أدركي فقد دنا القوم بعضهم من بعض، وقد أبى القوم إلا القتال فلعل الله تبارك وتعالى أن يصلح بك الأمور، فأقبلت عائشة على جملها عسكر في هودجها والناس معها، فلما أشرفت على الناس ونظرت إليهم وإذا بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يرد الناس ويأمرهم بالكف عن الحرب، فرجعت ورجع الناس.  
ذكر رسالة علي إلى عائشة.

قال: فلما كان من الغد دعا علي رضي الله عنه يزيد بن صوحان وعبد الله بن عباس، فقال لهما: امضيا إلى عائشة فقولوا لها: ألم يأمرك الله تبارك وتعالى أن تقرّي في بيتك؟ فخدعت وانخدعت، واستنفرت فنفرت، فاتقي الله الذي إليه مرجعك ومعادك، وتوبي إليه فإنه يقبل التوبة عن عباده، ولا يحملنك قرابة طلحة وحب عبد الله بن الزبير على الاعمال التي تسعى بك إلى النار.

قال: فانطلقا إليها وبلغاها رسالة علي رضي الله عنه، فقالت عائشة: ما أنا برادة عليكم شيئا فإنني أعلم أنني لا طاقة لي بحجج علي بن أبي طالب، فرجعا إليه وأخبراه بالخبر، فأنشأ أبو الهيثم بن التيهان (٢) الأنصاري يقول أبياتا مطلعها:  
نحن الذين رأّت قریش فعلنا \* يوم القليب وقد هوى الكفار

(١) كعب بن سور بن بكر بن عبيد بن ثعلبة بن سليم... الأزدي. تابعي. استعمله عمر قاضيا على البصرة، شهد الجمل مع عائشة ولما اجتمع الناس خرج ويده مصحف فنشره وجال بين الصفيين يناشد الناس في ترك القتال فجاءه سهم غريب فقتل. (الإصابة).  
(٢) بالأصل: (أبو القاسم بن نبهان) تصحيف، وقد مرت ترجمته.

إلى آخرها.

قال: ثم جمع علي رضي الله عنه الناس فخطبهم خطبة بليغة وقال: أيها الناس! إنني قد ناشدت هؤلاء القوم كيما يرجعوا ويرتدعوا فلم يفعلوا ولم يستجيبوا، وقد بعثوا إلي أن أبرز إلي الطعان وأثبت للجلاد، وقد كنت وما أهدد بالحروب ولا أدعى إليها وقد أنصف القارة من رامها (١)، ولعمري لئن أبرقوا وأرعدوا فقد عرفوني ورأوني، ألا! وإن الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب، ومن لم يمت يقتل، وإن أفضل الموت القتل، والذي نفس علي بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من موتة علي الفراش! ثم رفع يده إلى السماء وهو يقول: اللهم! إن طلحة بن عبيد الله أعطاني صفقة يمينه طائعا ثم نكث بيعته، اللهم! فعاجله ولا تميظه، اللهم! إن الزبير بن العوام قطع قرابتي ونكث عهدي وظاهر عدوي ونصب الحرب لي وهو يعلم أنه ظالم، فاكفنيه كيف شئت وأني شئت.

ذكر تعبئة علي رضي الله عنه.

قال: ثم وثب علي رضي الله عنه فعبى أصحابه (٢)، وكان علي خيل ميمنته عمار بن ياسر، وعلي الرجالة شريح بن هانئ، وعلي خيل الميسرة سعيد بن قيس الهمداني، وعلي رجالتها رفاعة بن شداد البجلي، وعلي خيل القلب محمد بن أبي بكر، وعلي رجالتها عدي بن حاتم الطائي، وعلي خيل الجناح زياد بن كعب الأرحبي، وعلي رجالتها حجر بن عدي الكندي، وعلي خيل الكمين عمرو (٣) بن الحمق الخزاعي، وعلي رجالتها جندب بن زهير الأزدي. قال: ثم جعل علي رضي الله عنه علي كل قبيلة من قبائل العرب سيذا من ساداتهم يرجعون إليه أمورهم، وتقدمت الخيل والرجالة.

قال: وبرزت يومئذ عائشة علي جملها عسكر، وهو الجمل الذي اشتراه لها

(١) القارة قبيلة من كنانة، من أرمى العرب فرمى رجل من جهينة رجلا منهم فقتله، فرمى رجل منهم رجلا من جهينة، فقال قائل منهم: قد انصف القارة من رامها. فأرسلها مثلا.

انظر الفاخر ص ١٤٠ الأمثال للميداني ٢ / ٣١.

(٢) انظر الاخبار الطوال ص ١٤٦ - ١٤٧.

(٣) عن الطبري وقد مر، وبالأصل: (عمر) خطأ.

يعلى بن منية بمائتي دينار (١)، وعلى الجمل يومئذ هودج من الخشب وقد غشي بجلود الإبل وسمر بالمسامير وألبس فوق ذلك الحديد، فلما توافقت الخيلان ودنت الفئتان بعضها من بعض، خرج علي رضي الله عنه حتى وقف بين الصفيين. ذكر ما جرى من الكلام بين علي والزبير في يوم الجمل قبل الواقعة.

قال: فوقف علي رضي الله عنه بين الصفيين، عليه قميص ورداء وعلى رأسه عمامة سوداء، وهو يومئذ على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء التي يقال لها دلذل، ثم

نادى بأعلى صوته: أين الزبير بن العوام! فليخرج إلي! فقال الناس: يا أمير المؤمنين! أخرج إلى الزبير وأنت حاسر وهو مدجج في الحديد؟ فقال علي رضي الله عنه: ليس علي منه بأس فأمسكوا، قال: ثم نادى الثانية: أين الزبير بن العوام؟ فليخرج إلي!

قال: فخرج إليه الزبير، ونظرت عائشة فقالت: واثكل أسماء! فقيل لها يا أم المؤمنين! ليس على الزبير بأس، فإن عليا بلا سلاح (٢).

قال: ودنا الزبير من علي حتى وافقه (٣)، فقال له علي رضي الله عنه: يا أبا عبد الله! ما حملك على ما صنعت؟ فقال الزبير: حملني على ذلك الطلب بدم عثمان، فقال له علي: أنت وأصحابك قتلتموه فيجب عليكم أن تقيده من نفسك، ولكن أنشدك بالله الذي لا إله إلا هو أما تذكر يوماً قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا زبير!

أتحب علياً)؟ فقلت: يا رسول الله! وما يمنعني من حبه وهو ابن خالي (٤)؟ فقال لك: (أما! إنك ستخرج عليه يوماً وأنت ظالم؟ فقال الزبير: اللهم بلى! قد كان

(١) اشتروه من العرني وأعطوه بدله ناقة مهرية وزادوه أربعمئة أو ستمئة درهم. (عن الطبري ٥ / ١٧٠ - ١٧١) وفي مروج الذهب ٢ / ٣٩٤ فكلاً لأصل. وفي رواية في الطبري ٥ / ١٦٧ بثمانين ديناراً. وفي رواية ثالثة كالأصل.

(٢) زيد في مروج الذهب ٢ / ٤٠١: فاطمأنت.

(٣) في مروج الذهب: (واعتنق كل واحد منهما صاحبه) وفي البداية والنهاية ٧ / ٢٦٩: (حتى اختلفت أعناق دوابهما).

(٤) زيد في البداية والنهاية: وابن عمي وعلى ديني؟

ذلك، قال علي: فأنشذك بالله الذي أنزل الفرقان أما تذكر يوماً جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند بني عمرو بن عوف (١) وأنت معه وهو آخذ بيدك، فاستقبلته أنا فسلم علي وضحك في وجهي وضحكت أنا إليه، فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه أبداً! فقال لك النبي صلى الله عليه وسلم: (مهلاً يا زبير! فليس به زهو ولتخرجن عليه يوماً وأنت

ظالم له)؟ فقال الزبير: اللهم بلى! ولكن أنسيت، فأما إذ ذكرتني ذلك فوالله لأنصرفن عنك! ولو ذكرت هذا لما خرجت عليك (٢). ذكر ما قاسى من الملامة للزبير بعد ذلك من أهل عسكره.

قال: ثم رجع الزبير إلى عائشة وهي واقفة في هودجها، فقالت: ما وراءك يا أبا عبد الله؟ فقال الزبير: ورائي والله ما وقفت موقفاً قط ولا شهدت مشهداً من شرك ولا إسلام إلا ولي فيه بصيرة، وإني اليوم لعلي في شك من أمرك، وما أكاد أبصر موضع قدمي! فقالت عائشة: لا والله! لكنك خفت سيوف ابن أبي طالب، أما إنها طوال حداد تحملها سواعد أنجاد ولئن خفتها لقد خافها الرجال من قبلك. قال: ثم أقبل عليه ابنه عبد الله فقال: لا والله! ولكنك رأيت الموت الأحمر تحت رايات ابن أبي طالب، فقال له الزبير: والله يا بني إنك لمشؤوم قد عرفتك، فقال عبد الله: ما أنا بمشؤوم، ولكنك فضحتنا في العرب فضيحة لا تغسل منها رؤوسنا أبداً.

قال: فغضب الزبير من ذلك (٣) ثم صاح بفرسه وحمل على أصحاب علي حملة منكراً، فقال علي رضي الله عنه: أفرجوا له فإنه محرج، فأوسعوا له حتى شق الصفوف وخرج منها، ثم رجع فشققها ثانية ولم يطعن أحداً ولم يضرب، ثم رجع إلى ابنه فقال: يا بني! هذه حملة جبان! فقال له ابنه عبد الله: فلم تنصرف عنا وقد التقت حلقتا البطان (٤)؟ فقال الزبير: يا بني! أرجع والله لاخبار قد كان النبي صلى الله عليه وسلم

(١) في الطبري ٥ / ٢٠٠ بني غنم.

(٢) رواه البيهقي في الدلائل ٦ / ٤١٤ ونقله ابن كثير في البداية والنهاية ٧ / ٢٦٩ ومروج الذهب ٢ / ٤٠١.

(٣) زيد في تاريخ يعقوبي ٢ / ١٨٣ وملك! ومثلي يعير بالجن، هلم إلي بالرمح.

(٤) البطان: الحزام الذي يشد على البطن.

عهدتها إلى فنسيتها حتى أذكرنيها علي بن أبي طالب فعرفتها (١).  
قال: ثم خرج الزبير من عسكرهم تائباً مما كان منه وهو يقول أبياتاً مطلعها:  
ترك الأمور التي تخشى عواقبها \* لله أجمل في الدنيا وفي الدين (٢)  
إلى آخرها.

ذكر مقتل الزبير بن العوام رحمه الله.

قال: ثم مضى الزبير وتبعه خمسة من الفرسان فحمل عليهم وفرق جمعهم،  
ومضى حتى صار إلى وادي السباع (٣) فنزل على قوم من بني تميم، فقام إليه  
عمرو بن جرموز (٤) المجاشعي فقال: أبا عبد الله! كيف تركت الناس؟ فقال  
الزبير: تركتهم قد عزموا على القتال، ولا شك قد التقوا، قال: فسكت عنه  
عمرو بن جرموز وأمر له بطعام وشئ من لبن، فأكل الزبير وشرب، ثم قام فصلى  
وأخذ مضجعه، فلما علم ابن جرموز أن الزبير قد نام وثب إليه وضربه بسيفه ضربة  
على أم رأسه فقتله، ثم احتز رأسه (٥) وأخذ سلاحه وفرسه وخاتمه، ثم جاء به بين  
يدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأخبره بما صنع بالزبير.  
قال: فأخذ علي رضي الله عنه سيف الزبير وجعل يقلبه وهو يقول: إنه لسيف  
طالما جلى الكروب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الحين والقضاء! ثم  
أقبل على

(١) زيد في مروج الذهب ٢ / ٤٠١ فاخترت العار على النار.

(٢) في تهذيب ابن عساكر ٥ / ٣٦٥:

إن الأمور التي أخشى عواقبها \* في الله أحسن في الدنيا وفي الدين  
وفي مروج الذهب ٢ / ٤٠١:

اخترت عارا على نار مؤججة \* ما إن يقوم لها خلق من الطين

نادى علي بأمر لست أجهله \* عار لعمرك في الدنيا وفي الدين

فقلت: حسبك من عدل أبا حسن \* فبعض هذا الذي قد قلت: يكفيني

(٣) وادي السباع: موضع على طريق مكة، بينه وبين الزبيدية ثلاثة أميال.

(٤) عن الطبري ٥ / ٢٠٥ ومروج الذهب ٢ / ٤٠٢ وبالأصل (جرمود) تحريف وقد صححت في كل  
المواضع.

(٥) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ٧ / ٢٧٧ مختلف الأقوال في كيفية قتله وانظر ابن الأثير ٢ / ٣٢٨  
وانظر

الإمامة والسياسة ١ / ٩٣.

عمرو بن جرموز فقال: ويحك! لم قتله؟ فقال: قتلته والله وأنا أعلم أن ذلك مما يرضيك، ولولا ذلك لما قدمت عليه، فقال علي رضي الله عنه: ويحك! فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بشر قاتل ابن صفية بالنار! قال: فوثب عمرو بن

جرموز من بين يدي علي رضي الله عنه وهو يقول: لا والله ما ندري أنقاتل معكم أم عليكم! ثم انصرف عن علي وهو يقول أبياتا مطلعها:  
أتيت عليا برأس الزبير\* وكيف كنت أرجو منه الزلفة (١)  
إلى آخرها.

وصية علي لأهل عسكره بما يحب أن يكون منهم في الحرب.

قال: وجعل علي رضي الله عنه يعبي أصحابه ويوصيهم وهو يقول: أيها الناس! غضبوا أبصاركم وأكثروا من ذكر ربكم، وإياكم وكثرة الكلام فإنه فشل. قال: ونظرت إليه عائشة وهو يجول بين الصفوف، فقالت: انظروا إليه كأن فعله فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر، أما والله! ما ينتظر بكم إلا زوال الشمس، فقال

علي رضي الله عنه: يا عائشة! (عما قليل ليصبحن ندمين) (٢). قال: وجعل أهل البصرة يرمون أصحاب علي بالنبل حتى عقروا منهم جماعة فقالت الناس: يا أمير المؤمنين! إنه قد عقرتنا نبأهم فما انتظارك؟ فقال علي رضي الله عنه: اللهم إني قد أعذرت وأندرت فكن لي عليهم من المساعدين. خبر الفتى الذي حمل المصحف إلى أصحاب الجمل يدعوهم إليه. قال: ثم دعا علي بالدرع فأفرغه عليه وتقلد بسيفه واعتجر بعمامته واستوى

---

(١) في العقد الفريد ٤ / ٣٢٣ (وقد كنت أحسبها زلفه) وبعده في مروج الذهب ٢ / ٤٠٣:  
فبشر بالنار قبل العيان\* وبئس بشارة ذي التحفة  
لسيان عندي قتل الزبير\* وضرطة عنز بذي الجحفة  
(٢) سورة المؤمنون الآية ٤٠.

علي بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم دعا بالمصحف فأخذ بيده ثم قال (١):  
أيها الناس! من

يأخذ هذا المصحف فيدعو هؤلاء القوم إلى ما فيه؟ قال (٢): فوثب غلام من مجاشع  
يقال له: مسلم، عليه قباء أبيض فقال: أنا أخذه يا أمير المؤمنين! فقال له علي  
يا فتى! إن يدك اليمنى تقطع، فتأخذه باليسرى، فتقطع ثم تضرب عليه بالسيف  
حتى تقتل؟ فقال الفتى: لا صبر لي على ذلك. قال: فنأدى علي الثانية والمصحف  
في يده، فقام إليه ذلك الفتى وقال: أنا أخذه يا أمير المؤمنين! فهذا قليل في ذات  
الله.

ثم أخذ الفتى المصحف وانطلق به إليهم، فقال: يا هؤلاء! هذا كتاب الله  
عز وجل بيننا وبينكم، قال: فضرب رجل من أصحاب الجمل يده اليمنى فقطعها،  
فأخذ المصحف بشماله فقطعها، فاحتضن المصحف بصدره، فضرب على صدره  
حتى قتل - رحمه الله (٣) - .

قال: فنظرت إليه أمه وقد قتل، فأنشأت تقول أبياتا مطلعها:

يا رب إن مسلما أتاهم \* بمحكم التنزيل إذ دعاهم (٤)  
إلى آخرها.

قال: وأنشأ ابن عم له يرثيه ويقول أبياتا مطلعها:

تناوله شقي منهم بضربة \* أبان بها يمناه حتى تصوب  
إلى آخرها.

ذكر إذن علي حينئذ في القتال.

ثم دفع علي رضي الله عنه رايته إلى ابنه محمد ابن الحنفية وقال: تقدم يا  
بني! فتقدم محمد ثم وقف بالراية لا يبرح، فصاح به علي رضي الله عنه: اقتحم لا  
أم لك! فحمل محمد الراية فطعن بها في أصحاب الجمل طعنا منكرا وعلي ينظر،

(١) الخبر في الطبري ٥ / ٢٠٥ ومروج الذهب ٢ / ٣٩٩ باختلاف.

(٢) الطبري: فقام إليه فتى من أهل الكوفة. وعنده ٥ / ٢١٦: مسلم بن عبد الله.

(٣) زيد في الطبري: فقال علي: الآن حل قتالهم.

(٤) الارجاز في الطبري ٥ / ٢٠٦ و ٥ / ٢١٦ ومروج الذهب ٢ / ٣٩٩ بزيادة واختلاف في بعض  
الالفاظ.

فأعجبه ما رأى من فعاله فجعل يقول:

أطعن بها (١) طعن أبيك تحمد\* لا خير في الحرب إذا لم توقد (٢)  
قال: فقاتل محمد ابن الحنفية ساعة بالراية ثم رجع، وضرب علي رضي الله  
عنه بيده إلى سيفه فاستله ثم حمل على القوم، فضرب فيهم يمينا وشمالا ثم رجع  
وقد انحنى سيفه، فجعل يسويه بركبته فقال له أصحابه: نحن نكفيك ذلك يا أمير  
المؤمنين! فلم يجب أحدا حتى سواه ثم حمل ثانية حتى اختلط بهم، فجعل يضرب  
فيهم قدما قدما حتى انحنى سيفه. ثم رجع إلى أصحابه، ووقف يسوي السيف  
بركبته وهو يقول: والله ما أريد بذلك إلا وجه الله والدار الآخرة! ثم التفت إلى ابنه  
محمد ابن الحنفية وقال: هكذا اصنع يا بني!

قال: ثم حملت ميمنة أهل البصرة على ميسرة أهل الكوفة فكشفوهم إلا قليلا  
منهم، وحملت ميمنة أهل الكوفة على ميسرة أهل البصرة فأزالوهم عن مواقفهم،  
وثبت الناس بعضهم لبعض فاقتتلوا ساعة من النهار، وتقدم مخنف بن سليم الأزدي  
من أصحاب علي فجعل يرتجز ويقول أبياتا مطلعها:

قد عشت يا نفس وقد غنيت (٣) \* دهرا (٤) وقبل اليوم ما عييت  
إلى آخرها.

قال: ثم حمل فقاتل قتالا شديدا ورجع مجروحا، ثم تقدم أخوه الصعب بن  
سليم فقاتل حتى قتل رحمه الله. ثم خرج أخوه الثالث عبيد الله بن سليم فقتل. ثم  
تقدم زيد بن صوحان العبدي من أصحاب علي فقاتل حتى قتل، فأخذ الراية أخوه  
صعصعة فقاتل فجح، وأخذ الراية أبو عبيدة العبدي (٥) وكان من خيار أصحاب علي  
فقاتل فقتل، فأخذ الراية عبد الله بن الرقية (٦) فقتل، فأخذها رشيد بن سمي فقتل.

(١) في مروج الذهب ٢ / ٤٠٧ اطعنهم.

(٢) بعده: بالمشرفي والقنا المسرد.

(٣) في الطبري ثلاثة أرجاز نسبها (ليزيد بن قيس) ٥ / ٢٠٨.

(٤) الطبري: (دهرا فقطك اليوم ما بقيت) وبعده:

أطلب طول العمر ما حييت.

(٥) في الطبري ٥ / ٢٠٨ أبو عبيدة بن راشد بن سلمى.

(٦) عند الطبري ٥ / ٢٠٨ عبد الله بن الرقية بن المغيرة.

قال: فقتل سبعة أو ثمانية رهط من أصحاب علي في ربضة واحدة ثم تقدم رجل من أصحاب الجمل يقال له عبد الله بن سري، فجعل يرتجز ويقول: يا رب إني طالب أبا الحسن \* ذاك الذي يعرف حقا بالفتن ذاك الذي يطلبه على الإحن \* وبغضه شريعة من السنن قال: فخرج إليه علي رضي الله عنه وهو يرتجز ويقول: قد كنت ترميه بإيثار الفتن \* قدما وتطلبه بأوتار الإحن واليوم تلقاه مليا فاعلمن \* بالطعن والضرب عليها بالسنن قال: ثم شد عليه علي بالسيف فضربه ضربة هتك بها عاتقه فسقط قتيلًا، فوقف علي رضي الله عنه ثم قال: قد رأيت أبا الحسن فكيف وجدته؟ قال: ثم تقدمت بنو ضبة فأحدقوا بالجمل وجعلوا يرتجزون بالأشعار من كل ناحية، ورجل منهم قد أخذ بخطام الجمل وفي يده سيف له كأنه مخراق وهو يرتجز ويقول:

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل \* ننازل الموت إذا الموت نزل  
ننعي ابن عفان بأطراف الأسل \* اضرب بالسيف إذا الرمح فصل  
إن عليا يعد من خير البدل (١)  
قال: فبدر إليه زيد بن لقيط الشيباني من أصحاب علي وهو يقول أبياتا مطلعها:

يا قائل الزور من أصحاب الجمل \* نحن قتلنا نعثلا فيمن قتل  
إلى آخرها.

قال: ثم حمل عليه الشيباني فقتله. وتقدم رجل من بني ضبة يقال له عاصم بن الدلف وأخذ بخطام الجمل وجعل يرتجز ويقول أبياتا مطلعها:  
[نحن] بنو ضبة أعداء علي \* ذاك الذي يعرف فيكم بالوصي  
إلى آخرها.

(١) نسبت الارجاز في الطبري ٥ / ٢١٧ إلى عمرو بن يثربي الضبي وهو أخو عميرة القاضي، وهي عنده باختلاف في ثلاثة مواضع ٥ / ٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١٧ وفي مروج الذهب ٢ / ٤٠٥.

قال: فخرج إليه المنذر بن حفصة التميمي من أصحاب علي رضي الله عنه وهو يقول:

نحن مطيعون جميعا لعلي \* إذ أنت ساع في الوغى سعي شقي  
إن الغوي تابع أمر الغوي \* قد خالفت أمر النبي زوج النبي  
قال: ثم حمل على الضبي فقتله، ثم جال في ميدان الحرب وهو يرتجز ويقول أبياتا مطلعها:

أسمع أنت مطيع أم عصي \* وتارك ما أنت فيه أم غوي  
إلى آخرها.

قال: فخرج إليه وكيع بن المؤمل الضبي من أصحاب الجمل وهو يقول:

أسمع أنت مطيع لعلي \* وتارك في الحق أزواج النبي  
إني ولما ذقت حد المشرفي \* أعرف يوما ليس فيه بعني (١)  
قال: فحمل عليه صاحب علي فقتله، وتقدم على وكيع الأشر حتى وقف بين  
الجمعين وهو يزأر كالأسد عند فريسته، ويقول في ذلك شعرا، فخرج إليه من  
أصحاب الجمل رجل يقال له عامر بن شداد الأزدي وأجابه على شعره، قال: فحمل  
عليه الأشر فقتله، ثم نادى فلم يجب أحد فرجع.

ثم خرج محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر حتى وقفا قدام الجمل، قال:  
وتبعهما الأشر ووقف معهما، قال: فقال رجل من أصحاب الجمل: من أنتم أيها  
الرهط؟ قالوا: نحن ممن لا تنكرونه، وأعلنوا بأسمائهم ودعوا إلى  
البراز، فخرج عثمان الضبي وهو ينشد شعرا، فخرج إليه عمار بن ياسر فأجابه على  
شعره ثم حمل عليه عمار فقتله.

قال: وذهب كعب بن سور الأزدي ليخرج إلى عمار، فسبقه إلى ذلك غلام  
من الأزدي أمرد فخرج، وهو يرتجز ويقول شعرا، فذهب عمار ليرز إليه، فسبقه إلى  
ذلك أبو زينب الأزدي فأجابه إلى شعره، ثم حمل عليه أبو زينب فقتله، ورجع حتى

(١) الارجاز في الطبري ٥ / ٢١٤ باختلاف، ونسبها لأبي الجرباء، وهو من أصحاب الزبير، وقد مرت  
الإشارة إليه.

وقف بين يدي علي رضي الله عنه.

قال: وخرج عمرو بن يثربي من أصحاب الجمل حتى وقف بين الصفيين قريبا من الجمل، ثم دعا إلى البراز وسأل النزال فخرج إليه علباء (١) بن الهيثم من أصحاب علي رضي الله عنه، فشد عليه عمرو فقتله، ثم طلب المبارزة فلم يخرج إليه أحد، فجعل يجول في ميدان الحرب وهو يرتجز ويقول شعرا (٢)، ثم جال وطلب البراز، فتحاماه الناس واتقوا بأسه، قال: فبدر إليه عمار بن ياسر وهو يجاوبه على شعره، والتقوا بضربتين، فبادره عمار بضربة فأرداه عن فرسه، ثم نزل إليه عمار سريعا فأخذ برجله وجعل يجره (٣) حتى ألقاه بين يدي علي رضي الله عنه، فقال علي: اضرب عنقه! فقال عمرو: يا أمير المؤمنين! استبقني حتى أقتل لك منهم كما قتلت منكم، فقال علي: يا عدو الله! أبعد ثلاثة من خيار أصحابي أستبقيتك (٤)؟ لا كان ذلك أبدا! قال: فأذني حتى أكلمك في أذنك بشيء، فقال علي: أنت رجل متمرّد، وقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل متمرّد علي وأنت أحدهم، فقال عمرو بن يثربي: أما

والله لو وصلت إليك لقطعت أذنك - أو قال: أنفك - قال: - فقدمه علي فضرب عنقه

بيده صبرا.

قال: وخرج أخوه عميرة (٥) فجعل يرتجز ويقول شعرا، فخرج علي رضي الله عنه وأجابه إلى شعره، ثم حمل عليه علي فضربه ضربة على وجهه، فرمى بنصف رأسه.

(١) عن الطبري وبالأصل: (علي) تحريف.

(٢) ومما ارتجزه: (الطبري ٥ / ٢١٠):

أضربهم ولا أرى أبا حسن \* كفى بهذا حزنا من الحزن  
إنما نمر الامر إمرار الرسن

(٣) وكان عمرو يرتجز وهو يجز:

إن تقتلونني فأنا ابن يثربي \* قاتل علباء وهندا الجملي

ثم ابن صوحان على دين علي

وكان عمرو قد قتل يومئذ علباء بن الهيثم السدوسي، وهند بن عمرو الجملي وزيد بن صوحان (انظر الطبري ٥ / ٢١٠).

(٤) انظر الملاحظة السابقة.

(٥) عن الطبري، وقد مرت الإشارة إليه.

وانفرك علي يريد أصحابه فصاح به صائح من ورائه، فالتفت وإذا بعبد الله بن خلف الخزاعي، وهو صاحب منزل عائشة بالبصرة، فلما رآه علي عرفه فناداه: ما تشاء يا بن خلف؟ قال: هل لك في المبارزة؟ قال علي: ما أكره ذلك ولكن ويحك يا ابن خلف! ما راحتك في القتل وقد علمت من أنا؟ فقال عبد الله بن خلف: دعني من مدحك يا بن أبي طالب! وادن مني لترى أينما يقتل صاحبه! ثم أنشد شعرا، فأجابه علي عليه، والتقوا للضرب فبادره عبد الله بن خلف بضربة دفعها علي بحجفته، ثم انحرف عنه علي فضربه ضربة رمى بيمينه ثم ضربه أخرى فأطار قحف رأسه.

ثم خرج علي إلى أصحابه، وخرج مبارز بن عوف الضبي من أصحاب الحمل وجعل يقول شعرا، قال: فخرج إليه عبد الله بن نهشل من أصحاب علي مجيبا له على شعره، ثم حمل على الضبي فقتله، فخرج من بعد الضبي ابن عم له يقال له ثور بن عدي وهو ينشد شعرا، فخرج إليه محمد بن أبي بكر مجيبا له وهو يقول شعرا، ثم شد عليه محمد بن أبي بكر فضربه ضربة رمى بيمينه ثم ضربه ثانية فقتله. قال: فغضبت عائشة وقالت: ناولوني كفا من حصباء، فناولوها فحصبت بها أصحاب علي وقالت: شأهت الوجوه! فصاح بها رجل من أصحاب علي رضي الله عنه، وقال: يا عائشة! وما رميت إذ رميت ولكن الشيطان رمى، ثم جعل يقول شعرا:

قد جئت يا عيش لتعليمنا \* وتنشر البرد لتهمينا  
وتقذفي الحصباء جهلا فينا \* فعن قليل سوف تعلمينا  
ذكر مقتل طلحة بن عبيد الله

قال: وجعل طلحة ينادي بأعلى صوته: عباد الله! الصبر الصبر! إن بعد الصبر النصر والاجر، قال: فنظر إليه مروان بن الحكم فقال لغلام له: ويلك يا غلام! والله إنني لاعلم أنه ما حرض على قتل عثمان يوم الدار أحد كتحريض طلحة ولا قتله سواه! ولكن استرني فأنت حر، قال: فستره الغلام، ورمى مروان بسهم مسموم لطلحة بن عبيد الله فأصابه به (١)، فسقط طلحة لما به وقد غمي عليه، ثم

(١) في قتل طلحة بن عبيد الله قيل: إنه أتاه سهم غرب (أي الذي لم يعرف مصدره) وقيل: رماه مروان (كما بالأصل).

وفي موضع إصابته قيل: إن السهم وقع في ركبته، وقيل في رقبته، وقيل في أكحله.  
انظر في ذلك الطبري ٥ / ٢٠٤ ومروج الذهب ٢ / ٤٠٣ تاريخ خليفة ص ١٨٥ ابن الأثير ٢ / ٣٣٧  
البداية والنهاية ٧ / ٢٧٥ سير أعلام النبلاء ١ / ٢٦ الإمامة والسياسة ١ / ٩٧.

أفاق فنظر إلى الدم يسيل منه فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أظن والله أننا عنينا بهذه الآية من كتاب الله عز وجل إذ يقول: (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب\*) (١). قال: ثم أقبل على غلامه، وقد بلغ منه الجهد، قال: ويحك يا غلام! اطلب لي مكانا أدخله فأكون فيه، فقال الغلام: لا والله ما أدري أين أنطلق بك! فقال طلحة: يا سبحان الله! والله ما رأيت كاليوم قط! دم قرشي أضيع من دمي، وما أظن هذا السهم إلا سهما أرسله الله، وكان أمر الله قدرا مقدورا. فلم يزل طلحة يقول ذلك (٢) حتى فات ومات ودفن، ثم وضع في مكان يقال له السبخة (٣)، ودخل من ذلك على أهل البصرة غم عظيم، وكذلك على عائشة لأنه ابن عمها. وجاء الليل فحجز بين الفريقين. ذكر ما كان بعد ذلك.

قال: فلما كان من الغد دنا القوم من بعضهم بعض، وتقدمت عائشة على جملها عسكر حتى وقفت أمام الناس والناس من ورائها وعن يمينها وشمالها. قال: وصف علي رضي الله عنه أصحابه وعباهم كالتعبية الأولى، وعزم القوم على المناجزة، وتقدم كعب بن سور الأزدي حتى أخذ بخطام الجمل وجعل يرتجز ويقول أبياتا مطلعها:

(١) سورة الأنفال الآية ٢٥.

(٢) قيل إن طلحة خاف أن يموت وليس في عنقه بيعة، فباع لرجل من أصحاب علي لعلي، وقد سمع وهو جريح يتمثل:

فإن تكن الحوادث أقصدتني \* وأخطأهن سهمي حين أرمي  
فقد ضيعت حين تبعت سهما \* سفاها ما سفهت وضل حلمي  
ندمت ندامة الكسعي لما \* شريت رضا بني سهم برغم  
أطعتهم بفرقة آل لأي \* فألقوا للسباع دمي ولحمي  
ابن الأثير ٢ / ٣٣٨ مروج الذهب ٢ / ٤٠٤.  
(٣) السبخة: موضع بالبصرة.

يا معشر الناس عليكم أممكم \* فإنها صلاتكم وصومكم  
إلى آخرها.

قال: فحمل عليه الأشتر فقتله، وخرج من بعده غلام من الأزدي يقال له  
وائل بن كثير فجعل يتلو ويقول شعرا، فبرز إليه الأشتر مجيبا له وهو يقول شعرا، ثم  
حمل عليه الأشتر فقتله، وخرج من بعده عمرو بن خنفر من أصحاب الجمل وهو  
يقول شعرا، ثم حمل عليه الأشتر فقتله، وخرج من بعده عبد الرحمن بن عتاب بن  
أسيد بن أبي العاص بن أمية فجعل يلعب بسيفه بين يدي عائشة وهو يقول شعرا،  
قال: فبدر إليه الأشتر مجيبا له، ثم حمل عليه فضربة رمية يمينه فسقط لما  
به، وثناه الأشتر بضربة أخرى فقتله، ثم جال في ميدان الحرب وهو يقول شعرا، ثم  
رجع الأشتر إلى موقفه.

وصاح رجل من أهل الكوفة: يا معشر المؤمنين! إذا خرج إليكم رجل من  
أنصار صاحبة الجمل وقال شيئا من الشعر فلا تجيبوه بشيء ليستريح إلى إجابته، له،  
ولكن استعملوا فيمن خرج إليكم بالسيف فإنه أسرع للجواب. قال: وإذا برجل من  
أصحاب الجمل يقال له الأسود البخري (١) قد خرج وهو يقول شعرا، فحمل عليه  
عمرو بن الحمق الخزاعي فقتله، وخرج من بعده جابر بن يزيد الأزدي، فحمل  
عليه محمد بن أبي بكر فقتله، وخرج من بعده جابر بن يزيد الأزدي، فحمل  
عليه محمد بن أبي بكر فقتله، وخرج من بعده مجاشع بن عمر التميمي (٢) وهو يقول  
شعرا، فحمل على أصحاب علي حملة، واستأمن إلى علي فكان من خيار أصحابه  
بعد ذلك، وخرج من بعده عوف بن قطن وهو يقول شعرا، فحمل عليه محمد ابن  
الحنفية فقتله، وخرج من بعده بشر بن عمرو الضبي وهو يقول شعرا، فحمل عليه  
عمار بن ياسر فقتله، وخرج من بعده حرسة بن ثعلبة الضبي في يده خطام الجمل  
وهو يقول شعرا، ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قطعت يده على خطام الجمل وقتل،  
وتقدم حازم الضبي فضرب بيده إلى خطام الجمل وهو يرتجز ويقول شعرا، ثم حمل  
فجعل يقاتل حتى قطعت يده على الخطام ثم قتل، وخرج من بعده غلام من ضاهية  
يقال له أسلم بن سلامة فأخذ بخطام الجمل وجعل يرتجز ويقول شعرا فقاتل حتى  
قطعت يده على الخطام ثم قتل، وخرج من بعده رجل من الأزدي يقال له سليم فأخذ

(١) في الطبري ٥ / ٢١٠ الأسود بن أبي البخري.

(٢) كذا، مرقيا مجاشع بن مسعود السلمي.

بخطام الجمل وهو يقول شعرا، فقاتل حتى قطعت يده على خطام الجمل ثم قتل، وخرج من بعده رجل من أزد شنوءة يقال له عبيد بن عمير فأخذ بخطام الجمل وهو يقول شعرا، فقاتل حتى قتل، وخرج من بعده رجل من بني مازن يقال له عوف بن مالك فأخذ بخطام الجمل وجعل يقول شعرا، فقاتل حتى قطعت يده على الخطام ثم قتل. فلم نزل القوم كذلك يتقدم رجل بعد رجل حتى قطع على الخطام يومئذ ثمانى وتسعون يدا (١)، قال: ونادت عائشة رضي الله عنها بأعلى صوتها: أيها الناس!

عليكم بالصبر فإنما تصبر الأحرار، فناداها رجل من أصحاب علي وهو يقول شعرا. قال: واشتبتك الحرب بين الفريقين فاقتتلوا قتالا شديدا، وصاح الحجاج بن [عمرو بن] غزية الأنصاري: يا معاشر الأنصار! إنه لم ينزل موت قط في جاهلية ولا إسلام إلا مضيتم عليه، ولست أراكم اليوم كما أريد، وأنا أنشدكم بالله أن تحدثوا ما لم يكن، إن إخوانكم اليوم قد أبلوا وقاتلوا، وإن الموت قد نزل فصبرا صبيرا حتى يفتح الله عز وجل عليكم.

قال: ثم تقدم الحجاج [بن عمرو] بن غزية الأنصاري عن القوم فجعل يضرب بسيفه قدما، وهو يقول شعرا، قال: ثم تقدم في أثره خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين وهو يقول شعرا، قال: ثم تقدم في أثره شريح بن هانئ الحارثي وهو يقول شعرا، ثم تقدم في أثره هانئ بن عروة وهو يقول شعرا، ثم تقدم في أثره زياد بن كعب الهمداني وهو يقول شعرا، ثم تقدم في أثره سعيد بن قيس الهمداني وهو يقول شعرا، ثم تقدم في أثره مالك بن الحارث الأشتر وهو يقول شعرا، ثم تقدم في أثره حاتم الطائي وهو يقول شعرا، ثم تقدم في أثره رفاعة بن شداد البجلي وهو يقول شعرا، ثم تقدم في أثره هانئ بن هانئ بن عبيد المذحجي وهو يقول شعرا، ثم تقدم في أثره عمرو (٢) بن الحمق الخزاعي وهو يقول شعرا.

قال: فاقتتل القوم قتالا شديدا لم يسمع بمثله، وصار الهودج الذي فيه عائشة كأنه القنفذ مما فيه من النبل والسهام، قال: وجعلت بنو ضبة يأخذون بعرج الجمل فيشموناه ويقول بعضهم لبعض: ألا ترون إلى بعرج جمل أمنا كأنه المسك الأذفر.

(١) في مروج الذهب ٢ / ٤٠٦ سبعون يدا من بني ضبة.  
(٢) بالأصل: (عمر) تحريف، وما أثبتناه عن الاخبار الطوال.

قال: وجعل الأشتر يجول في ميدان الحرب وينادي بأعلى صوته يا أنصار الجمل! من يبارزني منكم؟ قال: فبرز إليه عبد الله بن الزبير وهو يقول: إلى أين يا عدو الله؟ فأنا أبارزك! قال: فحمل عليه الأشتر فطعنه طعنة صرعه عن فرسه، ثم بادر وقعد على صدره، قال: فجعل عبد الله بن الزبير ينادي من تحت الأشتر في يومه ذلك: اقتلوني ومالكا (١)! قال: وكان الأشتر في يومه صائما وقد طوى من قبل ذلك بيومين فأدركه الضعف، فأفلت عبد الله من يده وهو يظن أنه غير ناج منه (٢). ذكر عقر الجمل وما بعده.

قال: واحمرت الأرض بالدماء وعقر من ورائه فجع ورغا، فقال علي: عرقبوه فإنه شيطان، ثم التفت إلى محمد بن أبي بكر وقال له: انظر إذا عرقب الجمل فأدرك أختك فوارها، قال: وبادر عبد الرحمن بن صرد التنوخي إلى سيفه، فلم يزل يقاتل حتى وصل إلى الجمل فعرقه من رجليه جميعا (٣)، فوقع الجمل لجنبه وضرب بجرانه الأرض ورغا رغاء شديدا، وبادر عمار بن ياسر فقطع أنساع الهودج بسيفه، قال: وأقبل علي رضي الله عنه على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرع الهودج برمحه ثم

قال: يا عائشة أهكذا أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تفعلي؟ فقالت عائشة: قد ظفرت

فأحسن. فقال علي رضي الله عنه لمحمد بن أبي بكر: شأنك بأختك، فلا يدنو منها أحد سواك، فأدخل محمد يده إلى عائشة فاحتضنها ثم قال: أصابك شيء؟ فقالت: لا، ما أصابني شيء (٤)، ولكن من أنت ويحك! فقد مسست مني ما لا يحل لك؟ فقال محمد: اسكتي فأنا أخوك محمد، فعلت بنفسك ما فعلت وعصيت

(١) في مروج الذهب ٢ / ٤٠٧.

اقتلوني ومالكا واقتلوا مالكا معي

قال: والتقى الأشتر مالك... وعبد الله بن الزبير فاعتركا وسقطا على الأرض عن فرسيهما، وطال اعتراكهما على وجه الأرض، فعلاه الأشتر ولم يجد سبيلا إلى قتله لشدة اضطرابه من تحته.

(٢) قال المسعودي إن عبد الله بن الزبير كان يصرخ من تحته: (فلا يسمعه أحد لشدة الجلال، ووقع الحديد على الحديد، ولا يراهما راء لظلمة النقع وترادف العجاج) (وانظر الطبري ٥ / ٢١٧ والإمامة والسياسة ١ / ٩٦).

(٣) في الطبري ٥ / ٢١٨ عقر الجمل رجل من بني ضبة يقال له ابن دلجة عمرو أن بجير وفي الاخبار الطوال

ص ١٥١ كشف عرقوبه رجل من مراد يقال له أعين ضبيعة.

(٤) في مروج الذهب ٢ / ٤٠٦ ما أصابني إلا سهم لم يضرني.

برسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كانت فيك شعرة منه أو ظفر لمننت علينا وعلى جميع العالمين

بذلك! وبعد فإنما كنت تسع إحدى حشايا من حشاياه، لست بأحسنهم وجهها ولا بأكرمهن حسبا ولا بأرشدن عرقا، وأنت الآن تريدين أن تقولي ولا تعصين وتأمري ولا تخالفين، ونحن لحم الرسول صلى الله عليه وسلم ودمه وفينا ميراثه وعلمه، فقالت عائشة: يا

ابن عباس! ما باذلك عليك علي بن أبي طالب! فقال ابن عباس: إذا والله أقر له وهو أحق به مني وأولى، لأنه أخوه وابن عمه وزوج الطاهرة - ابنته وأبو سبطيه ومدينة علمه وكشاف الكرب عن وجهه، وأما أنت فلا والله ما شكرت نعماءنا عليك وعلى أبيك من قبلك! ثم خرج وسار إلى علي فأخبره بما جرى بينه وبين عائشة من الكلام.

ذكر دخول علي على عائشة وما جرى بينهم

من الكلام حين أمرها بالانصراف إلى المدينة.

قال: فدعا علي ببغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستوى عليها، وأقبل إلى منزل عائشة،

ثم استأذن ودخل (١)، فإذا عائشة جالسة وحولها نسوة من نساء أهل البصرة وهي تبكي

وهن يبكين معها، قال: ونظرت صفية بنت الحارث الثقفية امرأة عبد الله بن خلف الخزاعي إلى علي، فصاحت هي ومن كان معها هناك من النسوة وقلن بأجمعهن: يا قاتل الأحبة يا مفرق بين الجميع أيتم الله منك بنيك كما أيتمت ولد عبد الله بن خلف! فنظر إليها علي فعرفها فقال: أما اني لا ألومك أن تبغضيني وقد قتلت جدك في يوم بدر، فقتلت عمك يوم أحد، وقتلت زوجك الآن، ولو كنت قاتل الأحبة كما تقولين لقتلت من في هذا البيت ومن في هذه الدار (٢)، قال: فأقبل علي على عائشة فقال: ألا تنحين كلابك هؤلاء عني، أما إنني قد هممت أن أفتح باب هذا البيت فأقتل من فيه، وباب هذا البيت فأقتل من فيه، ولولا حبي للعافية لاخرجتهم الساعة فضربت أعناقهم صبورا، قال: فسكتت عائشة وسكتت النسوة فلم تنطق واحدة منهن. قال: ثم أقبل علي عائشة فجعل يوبخها ويقول: أمرك الله أن تقري في بيتك

(١) خبر دخول علي على عائشة في الطبري ٥ / ٢٢٢ ومروج الذهب ٢ / ٤٠٨ وتاريخ يعقوبي ٢ / ١٨٣.

(٢) وكان قد اختفى فيه مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر وغيرهم (مروج الذهب ٢ / ٤٠٨).



وتحتجبي بسترِكَ ولا تبرجي، فعصيته وخضت الدماء، تقاتليني ظالمة وتحرضين علي الناس، وبما شرفك الله وشرف آباءك من قبلك وسماك أم المؤمنين وضرب عليك الحجاب قومي الآن فارحلي واختفي في الموضع الذي خلفك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن يأتيك فيه أجلك، ثم قام علي فخرج من عندها. قال: فلما كان من الغد بعث إليها ابنه الحسن، فجاء الحسن فقال لها: يقول لك أمير المؤمنين (أما والذي خلق الحبة وبرأ النسمة! لئن لم ترحلي الساعة لأبعثن عليك بما تعلمين)، قال: وعائشة في وقتها ذلك قد ضفرت قرنها الأيمن وهي تريد أن تضفر الأيسر، فلما قال لها الحسن ما قال وثبت من ساعتها وقالت: رحلوني! فقالت لها امرأة من المهاجرة: يا أم المؤمنين! جاءك عبد الله بن عباس فسمعناك وأنت تجاوبيه حتى علا صوتك ثم خرج من عندك وهو مغضب، ثم جاءك الآن هذا الغلام برسالة أبيه فأقلقك وقد كان أبوه جاءك فلم نر منك هذا القلق والجزع! فقالت عائشة: إنما أقلقني لأنه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن أحب أن ينظر إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى هذا الغلام، وبعد فقد بعث إلي أبوه بما قد علمت ولا بد من الرحيل، فقالت لها المرأة: سألتك بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم إلا أخبرتني بماذا بعث

إليك علي رضي الله عنه، فقالت عائشة رضي الله عنها: ويحك! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أصاب من مغازيه نفلا فجعل يقسم ذلك في أصحابه، فسألناه أن يعطينا منه شيئا وألحنا عليه في ذلك، فلامنا علي رضي الله عنه وقال: حسبك أضجرتن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتجهمناه وأغلظنا له في القول. فقال: (عسى ربه إن طلقكم أن

يبدله أزواجا خيرا منكن) (١) فأغلظنا له أيضا في القول وتجهمناه، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم

من ذلك وما استقبلنا به عليا، فأقبل عليه ثم قال: يا علي! إنني قد جعلت طلاقهن إليك فمن طلقتهن منهن فهي بائنة، ولم يوقت النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وقتا في حياة ولا

موت، فهي تلك الكلمة، وأخاف أن أبين من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر انصراف عائشة من البصرة إلى المدينة.

قال: ثم دعا علي رضي الله عنه بنسوة (٢) من نساء أهل البصرة فأمرهن أن

-----

(١) سورة التحريم الآية ٥.  
(٢) في الطبري ٥ / ٢٢٥ وابن الأثير ٢ / ٣٤٧ أربعين امرأة. وفي مروج الذهب ٢ / ٤١٠ عشرين امرأة  
من  
ذوات الدين من عبد القيس وهمدان وغيرهما. وفي تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٨٣ سبعين امرأة.

ربك وهتكت سترك وأبحت حرمتك وتعرضت للقتل.  
قال: ثم احتملها فأدخلها البصرة وأنزلها في دار عبد الله (١) بن خلف  
الخرزاعي، فقالت عائشة لأخيها: يا أخي! أنشدك بالله إلا طلبت لي ابن أختك  
عبد الله بن الزبير، فقال لها محمد: ولم تسألين عن عبد الله؟ فو الله ما سامك أحد  
سواه! فقالت عائشة: مهلا يا أخي! فإنه ابن أختك وقد كان ما ليس إلى رده سبيل،  
فأقبل محمد إلى موضع المعركة فإذا هو بعبد الله بن الزبير جريحا لما به، فقال له  
محمد: اجلس يا مشؤوم أهل بيته! اجلس لا أجلسك الله! قال: فجلس ابن الزبير  
وحمله محمد بين يديه وركب من خلفه، وجعل يمسكه وهو يميل من الجراح التي به  
حتى أدخله على عائشة، فلما نظرت إليه على تلك الحالة بكت ثم قالت لأخيها  
محمد: يا أخي! استأمن له عليا وتمم إحسانك، فقال لها محمد: لا بارك الله لك  
فيه! ثم سار إلى علي وسأله ذلك، فقال علي: قد آمنت وأمنت جميع الناس.  
قال: وجعل رجل من أهل الكوفة يقال له مسعود بن عمرو الهمداني يجول في  
القتلى وينظر إليهم، فبينما هو كذلك إذ مر برجل من بني ضبة يقال له عمير (٢) بن  
الاهلب، فإذا هو مقطوع اليدين وبه ضربات كثيرة وقد ندم على قتاله مع عائشة وهو  
يقول شعرا (٣)، قال: فجعل الهمداني يتعجب من قول الضبي، فقال له الضبي:  
ممن الرجل؟ فقال: رجل من همدان، فقال: ما لي أراك واقفا متعجبا من قولي،  
فقال الهمداني: إنني أتعجب من ندامتك حين لا تنفعل الندامة، فقال له الضبي:  
قرب إلي أذنك، فقرب إليه أذنه، فعض عليها الضبي حتى قطعها، وانفلت  
الهمداني بغير أذن ثم أنكر عليه بسيفه حتى قطعه إربا إربا (٤).

- 
- (١) عن الطبري، وبالأصل عبيد الله. وفي مروج الذهب ٢ / ٤٠٦ (أنزلها في دار صفية بنت الحارث بن  
طلحة العبدي، وهي أم طلحة الطلحات). وهي امرأة عبد الله وكان قد قتل في ذلك اليوم.  
(٢) عن الطبري ٥ / ٢١٣ وبالأصل (عمرو).  
(٣) في مروج الذهب ٢ / ٤٠٩ - ٤١٠:  
لقد أوردنا حومة الموت أما \* فلم تنصرف إلا ونحن رواء  
أطعنا بيني تيم لشقوة جدنا \* وما تيم إلا أعبد وإماء  
(٤) الخبر في مروج الذهب ٢ / ٤٠٩ - ٤١٠ والطبري ٥ / ٢١٣.

ذكر ما جرى من الكلام بين عبد الله بن عباس وبين عائشة لما أنفذه إليها برسالته علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

قال: ثم دعا علي رضي الله عنه بعبد الله بن عباس فقال له: اذهب إلى عائشة (١) فقل لها أن ترتحل إلى المدينة كما جاءت ولا تقيم بالبصرة، فأقبل إلى عائشة فاستأذن عليها، فأبت أن تأذن له، فدخل عبد الله بغير إذن، ثم التفت فإذا راحلة عليها وسائد فأخذ منها وسادة وطرحها ثم جلس عليها، فقالت عائشة: يا بن عباس! أخطأت السنة دخلت منزلي بغير إذني (٢)! فقال ابن عباس: لو كنت في منزلك الذي خلفك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخلت عليك إلا بإذنك، وذلك المنزل

الذي أمرك الله عز وجل أن تقري فيه، فخرجت منه عاصية لله عز وجل ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد فهذا أمير المؤمنين يأمرك بالارتحال إلى المدينة فارتحلي ولا

تعصي، فقالت عائشة: رحم الله أمير المؤمنين! ذاك عمر بن الخطاب! فقال ابن عباس: وهذا والله أمير المؤمنين وإن رغمت له الأنوف واربدت له الوجوه! فقالت عائشة: أبيت ذلك عليكم يا بن عباس! فقال ابن عباس: لقد كانت أيامك قصيرة المدّة ظاهرة الشؤم بنية النكد، وما كنت في أيامك إلا كقدر حلب شاة حتى صرت ما تأخذين وما تعطين ولا تأمرين ولا تنهين، وما كنت إلا كما قال أخو بني أسد حيث يقول:

ما زال إهداء القصائد بيننا \* شتم الصديق وكثرة الألقاب  
حتى تركت كأن قولك عندهم \* في كل محتفل طنين ذباب  
قال: فبكت عائشة بكاء شديدا ثم قالت: نعم والله أرحل عنكم! فما خلق الله بلدا هو أبغض إلي من بلد أنتم به يا بني هاشم! فقال ابن عباس: ولم ذلك؟ فوالله ما هذا بلاؤنا عندك يا بنت أبي بكر! فقالت عائشة: وما بلاؤكم عندي يا بن عباس؟ فقال: بلاؤنا عندك أننا جعلناك أم المؤمنين وأنت بنت أم رومان، وجعلنا أباك صديقا وهو ابن أبي قحافة، وبنا سميت أم المؤمنين لا بتيم وعدي، فقالت عائشة: يا بن عباس! أتمنون علي برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ولم لا نمن عليك

(١) خبر عائشة وابن عباس (رض) في مروج الذهب ٢ / ٤٠٨. وتاريخ يعقوبي ٢ / ١٨٣.

(٢) زيد في مروج الذهب: وجلست على رحلنا بغير أمرنا وزيد عنده: بعث معها أخاها عبد الرحمان بن أبي بكر وثلاثين رجلا.

(٤٨٦)

يخرجن مع عائشة إلى المدينة، فرحلت عائشة من البصرة (١) في تلك النسوة، وقد كان علي رضي الله عنه أوصاهن وأمرهن أن يتزيين بزى الرجال، عليهن العمائم، فجعلت عائشة تقول في طريقها: فعل بي علي وفعل، ثم وجه معي رجالا يردوني إلى المدينة! قال: فسمعتها امرأة منهن فحركت بعيرها حتى دنت منها ثم قالت: ويحك يا عائشة! أما كفاك ما فعلت حتى انك الآن تقولين في أبي الحسن ما تقولين! ثم تقدمت النسوة وسفرن عن وجوههن، فاسترجعت عائشة واستغفرت وقالت: هذا ما لقيت من ابن أبي طالب.

ثم دخلت عائشة المدينة وصارت إلى منزلها نادمة على ما كان منها، وانصرفت النسوة إلى منازلهن بالبصرة.

قال: فكانت عائشة إذا ذكرت يوم الجمل تبكي لذلك بكاء شديدا ثم تقول: يا ليتني لم أشهد ذلك المشهد! يا ليتني مت قبل هذا بعشرين سنة! ثم قالت عائشة: ولو لم أشهد الجمل لكان أحب إلي من أن يكون لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل

ولد عبد الرحمن بن الحارث، فإنه كان له عشرة أولاد ذكور كل يركب.

ذكر عدد من قتل من الفريقين

في حرب الجمل.

قال أبو يعقوب إسحاق بن يوسف الفزاري: سألت أبا المنذر هشام بن محمد بن السائب عمن قتل من أصحاب علي رضي الله عنه وعائشة رضي الله عنها في يوم الجمل، فقال: أما علي رضي الله عنه فكان في عشرين ألفا، قتل من أصحابه ألف رجل وسبعون رجلا، وأما عائشة فكانت في ثلاثين ألفا ويزيدون، فقتل من الأزد خاصة أربعة آلاف (٢) رجل، ومن بني ضبة ألف رجل (٣)، ومن بني ناجية \* (هامش) \*

(١) وكان ذلك يوم السبت غرة رجب (الطبري ٥ / ٢٢٥).

(٢) في مروج الذهب ٢ / ٤١١ ألفان وخمسمائة رجل. وفي الطبري ٥ / ٢٢٥ ألف وثلاثمائة وخمسون

رجلا.

(٣) الطبري: ثمانمائة رجل.

وفي الطبري: قتل علي بن أبي طالب يوم الجمل ألفين وخمسمائة.

وفي رواية عند الطبري: أن قتلى الجمل يزيدون على ستة آلاف. وفي رواية أخرى:

عدد قتلى

الجمل عشرة آلاف نصفهم من أصحاب علي ونصفهم من أصحاب عائشة، وقد جرى

تفصيل القتلى

على القبائل انظر ج ٥ / ٢٢٢. (\*)



(٤٨٧)

أربعمائة رجل، ومن بني عدي ومواليهم تسعون رجلاً، ومن بني بكر بن وائل ثمانمائة رجل، ومن بني حنظلة سبعمائة رجل، ومن سائر أخلاط الناس تسعة آلاف رجل.

قال: ونظر رجل من بني تيم بن مرة بعد ذلك إلى عبد الرحمن بن صرد التنوخي عاقر الجمل (١)، فقال له: أنت الذي عرقت الجمل يوم البصرة؟ فقال التنوخي: أنا والله ذلك الرجل! ولو لم أعرقه لما بقي من أصحاب عائشة ذلك اليوم مخبر، فإن شئت فاغضب وإن شئت فارض، ثم أنشأ يقول شعراً.

قال: فأقام علي بالبصرة بعد حرب الجمل أياماً قلائل، فلما أراد الرحيل عنها نصب في عسكره منبراً ثم نادى في الناس فجمعهم، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر من أمر القوم ما ذكر.

قال: فوثب إليه المنذر بن الجارود العبدي (٢)، فسأله عن أمر الفتن وغيرها، فأخذ علي في ذلك يخبره من يومه ذلك إلى أن تقوم الساعة، فذكر الفتن في مدينة ومدينة وكيف تخرب ومن يتولى خرابها، وكم النفقة تكون وعلى من تكون في المشرق والمغرب - فتركنا ذكرها لطولها - ثم قال في آخر كلامه: يا منذر - يعني المنذر بن الجارود العبدي - إنه لن تقوم الساعة إلا على أشرار خلق ربك، وذلك في أول يوم من المحرم يوم الجمعة، فافهم عني يا منذر ما نبأتك به، ولم أكتمه عن غيرك - والله ولي الاحسان، اللهم صل على سيدنا محمد الكريم في الحسب، الرفيع في النسب، سليل عبد المطلب، وسيد العجم والعرب، وسلم تسليمًا كثيرًا. ثم نزل عن المنبر وأمر أصحابه بالرحيل، وانصرف إلى الكوفة منصوراً (٣).

(١) انظر ما سبق فيمن عقر الجمل.

(٢) هو المنذر بن الجارود واسمه بشر بن عمرو بن حبيش بن المعلى بن زيد بن حارثة بن معاوية العبدي، ولد في عهد النبي (ص). قيل قتل شهيداً في عهد عمر وقيل بل بقي وشهد الجمل مع علي (ع) ومات سنة ٦١ هـ. (الإصابة).

(٣) وكان دخوله إليها لاثنتي عشرة ليلة مضت من رجب (مروج الذهب ٢ / ٤١٢).

ابتداء خبر وقعة صفين.  
قال أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي قال حدثني سليم (١) عن مجاهد عن الشعبي وأبي محصن عن أبي وائل وعلي بن مجاهد عن أبي إسحاق قال وحدثني نعيم بن مزاحم قال: حدثني أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي الأسلمي قال: حدثني عبد الحميد بن جعفر عن يزيد بن أبي حبيب الزهري قال: وحدثني إسحاق بن يوسف الفزاري قال: حدثني أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب قال: حدثني أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي قال: حدثني الحارث بن الحصين عن عبد الرحمن بن عبيد (٢) والنضر بن صالح بن حبيب (٣) بن زهير قال: وحدثني عمران (٤) بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الله (٥) بن يزيد عن صالح بن إبراهيم وزيد بن عبد الرحمن الوافقي وعلي بن حنظلة بن أسعد الشامي والحسن بن نصر بن مزاحم العطار عن أبيه عن محمد بن عبد الله القرشي وغير هؤلاء، فذكر هذا الحديث سرا وعلانية، وقد جمعت ما سمعت من رواياتهم على اختلاف لغاتهم فألفته حديثا واحدا على نسق واحد وكل

- 
- (١) كذا بالأصل هنا، وقد مر في (خبر قتل عثمان رضي الله عنه) عثمان بن سليم. وفي تهذيب التهذيب ٤ / ١٦٧ سليم المكي أبو عبد الله مولى أم علي، من كبار أصحاب مجاهد.  
(٢) في وقعة صفين ص ٣: الحارث بن حصيرة عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود.  
(٣) مر في خبر مقتل عثمان (رض) (حسين).  
(٤) بالأصل: (عمر).  
(٥) بالأصل هنا عبيد الله، وقد مر صوابه عبد الله في خبر مقتل عثمان (رض).

يذكر أنه لما فرغ علي بن أبي طالب من أمر البصرة في يوم الجمل وخطب الناس وذكر من أمر الملاحم والفتن ما ذكر ثم نزل عن المنبر وذلك في وقت الظهر قام إليه عمار بن ياسر فقال: يا أمير المؤمنين! إن الناس قد اختلفوا، فقائل منهم يقول: بأنك تريد المقام بالبصرة، وقائل يقول: بأنك منصرف إلى الكوفة، وقد أرجف نفر من أهل عسكرك بأنك تريد الشام، ووالله يا أمير المؤمنين! لقد بايعناك ونحن لا نرى أحدا يقاتلك، ثم قاتلك من بايعك فأعطاك الله ما وعدك، وقد قال الله عز وجل: (ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله) (١) ثم قال: (يا أيها الناس إنما بغىكم على أنفسكم) (٢) ثم قال: (ولا يحق المكر السيء إلا بأهله) (٣) وقال: (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) (٤)، وقد كانت الكوفة لنا والبصرة علينا، فأصبحنا بحمد الله على ما نحب من ماضٍ مأجورٍ وراجعٍ معذورٍ، وقد علمت أن بالشام الداء العضال، معاوية بن أبي سفيان، وهو رجل لا يسلم ما في يديه أبداً إلا مغلوباً أو مغلولاً أو مسلوباً [أو] مقتولاً، فعاجله (٥) قبل الفكر وانهض إليه قبل الحذر.

ثم قام الأشتر النخعي فقال: يا أمير المؤمنين إنما ينبغي لنا أن نقول قبل أن تعزم، فإذا عزمت لم نقل، ولو سرت بهذا الجيش إلى الشام لم يلقك بمثله أبداً، فسر (٦) بنا إلى القلوب القاسية والابصار العمية. ثم وثب رجل من عبد القيس وأنشد شعراً لعلي وجعل يحرضه على ذلك. فنادى علي في الناس بالرحيل، فرحل الناس من البصرة إلى الكوفة فدخلوها يوم الاثنين لستة عشر يوماً خلت (٧) من شهر رجب سنة ست وثلاثين، ومعه يومئذ

(١) سورة الحج الآية ٦٠.

(٢) سورة يونس الآية ٢٣.

(٣) سورة فاطر الآية ٤٣.

(٤) سورة الفتح الآية ١٠.

(٥) الإمامة والسياسة ١ / ٨٩ فعاجله قبل أن يعاجلك، وانبذ إليه قبل الحرب.

(٦) الإمامة والسياسة ١ / ٨٩ فإن القلوب اليوم سليمة، والابصار صحيحة فبادر بالقلوب القسوة، وبالابصار العمى.

(٧) مر قريباً عن مروج الذهب أنه وصل الكوفة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب.

أشرف الناس، قال: واستقبله أهل الكوفة يهئونه ويدعون له بالبركة، ثم قال له أصحابه: يا أمير المؤمنين! أتتزل القصر؟ قال: لا، ذاك قصر خيال، ولكن أنزل الرحبة، ثم أقبل فنزلها، وحطت الأثقال، ودخل علي رضي الله عنه إلى المسجد الأعظم فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وقال (١): الحمد لله الذي نصر وليه وخذل عدوه، وأعز الصادق المحق وأذل الناكث المبطل، ألا! وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل (٢)، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة، ألا! وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة (٣) والآخرة عن قريب مقبلة، ولكل واحدة منها (٥) بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، واليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل، فإياكم يا أهل الكوفة وطاعة الله، وطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيكم، الذين هم أولى بطاعتكم من المستحلين المدعين من الحق ما ليس لهم، فقد ذاقوا وبال ما اجترموا، فسوف يلقون غيا، ألا! وإنه قد قعد عن نصرتي رجال منكم وأنا عليكم عاتب، فاهجروهم وأسمعوهم ما يكرهون حتى يعبوا ونرى منهم ما نرضى.

قال: فقام إليه مالك بن حبيب اليربوعي وقال (٦): والله يا أمير المؤمنين! إنني لأرى الهجران لهم والاسماع لهم ما يكرهون قليلا بقعودهم عن نصرتك، ووالله لئن أمرتنا لنقتلنهم! فقال علي رضي الله عنه: سبحان الله يا مالك! لقد جزت المدى وتعديت الحد وأغرقت في النزاع، وليس هكذا قال الله تعالى، إنما قال: (النفس بالنفس) (٧) وقال تعالى: (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا\*) (٨)

- ١) نهج البلاغة خطبة رقم ٤٢ باختلاف يسير.
- (٢) طول الأمل: هو استفساح الاجل والتسويق بالعمل طلبا للراحة العاجلة وتسلية للنفس بإمكان التدارك في الأوقات المقبلة (عن محمد عبده).
- (٣) في نهج البلاغة: ألا وأن الدنيا قد ولت حذاء فلم يبق منها إلا صباية كصباية الاناء اصطبها صابها.
- (٤) في النهج: منهما.
- (٥) وقعة صفين لابن مزاحم ص ٤.
- (٦) المائدة الآية ٤٥.
- (٧) سورة الاسراء الآية ٣٣.
- (٨) وقعة صفين لابن مزاحم ص ٤ - ٥ باختلاف يسير.

فقام إليه أبو بردة بن عوف الأزدي وكان ممن تخلف عنه فقال: يا أمير المؤمنين! أفرأيت القبيل الذين قتلوا يوم الجمل حول عائشة بماذا قتلوا؟ فقال علي رضي الله عنه: قتلوا بما قتلوا به شيعتي وعمالي بلا ذنب كان منهم إليهم، ثم صرت إليهم وأمرتهم أن يدفعوا إلي قتلة إخواني، فأبوا علي وقاتلوني وفي أعناقهم بيعتي ودماء قريب من ألف رجل من شيعتي من المسلمين فقتلوهم، أفي شك أنت من ذلك يا أخوا الأزدي؟ فقال قد كنت شاكا، والآن فقد عرفت واستبان لي خطأ القوم وأنت لانت المهدي المصيب.

قال: ثم نزل علي رضي الله عنه عن المنبر وركب فصار إلى جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي فنزل عليه، قال: وأقبل إليه سليمان بن صرد الخزاعي (١) مسلما، فقال له علي رضي الله عنه: يا سليمان! إنك ارتبت وتربصت وراوغت وقد كنت من أوثق الناس في نفسي فما الذي أقعدك عن نصرتي؟ فقال: يا أمير المؤمنين: لا ترد الأمور على أعقابها، ولا توبخني بما قد مضى، واستبق مودتي يخلص لك نصيحتي، فقد تعذرت أمورا تعرف فيها عدوك من وليك، قال: فسكت عنه علي.

فجلس سليمان بن صرد قليلا ثم نهض إلى المسجد الأعظم والحسن بن علي قاعد في المسجد، فقال: أبا محمد! ألا أعجبك من أمير المؤمنين وما لقيت منه على رؤوس الأشهاد من التبكيت والتأنيب؟ فقال الحسن: إنما يعاتب من يرجو مودته النصيحة، فقال سليمان: أما إنه قد بقيت (٢) مواطن يتقصف فيها القنا وتتلم فيها السيوف، ويحتاج فيها إلى أمثالي، فلا تستغشوا مودتي ولا تتهموا نصيحتي، فقال له الحسن: أي رحمك الله! ما أنت بالظنين.

قال: ثم جعل يدخل إليه رجل بعد رجل ممن كان قد تخلف عنه يوم الجمل، فإذا سلم عليه يقول له علي رضي الله عنه: وعليك السلام وإن كنت من المتربصين! فلم يزل على ذلك من شأنه إلى أن جاءت الجمعة، فخرج فصلى بالناس، ثم بعث

(١) سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون، سماه رسول الله (ص) وكان اسمه في الجاهلية يسار، يكنى أبا المطرف، وكان فاضلا خيرا له دين وعبادة، قتل في عين وردة سنة ٦٥. (أسد الغابة).  
(٢) ابن مزاحم ص ٧: إنه بقيت أمور سيستوسق فيها القنا، وينتضى فيها السيوف.

عماله إلى جميع البلاد التي كانت في يده من العراق والماهان والجبال وخراسان والجزيرة (١).

وقعة أهل الجزيرة مع الأشتر قبل وقعة صفين.

قال: وكانت أهل الجزيرة عثمانيين وقد بايعوا معاوية وصاروا في سلطانه، فلما بلغ الخبر عليا رضي الله عنه ادعى بالأشتر وولاه الجزيرة وبلادها، والضحاك بن قيس الفهري يومئذ بحران (٢) من قبل معاوية، فلما بلغه خروج الأشتر إلى ما قبله بعث إلى أهل الرقة فاستمدهم إلى حرب الأشتر، فأمدوهم برجل يقال له سماك بن منخرمة في جمع كثير.

قال: فأقبل الأشتر في جيش أهل الكوفة، والتقى القوم قريبا من مدينة حران (٣)، فاقتتلوا قتالا كثيرا إلى وقت السماء، ثم انهزم الضحاك ومن معه في جوف الليل حتى صاروا إلى حران، وسار إليهم الأشتر حتى نزل عليهم فحاصروهم، وبلغ ذلك معاوية فأرسل إليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد في خيل عظيمة، وبلغ ذلك الأشتر فسار إليهم حتى لقيهم دون الرقة (٤)، فواقعهم وهزمهم هزيمة قبيحة حتى ألحقهم بالشام، ثم أقبل حتى نزل على أهل الرقة فحاصروهم.

قال: وخرج الضحاك بن قيس من حران يريد لقاء الأشتر ليزيله عن الرقة، وقدام أيمن بن خريم (٥) الأسدي من عند معاوية في جيش عظيم، فاجتمعت العساكر على الأشتر من كل ناحية والتقى القوم للقتال، فصبر بعضهم لبعض صبرا حسنا، ثم

(١) انظر في ذلك الاخبار الطوال ص ١٥٣ ومروج الذهب ٢ / ٤١٢.

(٢) حران مدينة قديمة فيما بين النهرين. قاعدة بلاد مضر: فتحها العرب على يد عياض بن غنم.

(٣) اقتتلوا بين حران والرقة بموضع يقال له المرج (الاجبار الطوال ص ١٥٤) وفي وقعة صفين ص ١٢: مرج مرينا.

(٤) الرقة: قاعدة ديار مضر في الجزيرة على الفرات.

وفي الاخبار الطوال: وبلغ ذلك الأشتر، فانصرف إلى الموصل، فأقام بها يقاتل من أتاه من أجناد معاوية.

(٥) خريم بالتصغير.

انهزمت خيل الشام حتى لحقت بمعاوية، وجعل الأشتر يعبر على أطراف البلاد ويذل كل من ناواه حتى ضبط الجزيرة ضبطا محكما.

وبلغ ذلك عليا فقام في الناس بالكوفة خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس! إن الله تبارك وتعالى هو خالق الخلق، ولن يرضى من أحد من خلقه إلا بالحق، ولن يزال أمرنا هذا متمسكا ولم يشتم آخرنا أولنا، فإذا فعلوا ذلك فقد هلكوا وأهلكوا، ألا! وإني مخبركم أن معاوية بن أبي سفيان قد شكل أهل الشام وزعم لهم أنني الذي قتلت عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد حارب عاملي، ويوشك أنه سينزعني حقي ويدفعني عنه بجموع أهل الشام، ألا! وإني قد عزمت على الكتاب إليه، فماذا عندكم من الرأي؟ قال: فضح المسلمون من كل ناحية فقالوا: يا أمير المؤمنين! افعل في ذلك ما أحببت وأمرنا بأمرك، فأمرك فينا سمعا وطاعة، وما طاعتك فينا إلا كطاعة النبي صلى الله عليه وسلم.

ذكر كتاب علي رضي الله عنه إلى معاوية.

قال: فنزل علي رضي الله عنه عن المنبر ودخل إلى منزله، ثم دعا بدواة

وقرطاس وكتب إلى معاوية كتابا نسخته (١): بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن صخر، أما بعد! فإن بيعتي لزمك، وأنا بالمدينة وأنت بالشام، وذلك أنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، فليس للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد، وأما عثمان فقد كان أمره مشكلا على الناس، المخبر عنه كالأعمى والسامع كالأصم، وقد عابه قوم فلم يقبلوه وأحبه قوم فلم ينصروه، وكذبوا الشاهد واتهموا الغائب، وقد بايعني الناس بيعة عامة، من رغب عنها مرق ومن تأخر عنها محق، فاقبل العافية واعمل علي حسب ما كتبت به - والسلام. قال: ثم طوى الكتاب ودفعه إلى الحجاج بن عمرو بن غزوة الأنصاري ووجهه إلى الشام إلى معاوية (٢).

(١) نسخته في وقعة صفين ص ٢٩ الإمامة والسياسة ص ٩٣ العقد الفريد، ٤ / ٣٣٢ الاخبار الطوال ص ١٥٧ باختلاف النصوص وزيادة.

(٢) في المصادر المذكورة بعث الكتاب مع جرير بن عبد الله، وسيرد قريبا نص رسالة بعثها علي (رض) إلى معاوية مع جرير بن عبد الله، وفي المصادر المذكورة يتضح وكأن الرسالتين رسالة واحدة.

فلما ورد كتابه على معاوية فقرأه ورفع رأسه إلى الرسول وقال: أظنك ممن قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه! فقال الأنصاري: وأنا أظنك يا معاوية ممن استنصره عثمان فلم ينصره ولكن خذله وقعد عنه، قال: فغضب معاوية من ذلك وقال: ارجع إذا إلى صاحبك بغير جواب فإن رسولي في أثرك إن شاء الله تعالى. قال: فانصرف الأنصاري إلى علي رضي الله عنه وأخبره بذلك.

خبر الوليد بن عقبة (١) بن أبي معيط وسبب عداوته مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال: وبلغ الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان عدوا لعلي رضي الله عنه، وذلك أن عليا هو الذي أشار على عثمان أن يقيم عليه الحد في شرب الخمر لما شهد عليه أهل الكوفة بشربه، وذلك أنه كان والي الكوفة، فصلى بهم الفجر أربعاً وهو سكران، ثم التفت إليهم وقال: أزيدكم! فعلم الناس أنه سكران لا يعقل من أمره شيئاً، وأنشأ الحطيئة العبسي يقول في ذلك شعراً (٢). وقيل فيه غير هذا، ثم إنه جلد الحد بين يدي عثمان بن عفان بمشورة علي رضي الله عنه، فحقدوا عليه (٣). وقد كان قبل ذلك في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى بينه وبين علي كلام، فقال

الوليد لعلي: أنا أحد منك سنانا وأسلط منك لسانا، وأملاً منك حشوا للكتيبة، فقال له علي: اسكت! فإنما أنت فاسق، فغضب الوليد من ذلك وشكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم

بذلك، فنزلت فيه هذه الآية: (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستونون) (٤)

(١) بالأصل: (عتبة) خطأ. وقد مر.

(٢) الأبيات في الأغاني ٤ / ١٧٨ بولاق والعقد الفريد ٤ / ٣٠٨ ومروج الذهب ٢ / ٣٧٠ وفيه قوله:

شهد الحطيئة يوم يلقي ربه \* أن الوليد أحق بالعدر

نادى وقد تمت صلاتهم \* أزيدكم؟ ثملاً وما يدري

ليزيدهم أخرى، ولو قبلوا \* لقرنت بين الشفع والوتر

حبسوا عنانك في الصلاة ولو \* حلوا عنانك لم تزل تجري

(٣) خبر الوليد بن عقبة، وسبب عزله عن ولاية الكوفة مرا (راجع في كتابنا خبر مقتل عثمان وما نقم الناس عليه).

(٤) سورة السجدة الآية ١٨. انظر تفسير القرطبي ١٤ / ١٠٥.

يعني الوليد بن عقبة، فأنشده حسان بن ثابت الأنصاري يقول في ذلك أبياتا مطلعها:  
أنزل الله والكتاب عزيز \* في علي وفي الوليد قرآنا  
إلى آخرها.

وكانت هذه قصة الوليد مع علي رضي الله عنه، فلم يزل حاقدا عليه إلى ذلك اليوم. لما بلغه كتاب علي إلى معاوية فكتب إلى معاوية بهذه الأبيات يأمره فيها أنه لا يجيب عليا بشيء مما يريد ويحرضه على حرب علي، فأنشأ يقول أبياتا مطلعها:  
معاوي إن الملك قد آب غاربه \* وأنت بها في كفك اليوم صاحبه (١)  
إلى آخرها.

قال: فلما ورد كتاب الوليد بن عقبة وشعره على معاوية فرح بذلك وسره ما كتب إليه به الوليد. وعزم على مخالفة علي رضي الله عنه.  
ثم إنه انتخب رجلا من بني عبس له لسان طلق ومنطق ذلق، وشعر لا يبالي ما قال وما يخرج من فيه، ثم دعا بطومارين فوصل أحدهما إلى الآخر فكتب في الطومارين: (بسم الله الرحمن الرحيم) لا أقل ولا أكثر ثم طواهما وختمهما وعنونهما ودفعهما إلى العبسي، وأرسله إلى علي بن أبي طالب.  
فخرج العبسي إلى الكوفة حتى دخل على علي رضي الله عنه وعنده وجوه المهاجرين والأنصار، فسلم ثم التفت يمينا وشمالا فقال: ههنا أحد من بني عبس أو من أبناء قيس عيلان؟ فقبل له: نعم، هات ما عندك! فقال العبسي: عندي والله

(١) بعده في وقعة صفين ص ٥٣:

أتاك كتاب من علي بخطة \* هي الفصل فاختر سلمه أو تحاربه  
... فحاربه إن حاربت حرب ابن حرة \* وإلا فسلم لا تدب عقاربه  
فإن عليا غير ساحب ذيله \* على خدعة ما سوغ الماء شاربه  
في أبيات أخرى:

ولا تدعن الملك والامر مقبل \* وتطلب ما أعيت عليك مذاهبه  
فإن كنت تنوي أن تحجب كتابه \* فقبح ممليه وقبح كاتبه  
في أبيات عدة.

من الخبر أني قد تركت بالشام خمسين ألف شيخ خاضبين لحاهم بدموع أعينهم على قميص عثمان، وأنهم قد عاهدوا الله عز وجل أنهم لا يشيمون سيوفهم في أغمادهم أبدا حتى يقتلوا من قتل عثمان، يوصي به الميت الحي ويرثه الحي عن الميت ، حتى والله لقد شب عليه الصغير وهاجر عليه الاعرابي، نعم والله وحتى أن الناس قد كانوا يقولون: تعس الشيطان! والآن فهم يقولون تعس قاتل عثمان بن عفان! قال فقال له علي: ويحك! يا أبا بني عبس! فيريدون بذلك ماذا؟ فقال العبسي: يريدون والله خيط رقبتك! فقال له علي رضي الله عنه: تربت يداك وجدب فوك. قال: ثم وثب إليه رجل يقال له صلة بن زفر العبسي وهو صاحب حذيفة بن اليمان فقال له: بئس الوافد أنت يا أخي بني عبس لأهل الشام، وبئس العون لمعاوية! أتخوف المهاجرين والأنصار ببكاء الرجال على قميص عثمان! فوالله ما قميص عثمان بقميص يوسف ولا بكاؤهم عليه كبكاء يعقوب! ولئن بكوا عليه بالشام فقد خذلوه بالحجاز، وأما قتالهم أمير المؤمنين عليا فإن الله عز وجل يصنع في ذلك ما يحب ويرضى.

قال: وهم الناس بالعبسي وقاموا إليه بالسيوف، فقال علي رضي الله عنه: دعوه فإنه رسول، ولكن خذوا منه الكتاب، قال: فأخذ الكتاب من يده ودفع إلى علي، فلما فضه لم ير فيه شيئا أكثر من (بسم الله الرحمن الرحيم)، قال: فعلم أن معاوية يحاربه وأنه لن يجيبه إلى شيء، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، حسبي الله ونعم الوكيل، فأنشأ قيس بن سعد بن عبادة وهو يرتجز ويقول شعرا.

قال: ثم إن العبسي رسول معاوية قام إلى علي رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين! والله لقد أقبلت وأنا من أشد الناس عليك حنقا لما أخبرني عنك أهل الشام، وقد والله أبصرت الآن ما فيه أهل الشام من الضلال وما أنت فيه من الهدى، ولا والله ما كنت بالذي أفارقك أبدا ولا أموت إلا تحت ركابك! ثم إنه كتب إلى معاوية أبياتا مطلعها:

كدت أهل العراق بالبلد الشا\* م شفاها وكان كيدي ضعيفا  
إلى آخرها.

قال: فلما انتهى شعره إلى معاوية ونظر إليه عجب لذلك ثم أقبل على من بحضرته وقال: قاتله الله! لقد قال وأبلغ ويله، إنما بعثناه رسولا فصار علينا محرزا.

خبر الطائي مع معاوية (١).

قال: ثم إن معاوية ذات يوم ركب وخرج إلى الصحراء ومعه جماعة من وجوه أهل الشام، فبينما هو كذلك إذا بشخص قد أقبل من ناحية العراق على قعود له فقال: علي بهذا المقبل! فأتوا به، فقال له معاوية: ممن الرجل؟ قال: من طيء، قال: فمن أين أقبلت؟ قال: من الكوفة، قال: وأين تريد؟ قال: أريد ابن عم لي يكون في ناحيتك يقال له حابس بن سعد الطائي (٢)، فقال معاوية: علي بحابس، فأقبل إليه، فلما نظر إلى ابن عمه رحب به وقربه وفرح برؤيته وأحضره بين يدي معاوية، فقال له معاوية: كيف خلفت علي بن أبي طالب وأين تركته وعلى ماذا قد عزم؟ فقال: نعم يا معاوية! أخبرك، أنه قدم من البصرة إلى الكوفة، فلما دخلها تهافت الناس عليه بالبيعة، ثم إنه ندب الناس إلى قتالك، فرأيتهم وقد حف به الناس من المهاجرين والأنصار، حتى لقد حمل إليه الصبي، ودنت (٣) منه العجوز وخرجت إليه العروس، كل ذلك فرحا بولايته، لقد تركته وما له همة إلا الشام، فهذا ما عندي من الخبر. فقال معاوية: ما اسمك؟ قال: اسمي خفاف، قال: هل تقول شيئا من الشعر؟ قال: نعم، فأنشأ يقول شعرا (٤).

(١) خبر خفاف الطائي في وقعة صفين ص ٦٤ وفيه أنه كلف بمهمة أن يلقي معاوية ويكسر أهل الشام. وقد رواه ابن مزاحم باختلاف وزيادة.

(٢) حابس بن سعد الطائي قيل كانت له صحبة (تهذيب التهذيب ٢ / ١٢٧) وفي الاشتقاق لابن دريد ٢٣٥: كان على طيء الشام مع معاوية وقتل. وكان عمر قد ولاه قضاء مصر ثم عزله.

(٣) في وقعة صفين: ودبت.

(٤) الأبيات في وقعة صفين ص ٦٦ - ٦٨ ومطلعها:  
قلت والليل ساقط الأكناف \* ولجنبي على الفراش تجاف

ومنها:

ارهب اليوم، إن أذاك علي \* صبيحة مثل صبيحة الأحقاف  
إنه الليث عاديًا وشجاع \* مطرق نافث بسم زعاف  
... استعدوا لحرب طاغية الشا \* م فلبوه كالبنين اللطاف  
في أبيات أخرى.

قال: فلما سمع معاوية هذا الشعر كأنه انكسر بذلك ثم أقبل على حابس بن سعد فقال: ويحك يا حابس! أرى ابن عمك هذا عينا علينا لأهل العراق، فأخرجه عنا، لا يفسد علينا أهل الشام! فقال: والله ما قدمت الشام رغبة مني فيها ولا في أهلها! وإني لراحل عنها وزاهد في جوارك.  
خبر أربد الفزاري مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال: وجعل علي يندب الناس إلى الخروج إلى الشام (١)، فقام إليه رجل من فزارة يقال له أربد فقال له: أتريد أن تسير بنا إلى الشام إلى إخواننا (٢) فنقتلهم لك كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة فقاتلناهم! كلا والله لا نفعل ذلك أبدا!  
قال: فصاح الأشتر وقال: من هذا الجاهل! فقام إليه الناس، وهرب الفزاري والناس في أثره، حتى لحقوه فضربوه بأيديهم وأرجلهم وداسوه حتى قتلوه، وبلغ ذلك عليا فقال: ومن قتله؟ قالوا: قتلته الاخلاط من همدان وغيرهم من الأساور، فقال علي: هذا قتيل عمية (٣) لا يدري من قتله، وديته من بيت مال المسلمين.  
قال: فقام الأشتر، وقال: يا أمير المؤمنين! إن جميع ما ترى من الناس شيعتك، وليس يرغبون بأنفسهم عن نفسك ولا يحبون بقاء بعدك، فإن شئت فسر بنا إلى عدوك، فوالله ما ينجو من الموت من كره الموت، وإنا لعلى بينة من ربنا، وكيف لا نقاتل قوما وثبت طائفة منهم على طائفة من المؤمنين، فأسخطوا الله في

(١) العبارة في وقعة صفين لابن مزاحم ص ٩٤: سيروا إلى أعداء الله سيروا إلى أعداء السنن والقرآن، سيروا إلى بقية الأحزاب، قتلة المهاجرين والأنصار.  
(٢) زيد في وقعة صفين: إخواننا من أهل الشام.  
(٣) العمية بكسر العين وتشديد الميم المكسورة والياء المفتوحة المشددة. أي ميتة فتنة وجهالة. وفي قتله يقول علاقة التيمي:

أعوذ بربي أن تكون منيتي \* كما مات في سوق البراذين أربد  
تعاوره همدان خفق نعالهم \* إذا رفعت عنه يد وضعت يد.

قتلهم وأظلمت الأرض لاعماله، وباعوا خلافتهم (١) بعرض يسير من الدنيا. فقال له علي: صدقت يا مالك! والطريق مشترك والناس في الحق سواء، ومن أجهد رأيه في مصلحة العباد فله ما نوى وقد قضى ما عليه.

ذكر كتاب علي إلى جرير بن عبد الله.

قال: وكان جرير بن عبد الله البجلي يومئذ على ثغر همدان عاملاً لعثمان والأشعث بن قيس على بلاد أذربيجان، فكتب علي رضي الله عنه لذلك إلى جرير بن عبد الله (٢): بسم الله الرحمن الرحيم، من علي أمير المؤمنين، أما بعد! يا جرير! فإن الله تبارك وتعالى: (لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال \* (٣))، وقد علمت ما كان من أمر عثمان ابن عفان وبيعة المهاجرين والأنصار إياي ومسيري إلى البصرة، وما كان من محاربتهم إياي حتى أعطاني الله عليهم الظفر، فرفعت عنهم السيف واستعملت عليهم عبد الله ابن عباس وسرت إلى الكوفة، وقد بعثت إليك بزحر (٤) بن قيس فاسأله عما بدا لك وقرأ كتابي هذا على المسلمين، وأقبل إلي بخيلك ورجلك، فإني عازم على المسير إلى الشام إن شاء الله تعالى ولا قوة إلا بالله.

قال: ثم طوى الكتاب وعنونه وختمه بخاتمه ودفعه إلى زحر (٥) بن قيس وأمره بالمسير إلى جرير.

قال: فكان مع علي بن أبي طالب ابن أخت لجرير بن عبد الله فدفع إلى زحر بن قيس كتاباً فيه أبيات من الشعر قد قالها، وقال لزحر: ابن عبد الله البجلي خالي فادفع إليه كتابي هذا.

فخرج زحر بن قيس حتى ورد على جرير بن عبد الله وهو يومئذ بهمدان. فدفع

(١) في وقعة صفين: خلاقهم.

(٢) نسخته في الإمامة والسياسة ١ / ٩٠ وقعة صفين ص ١٥ بزيادة.

(٣) سورة الرعد الآية ١١.

(٤) بالأصل: (زجر) تحريف. وفي الإمامة والسياسة: زفر. وما أثبتناه عن الاخبار الطوال ص ١٥٦.

(٥) مر قريباً. وقد صححت في كل مواضع الخبر.

إليه كتاب علي فقرأه حتى أتى إلى آخره ثم دفع إليه كتاب ابن أخته، فإذا فيه أبيات مطلعها:

جرير بن عبد الله لا تردد الهدى \* وبايع عليا إنني لك ناصح (١)  
إلى آخرها.

قال (٢): فعندها وثب جرير وأخذ كتاب علي في يده، ثم خرج إلى الناس فنادى فيهم فاجتمعوا، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس! هذا كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وهو المأمون على الدين والدنيا، وقد كان من أمره وأمر عدوه ما حمد الله عليه، وقد بايعه المهاجرون والأنصار، وأنتم التابعون بإحسان، ولو جعل هذا الأمر شورى بين المسلمين لكان أحق الناس بهذا الأمر لمصاهرته وقربته وخدمته وشجاعته وهجرته، غير أن البقاء في الجماعة والعناء في الفرقة، وعلي حاملكم على الحق ما استقمتم، فإن ملتكم أقام ميلكم، فهاتوا ما عندكم من الرأي! فقال الناس: سمعنا وأطعنا ورضينا وبايعنا أمير المؤمنين عليا.  
قال: ثم ركب رجل من عنزة (٣) رافعا صوته وهو يقول شعرا.

قال (٤): ثم وثب زحر بن قيس رسول علي بن أبي طالب حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إن عليا أمير المؤمنين قد كتب إليكم كتابا لا يقال بعده إلا رجيع من القول، ولكن لا بد من رد الكلام، وقد بايع الناس عليا

(١) الأبيات في وقعة صفين ص ١٦ - ١٧ وفيها بعده:

فإن عليا خير من وطئ الحصى \* سوى أحمد والموت غاد ورائح  
ودع عنك قول الناكثين فإنما \* أولاك، أبا عمرو، كلاب نوابح  
في أبيات.

(٢) في الإمامة والسياسة ١ / ٩٠ أن جرير خطب خطبته بعد ما قام زحر (زفر) في الناس خطيبا... انظر عنده خطبته وخطبة جرير وانظر وقعة صفين ص ١٧.

(٣) في إحدى نسخ وقعة صفين: وقال ابن الأزور القسري في جرير يمدحه وذلك بعد ما ألقى خطبته ومما قاله:

لعمر أيبك والانباء تنمى \* لقد جلى بخطبته جرير

في أبيات (انظر وقعة صفين لا بن مزاحم ص ١٨ - ١٩).

(٤) انظر الحاشية (٢).

بالمدينة غير (١) محاباة ببيعتهم ولكن لعلمه بكتاب الله عز وجل وسنن الحق، وأن طلحة والزبير كانا بايعاه طائعين غير مكرهين، ثم نقضا عليه بيعته على غير حدث كان منه إليهما، ثم إنهما ألبا عليه الناس ونصبا له الحرب، فأخرجوا أم المؤمنين، فأظهره الله عز وجل على من خالفه ونكث بيعته. والكلام كثير، فهذا عيان ما غاب عنكم، وإن سألتهم الزيادة زدناكم، ولا قوة إلا بالله. ثم نزل عن المنبر، وأنشأ رجل من عبد القيس (٢) شعرا.

قال: ثم سار جرير بن عبد الله بمن معه من الخيل والرجل، حتى قدم الكوفة على علي وبايعه ودخل فيما دخل فيه الناس من طاعة علي رضي الله عنه، ثم أنشأ يقول شعرا (٣).

كتاب علي رضي الله عنه إلى أشعث بن قيس.

قال: ثم كتب علي رضي الله عنه إلى الأشعث بن قيس وهو يومئذ بأذربيجان عاملا لعثمان بن عفان (٤): بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى الأشعث بن قيس، أما بعد! فلولا هبات كن منك (٥) لكنت المقدم في هذا الامر قبل غيرك (٦)، ولعل أمرك يحمل بعضه بعضا، وقد مضى عثمان لسبيله كما بلغك وبايعني المهاجرون والأنصار والتابعون وإنما توقفي عليك، فإذا أتاك كتابي هذا

(١) كذا بالأصل والإمامة والسياسة، وفي وقعة صفين: من غير محاباة له ببيعتهم.

(٢) في وقعة صفين ص ١٩: وقال النهدي في ذلك:

أتانا بالنبا زحر بن قيس \* عظيم الخطب من جعفر بن سعد

تخيره أبو حسن علي \* ولم يك زنده فيها بصلد

في أبيات.

(٣) ومما قاله: وقعة صفين ص ١٨:

أتانا كتاب علي فلم \* نرد الكتاب، بأرض العجم

... له الفضل والسبق والمكرمات \* وبيت النبوة لا يهتضم

(٤) الإمامة والسياسة ١ / ٩١ وقعة صفين ص ٢٠ الاخبار الطوال ص ١٥٦ باختلاف.

(٥) الإمامة والسياسة ووقعة صفين: فيك.

(٦) الإمامة والسياسة ووقعة صفين: الناس.

فاقرأه على من قبلك من المسلمين، وادخل فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار، فإن العمل الذي في يدك ليس لك بطعمة ولكن أمانة، وفي يدك مال من مال الله عز وجل، وأنت خازن من خزانه عليه حتى تسلمه إلي، ولعلي لا أكون أنسى ولايتك إن استقمت إن شاء الله ولا قوة إلا بالله. ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى رجل من أصحابه يقال له زياد بن مرحب الهمداني (١)، وأمره بسرعة السير إلى الأشعث.

قال: وكتب رجل من كندة من بني عم الأشعث (٢): أما بعد! فإن بيعة علي بن أبي طالب أتتني فقبلتها ولم أجد إلى دفعها سبيلا، وإني نظرت فيما غاب عني من أمر عثمان فلم أجد له يلزمني وقد شهدته المهاجرون والأنصار، وكان أوثق أمورهم الوقوف، فالزم يا بن عم بيعة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فإنه أفضل من غيره، وقد قلت أبياتا فاسمعها. ثم أثبت في أسفل كتابه ما قاله من الشعر.

قال: فلما نظر الأشعث بن قيس في كتاب علي رضي الله عنه وقرأ شعر ابن عمه الكندي فنودي له في الناس، ثم خرج من منزله وأقبل فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى [عليه وصلى] على نبيه، ثم قال: إنه من لم يكفه القليل لم يستغن بالجزيل، وقد كان ابن عفان ولاني بلاد أذربيجان [وهلك] (٣) وهي في يدي، وقد كان من أمر عائشة وطلحة والزبير ما قد بلغكم، وقد بايع الناس علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو المأمون على ما قد غاب عنا وعنكم من الأمم، فما الذي عندكم من الرأي؟ فقال الناس بكلمة واحدة: سمعنا وأطعنا وعلي إمامنا، ما نريد به بدلا.

قال: ثم وثب زياد بن مرحب الهمداني رسول علي رضي الله عنه، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (٤): أيها الناس! إن أمر عثمان بن عفان لا ينفع فيه العيان ولا يشفى منه الخبر، غير أن من سمع به ليس كمن عاينه، وإن الناس قد بايعوا عليا راضين به طائعين غير مكرهين، وحاربه من حاربه من أهل البصرة،

(١) الإمامة والسياسة ١ / ٩١ زياد بن كعب.

(٢) في الإمامة والسياسة ١ / ٩٢ أن جرير كتب إلى الأشعث، وذكر الكتاب. باختلاف يسير عما في الأصل.

(٣) عن الإمامة والسياسة ١ / ٩٢ ووقعة صفين ص ٢١.

(٤) الإمامة والسياسة ١ / ٩١ ووقعة صفين ص ٢١.

فأورثه الله الأرض وجعل له عاقبة المتقين، وأنا رسوله إليكم، فاسمعوا وأطيعوا!  
قال: فضج الناس من كل ناحية بالسمع والطاعة، وقام رجل منهم على قدمه وأنشأ  
يقول شعرا (١).

قال: واستبشر الناس بخلافة علي رضي الله عنه وبايعوه عن آخرهم وانصرف  
الأشعث بن قيس إلى منزله يقول شعرا (٢).

قال: ثم أرسل الأشعث إلى جماعة من أصحابه فدعاهم، وقال: إن كتاب  
علي أوحشني وأخاف إن سرت إليه يطالبني (٣) بمال أذربيجان، وإن سرت إلى معاوية  
لم يطالبني بشيء، واللحاق عندي بمعاوية أصلح، فهاتوا ما عندكم من الرأي؟  
قال: فقال له قومه وعشيرته: فالموت خير لك من ذلك، أترك قومك ومصرك  
وعشيرتك وتكون ذنبا لأهل الشام! ثم أنشأ رجل من قومه يقول في ذلك شعرا (٤).  
قال: فلما سمع الأشعث هذه القصيدة من ابن عمه كأنه استحيى مما أراد أن يفعل  
من مسيره إلى معاوية، ثم إنه جمع الناس فواعدهم وهنأهم وسار بهم حتى قدم  
الكوفة على علي رضي الله عنه.

قال: فعندها وثب الأحنف بن قيس إلى علي فقال (٥): يا أمير المؤمنين! إنه

-----  
(١) في وقعة صفين ص ٢٣ ومما قيل على لسان الأشعث:  
أتانا الرسول رسول علي \* فسر بمقدمه المسلمونا  
في أبيات.

(٢) في وقعة صفين لابن مزاحم ص ٢٤: مما قيل على لسان الأشعث:  
أتانا الرسول رسول الوصي \* علي المهذب من هاشم  
في أبيات.

(٣) في الإمامة والسياسة: وهو آخذي بمال أذربيجان.

(٤) في وقعة صفين ص ٢١: فقال السكوني وقد خاف أن يلحق بمعاوية:  
إني أعيدك بالذي هو مالك \* بمعاذة الآباء والأجداد  
مما يظن بك الرجال، وإنما \* ساموك خطة معشر أوغاد  
في أبيات آخرها:

وانظر عليا إنه لك جنة \* ترشد ويهدك للسعادة هاد

(٥) وقعة صفين لابن مزاحم ص ٢٤.

وإن لم يكن بنو سعد بن زيد مناة بن تميم نصرتك يوم الجمل فإنها تنصرك اليوم، وذلك أنهم شكوا في طلحة والزبير ولم يشكوا في معاوية، وعشائرنا بالبصرة، فإن رأيت كتبنا إليهم، فقدموا علينا فقاتلنا بهم عدوك، وانتصفنا بهم من الناس، وأدركوا اليوم ما فاتهم بالأمس. قال: وتتابعت بنو تميم على قول الأحنف، فقال له علي رضي الله عنه: قد أذنت لك انجز فاكتب إلي قومك.

قال: فكتب الأحنف إلى قومه من بني سعد (١): أما بعد! فإنه لم يبق أحد من بني تميم إلا وقد أخذوا (٢) برأي سيدهم غيركم، وبرأيه فيكم نلتهم ما رجوتهم وأمنتهم ما

خفتهم، وأخبركم أننا قدمنا على قومنا من تميم الكوفة، فأخذوا علينا بفضلهم وواسونا بأنفسهم وأنزلونا ديارهم وأحشموننا ببرهم، حتى كدنا لا نعرف إلا بهم، وقد عزموا على المسير إلى الشام مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فأقبلوا إلينا ولا تتباطوا، فإن من العطايا حرمانا ومن النصر خذلانا، فحرمان العطاء القلة وحرمان (٣) النصر الإبطاء، ولن تقضى الحقوق إلا بالرضا، وقد يرضى المضطر بدون الأمل - والسلام - : ثم أثبت في أسفل هذا الكتاب شعرا (٤)

قال: فلما ورد كتاب الأحنف وشعر ابن أخته (٥) على بني تميم بالبصرة ساروا بأجمعهم إلى الكوفة وبايعوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال: شاور علي أصحابه فقال: إنكم قد علمتم أن البغي لا خير فيه، ولكن أشيروا علي برجل قد أحكمته التجارب أوجه به إلى معاوية، فلعله أن يرتدع عما هو عليه، فإن فعل وإلا فما أقدرنا علي ما نريد من حربته.

قال: فوثب جرير بن عبد الله البجلي فقال: يا أمير المؤمنين! ابعثنى إليه رسولا فإنه لم يزل لي متنصحا ووادا، فآتيه وأدعوه إلى أن يسلم لك هذا الأمر ويلزم

(١) نسخته في وقعة صفين ص ٢٦ باختلاف يسير. والإمامة والسياسة ١ / ٨٦.

(٢) وقعة صفين والإمامة والسياسة: شقوا.

(٣) الإمامة والسياسة ووقعة صفين: وخذلان.

(٤) في وقعة صفين (كتب معاوية بن صعصعة وهو ابن أخي الأحنف:

تميم بن مر إن أحنف نعمة\* من الله لم يخص بها دونكم سعدا)

في أبيات (ص ٢٦ - ٢٧).

(٥) مر قريبا ابن أخيه، وهو معاوية بن صعصعة.

الطاعة ويكون أميرا من أمرائك وعاملا من عمالك ما عمل بطاعة الله واتبع ما في كتاب الله، وأدعو أهل الشام إلى طاعتك وولايتك فإن جلهم قومي وعشائري وأهل بلادي، وأرجو أن يعصيني هو ولا أحد من الشام. قال: فقال له الأشر: يا أمير المؤمنين! لا تبعته إليهم فإن هواه هواهم ورأيه رأيهم، فقال علي: يا مالك! دعه حتى ننظر ما يرجع إلينا به من الخبر. قال: ثم أقبل عليه علي فقال: يا جرير! إن معي من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من

البدريين والعقبين من أهل الدين والرأي من قد علمت، وقد اخترتك عليهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك: (إنك خير ذي يمن (١))، فسر إلى معاوية بكتابي واعذر إليه

وأعلمه أنني لا أرضى به أميرا والعامه لا ترضى به خليفة)، فقال جرير: أفعل ذلك يا أمير المؤمنين إن شاء الله ولا قوة إلا بالله (٢). ذكر كتاب علي رضي الله عنه إلى معاوية.

قال: ثم كتب علي رضي الله عنه (٣): بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن صخر، أما بعد! يا معاوية! فقد علمت أن الشورى للمهاجرين والأنصار دون غيرهم، فإذا اجتمعوا على رجل فسموه إماما كان لله عز وجل رضا، فإن خرج من أمرهم خارج (٤) ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وقد علمت بما كان بالبصرة مما لا يخفى عليك، فجاهدتهم حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون، وبعد فإنني أراك قد أكثرت في قتلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه المسلمون من بيعتي، ثم حاكم القوم إلي أحملهم وإياك على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأما التي تريدها

فإنها خدعة الصبي عن اللبن، ولعمري لئن نظرت بعقلك لعلمت أنني أبرأ الناس من دم عثمان! وقد علمت أنك من أبناء الطلقاء (٥) الذين لا تحل لهم الخلافة، وقد

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤ / ٣٦٠ - ٣٦٤ والطبراني برجال ثقات، والبيهقي في الدلائل ٥ / ٣٤٦.

(٢) أرسله بعد مشاوره أصحابه ورغم معارضة الأشر النخعي لهذا الاختيار.

(٣) مرت الإشارة للكتاب، وقارن أيضا مع الاخبار الطوال ص ١٥٧ العقد الفريد ٤ / ٣٢٢ مروج الذهب

٢ / ٤١٢ ونهج البلاغة. الإمامة والسياسة (١ / ١١٣ من تحقيقنا).

(٤) زيد في النهج: بطعن أو بدعة.

(٥) الطلقاء جمع طليق، وهو الأسير الذي أطلق عند أساره وخلي سبيله ويراد بهم الذين خلى عنهم رسول

الله (ص) يوم فتح مكة وأطلقهم ولم يسترقهم.

(०.१)

وجهت إليك بجرير بن عبد الله البجلي، وهو من أهل الايمان والهجرة، وأحب الأشياء إلي فيك العافية إلا أن تتعرض للبلاء، فإن تعرضت قابلتك واستعنت الله عليك ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - والسلام - .

قال: ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى جرير، فلما أراد جرير أن يرحل إلى معاوية أقبل مسكين بن حنظلة وهو رجل من الصالحين إلى جرير [وقال] (١) إن بيني وبين معاوية مودة وإخاء قديما فاحمل إليه كتابي هذا وانظر ما يرد عليك.

قال: فأخذ جرير كتاب علي وكتاب مسكين بن حنظلة، وسار بالكتابين حتى صار إلى الشام، ودخل على معاوية فسلم، فرد عليه معاوية السلام وقربه وأذناه، ثم قال: هات ما عندك يا جرير! فقال جرير: والله! إنه قد اجتمع لابن عمك علي بن أبي طالب أهل الحرمين: مكة والمدينة، وأهل العراقين: البصرة والكوفة، وأهل الحجاز وأهل اليمن، فلم يبق في يديك إلا هذه الحصون التي أنت عليها، ولو سأل عليها سيل من أوديته لغرقها وقد أقبلت إليك أدعوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى اتباع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على أنه يعطيك أرضك التي أنت عليها، فتعمل فيها بكتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله من الحق والسنن، فتكون

كذلك أبدا ما دام علي حيا، فإن مات وأنت حي رأيت رأيك بعد ذلك، وأما أمر عثمان بن عفان فأنت تعلم يا معاوية أنه قد أعيب من شهبه فكيف من غاب عنه! وهذا كتاب علي رضي الله عنه إليك.

قال: فأخذ معاوية الكتاب فقرأه حتى أتى على آخره، ثم أقبل على جرير فقال: أبا عمر! انظر في ذلك وتنتظر أنت أيضا واستطلع رأي أهل الشام. قال: فأخرج جرير كتاب مسكين بن حنظلة فدفعه إليه، فإذا فيه أبيات من الشعر مطلعها:

معاوي بايع قد أتاك جرير \* وما لجرير بالعراق نظير  
إلى آخرها.

قال: فلما قرأ معاوية هذا الكتاب غضب لذلك، ثم أقبل على أصحابه فقال:

(١) زيادة اقتضاها السياق.

أيكم يجيب مسكين بن حنظلة على شعره هذا؟ فقال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد: أنا أجيبه، فقال: أجبه يا بن الأخ! وألقى الكتاب إليه، فقال عبد الرحمن بن خالد أبياتا من الشعر مطلعها:  
أتانا بإحدى المنكرات جرير \* وخطب الذي يدعو إليه كبير  
إلى آخرها.

ثم عرض عبد الرحمن بن خالد شعره هذا على معاوية، فقال معاوية: ما رأيت شعر قرشي أضعف من شعرك، ثم قال: أنا أجيب عنك يا بن أخ وعن نفسي، ثم أنشأ يقول أبياتا من الشعر مطلعها:  
قل لمن أرسل الرسول إليها \* إن كل الذي تريد لديا  
إلى آخرها.

قال: وانصرف جرير إلى رحله ودخل معاوية إلى منزله، فلما جن عليه الليل رفع صوته وعنده نفر من أهل بيته، فأنشأ يقول أبياتا مطلعها (١):  
تطاول ليلي واعترتني وساوسي \* لآت أتى بالترهات البسابس (٢)  
إلى آخرها (٣).

فلما أصبح جرير أقبل إلى المسجد الأعظم فاجتمع إليه الناس وحضر معاوية، فجعل جرير يعظهم ويدعوهم إلى بيعة علي رضي الله عنه، ثم قال: أيها الناس! إن هذا الدين لا يحتمل الفتن، وإن الناس قد بايعوا عليا غير واثق ولا موتور، وقد كانت البصرة أمس ملحمة لم يسمع بمثلها، وقد بايعنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه

(١) وقعة صفين ص ٣٣ الكامل للمبرد ١ / ٤٢٣.

(٢) الترهات: الأباطيل، والبسابس جمع بسبس وهو الفقر الواسع يريد اتساع الأباطيل.

(٣) وبعده في وقعة صفين:

أتانا جرير والحوادث جمة \* بتلك التي فيها اجتداع المعاطس  
أكابده والسيف بيني وبينه \* ولست لأنواب الدني بلابس  
إن الشام أعطت طاعة يمنية \* توأصفها أشياخها في المجالس  
فإن يجمعوا أصدم عليا بجبهة \* تفت عليه كل رطب ويابس  
وإني لأرجو خير ما نال نائل \* وما أنا من ملك العراق بأيس  
والا يكونوا عند ظني بنصرهم \* وإن يخلفوا ظني كف عابس

على ما بايعه المهاجرون والأنصار، ولو ملكنا أمورنا لم نختر للخلافة أحدا سواه، فاتق الله يا معاوية واحذر في نفسك، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، فادخل فيما دخل فيه الناس، فإن قلت بأن عثمان بن عفان استعملني ولم يعزلني فإن الامر لو جاز كما قلت لم يقم لله دين وكان لكل امرئ ما في يديه، ولكن قد جعل الله تبارك وتعالى للآخر من الولاء مثل حق الأول - والسلام - .

قال: فلما سمع معاوية كلام جرير وثب فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إن الله عز وجل قد جعل الدعائم للإسلام أركاناً، وجعل الشرائع للإيمان برهانا، يتوقد مقياسه (١) في الأرض المقدسة التي جعلها الله تعالى محل الأنبياء والصالحين من عباده، فأدخلها وأحلها أهل الشام، ورضيهم لها سكانا لما سبق في ذلك من مكنون علمه من طاعتهم ومناصحتهم لخلفائهم وللقيام بأمره، والذب عن حرمة ودينه، ثم (٢) جعل لهذه البلدة الآمنة نظاما ولسننه أعلاما. وبالله نستعين على ما تشعب من أمور المسلمين وتباعد من فرقهم، اللهم فانصرنا على أقوام يوقظون نائمنا ويخيفون قاعدنا (٣) ويريدون إراقة دمائنا وإخافة سبلنا، وقد علم الله أنني لا أريدهم عقابا ولا أهتك لهم حجابا، ولكن الله تبارك وتعالى قد كسانا من الكرامة ثوبا لن ننزعه منا أبدا ما جاوب الصدى، وما سقط الندى وعرف الهدى، وبالله نستعين على حسد الأعداء - والسلام - .

قال: ثم جلس على المنبر ساعة وقام قائما على قدميه فقال: أيها الناس! قد علمتم أنني خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان (٤)، ولم أقم على خزاية (٥) قط، وقد قتل عثمان مظلوما وأنا وليه، والله عز وجل

يقول: (فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا\*) (٦) وأنا أحب أن تعلموني بما في أنفسكم من قتل عثمان! فقال: فوثب إليه الناس من

(١) وقعة صفين ص ٣١: قيسه. والقبس: النار أو الشعلة منها.  
(٢) وقعة صفين: ثم جعلهم لهذه الأمة نظاما، وفي سبيل الخيرات أعلاما يردع الله بهم الناكثين، ويجمع بهم ألفة المؤمنين.

(٣) ويخيفون آمننا.

(٤) زيد في وقعة صفين: عليكم.

(٥) يريد أنه لم يرد أن يعمل عمل ما يستحي منه.

(٦) سورة الاسراء: ٣٣.

جنبات المسجد فقالوا: نحن كلنا طالبون بدم عثمان (١). قال: وبلغ ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأراد أن يعجل بالمشير إلى الشام، فأشار عليه عامة الناس بالمقام بالكوفة إلا هؤلاء الخمسة نفر: الأشتر النخعي، وعدي بن حاتم الطائي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وسعيد بن قيس الهمداني، وهانئ بن عروة المدحجي (٢)، فإنهم قاموا إلى علي فقالوا: يا أمير المؤمنين! إن هؤلاء الذين أشاروا عليك بالمقام إنما يخافون حرب أهل الشام، وليس في حربهم شيء هو أخوف من الموت، ولسنا نريد إلا الموت، فسر بنا إليهم، وفقك الله لما تحب وترضى! قال: فأطرق علي ساعة ثم قال: إنه ليس يتهيأ لي المشير إليهم ورسولي عندهم، وقد وقت لرسولي وقتاً لا يتأخر عنه إلا مخدوعاً أو عاصياً، فاسكتوا ولا تعجلوا! قال: فسكت الناس، وأنشد النجاشي بن الحارث شعراً.

قال: وجعل جرير كل ما استعجل معاوية واستحثه في رد الجواب يقول معاوية: ويحك أبا عمرو! لا تعجل وأبلغني ريتي حتى أنظر في أمري وأستطلع رأي أهل الشام، ثم إنني أجيب صاحبك عن كتابه وكرامته لك. [كتاب معاوية إلى عمرو بن العاص] (٣)

قال (٤): ثم كتب معاوية إلى عمرو بن العاص وعمرو يومئذ بفلسطين: أما بعد! فقد كان من أمر عثمان بن عفان ما علمت، وأن علي بن أبي طالب قد اجتمع إليه رافضة أهل الحجاز وأهل اليمن والبصرة والكوفة، وقد وجه إلينا رسوله جرير بن عبد الله ولم أجبه إلى هذه الغاية بشيء، وقد حبست نفسي عليك، فأقدم على بركة الله وعونه لأشاورك وأستعين على أمري برأيك - والسلام - . قال: فلما ورد كتاب معاوية على عمرو بن العاص وقرأه دعا ابنه عبد الله

(١) زيد في وقعة صفين: وبايعوه على ذلك، وأوثقوا له على أن يذبلوا أنفسهم وأموالهم أو يدركوا بثأره، أو يفني الله أرواحهم.

(٢) في الإمامة والسياسة ١ / ١١٤: الأشتر النخعي وعدي بن حاتم وشريح بن هانئ.

(٣) استدرك للايضاح.

(٤) الإمامة والسياسة ١ / ١١٥ وقعة صفين ص ٣٤ الاخبار الطوال ص ١٥٧ تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٨٤ باختلاف النصوص.

ومحمد فاستشارهما في ذلك، فقال عبد الله: أما أنا فأقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من الدنيا وهو عنك راض وكذلك الخليفتان من بعده: أبو بكر وعمر، وأما عثمان فإنه قتل وأنت عنه غائب، وقد وسع الله عليك فاقعد في بيتك، فإنك لا تطمع أن تكون خليفة، وليس ينبغي لك أن تكون حاشية معاوية على دنيا قليلة (١) زائلة عن أهلها - والسلام -.

وقال ابنه محمد: أما أنا فأقول: إنك شيخ قريش وصاحب أمرها، وإن اضطرب هذا الأمر وأنت عنه غائب (٢) لصغر أمرك ويذهب قدرك، فالحق بجماعة من أهل الشام فكن يدا من أيديها واطلب بدم عثمان بن عفان، فلست أقل من معاوية. فأطرق عمرو ساعة ثم قال: أما أنت يا عبد الله فأشرت علي بما هو خير لي في دنياي وديني، وأما أنت [يا محمد] فأشرت علي بما هو خير لي في دنياي، وسأنظر في ذلك. فلما جن عليه الليل رفع صوته وجعل يقول شعرا (٣).  
قال: ثم أدنى عمرو غلاما يقال له وردان فقال له: ارحل يا وردان! فعبى له الأتقال وترحل، فقال له عمرو: حط يا وردان! فحط، ثم قال: ارحل يا وردان! فرحل، فلم يزل عمرو يقول: ارحل وحط، فقال له وردان: أبا عبد الله! ما شأنك؟ أخولطت؟ فقال عمرو: لا، قال: فما قصتك؟ مرة تقول: ارحل يا وردان، ومرة تقول: حط يا وردان! فقال عمرو: لا أدري، قال وردان (٤): لكني أدري، والله! أنت رجل قد اعترضت الدنيا والآخرة على قلبك، فقلت: إن عليا معه آخرة بلا دنيا وفي الآخرة عوض من الدنيا، ومعاوية معه دنيا بلا آخرة، وليس في الدنيا عوض من الآخرة، فأنت واقف بين أمرين لا تدري أتأخذ الدنيا أم الآخرة، فقال عمرو: لله أبوك يا وردان! ما أخطأت شيئا، ولكن هات ما عندك من الرأي، فقال وردان: عندي والله من الرأي أن تجلس في بيتك، فإن الله تبارك وتعالى قد

(١) وقعة صفين ص ٣٤: دنيا قليلة، أو شك أن تهلك فتشقى فيها.  
(٢) وقعة صفين: وأنت فيه حامل.  
(٣) الأبيات في تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٨٥ وقعة صفين ص ٣٥. ومطلعها:  
تطاول ليلي للهموم الطوارق\* وخوف التي تجلو وجوه العواتق  
وان ابن هند سائلي أن أزوره\* وتلك التي فيها بنات البوائق  
أتاه جرير من علي بخطة\* أمرت عليه العيش مع كل ذائق  
(٤) في الإمامة والسياسة ١ / ١١٦ أما إنك إن شئت نبأتك بما في نفسك.

وسع عليك، فإن ظفر أهل الدين عشت في دينهم، وإن ظفر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك، فقال عمرو: يا وردان! الآن أقعد في بيتي وقد (١) سمعت العرب بتحريكي إلى معاوية، ارحل يا وردان! فرحل وردان، وأنشأ عمرو يقول شعرا (٢). قال: وسار عمرو حتى قدم على معاوية، فقربه وأدناه ورفع مجلسه ثم قال: أبا عبد الله! إنه قد طرقتنا من هذه الليلة أخبار (٣) ليس منها ورد ولا صدر، فقال عمرو: وما ذلك يا معاوية؟ فقال معاوية أما أحد الاخبار فإن محمد بن [أبي] حذيفة كسر سجن مصر فخرج منه وخرج معه أصحابه، وقد علمت أنه [من] أفات الدين (٤)، والخبر الثاني أن قيصر ملك الروم قد زحف بخيله ورجله ليغلب على الشام، والخبر الثالث أن (٥) علي بن أبي طالب نزل الكوفة فتهايا للمسير إلى ما قبلنا، فهات ما عندك! فقال عمرو: كل ذلك عظيم، فأما محمد بن أبي حذيفة فتبعث إليه بالخيول فإما أن يقتل وإما أن يهرب، ولن يضرك هربه، وأما ملك الروم فتهدى إليه الهدايا من أواني الذهب والفضة وغير ذلك من أنواع الهدايا من طرائف الشام وتساله الموادة، فإنه يجيبك إلى ذلك، وأما علي بن أبي طالب فلا والله لا تخالفه ولا تقاتله. قال معاوية: ما قد قطع الرحم وفتن الأمة وشق العصا وقتل الخليفة وعصى ربه، وقتل ونقض ما كان في عنقه من بيعة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، فقال عمرو: مهلا يا معاوية! فإن عليا أوحد الناس في الفضائل، وليس لك مثل هجرته ولا سابقته ولا صهارته ولا قرابته ولا قدمته ولا شجاعته، وإن له من الحرب حضا سنيا ليس لاحد مثله، وإن له جدا وحدا (٦) وحظوه في العرب، وبلاء من الله

(١) في تاريخ اليعقوبي والإمامة والسياسة: وقد شهرتني العرب بمسيري إلى معاوية.

(٢) الأبيات في تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٨٥ (بيت واحد) ووقعة صفين ٣٦ ومطلعها:

يا قاتل الله وردانا وقطنته \* أبدى لعمر ك ما في الصدر وردان

لما تعرضت الدنيا عرضت لها \* مجرص نفسي وفي الاطباع إدهان

في أبيات أخرى (وقعة صفين).

(٣) وقعة صفين: ثلاثة أخبار، وفي الاخبار الطوال: طرقتنا في هذه الأيام ثلاثة أمور.

(٤) الاخبار الطوال: وهو من أعدى الناس لنا.

(٥) الاخبار الطوال: وأما الثالثة فإن جريرا قدم رسولا لعلي بن أبي طالب يدعوننا إلى البيعة له أو إيدان

بحرب.

(٦) الحد: الحدة والنشاط والسرعة في الأمور والمضاء فيها. والجد: الحظ (بالفتح)، والجد

(بالكسر) الاجتهاد.

ورسوله حسنا جميلا، فقال معاوية: صدقت يا أبا عبد الله! هو كذلك، ولكننا نقاتله على ما في أيدينا ونلزمه دم عثمان بن عفان، فضحك عمرو من ذلك ثم قال: واعجباه لهذا الكلام الذي أسمعك منك يا معاوية! إنه قد يجب علي وعلى أن لا نذكر شيئا من أمر عثمان، أما أنت فخذلته حين استغاث بك وهو محصور بالمدينة فلم تنصره، وأما أنا فإنني تركته عيانا وذهبت إلى فلسطين، فقال معاوية: إنني لو أردت أن أخدمك لخدمتك، فقال عمرو: ليس مثلي يخدم، فقال معاوية: صدقت، وإنني أحب أن أقول شيئا فهات أذنك! فناوله عمرو أذنه، فعضها معاوية، فقال: أبا عبد الله! خدمتك أم لا؟ هل في البيت غيري وغيرك؟ كيف تدفع إلي أذنك وما معنا ثالث إلا الله تعالى؟ ولكن دع عنك هذا وهات فبايعني! فقال عمرو: أذنك وما معنا ثالث إلا الله تعالى؟ ولكن دع عنك هذا وهات فبايعني! فقال عمرو: لا والله! ما أعطيك من ديني شيئا أو آخذ منك مثله، فهات ما الذي تعطيني، فقال معاوية: أعطيك رضاك، قال عمرو: رضاي أرض مصر، قال معاوية: إن مصر كالعراق، قال عمرو: صدقت، إنها كذلك، ولكنها تكون لي إذا كانت العراق لك، قال: فنقل ذلك على معاوية وأبى أن يعطيه أرض مصر، وخرج عمرو فصار إلى رحله، وبعث معاوية عليه عينا لسمع ما يقول. فلما جن عليه الليل رفع صوته وأنشأ يقول شعرا (١).

قال: فلما أصبح معاوية أقبل إليه أخوه عتبة فقال: أخبرني عنك، ألا (٢) ترضى أن يأخذ عمرو بن العاص مصر وقد عزم أن يبيعك خيط رقبته؟ أعطه ما سألك! فإنك في وقتك هذا لا مصر في يدك ولا غيرها، ثم أنشأ في ذلك يقول شعرا (٣).

(١) الأبيات في تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٨٦ وقعة صفين ص ٣٩ مروج الذهب ٢ / ٣٩١ ومطلعها: معاوي لا أعطيك ديني، ولم أنل \* به منك دنيا، فانظرن كيف تصنع فإن تعطني مصر فاربح بصفقة \* أخذت بها شيئا يضر وينفع في أبيات أخرى.

(٢) الاخبار الطوال ص ١٥٨ وقعة صفين ٣٩: أما ترضى أن تشتري عمرا بمصر إن صفت لك فليتك لا تغلب على الشام.

(٣) الأبيات في الاخبار الطوال ص ١٥٩ ووقعة صفين ص ٣٩ - ٤٠ مطلعها: أيها المانع سيفا لا يهز \* إنما ملت على خز وقر إنما أنت حروف ناعم \* بين ضرعين وصوف لم يجز في أبيات أخرى.

قال: فلما سمع معاوية شعر أخيه عتبة بعث إلى عمرو فدعاه وأعطاه مصر، وكتب له بها كتابا وأثبت في الكتاب: لا ينقض طاعة شرطاً ولا شرط طاعة، وأخذ عمرو الكتاب وانصرف إلى منزله مسروراً، فقال له ابن عم له: أبا عبد الله! ما لي أراك فرحاً مستبشراً وقد بعث دينك بدنيك، أتظن أن أهل مصر يسلمون إليك مصر وهم الذين قتلوا عثمان بن عفان؟ فتبسم عمرو ثم قال: يا بن أخ! إن الأمر لله عز وجل دون علي ومعاوية، قال: فأنشأ ذلك الفتى يقول شعراً (١). قال: فقال له عمرو: يا بن أخ! إني لو كنت مع علي لوسعني بيتي ولكني مع معاوية، فقال له الفتى: أما معاوية فإنه لم يردك ولكنه أراد دينك وأردت دنياه - والسلام - . قال: وبلغ ذلك معاوية وما تكلم به الفتى معه وهم بقتله، فهرب فصار إلى علي رضي الله عنه فحدثه بالقصة وكيف بايع عمرو معاوية، فقربه علي وأدناه وفرض له في كل أصحابه.

قال: وغضب مروان بن الحكم، ثم دخل على معاوية فقال: ما لي لا أشتري كما يشتري غيري، فقال معاوية: إني (٢) إنما ابتاع الرجال لك، قال: فسكت مروان.

قال جعفر بن محمد يحدث عن أبيه عن عبادة بن الصامت أنه نظر إلى معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين، فجاء حتى جلس بينهما فقال له أحدهما: أما لك مكان غير هذا؟ فقال عبادة: بلى، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وقد نظر إليكما فأطال النظر ثم قال: (إذا رأيتم معاوية وعمرا مجتمعين ففرقوا بينهما فإنهما لا يجتمعان على خير).

قال: وأصبح معاوية بعد ما بايعه عمرو بن العاص فإذا برقعة مطوية على بساطه، فأخذها ونظر فيها، فإذا فيها أبيات من الشعر. قال: فدعا معاوية

(١) الأبيات في وقعة صفين ص ٤١ ومطلعها:

ألا يا هند أخت بني زياد \* دهى عمرو بداهية البلاد  
رمي عمرو بأعور عيشمي \* بعيد القعر مخشي اللياد  
له خدع يحار العقل فيها \* مزخرفة صوائد للفؤاد  
في أبيات أخرى.

(٢) الإمامة والسياسة ١ / ١١٨ اسكت يا بن عم، وإنما يشتري لك الرجال.

بعبد الرحمن بن خالد المخزومي، فقال: إني أظن هذه الرقعة لك، قال: نعم هي لي، فقال معاوية: لا تفعل يا بن أخ! فإن عمرا كان رأسا في الجاهلية وعلما في الاسلام ولا ينبغي لك أن ألحقك به في العطاء وسأفعل بك جميلا، قال: فسكت عبد الرحمن بن خالد. وبلغ ذلك عمرو بن العاص، فأقبل إلى عبد الرحمن فقال: يا بن أخ! أما علمت أن قريشا اختارت رجلين في أيام النجاشي فكنت أنا أحدهم؟ أما والله! لو كان أبو سليمان خالد بن الوليد في الأحياء لم أرض منك بهذا أبدا، ثم أقبل عمرو حتى دخل على معاوية فقال: يا هذا! إني والله لم أزل أسمع في كل يوم من سفهاء قريش مثل هذا وأشباهه أبدا، فلعنة الله على مصر! والله لقد استعملني على مصر من هو خير منك ومن عثمان، ولقد استعملني النبي صلى الله عليه وسلم على عمان فأقلني

يا هذا حتى أجلس في بيتي وأنت محسن - وأنشده شعرا، فقال معاوية: يا هذا! والله لقد أكثرت ولم تكن مكثارا وأحببت أقواما ما كنت أدفعك عن جوابهم، وحسبك

بأن يقال: قال عمرو وقيل لعمرو، فإنك إن كاشفت القوم كاشفوك.

ذكر جواب علي لجرير

ابن عبد الله البجلي (١)

أما بعد يا جرير! فإن معاوية إنما أراد بكتابه هذا أن يجعل لي في عنقه بيعة وأن يختار من أمره ما يحب، وإنما احتبسك عنده ليذوق أهل الشام، وقد علمت يا جرير أن المغيرة بن شعبة أشار علي وأنا بالمدينة أن أستعمل معاوية على الشام (٢)، فلم أفعل ولم يكن الله تبارك وتعالى ليراني وأنا أتخذ المضلين عضدا، فانظر! إن بايعك الرجل وإلا فاقبل ولا تكن رخو الجنان - والسلام -.

قال: وفشا كتاب معاوية إلى علي في الناس بالذي يطلبه من علي فلم يجبه إلى ذلك، فكتب الوليد بن عقبة إلى معاوية أبياتا مطلعها:

(١) كذا، وكان معاوية قد أتى جريرا في منزله فقال له: يا جرير إني قد رأيت رأيا، قال: هاته. قال: اكتب إلى صاحبك أن يجعل لي الشام ومصر جباية: فإن حضرته الوفاة لم يجعل لاحد من بعده في عنقي بيعة، وأسلم هذا الأمر إليه. وأكتب إليه بالخلافة. قال جرير: أكتب ما شئت.

فكتب إلى علي يسأله ذلك. فلما أتى عليا كتاب معاوية عرف أنها خدعة منه. فكتب إلى جرير... (الإمامة والسياسة ١ / ١١٥ وقعة صفيين ص ٥٢).

(٢) مرت نصيحة المغيرة بن شعبة لعلي (رض).

معاوي إن الشام شامك فاعتصم \* بشامك لا تدخل عليك الأفاعيا  
إلى آخرها (١).

ذكر كتاب آخر من علي بن أبي طالب  
إلى جرير بن عبد الله البجلي

قال: وإذا كتاب آخر قد ورد على جرير من علي رضي الله عنه (٢): (أما بعد  
يا جرير! إذا أتاك كتابي هذا فلا تضعه من يدك حتى تعامل معاوية على الفصل (٣)  
واحنقه بالجواب، ثم خيره بين حرب مجلية أو سلم مقربة (٤)، فإن اختار الحرب  
فاكتب إلي بذلك، وإن اختار السلم فاستوثق منه ما تقدر عليه، وعجل القدوم علي -  
والسلام -.

قال: ثم كتب النجاشي (٥) شاعر علي رضي الله عنه إلى جرير أبياتا من الشعر  
مطلعها:

ألا ليت شعري والحوادث جممة \* اللعب سار المالكي جرير  
إلى آخرها.

قال: فلما ورد الكتاب على جرير أخذه وأتى به إلى معاوية فأقرأه إياه ثم قال:  
يا معاوية! أما إنني قد تأنيتك إلى وقتي هذا، ولا والله ما أظن قلبك إلا مطبوعا!  
وكذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار، وإنني لأراك قد وقفت على الحق والباطل  
وقوف رجل ينتظر شيئا في يد غيره، ولا أظنك مبايعا حتى لا تجد بدا من الصلاة،  
وهذا كتاب أمير المؤمنين وقد ورد علي، فإما أن تباع حتى أعلم ذلك فأكتب إلى  
صاحبي ببيعتك، وإما أن تختار الحرب فأعمل على حسب ذلك! فقال معاوية: نعم

(١) الأبيات في وقعة صفين ص ٥٢ - ٥٣ وبعده:

وحام عليها بالقنابل والقنا \* ولا تك محشوش الذراعين وانيا

(٢) وكان جرير قد أبطأ عند معاوية حتى اتهمه الناس وقال علي: وقت لرسولي وقتا لا يقيم بعده إلا  
مخدوعا أو عاصيا. ولما آيس منه كتب إليه يستعجله بت الامر وفصله وأخذ البيعة من معاوية.

(٣) في النهج: وخذه بالامر الجزم.

(٤) النهج: (سلم مخزية) وفي وقعة صفين: سلم محظية.

(٥) اسمه قيس بن عمرو بن مالك، من بني الحارث بن كعب.

وكرامة أبا عمرو! والله ما انتظاري إلا على رجل واحد وهو شرحبيل بن السمط بن الأسود بن جبلة الكندي، وذلك لأنه سيد من سادات أهل الشام ولا أحب أن أقطع أمرا دونه، فإذا قدم علي نظرت ما الذي عنده من الرأي، ثم إنني ألقاك في أول المجلس بالفصل إن شاء الله ولا قوة إلا بالله.

قال: فانصرف جرير إلى رحله، واتصل الخبر بالوليد بن عقبة، فأقبل على من كان عنده من بني أمية فقال: ألا تعجبون من معاوية ومن حبسه جريرا عنده لا يوجهه إلى صاحبه ويعزم على حربته؟ والله! لقد بلونا من تربص معاوية لعثمان بن عفان وقعوده عنه ما قد اكتفينا به، ولكن والله لأحركن أخاه عتبة فلعله أن ينهض إلى حرب علي رضي الله عنه، فليس عتبة بدون معاوية، قال: ثم كتب الوليد بن عقبة إلى عتبة بن أبي سفيان أبياتا من الشعر مطلعها:  
أعتبة حرك من أخيك ولا تكن \* فول الهوينا إن أراد مؤاتيا  
إلى آخرها.

قال: فلما وردت هذه الأبيات على عتبة بن أبي سفيان غضب لذلك ثم قال: إنما أراد الوليد أن يخطب إلى عقلي، أيرجوني لأمر ومعاوية، جن والله ما أنصفنا الوليد ولا أراد بذلك إلا تحريض بعضنا ببعض! وليس هذا جزاؤنا منه إذ نصبنا جباهنا ونحورنا لسيف علي بن أبي طالب غضبا لابن عمه عثمان بن عفان وهو بالحجاز متكئا على الحشايا، ثم أجابه عتبة بن أبي سفيان أبياتا من الشعر مطلعها:  
كرهت أبا وهب قراع العواليا \* وحسبك أن تهدي إلي القوافيا  
إلى آخرها.

قال: ثم بعث معاوية مالك بن هبيرة الكندي إلى محمد بن أبي حذيفة فحاربه فقتله (١)، ثم بعث إلى قيصر ملك الروم بالهدايا فواعده، ثم دعا عمرو بن العاص فقال: أبا عبد الله! هات الآن ما ترى في علي بن أبي طالب، فقال عمرو: أرى فيه خيرا، إنه قد أتاك هذا خير أهل العراق جرير من عند خير الناس علي بن أبي طالب، ورد هذه البيعة خطر شديد وأمر عظيم، ورأس أهل الشام اليوم شرحبيل بن السمط الكندي وهو عدو لجرير، فأرسل إليه وعب له رجالا من ثقاتك يشهدون (٢)

(١) انظر ابن الأثير ٢ / ٣٥٣.

(٢) في وقعة صفين ص ٤٤ (فليفشوا في الناس) وفي الاخبار الطوال ص ١٥٩: (يخبرونه).

بأن عليا قتل عثمان، ولتكن المستشهدون أهل الرضا فإنها كلمة جامعة، فإن علقت الشهادة بقلبه لا يخرجها شيء أبدا.

قال: فدعا معاوية يزيد بن أسد (١)، وبسر بن [أبي] أرطاة، ومخارق بن الحارث، وحمزة بن مالك، وحابس بن سعد الطائي، وأبا الأعور السلمي، والضحاك بن قيس الفهري، وذا الكلاع الحميري، والحصين بن نمير السكوني، وحوشب ذا الظلم - وهؤلاء رؤساء الشام يومئذ - فجمعهم معاوية ثم قال: أتدرون لماذا جمعتمكم؟ قالوا: لا علم لنا بذلك، فقال: إن شرحبيل بن السمط سيد من سادات قومه وهو عدو لجرير بن عبد الله البجلي، وقد عزمت أن أكتب إليه ليصير إلي فإذا قدم علي أخبرته أن عليا قتل الخليفة عثمان بن عفان، فإن طلب مني شهادة كنتم أنتم الشهود لي على ذلك، فقال القوم: كفت يا معاوية! فوجه إليه.

فعندها كتب إليه معاوية وشرحبيل يومئذ بمدينة حمص: أما بعد! فإن جريرا قدم علينا من عند علي بن أبي طالب بأمر فطيع، فاقدم إلينا رحمك الله! فإننا نريد أن نستشيرك في أمرنا، وقد حبسنا عليك أنفسنا وعلى مشورتك - والسلام -.

قال: فلما ورد كتاب معاوية على شرحبيل وقرأه أقبل إلى عبد الرحمن بن غنم (٢) الأزدي وهو صاحب معاذ بن جبل وكان أفقه أهل الشام، فاستشاره في المسير

إلى معاوية، فقال عبد الرحمن: ويحك يا شرحبيل! إن الله تعالى لم يزل يريد بك خيرا مذ هاجرت إلى وقتك هذا! وإنه لم ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من الناس، ولا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وأنت رجل من خيار كندة، وإن القالة قد فشت في الناس أن عليا قتل عثمان، ولو كان علي قتله لما بايعه المهاجرون والأنصار وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم الحكام على الناس! وإنما

معاوية إنما يدعوك إلى نفسه ليأخذ من دينك ويعطيك من دنياه كما فعل بعمر بن العاص، فإن كان ولا بد أن تكون أميرا فسر إلى علي بن أبي طالب، فإنه أحق الناس بهذا الأمر من معاوية وغير معاوية، ثم جعل يقول أبياتا مطلعها (٣):

(١) عن وقعة صفين ص ٤٤، وبالأصل: أنس.

(٢) عن وقعة صفين ص ٤٥، وبالأصل: اليماني.

وعبد الرحمن بن غنم الأزدي، مختلف في صحبته مات سنة ٧٨. انظر الإصابة رقم ٥١٧٣ و ٦٣٧١. (٣) الأبيات في وقعة صفين ونسبها إلى عياض الشمالي، قال: فبعث إليه عياض الشمالي، وكان ناسكا (ص ٤٥).

أيا شرح يا بن السمط إنك بالغ \* بأخذ (١) علي ما تريد من الامر (٢) إلى آخرها.

قال: فلما سمع شرحبيل بن السمط هذا الشعر كأنه وقع بقلبه، ثم أقبل على عبد الرحمن بن غنم فقال: إني سمعت ما قلت وقد أحببت أن أسمع كلام معاوية في نفر من بني عمه. وكتب إليه الأسود بن عبد الله أبياتا من الشعر، فوافاه الكتاب من قبل أن يصير إلى معاوية مطلعها:

أيا شرح يا بن السمط لا تتبع الهوى \* فما لك في الدنيا من الدين بالبدل (٣) إلى آخرها.

قال: فلما تفهم شرحبيل هذا الشعر ذعر منه ذعرا شديدا وأفكر في أمره ثم قال: هذه والله نصيحة لي في ديني ودنياي! لا والله لا عجلت في هذا الامر بشيء وفي نفسي منه حاجة! قال: ثم سار حتى دخل على معاوية، فقربه معاوية وأدناه ثم قال: يا أبا السمط! إن جرير بن عبد الله قد أتى من الكوفة يدعو إلى بيعة علي بن أبي طالب، ولسنا نشك في علي أنه خير فاضل لولا أنه قتل الخليفة عثمان بن عفان، وقد حبست نفسي عليك لأنك رجل من سادات كندة وأنا واحد منكم، أرضى بما ترضون وأكره ما تكرهون، فهات ما عندك! فقال شرحبيل: إني سمعت مقالتك ولست أقضي على غائب، ولكن تؤخرني الليلة حتى أصبح وأسأل غيرك عن هذا الامر، فإن شهدا عندي رجلا من سادات أهل الشام أن عليا قتل عثمان صدقتك وقاتلت بين يديك أنا وجميع من أطاعني من قومي، ثم انصرف شرحبيل إلى رحله.

(١) وقعة صفين: يود.

(٢) أيا شرح: مرخم شرحبيل.

وبعده:

ويا شرح إن الشام شامك ما بها \* سواك فدع قول المضلل من فهر  
فإن ابن حرب ناصب لك خدعة \* تكون علينا مثل راغية البكر  
في أبيات.

(٣) وقعة صفين ص ٤٨ وبعده:

وقل لابن حرب ما لك اليوم حرمة \* تروم بها ما رمت، فاقطع له الامل  
في أبيات.

فلما أصبح وجه إليه معاوية بالقوم الذين أعدهم له، فشهدوا عنده أن عليا قتل عثمان، قال: فعندها أقبل شرحبيل حتى دخل على معاوية فقال: يا هذا! لقد شهد عندي العدول أن عليا قتل الخليفة ظلما، ووالله لئن أنت بايعته لتخرجنك من الشام! فاردد الرجل إلى صاحبه، فوالله ما لصاحبه عندنا إلا السيف. قال: فجعل ابن أخت شرحبيل (١) يقول أبياتا من الشعر مطلعها:

رمى شرحبيل بالدواهي وقد رمى \* هنالك (٢) بالسهم الذي هو قاتله إلى آخرها.

قال: فهم معاوية بقتل قائل هذا الشعر، فهرب حتى صار إلى علي بن أبي طالب، وحدثه الحديث على جهته من أوله إلى آخره، فقربه علي وأدناه وفرض له في أصحابه.

قال: وبعث النجاشي شاعر علي إلى شرحبيل بن السمط الكندي أبياتا من الشعر مطلعها:

أيا شرح ما للدين فارقت أمرنا \* ولكن لبغض المالكي جرير (٣) إلى آخرها.

قال: فلم يلتفت شرحبيل إلى هذه الأبيات وأقبل حتى دخل على جرير بن

(١) في وقعة صفين: ابن أخت له من بارق.

(٢) وقعة صفين ص ٤٩:

لعمر أبي الاشقي ابن هند لقد رمى \* شرحبيل.....  
وبعده:

ولفف قوما يسحبون ذيولهم \* جميعا وأولى الناس بالذنب فاعله  
في أبيات أخرى.

(٣) وقعة صفين ص ٥١ وكان النجاشي صديقا لشرحبيل. وبعده أبيات أخرى منها:

وشحناء دبت بين سعد وبينه \* فأصبحت كالحادي بغير بعير  
أتفصل أمرا غبت عنه بشبهة \* وقد حار فيها عقل كل بصير  
يقول رجال لم يكونوا أئمة \* ولا للتي لقوكها بحضور

عبد الله فقال: يا هذا! لقد جئت بأمر ملفف (١)، أردت أن تلقينا في لهوات الأسد، وأردت أن تخلط الشام بالعراق، ولقد أطرأت (٢) من ذكر صاحبك علي عند أهل الشام، ما ظنوا أنه علي ما تقول، حتى صح عندنا أنه هو الذي قتل الخليفة عثمان بن عفان، قال: فضحك جرير ثم قال: أما قولك بأني جئت بأمر ملفف، فكيف يكون ملففا وقد اجتمع عليه المهاجرون والأنصار وقوتل عليه طلحة والزبير، وأما قولك إني أردت أن أخلط الشام بالعراق، فإن خلطهما علي الحق خير من تفريقهما علي الباطل، وأما قولك إن صاحبي قتل عثمان بن عفان، فوالله ما في يدك شيء من ذلك إلا القذف من مكان بعيد والله سائلك عن ذلك يوم القيامة! ولكنك يا شرحبيل ملت إلى الدنيا كما مال غيرك، وشيء كان في نفسك علي (٣)، وستعلم عن قريب أن العاقبة للمتقين.

ذكر تسريح معاوية جرير بن عبد الله إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال: فخرج شرحبيل من عند جرير مغضبا حتى دخل علي معاوية فقال لمعاوية: إننا قد علمنا أنك عامل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ووليه وابن عمه، فإن كنت رجلا تجاهد عليا حتى تدرك بثأر عثمان وإلا عزلناك واستعملنا علي أنفسنا سواك ممن نريد، ثم جاهدنا معه أبدا أو تفنى أرواحنا ونهلك عن آخرنا. فقال معاوية: ما

(١) ملفف: في اللسان: أحاديث ملففة أي أكاذيب مزخرفة. وفيه: اللفف: ما لففوا من هاهنا وهاهنا، كما يلفف الرجل شهادة الزور.

أطرأت: أطرا القوم: مدحهم، نادرة والأعراف بالياء (اللسان).

(٣) وكان سبب التباعد بين جرير بن عبد الله وشرحبيل بن السمط. أن عمر بن الخطاب (رض) كان قد بعث شرحبيل إلى العراق إلى سعد بن أبي وقاص وكان معه، فقدمه سعد وقربه، فحسده الأشعث بن قيس لمنافسة بينهما، فوفد جرير علي عمر، فقال له الأشعث: إن قدرت أن تنال من شرحبيل عند عمر فافعل، فلما قدم علي عمر، سأله عمر عن الناس، فأحسن الثناء علي سعد، قال، وقد قال شعرا:

ألا ليتني والمرء سعد بن مالك \* وزيرا وابن السمط في لجة البحر  
فيغرق أصحابي وأخرج سالما \* علي ظهر قرقور أنادي أبا بكر

فكتب عمر إلى سعد يسأله أن يرسل زبرا وشرحبيلا إليه، فأرسلهما، فأمسك زبرا بالمدينة وسير شرحبيلا إلى الشام (ابن الأثير ٢ / ٣٦٠).

أنا إلا رجل منكم، أحرث من تحاربون وأسالم من تسالمون.  
قال: ثم أرسل معاوية إلى جرير أن الحق بصاحبك فأخبره بالذي سمعت من  
مقالة أهل الشام.

قال: فأمر جرير فقدمت أثقاله، ثم استوى على فرسه وسار حتى قدم على  
علي رضي الله عنه بعد عشرين ومائة ليلة، فأخبره بأخبار معاوية وما سمع من أهل  
الشام، فقال له الأشر: والله يا أمير المؤمنين! لو كنت أرسلتني إلى معاوية لكنت  
خير لك من هذا الذي أرخى خناقة (١) وأقام حتى لم يدع (٢) بابا مفتوحا إلا أغلقه  
ولا

مغلقا إلا فتحه، فقال جرير: أما والله لو كنت مكاني لقتلوك، لأنني سمعتهم يقولون  
بأنك ممن قتل عثمان. ثم أقبل جرير على علي رضي الله عنه فقال: والله يا أمير  
المؤمنين! إن لو قدروا على هذا أو على محمد بن أبي بكر أو عمار بن ياسر أو  
حكيم بن جبلة أو مكشوح المرادي لقتلوه، ولقد خرجت ذات ليلة من رحلي  
لحاجة لي فنظرت إلى غلام من أهل الشام رافعا صوته وهو يقول أبياتا من الشعر  
مطلعها (٣).

حكيم وعمار وشيخ محمد\* ومالك والمكشوح جروا الدواهيا (٤)  
إلى آخرها.

قال: فقال علي رضي الله عنه ما أخطأ الغلام شيئا والله ولي عثمان. فقال  
الأشر: دعنا يا جرير من أشعار الصبيان، والله إن لو كنت مكانك لما ثقل علي  
جوابهم، ولحملت معاوية وأصحابه على خطة أعجله فيها عن الفكر، فقال جرير:  
فلم لا تأتيهم الآن؟ فقال: وكيف آتيهم وقد أفسدتهم، قال: ثم أنشأ الأشر يقول  
في ذلك أبياتا من الشعر مطلعها:

(١) أي مال حيث شاءت الرياح أن يميل ليس بذئ رأي أو عزيمة.

(٢) في مروج الذهب ٢ / ٤١٣: لم يدع بابا نرجو روجه إلا فتحه، ولا بابا يخاف منه إلا أغلقه.

(٣) الأبيات في وقعة صفين ص ٥٤ ونسبت إلى ابن المغيرة بن الأحنس بن شريق.

(٤) بعده في وقعة صفين:

وقد كان فيها للزبير عجاجة\* وصاحبه الأذنى أشاب النواصيا

فأما علي فاستغاث ببيته\* فلا أمر فيها ولم يك ناهيا

وقل في جميع الناس ما شئت بعده\* وإن قلت: أخطأ الناس لم تك خاطيا

لعمرك يا جرير لقول عمرو \* وصاحبه معاوية الشام (١) إلى آخرها.

قال وجرى بين الأشتر وجرير كلام كثير. ذكر أخذ معاوية أهبة الحرب.

قال: ثم أقبل معاوية على شرحبيل بن السمط فقال: إنه كان من إجابتك إلى الحق ما وقع أجرك على الله عز وجل، وقبله منك الصالحون وهذا الأمر لا يتم إلا بأمر العامة، وأريد منك أن تكتب إلى مدائن الشام فتعلمهم بما كان من إجابتهم، فلعلمهم أن يغضبوا للخليفة المظلوم، فقال شرحبيل: لا، ولكن أنا أسير إليهم بنفسي فأعرضهم على ذلك.

قال: ثم سار شرحبيل حتى دخل حمص، ثم نادى في أهلها فجمعهم ثم قام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أهل حمص (٢)! اعلّموا أن علياً قتل عثمان بن عفان، وفرق الجماعة، وواقع بقتل البصرة وقعة لها ما بعدها، وقد هزم الجميع وغلب على الأرض حتى لم يبق له إلا الشام، وقد وضع سيفه على عاتقه وعزم على أن يخوض إليكم غمار الموت حتى يأتيكم فينزل بكم ما أنزله بغيركم، ألا! وإني لا أجد أحداً هو أقوى على حربه من معاوية، فخفوا معه وجاهدوا عدو الله، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. قال: فأجابه أهل حمص بأجمعهم إلى ذلك (٣). قال: وجعل شرحبيل لا يأتي مدينة من مدائن الشام إلا دعاهم إلى نصر معاوية وحرضهم على قتال علي بن أبي طالب، حتى اجتمع إليه خلق كثير، فأقبل بهم إلى معاوية، فبايعوه على أنهم يقاتلون بين يديه ويموتون تحت ركابه.

قال: فوثب رجل من أهل السكاسك وكان مجتهداً فاضلاً وكان شاعراً واسمه الأسود بن عرفجة، فوقف بين يدي معاوية وأنشأ وجعل يقول أبياتاً من الشعر مطلعها:

(١) الأبيات في وقعة صفين ص ٦١.

(٢) الاخبار الطوال ص ١٦٠ ووقعة صفين ٥٠: يا أيها الناس.

(٣) زيد في الاخبار الطوال: إلا نفرًا من أهل حمص نساكا فإنهم قالوا: نلزم بيوتنا ومساجدنا.

كانت الشام قبل شرح وبيبل \* لعلي ظهر له حدباء إلى آخرها.

قال: فقطع عليه معاوية كلامه ثم قال: من هذا الأسد الورد (١)؟ فقال: هذا والله علي بن أبي طالب أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه وزوج ابنته وأبو سبطيه الذي قتل

جدك وعم أمك وأخاك وخالك يوم بدر! فأنت تطالبه في الإسلام بما فعل في قومك الكفرة الفجرة. فقال معاوية: خذوه! فوثب إليه غلامان من غلمان معاوية، وقام إليه شرحبيل فقال: كف عنه يا معاوية! فإنه رجل من سادات قومه، فلا تؤذيه فأنقض والله ما في عنقي من بيعتك، قال معاوية: فإني قد وهبته لك. قال: فهرب الرجل إلى مصر، ثم كتب إلى علي رضي الله عنه أبياتا من الشعر مطلعها:

ألا أبلغ أبا حسن عليا \* فكفى بالذي تهوى طويله إلى آخرها.

قال: وأقبل سعيد بن قيس الهمداني إلى علي رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين! إن شرحبيل رجل عمي القلب وقد سار في مدائن الشام فاستنفرهم إلى حربنا، فأذن لي أن أكتب إليه كتابا فلعلي أشككه فيما هو فيه، فقال علي: اكتب ما أحببت.

فكتب إليه سعد بن قيس: أما بعد يا شرحبيل: فإن أهلك من أرض اليمن غير أنك هاجرت إلى الكوفة وانتقلت إلى الشام فكنت بها ما شاء الله، حتى إذا قتل عثمان وبايع الناس عليا عبي لك معاوية رجالا لا يعرفون الحلال ولا ينكرون الحرام، فاخذعوك وشهدوا عندك أن عليا قتل عثمان، ولو نظرت بعقلك لعلمت أن ذلك باطل وزور، ولو كان علي ما شهدوا عندك أن عليا قتل عثمان لما بايعه

(١) يريد البيت:

فاحذر اليوم صولة الأسد الورد \* د إذا جاء في رحي الهيجاء

المهاجرون والأنصار وهم واضعون أسيافهم على عواتقهم، يقاتلون معه من خالفه من أهل البصرة وغيرهم من الناس، فلا تكن رأس الخطيئة ومفتاح البلية، فإنني ما زلت لك ناصحا وعليك مشفقا - والسلام. ثم أثبت في أسفل كتابه شعرا مطلعها: أيا شرح يا بن السمط أصبحت راجعا\* على العقب فانظر في رجوعك للعقب إلى آخرها.

قال: فلما انتهى الكتاب إلى شرحبيل أخذه فأتى به معاوية، فقرأه إياه، فقال معاوية: لا عليك، هو سيد في همدان وأنت سيد في كندة، فأجبه على كتابه. قال: فكتب إليه شرحبيل: أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه أنني هاجرت إلى الكوفة وانتقلت إلى الشام، ولعمري ما العراق لي بدار ولا الشام علي بعار، وإنما أنا رجل من أهل اليمن، وأما قولي بأن عليا قتل عثمان، فإنني أخذت ذلك عن الثقات من أهل الرضا، ولا يقال للشاهد: من أين قلت؟ فأما المهاجرون والأنصار، فلهم ما في أيديهم من بيعة علي ولنا ما في أيدينا من بيعة معاوية - والسلام -.

قال: ثم أقبل شرحبيل على ابن عم له من كندة فقال: أجب سعيد بن قيس على شعره هذا بما أمكنك! قال: فكتب إلى سعيد أبياتا من الشعر مطلعها: أيها العائب الفتى شرحبيل\* لن ينال الانسان مجرى النجوم إلى آخرها.

ذكر قدوم عبيد الله بن عمر بن الخطاب على معاوية بالشام وما كان منهم من القول في علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال: وقدم عبيد الله بن عمر بن الخطاب على معاوية ليكون معه علي علي، فأرسل معاوية إلى عمرو بن العاص فدعاه وقال: أبا عبد الله! إنه قد أحى الله لك عمر بن الخطاب بالشام بقدوم ابنه عبيد الله علينا، وقد رأيت أن أقيمه خطيبا فيشهد علي علي بقتل عثمان وننال منه! فقال عمرو بن العاص: يا معاوية! والله ما أتاك

عبيد الله بن عمر إلا خوفا من علي أن يقع في يده فيقتله (١)! ولكن لا عليك أن تأمره أن يخطب. فأرسل إليه معاوية فدعاه ثم قال له: يا بن الأخ! إن لك اسم أبيك فانظر بملء عينك وتكلم بملء فيك، فأنت المأمون المصدق، أريد منك أن تشتم لي عليا وتشهد لي عليه بقتل عثمان! فقال له عبيد الله: أما الشتيمة فإنه علي بن أبي طالب بن هاشم، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، فما عسى أن أقول في نسبه (٢)، وأما حسبه (٣) فهو والله الشجاع المطرق! وأما أيامه فقد عرفتها أنت يا معاوية! ولكنني

ألزمه دم عثمان. فقال عمرو بن العاص: يا بن أخ لقد نكأت القرحة وما نريد منك غير هذا.

قال: فلما طلع عبيد الله من عند معاوية قال معاوية لعمرو: القول والله على ما قلت! والله لولا خوفه من علي أن يقتله بالهرمزان لقد رأيت به بالشام أبدا، ألم تسمع تقريره لعلي وقوله فيه: أبوه كذا وأمه كذا وبأسه كذا؟ فقال عمرو: أتكر يا معاوية أن عليا كما قال عبيد الله بن عمر؟ والله! إن عليا لكما قال وفوق ما قال، غير أننا قد ملنا إلى هذه الدنيا، فليس نعقل ما نأتي وما ندع.

قال: وخرج حديث معاوية وعمرو إلى عبيد الله بن عمر، فقام في الناس خطيبا كما أمره معاوية، فحمد الله وأثنى عليه وتكلم بحاجته، حتى إذا بلغ إلى أمر علي وعثمان أمسك ونزل عن المنبر، فقال له معاوية: يا بن أخي! إنك بين عي وخيانة، فما منعك من ذكر علي وعثمان؟ فقال: إني كرهت أن أقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان، وعلمت أن الناس يحملونها عني.

قال: فهجره معاوية واستخف به، فأنشأ عبيد الله بن عمر في ذلك أبياتا مطلعها:

معاوي لم أحرص بخطبة خاطب \* ولم أك عيا في لؤي بن غالب (٤)

(١) وكان عبيد الله بن عمر قد لحق بمعاوية خوفا من علي أن يقيد به بالهرمزان وذلك أن أبا لؤلؤة - غلام المغيرة بن شعبه - قاتل عمر، وكان في أرض العجم غلاما للهرمزان، فلما قتل عمر شد عبيد الله على الهرمزان فقتله وقال: لا أترك بالمدينة فارسيا ولا في غيرها إلا قتلة بأبي. فلما صارت الخلافة إلى علي (رض) أراد قتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان لقتله إياه ظلما من غير سبب استحقه، فلجأ إلى معاوية (مروج الذهب ٢ / ٤٢٠ الإمامة والسياسة ١ / ١٢٢).

(٢) في وقعة صفين ص ٨٣: حسبه.

(٣) وقعة صفين: وأما بأسه.

(٤) وبعده في وقعة صفين ٨٣:

ولكنني زاوت نفسا أبية \* علي قذف شيخ بالعراقين غائب  
وقذفي عليا يا بن عفان جهرة \* يجده بالشنحنا أنوف الأقارب  
في أبيات أخرى.

(۵۲۶)

إلى آخرها.

قال: فبلغ قوله هذا معاوية، فبعث إليه فأرضاه وقربه وقال: حسبي هذا منك.

ذكر كتاب معاوية إلى أهل المدينة يستنصرهم.

قال: ثم أقبل معاوية على عمرو بن العاص فقال: إني أريد أن ألقى إلى أهل المدينة (١) كتابا أذكرهم فيه أمر عثمان، فإما أن ندرك منهم حاجتنا وإما نكفهم عنا من

قبل مسير علي إلينا، فقال له عمرو: إنك إنما تكتب إلى نفر منهم راضين بعلي فلا يزيدهم كتابك إليهم إلا بصيرة ومحبة لعلي، ومنهم من يهوى عثمان فلا يقدر أن يزيد علي ما هو عليه، ومنهم معتزل عن علي وعثمان ولا يلتفت إلى كتابك، فإن أحببت فاكتب.

قال: فكتب معاوية إلى أهل المدينة: بسم الله الرحمن الرحيم، من معاوية بن أبي سفيان إلى جماعة أهل المدينة، أما بعد! فإنه مهما غاب عنا من الامر فلم يغب عنكم أن عثمان قتل مظلوما وعلي قتله، والدليل على ذلك أنه قد آوى قتله عنده، وإنما نطالبه بدمه حتى يدفع إلينا قتله، فنقتلهم به بكتاب الله عز وجل، فإن دفعهم إلينا كففنا عنه وجعلنا هذا الامر شورى بين المسلمين كما جعله عمر بن الخطاب عند وفاته، فأما الخلاف فلسنا نطلبها، فأجيئوا (٢) رحمكم الله وانهضوا معنا إلى حربه - والسلام -.

قال: فلما قرىء كتاب معاوية على أهل المدينة اجتمعوا فكتبوا (٣) إلى معاوية وعمرو بن العاص جميعا: أما بعد! فإنكما أخطأتما موضع النصر وتناولتماها من

(١) في الإمامة والسياسة ١ / ١١٨ ووقعة صفين ص ٦٢ - ٦٣ إلى أهل مكة والمدينة.

(٢) الإمامة والسياسة: فأعينونا.

(٣) الإمامة والسياسة ١ / ١١٩: اجتمع رأيهم على أن يسندوا أمرهم إلى المسور بن مخزوم، فجاوب عنهم.

ونسب في ووقعة صفين ص ٦٣ إلى عبد الله بن عمر.

مكان بعيد، يا بن هند ويا بن العاص! ما أنتما والمكاتبة والمشورة؟ وما أنتما والخلافة والشورى؟ أما أنت يا معاوية فطليق العين، وأما أنت يا عمرو فحائن (١) في الدين، فكفا عن المكاتبة فليس لكما المكاتبة لأهل المدينة ولي ولا نصير ولا معين ولا ظهير.

ثم كتب رجل من الأنصار أبياتا من الشعر مطلعها:  
معاوي إن الحق أبلج واضح\* وليس كما ربصت أنت ولا عمرو (٢)  
إلى آخرها.

قال: فلما ورد كتاب أهل المدينة على معاوية وقرأه أقبل على عمرو بن العاص، فقال: أبا عبد الله! شعرت أننا أخطأنا في الكتاب إلى أوباش أهل المدينة وبها مثل عبد الله بن عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة الأنصاري، إنما كان يجب أن نخص هؤلاء الثلاثة بالكتاب دون غيرهم، فقال عمرو: ذلك إليك وأنت على رأس أمرك، إن أردت أن تكتب إليهم وأنا لا أشير عليك بذلك، فإني أخاف أن تسمع منهم ما تكره، فلم يلتفت معاوية إلى قوله. ذكر كتاب معاوية إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب.

قال: وكتب إلى عبد الله بن عمر (٣): أما بعد فإنه لم يكن رجل من قريش أحب إلي أن تجتمع الناس (٤) عليه منك بعد قتل عثمان رضي الله عنه، ثم إنني ذكرت خذلانك المرء، وقعودي عنه وطعنك على أنصاره فتغيرت لك وقد هون الله علي ذاك إذ رأيتك مخالفا لعلي بن أبي طالب، فأعنا رحمك الله على دم هذا الخليفة المظلوم، فإني لست أطلب الأمر عليك، إنما أريدها لك، فإن أبيت كان شورى بين المسلمين - والسلام - .  
وكتب في أسفل كتابه أبياتا من الشعر مطلعها:

- 
- (١) وقعة صفين: فظنون.  
(٢) وقعة صفين ص ٦٣ في أبيات أخرى.  
(٣) الإمامة والسياسة ١ / ١١٩ وقعة صفين ص ٧١.  
(٤) وقعة صفين: الأمة.

ألا قل لعبد الله واخصص محمدا \* وفارسنا المأمون سعد بن مالك (١) إلى آخرها.

فأجابه عبد الله بن عمر (٢): أما بعد! فإن الرأي الذي أطمعك في هو الذي صيرك إلى ما صرت إليه، يا معاوية! إذ حدثتك نفسك أنني أترك عليا والمهاجرين والأنصار وأتبعك، فأما زعمك أنني طعنت على علي وخالفته، فلعلي ما أنا كعلي في الايمان والهجرة ونكايته في المشركين ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه حدث أمر لم

يكن عندي فيه عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففزعت فيه إلى الوقوف وقلت: إن كان هذا

هدى ففضل تركته، وإن كان ضلالا فشر نجوت منه، فاروعنا نفسك (٣) - والسلام -

قال: ثم أقبل ابن عمر على رجل من قريش يقال له ابن أبي عزة (٤) فقال: أجب عني معاوية على شعره، فأنشأ يقول أبياتا من الشعر مطلعها: معاوي لا ترج الذي لست نائلا \* وحاول بصيرا عند سعد بن مالك (٥) إلى آخرها.

ذكر كتاب معاوية إلى سعد بن أبي وقاص.

قال: وكتب معاوية إلى سعد بن أبي وقاص (٦): أما بعد! فإن إخواننا من شيعة عثمان بن عفان أهل الشورى من قريش الذين عرفوا حقه واختاروه على غيره، وقد نصره طلحة والزبير وهما شريكا في الامر، ونظيرك في الاسلام، وخفت لذلك أم المؤمنين، فلا تكرهن ما رضوا به، ولا تروين (٧) ما قبلوا، فإنما نريدها شورى بين المسلمين - والسلام - . وأثبت في آخر كتابه أبياتا مطلعها:

(١) يريد سعد بن أبي وقاص، واسمه سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري.

والايات في وقعة صفين ص ٧٢.

(٢) الإمامة والسياسة ١ / ١١٩ وقعة صفين ص ٧٢.

(٣) الإمامة والسياسة ووقعة صفين: فاغن عنا نفسك.

(٤) وقعة صفين: ابن أبي غزية.

(٥) وقعة صفين ص ٧٣: وحاول نصيرا غير سعد بن مالك.

(٦) الإمامة والسياسة ١ / ١٢٠ وقعة صفين ص ٧٤. تاريخ يعقوبي ٢ / ١٨٧.

(٧) الإمامة والسياسة: ولا تردن.

ألا يا سعد قد أحدثت (١) شكا\* وشك المرء في الاحداث داء إلى آخرها.

فكتب إليه سعد (٢): أما بعد! فإن الشورى لم يدخل عمر بن الخطاب إلا من يحل له الخلافة، ولم يكن أحد من أهل الشورى أحق بالخلافة من صاحبه بالاجتماع، غير أن عليا كان فيه ما فينا، ولم يكن فينا ما فيه، وهذا أمر قد كررنا أوله وكذلك نكره آخره، وأما طلحة والزبير فلو لزمنا بيوتهما لكان خيرا لهما، والله يغفر لام المؤمنين عائشة ما أتت - والسلام. وأثبت في أسفل كتابه أبياتا من الشعر مطلعها:

معاوي داءك الداء العياء\* وليس لما تجيء به دواء (٣) إلى آخرها.

ذكر كتاب معاوية إلى محمد بن مسلمة الأنصاري.

قال: وكتب معاوية إلى محمد بن مسلمة الأنصاري (٤): أما بعد! فإني كتبت إليك وأنا أرجو متابعتك (٥)، ولكنني أحببت أن أعرفك النعمة التي خرجت منها والشك الذي صرت إليه، فأنت فارس الأنصار وعدة المهاجرين، غير أنك ادعيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم تستطع إلا أن تمضي عليه، فذكرت أنه نهاك عن قتال

أهل الصلاة بعضهم بعضا (٦)، وقد كان يجب عليك أن تكره لهم ما كرهه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو ما رأيت عثمان بن عفان في يوم الدار وما حل به من أهل الصلاة؟

وأما قومك فقد عصوا الله وخذلوا عثمان، والله سائلهم وسائلك عن ذلك يوم القيامة - والسلام -.

قال: ثم عرض معاوية كتابه على مروان بن الحكم، فقال له مروان: أما إنك قد أغلظت له في الكتاب، ولكن دعني حتى أكتب إليه أبياتا من شعره فلعلي أخدعه

(١) وقعة صفين ص ٧٤: (أظهرت) وفيه أبيات أخرى.

(٢) الإمامة والسياسة ١ / ١٢٠ وقعة صفين ص ٧٥.

(٣) الأبيات في وقعة صفين ص ٧٥.

(٤) الإمامة والسياسة ١ / ١٢٠ وقعة صفين ص ٧٦.

(٥) في المصدرين: فإني لم أكتب إليك وأنا أرجو مبايعتك.

(٦) في شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٥٨٠ وهو أنه نهاك عن قتال أهل القبلة.

بهن، فقال معاوية: أكتب ما أحببت، فكتب إليه مروان أبياتا من الشعر مطلعها:  
أيا فارس الأنصار في كل ملحمة \* ويا أيها الباني لها كل مكرمة.  
إلى آخرها.

قال: فلما ورد كتاب معاوية إلى محمد بن مسلمة كتب إليه (١): أما بعد! فقد  
اعتزل هذا الامر من قريش من ليس في يديه من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل  
الذي في يدي،

وقد أخبرني بالذي هو كائن قبل أن يكون، فلما رأيت ما أخبرني به كسرت سيفي  
ولزمت بيتي (٢) إذا لم يصح لي معروف أمر به ولا منكر أنهى عنه، ولعمري يا معاوية  
ما طلبت إلا الدنيا ولا اتبعت إلا الهوى، فإن تنصر عثمان ميتا فقد خذلته حيا، وما  
أخرجني الله من نعمة ولا صرت إلى شك فإن أبصرت خلاف ما نحن عليه ونحن  
أنصار النبي صلى الله عليه وسلم.

[ثم دعا محمد بن مسلمة رجلا من الأنصار (٣)] فقال: أجب عني مروان بن  
الحكم على شعره، فأنشأ الأنصاري أبياتا من الشعر يقول مطلعها:  
أمروان دع هذا وفي الامر جمجمه \* ولا تطلبن منا جواب ابن مسلمة  
إلى آخرها.

قال: فلما وردت هذه الكتب والاشعار على معاوية ندم على ما كتب، وشمته  
به عمرو، فأنشأ أبياتا من الشعر يقول مطلعها:  
ألم ترني أشرت على ابن هند \* فلم يقبل وقلت دع الكتابا.  
إلى آخرها.

ذكر تحريض معاوية الناس على القتال  
ووصيته إياهم بالصبر على ذلك.

قال: فعندها قام معاوية في الناس خطيبا، فحمد الله واثنى عليه ثم قال (٤):

(١) الإمامة والسياسة ١ / ١٢١ وقعة صفين ص ٧٦ - ٧٧.

(٢) يروى أن محمد بن مسلمة قال: أعطاني رسول الله (ص) سيفا فقال: قاتل به المشركون ما قوتلوا،  
فإذا رأيت أمتي يضرب بعضهم بعضا فأت به أحدا فاضرب به حتى ينكسر، ثم اجلس في بيتك حتى  
تأتيك يد خاطئة أو منية خاطئة. (الإصابة)

(٣) زيادة عن وقعة صفين ص ٧٧. ويروى أن اسمه مروان بن عقبة.

(٤) الإمامة والسياسة ١ / ١٢٣ باختلاف.

أيها الناس! قد علمتم أن خليفتم عثمان بن عفان قتل مظلوما وقد جعل الله لمن قتل مظلوما وليا وناصرًا، وجعل لوليه سلطانًا، وأنا وليه، استعملني ولم يعزلني، وأنتم أهل الحق، والناس سواكم أهل فتنة وباطل، من بين باسط يديه في دم عثمان أو معين عليه، وقد قام بأمر الناس أبغض الناس إليه علي بن أبي طالب، ولنخوضن إليه حومات الموت ثم لنقدحن لكم من زنده شرره، لا يثبت لها شيء إلا أحرقتة، وقد علمتم أنني لا أضبط الشام إلا بالطاعة، ولا أقوى على حرب أهل العراق إلا بالصبر، وأنتم عازمون على أن تحرزوا الشام والعراق، لعمرى ما للشام كرجال العراق ولا للعراق كصبر أهل الشام! والقوم لا قوم غدا يبصائر أهل الحجاز ورقة أهل اليمن وقسوة أهل البصرة وكيد أهل الكوفة، وإنما يصبر غدا من قرأ هذه الآية:

و (استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصبرين\*) (١)

قال: فوثب أبو الأعور السلمي فقال: يا معاوية! إنك والله ما تستطيع أن تضرب الناس بمثل ما يضربهم علي بن أبي طالب! ولا يرجعون من أمرك إلى ما يرجعون إليه من علي، وإنك لتحملنا على أمر لو تركته لحملناك عليه، ونحن على بيعة الخليفة عثمان بن عفان، وأنت وليه وابن عمه، وعلي عدوه وخاذله، فنحن معك عليه - والسلام -.

قال: ثم وثب ذو الكلاع الحميري فقال: يا معاوية! إن أمير المؤمنين عثمان بن عفان استعملك فلم توف له، واستنصرك فلم تنصره، وأردت أن تصرف وجوه الناس إليك، فقد بلغت الذي أردت، والله! لو خذلتك العرب قاطبة لكفيتك خذلانها بقومي وعشيرتي - والسلام -.

قال: ثم تكلم حوشب ذو الظليم فقال (٢): يا معاوية! لقد علمت العرب أننا أهل فعال ولسنا بأهل مقال، وأن عظيم فعالنا يأتي على قليل مقالنا، والامر لك وللمن شئت من بعدك - والسلام -.

ثم تكلم سعد بن وخاطة الحميري فقال: يا سبحان الله! أما من رجل يقدم رضا الله عز وجل على رضا الناس؟ ويحكم يا أهل الشام! أما علمتم أن أهل

(١) سورة البقرة الآية ١٥٣.

(٢) مقالة حوشب في الإمامة والسياسة ١ / ١٢٣ باختلاف.

الحجاز هم الحكام على جميع الناس لمكانهم من الهجرة والجهاد في سبيل الله بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وإن كان في أيديكم مثل ما في أيديهم فكانوا هم في الامر

وأشركوهم في المشورة، فإن الله لا يستحيي من الحق، ثم أنشأ أبياتا يقول مطلعها:

قل لقوم يرون حرب علي \* احرزوا الشام لا تروموا العراقا  
إلى آخرها.

قال: فلما سمع معاوية شعره أمر به، فلبب وخنق وشتم وسحب، وهم بقتله، فقاموا واستوهبوه من معاوية، فلحق الفتى بالعراق وصار إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ذكر ادعاء معاوية استحقاق الخلافة لنفسه.

قال: ثم أقبل معاوية على أصحابه فقال: يا هؤلاء! أخبروني بماذا صار علي بن أبي طالب أولى بهذا الامر مني، والله! إني لكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد

كانت أختي تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإني لعامل عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان،

وأمي هند بنت عتبة بن ربيعة، وأبي أبو سفيان بن حرب، وإن كان قد بايعه أهل الحجاز وأهل العراق فقد بايعني أهل الشام، وإن هؤلاء في الامر سواء، ومن غلب على شيء فهو له.

قال: وانصرف معاوية إلى منزله، فلما أصبح إذا برقعة موضوعة على بساطه فيها أبيات من الشعر، مطلعها:

معاوي لله من خلقه \* عباد قلوبهم قاسيه  
وقلبك من شر تلك القلوب \* وليس المطيعة كالعاصيه  
إلى آخرها.

قال: فلم يروعه ذلك أن دعا بدواة وبياض وكتب إلى علي رضي الله عنه (١):  
أما بعد فلو كنت على ما كان من قبلك لما قاتلتك ولا استحلتت، ولكنه إنما أفسد

(١) قارن مع الكامل للمبرد ١ / ٤٢٣ - ٤٢٤ العقد الفريد ٤ / ٣٣٣ وقعة صفين ص ٥٦ شرح نهج البلاغة

لابن أبي حديد ١ / ٢٥٩ الإمامة والسياسة ١ / ١٢١ - ١٢٢.

عليك بيعتي خطيئتك في عثمان، وإنما كان أهل الحجاز هم الحكام على الناس حين صار الحق فيهم، فلما تركوه صار أهل الشام هم الحكام على أهل الحجاز وغيرهم من الناس، ولعمري ما حجتك علي كحجتك على طلحة والزبير، ولا حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة! ولأن طلحة والزبير قد كانا بايعاك ولم أبايحك، وبأيحك (١) أهل البصرة ولم يبأيحك أهل الشام، وأما فضلك في الاسلام وقرابتك من الرسول صلى الله عليه وسلم وموضعك من بني هاشم فلست أدفعه - والسلام -.

قال: ثم دعا معاوية بشاعر أهل الشام واسمه كعب بن جعيل الثعلبي، فقال له: قل أبياتا من الشعر وأثبتهم في هذا الكتاب! فأثبت في آخره أبياتا مطلعها (٢):  
أرى الشام تكره أهل (٣) العراق\* وأهل العراق لهم كارهونا  
إلى آخرها.

قال: فلما انتهى الكتاب إلى علي رضي الله عنه وقرأه كتاب إلى معاوية (٤): أما بعد! فإنه أتاني كتاب امرئ ليس له هاد يهديه ولا قائد يرشده (٥)، دعاه الهوى فأجابه، وقاده الغي فاتبعه، زعمت أنه إنما أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان، ولعمري ما كنت إلا رجلا من المهاجرين! أوردت كما أوردوا، وأصدرت كما أصدروا، وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا يضربهم بعمى، وأما ما زعمت أن أهل الشام هم الحكام على أهل الحجاز، فهات رجلين من قريش الشام يقبل الشورى أو تحل لهما الخلافة، فإن زعمت ذلك كذلك المهاجرون والأنصار، وإلا فأنا آتيك بهم من قريش الحجاز، وأما ما ميزت بينك وبين طلحة والزبير وبين أهل البصرة وأهل الشام، فالامر (٦) في ذلك إلي واحد، لان بيعة العامة لا يستثنى فيها النظر (٧) ولا يستأنف فيها الخبر (٧)، وأما فضلي في الاسلام وقرابتي من

- 
- (١) في الكامل للمبرد: لان أهل البصرة أطاعوك، ولم يطعك أهل الشام.  
(٢) الأبيات في الاخبار الطوال ص ١٦٠ - والكامل للمبرد ١ / ٤٢٤ ووقعة صفين ص ٥٦ - ٥٧.  
(٣) في المصادر: ملك.  
(٤) نسخة الكتاب في الكامل للمبرد ١ / ٤٢٨ ووقعة صفين ٥٧ - ٥٨ والعقد الفريد ٤ / ٣٣٣ - ٣٣٤ والإمامة والسياسة ١ / ١٢٢. باختلاف النصوص وزيادة.  
(٥) قوله: يهديه معناه يقوده، والهادي هو الذي يتقدم ويدل.  
(٦) وقعة صفين: ما الامر فيما هناك إلا واحد. وعند المبرد: إلا سواء.  
(٧) عند المبرد: الخيار، ولا يستأنف فيها النظر.

الرسول صلى الله عليه وسلم وموضعي من بني هاشم فلو استطعت دفعه لفعلت -  
والسلام -.

قال: ثم دعا بشاعره (١) فقال: أجب كعب بن جعيل على شعره، فأثبت في  
الكتاب أبياتا مطلعها:

عرفنا معاوي ما لم يكونا (٢) \* فقد حقق الله ما تحذرونا  
إلى آخرها.

قال: فلما ورد كتاب علي رضي الله عنه على معاوية كتب إليه معاوية (٣): أما  
بعد! فاتق الله يا علي ودع الحسد ولا تفسدن سابقة قدمك في الاسلام بشرة (٤)  
حديثك فإن الاعمال بخواتيمها، ولا تلحدن بباطل من حق من لا حق له، فإنك إن  
تفعل ذلك لن تضر إلا نفسك ولا تمحق إلا عملك (٥)، ولعمري ما مضى لك من  
السوابق الحسنة لحقيقة أن تردعك عما قد اجتزأت عليه من سفك الدماء وخلاف أهل  
الحق عن الحل والحرم، فاقراً سورة الفلق وتعوذ بالله من شر ما خلق ومن شر نفسك  
والحاسد إذا حسد، أقبل الله بقلبك وأخذ ناصيتك وعجل توفيقك فإني أسعد الناس  
بذلك - والسلام -.

قال: فكتب إليه علي: من عبد الله أمير المؤمنين إلى معاوية بن صخر، أما  
بعد! قد أتاني كتابك ليس ببعيد الشبه منك حملك على الوثوب على ما ليس لك  
بحق، ولولا ما قد علمت من علمي بذلك وبما قد سبق فيك من رسول الله صلى الله  
عليه وسلم مما لا

مرد له دون إنفاذه إذا لو عظمتك، ولكن عظمتي لا تنفع من قد حقت عليه كلمة  
العذاب، ولن يخاف العقاب، ولم يرجع لله وقارا، ولم يحف له جدارا، فشأنك  
وما أنت عليه من الضلالة والحيرة والجهالة، تجد الله عز وجل في ذلك بالمرصاد من

(١) في الاخبار الطوال: النجاشي بن الحارث.

(٢) في الاخبار الطوال: دعن معاوي ما لن يكونا، وفي وقعة صفين: دعن يا معاوي.

الأبيات في الاخبار الطوال ص ١٦٠ - ١٦١ وقعة صفين ٥٨ - ٥٩ الكامل للمبرد ١ / ٤٢٨ وبعده في  
المصادر:

أتاكم علي بأهل الحجاز \* وأهل العراق فما تصنعونا

(٣) وقعة صفين ص ١١٠.

(٤) وقعة صفين: بشره نخوتك.

(٥) وقعة صفين: ولا تبطل إلا حجتك.

دنياك المنقطعة عنك وتمنيك الأباطيل، وقد علمت ما قال النبي صلى الله عليه وسلم  
فيك وفي أمك  
وأبيك - والسلام - .

قال: فكتب إليه معاوية: أما بعد! فإن الدين على قلبك والغطاء على  
بصرك، والشرة من شيمتك، والغدر من سجيتك، فأبشر بالحرب، واصبر  
للضرب، فوالله ليرجعن الأمر إلى ما قد علمت والعاقبة للمتقين، فهيهات هيهات يا  
علي! أخطاك التمني وهوى قلبك فيمن هوى، واضمحل عليك علمك، فصار في  
تباب بعد التمسك بالكتاب، فارتفع علي طلعك وقيس فترك بشبرك، واعرف ذلك من  
حال من يزن الجبال حلمه ويفصل بين أهل الشك علمه - والسلام - .

قال: فكتب إليه علي رضي الله عنه: من عبد الله أمير المؤمنين إلى معاوية بن  
صخر، أما بعد! فإن علم الله حال بينك وبين أن يصلح لك، فإنك ابن صخر  
اللعين، وزعمت أنك يزن الجبال حلمك ويفصل بين أهل الشك علمك، فأنت  
المنافق القاسي القلب، القليل الفقه في الدين، فإن كنت صادقاً فيما تنتظر وتصدر  
ويعينك عليه الابتزان واصبر على مبارزتي، واعف الناس على القتال، لتعلم أننا  
الشاك الران على قلبه المغطى على بصره، فأنا أبو الحسن حقاً! قاتل جدك عتبة  
وعمك شيبة وخالك الوليد وأخيك حنظلة الذين سفك الله دماءهم على يدي في يوم  
بدر، وذلك السيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوي - والسلام - .

قال: فكتب إليه معاوية: أما بعد! فقد أبيت في الغي إلا تماديا لابن السوداء  
عمار بن ياسر وأصحابه، فقد علمت بأنه إنما [لا] يدعوك إلى ذلك إلا مصرعك  
وحينك الذي لا بد لك منه، فإن كنت غير منته فزدد غيا، فطاش في المطاولة  
حلمك، وعزب عن الحق فهمك، وأنت راكب لاسوء الأمور، ومعضل عن الحق  
بغير فكرة في الدين ولا روية، ثم تكون العاقبة لغيرك - والسلام - .

قال: فكتب إليه علي: من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن صخر،  
أما بعد! فإنك من كافر ولدت فقربت وأشبهت آبائك وأجدادك وعمك وأخاك  
وخالك، إذ حملهم الشك وتمني الأباطيل بالجحود على نبي الله عليه السلام،  
فصرعوا مصارعهم حيث قد علمت، لم يمنعوا حريماً ولا دفعوا عظيماً وأنا صاحبهم  
في تلك المواطن والفأل لحدهم والقاتل لصناديدهم صنديد الضلالة ومتابعي  
الجهالة، وأنت خلفهم فبئس الخلف يتبع السلف في نار جهنم، والله لا يهدي القوم  
الظالمين.

قال: فكتب إليه معاوية: أما بعد! فقد طال في الغي إدراجك، وعن الحرب إبطاؤك، وعن النفاق تقاعسك، وعن الوقوف جداتك وتوعد وعيد البطل المحامي، وتروغ وروغان الثعلب المواري، ما أعدك لكتاب وأكلك عن الضراب الذي لا بد لك فيه من لقاء أسباب، صادقة نياتهم، شديدة بصائرهم، يضربون عن الحق من التوى، ويوفون بالعهد من إليهم ضوى، وما أقرب ما تعرف إن لم يتداركك الله منه برحمته، ويخرجك من أثر الغواية التي طال فيها تجبرك، وعن قريب تعرف عاقبة فعلك، وكفى بالله عليك رقبيا - والسلام - .

قال: فكتب إليه علي: من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن صخر، أما بعد! فالعجب لما تتمنى وما يبلغني عنك، وما أعرفني بمنزلتك التي أنت إليها كائن، وليس إبطائي عنك إلا لوقت أنا به مصدق وأنت به مكذب، وكأني بك وأنت تعج في الحرب عجيج الجمال بأثقالها، وكأني بك وأنت تدعوني بآبن آكلة الأكباد جزعا من النفاق المتتابع والقضاء الواقع ومصارع بين مصارع إلى كتاب الله، وأنتم به كافرون، لحدوده جاحدون.

قال: فقال له عمرو بن العاص: ويحك يا معاوية! إلى كم تكاتب عليا؟ فوالله لو اجتمع عليه كل كاتب بأرض الشام لما قدروا على إجابته! فحسبك من مكاتبته واعزم على محاربتة أو مسالمتة.

ذكر خروج معاوية من الشام إلى صفين لحرب علي رضي الله عنه.  
قال: فعندها جمع معاوية الناس (١)، فجعل علي ميمنته عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعلى ميسرته عبد الله بن عمرو بن العاص، وعلى مقدمته أبا الأعور السلمي، وعلى سابقته بسر بن [أبي] أرطاة الفهري، وسار معاوية في أهل الشام بأجمعهم، وبين يديه مروان بن الحكم على فرس أغر محجل وقد تقلد بسيف عثمان بن عفان، حتى نزل بأول منزل من دمشق، فضرب عسكره هنالك لكي تتلاحق به الناس وكتب مروان إلى علي رضي الله عنه أبياتا من الشعر يقول مطلعها:  
نسير إلى أهل العراق وإننا \* لنعلم ما في السير من شرف القتل

(١) انظر في تعبئة معاوية الناس لآخبار الطوال ص ١٦٧ والإمامة والسياسة ١ / ١٢٣ وقعة صفين ص ١٥٦ و ٢٠٦ - ٢٠٧ وانظر صفحة ٢١٣.

إلى آخرها.

فلما ورد هذا الشعر على أهل العراق علم علي وأصحابه بأن معاوية فصل من دمشق إلى ما قبله، فقال للنجاشي بن الحارث: أجب مروان على شعره هذا، فأجابه النجاشي وهو يقول شعرا مطلعها:  
نسير إليكم بالقبائل والقنا\* وإن كان فيما بيننا شرف القتل  
إلى آخرها.

قال: وسار معاوية بخيله ورجله (١) حتى نزل في صفيين في ثلاثة وثمانين ألفا (٢)، وذلك لأيام حلت من المحرم، فسبق إلى سهولة الأرض وسعة المرعى وقرب الفرات فنزل هنالك، ثم إنه بنى بنيانا له، وضرب القباب والخيام والفساطيط، وبنيت المعالف للخيل، واجتمعت إليه العساكر من أطراف البلاد فصار في عشرين ومائة ألف، ثم إنه كتب إلى علي رضي الله عنه بهذه الأرجوزة (٣):  
لا تحسبين يا علي غافلا\* لأوردن الكوفة القبائل  
والمشرفي والقنا الذوابلا\* من عامنا هذا وعاما قابلا  
فكتب إليه علي رضي الله عنه بهذه الأبيات:  
أصبحت مني يا بن هند جاهلا\* لأرمين منكم الكواهلا (٤)  
تسعين ألفا رامحا ونابلا\* يزدجرون الأرض والسواهلا  
بالحق والحق يزيح (٥) الباطلا\* هذا لك العام وزرني (٦) قابلا

- 
- (١) في ابن الأثير ٢ / ٣٦١ وسار معاوية وتأنى في مسيره، فلما رأى ذلك الوليد بن عقبة بعث إليه يقول (أبيات مطلعها):  
ألا أبلغ معاوية بن حرب\* فإنك من أخي ثقة مليم  
فكتب إليه معاوية:  
ومستعجب مما يرى من أناتنا\* ولو زبنته الحرب لم يترمرم.
- (٢) في مروج الذهب ٢ / ٤١٦: ٨٥ ألفا، وفي العقد الفريد ٤ / ٣٣٧ في بضع وثمانين ألفا.
- (٣) الأرجاز في وقعة صفيين ونسبها لعمر بن العاص. ص ١٣٦.
- (٤) في وقعة صفيين ص ١٣٧: إن لم نرام منكم الكواهلا.
- (٥) وقعة صفيين: يزيل.
- (٦) وقعة صفيين: وعام قابلا.

وكتب علي رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص:  
لأصبحن العاص وابن العاصي \* تسعين (١) ألفا عاقدي النواصي  
مستحقين حلق الدلاصي \* قد جنبوا الخيل مع القلاص (٢)  
آساد غيل حين لا مناص  
فكتب عمرو بن العاص إلى علي رضي الله عنه أبياتا مطلعها:  
ألست بالعاصي وشيخ العاصي \* من معشر في غالب مصاص  
إلى آخرها.

قال: ثم كتب إليه قيس بن سعد بن عبادة أبياتا مطلعها:  
معاوي قد كنت رخو الخناق \* فألحقت حربا يضيق الخناق  
إلى آخرها.

قال: فنأدى علي في الناس فجمعهم، ثم خطبهم خطبة بليغة وقال: أيها  
الناس! إن معاوية بن أبي سفيان قد وادع ملك الروم، وسار إلى صفين في أهل  
الشام عازما على حربكم، فإن غلبتموهم استعانوا عليكم بالروم، وإن غلبوكم فلا  
حجاز ولا عراق، وقد زعم معاوية لأهل الشام أنهم أصبر منكم على الحرب، وهذا  
كلام يستحيل عن الحق، لأنكم المهاجرون والأنصار والتابعون، والقوم أهل شبهة  
وباطل، وإنما سميت شبهة لأنها تشبه الحق ولا يخلو أن يكون فيها رشح من  
الهدى، فخذوا في أهبة الحرب فقد تقارب إهراق دماء القاسطين، ألا! وإن  
المشورة فيها البركة، فهاتوا رحمكم الله ما عندكم.  
قال: فقام إليه عمار بن ياسر فقال: يا أمير المؤمنين! إن استطعت أن لا تقيم  
يوما واحدا فافعل، واشخص (٣) بنا إلى عدونا من قبل اجتماع عدونا على الصدور  
والفرقة، فإذا وافيت القوم فادعهم إلى حظهم ورشدهم، فإن قبلوا سعدوا، وإن أبوا  
إلا حربنا فوالله! إن سفك دمائهم، والجد في جهادهم لقربة إلى الله عز وجل وكرامة  
منه.

(١) ابن الأثير ٢ / ٣٦١ ووقعة صفين ١٣٦: سبعين.  
(٢) كان العرب إذا أرادوا حربا فساروا إليها ركبوا الإبل وقرنوا إليها الخيل لإراحة الخيل وصيانتها.  
(٣) وقعة صفين ص ٩٢: اشخص بنا قيل استعار نار الفجرة، واجتماع رأيهم على الصدود والفرقة.

ثم قام قيس بن سعد بن عبادة فقال: يا أمير المؤمنين! اكمش (١) بنا إلى الحرب عدونا ولا تعرج، فوالله! إن جهادهم لاحب إلينا من جهاد الروم والترك والديلم، لادهانهم (٢) في دين الله واستذلّالهم لأولياء الله، إذا غضبوا على رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبسوه أو ضربوه أو حرموه أو سيروه (٣)، وفيئنا لهم في أنفسهم حلال ونحن لهم كمين (٤).

قال: فتكلمت الأشياخ من الأنصار (٥) وقالوا: يا قيس! لم بدأت أشياخ قومك بالكلام؟ قال: فاستحيا قيس ثم قال: والله! إني لعارف بفضلكم معظم لأنسابكم، وإنكم لساداتي وعمومتي ولكني قد وجدت، الذي في صدري قد جاش، فلم أجد بدا من الكلام. قال: فأمسك عنه القوم وقام سهل بن حنيف الأنصاري فقال: يا أمير المؤمنين! نحن سلم لمن سالمت وحرب لمن حاربت، ورأينا رأيك، متى دعوتنا أجنبناك ومتى أمرتنا أطعنك، وليس عليك منا خلاف - والسلام -.

قال: فوثب حنظلة بن الربيع التميمي (٦) فقال: يا أمير المؤمنين! إنا قد مشينا إليك بنصيحة فاقبلها منا ولا تردها علينا، فإننا قد نظرنا لك ولمن معك من المسلمين، الرأي عندنا أنك تقيم ولا تعجل بالمسير إلى قتال أهل الشام، فإنني والله لا أدري على من تكون الدائرة.

قال: فتكلم عبد الله بن المعتمر (٧) فقال: إن الله تبارك وتعالى رب (٨) العباد والبلاد يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، فأما الدائرة (٩) فإنها على الظالمين العاصين القاسطين ظفروا أو لم يظفروا.

(١) الانكماش: الاسراع والجد.

(٢) الادهان: الغش والمصانعة. قال تعالى: (ودوا لو تدهن فيدهنون).

(٣) إشارة إلى تسيير عثمان بعض الصحابة من المدينة أمثال أبي ذر الغفاري وغيره. وقد مر ذلك.

(٤) وقعة صفين: قطين. إشارة إلى قول سعيد بن العاص لأهل الكوفة إن سواد قطين لقريش، وقد مر ذلك.

(٥) منهم خزيمة بن ثابت، وأبو أيوب الأنصاري.

(٦) عن الإصابة ووقعة صفين، وبالأصل: ربيعة التيمي.

(٧) كذا بالأصل، وفي الإصابة ووقعة صفين: ابن المعتمر.

(٨) وقعة صفين ص ٩٦: وارث.

(٩) وقعة صفين: الديرة.

قال: فوثب عباس بن شريك العبسي فقال: يا أمير المؤمنين! إنه قد بلغنا أن صاحبنا هذا عبد الله بن المعتمر ممن يكاتب معاوية، فاحبسه عندك إلى أن تفرغ من غزاتك وإلا فأمكننا منه حتى نقلته.

قال: ثم وثب مالك (١) فقال: يا أمير المؤمنين! إن حنظلة بن الربيع (٢) أيضا ممن يكاتب معاوية، فادفعه إلينا وإلا فاحبسه إلى أن تفرغ من أمرك.

قال: فقال علي رضي الله عنه: يا حنظلة ويا بن المعتمر! إني قد سمعت كلامكما والله بيني وبينكما وإليه أكلكما، فاذهبا حيث شئتما! قال: فهربا جميعا، فأما عبد الله بن المعتمر فصار إلى معاوية، وأما حنظلة فاعتزل الفريقين جميعا (٣). قال: ثم وثب عدي بن حاتم (٤) الطائي فقال: يا أمير المؤمنين! إنك ما قلت إلا بعلم ولا دعوت إلا إلى الحق ولا أمرت إلا بالرشد، ولكن آن أن تتأني بالقوم ولا تعجل بالمسير إليهم، وتبعث إليهم بكتبك وتقدم عليهم رسلك، فإن يقبلوا يصيبوا رشدهم، والعاقبة أوسع لنا ولهم، وإن ساروا (٥) في الشقاق ولم ينزعوا عن الغي فسر وقد قدمنا إليهم العذر (٦).

قال: فوثب زيد بن صوحان (٧) العبدي فقال: والله! لئن كنا في شك من خلاف من خالفنا فإنه لا يصلح لنا البتة قتالهم، وكيف نتأني بالقاسية قلوبهم، القليل في الاسلام حقهم، أعوان الظلم ومؤسسي أساس الحقد والظلم والعدوان، وليسوا من المهاجرين والأنصار ولا من التابعين بإحسان. قال: فقام رجل من بني طيء فقال: يا زيد بن صوحان (٧)! أتهجر (٨) كلام سيدنا عدي بن حاتم وتعرض عليه؟

(١) هو مالك بن حبيب اليربوعي.

(٢) بالأصل: ربيعة وقد مر.

(٣) في وقعة صفين: هرب إلى معاوية. قال: ولكنهما لم يقاتلا مع معاوية واعتزلا الفريقين جميعا.

(٤) بالأصل: حازم) خطأ.

(٥) وقعة صفين ص ٩٩: يتمادوا.

(٦) زيد في وقعة صفين: ودعوناهم إلى ما في أيدينا من الحق، فوالله لهم من الله أبعد، وعلى الله

أهون، من قوم قاتلناهم بناحية البصرة أمس، لما أجهد لهم الحق فتركوه...

(٧) وقعة صفين ص ٩٩: زيد بن حصين الطائي: والمعروف أن زيد بن صوحان قتل مع علي في معركة

الجمل (تاريخ خليفة ص ١٩٠).

(٨) وقعة صفين: تهجن.

فقال زيد: ما أنتم بأعرف بحق عدي بن حاتم مني، ولكن لا أدع القول بالنصيحة والحق وإن سخط الناس. فقال عدي بن حاتم: يا زيد! الناس في الحق سواء، ومن نصح فقد قضى ما عليه.

قال: ثم وثب أبو زينب بن عوف فقال: يا أمير المؤمنين! والله لئن كنا على الخلاف لانت أهدانا سبيلا ولأعظمتنا في الخير نصيبا، ولئن كنا على ضلال إنك لأثقلنا ظهرا وأعظمتنا وزرا، وقد أمرتنا بالمسير إلى أهل الشام (١)، وقد قطعنا ما بيننا وبينهم من الولاية، وأظهرنا لهم فيك العداوة، ونريد بذلك ليعلم الله ما في أنفسنا، فليس (٢) الذي نحن عليه هو الحق المبين، والذي عليه عدونا هو الغي والضلال الكبير. فقال علي: قل لي يا أبا زينب! أشهد أنك مضيت معنا ناصرا لدعوتنا صحيح النية في نصرتنا، وإنك إن قطعت لهم الولاية وأظهرت لهم العداوة فما زعمت أنك ولي الله تسبح في رضوانه وتركض في طاعته، فأبشر يا أبا زينب! قال: والتفت إليه عمار بن ياسر فقال: يا أبا زينب! أثبت ولا تشكك في الأحزاب، فإنهم حزب الله وحزب الرسول.

قال: ثم وثب يزيد بن قيس الأرحبي فقال: يا أمير المؤمنين! إننا على جهاز وعدة، وأكثر الناس أهل قوة ونجدة ومن ليس به ضعف ولا علة، فمر مناديك فليناد في الناس أن يخرجوا إلى معسكرهم بالنخيلة (٣)، فإن أخا الحرب ليس بالسؤم ولا بالثؤم، ولا يؤخر عمل اليوم في الحرب إلى غد وبعد غد، ولكن (٤) توكل على الله عز وجل وثق به واشخص بنا إلى عدونا راشدا معانا، فإن يرد الله بهم خيرا تبعوك، فوالله ما يجدون مثلك في السابقة والقراة من محمد صلى الله عليه وسلم، وإن أبوا إلا حربنا استعنا

بالله عليهم، ونرجو أن يصرعوا مصارع إخوانهم بالأمس.

قال: ثم وثب عبد الله بن بديل (٥) بن ورقاء الخزاعي فقال: يا أمير المؤمنين! إن أهل الشام لو كانوا لله عز وجل يقاتلون وإياه يريدون لما خالفونا، ولكنهم إنما يقاتلوننا على دنياهم التي في أيديهم وعلى إحن واثراث وعداوة يجدونها في

(١) وقعة صفين ص ١٠٠: إلى هذا العدو.

(٢) وقعة صفين: أليس.

(٣) النخيلة: موضع قرب الكوفة. وبالأصل: (النخلة) والصواب ما أثبتناه عن معجم البلدان والطبري.

(٤) هذا كلام زياد بن النضر كما في وقعة صفين ص ١٠١.

(٥) عن وقعة صفين، وبالأصل: (يزيد) خطأ.

صدورهم ويضمرونها في أنفسهم. ثم قال: أيها الناس! وكيف يبايع معاوية عليا وقد قتل أخاه وخاله وجده وعم أمه في يوم بدر، والله! ما أظن أنهم يبايعون عليا أبدا وتقطع هاماتهم بالسيوف وتكسى حواجبهم بعمد الحديد.

قال: فعندها خرج حجر بن عدي وعمرو بن الحمق الخزاعي، فجعلا يظهران البراءة من أهل الشام واللعنة لهم، فأرسل إليهما علي أن (كفا عما يبلغني عنكما) فأقبلا إلى علي وقالا: يا أمير المؤمنين! ألسنا على الحق؟ قال: بلى! قالوا: فلم تمنعنا عن شتمهم ولعنهم؟ فقال: لأنني أكره لكم أن تكونوا لعانين شتامين، ولكن لو وصفتم مساوئ أعمالهم كذا لكان ذلك أصوب في القول وأبلغ في الرأي، ولو قلت: اللهم! احقن دماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهداهم من ضلالتهم (١)، لكان ذلك أحب إلي لكم. فقالوا: يا أمير المؤمنين! فإننا نقبل عظمتك ونتأدب بأدبك.

قال: ثم أقبل عليه عمرو بن الحمق فقال: يا أمير المؤمنين! والله ما أحببتك وبايعتك على قرابة بيني وبينك، ولا لان عندك ما لا تعطينه ولا التماس سلطان يرفع ذكري! ولكنني أحببتك بخصال خمس: لقدمك وسابقتك وقرابتك وشجاعتك وعلمك (٢)، فلو أنني كلفت ثقل الجبال الرواسي ونزوح البحار الطوامي في أمر أقوي به وليك وأوهن به عدوك لما رأيت أنني أديت فيه بعض الذي يجب علي من حقتك. فقال علي رضي الله عنه: اللهم! نور قلبه بالتقى واهداه إلى صراطك المستقيم، يا عمرو! لوددت أن في جندي مائة رجل مثلك! فقال حجر بن عدي: إذا والله يا أمير المؤمنين ما فينا إلا من هو ناصح لجنحك ومن يريد أن يقتل بين يديك. قال: ثم كتب علي إلى عماله يأمرهم بالمسير إليه، وأعلمهم أنه يريد أن يسير إلى الشام لمحاربة أهلها، فأقبل إليه عبد الله بن عباس من البصرة، ومخنف بن سليم من أصفهان، وسعيد بن وهب من همدان، فاجتمع إليه عماله من جميع البلاد التي كانت في يده، وآخر من قدم عليه من عماله الربيع بن خيثم، قدم من الري في

(١) زيد في وقعة صفين ص ١٠٣ حتى يعرف الحق منهم من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به.

(٢) في وقعة صفين ١٠٣: لخصال خمس: أنك ابن عم رسول الله (ص). وأول من آمن به، وزوج سيده نساء الأمة فاطمة بنت محمد (ص)، وأبو الذرية التي بقيت فينا من رسول الله (ص)، وأعظم رجل من المهاجرين سهما في الجهاد.

أربعمائة رجل أن يزيدون.

قال: ثم خطب علي رضي الله عنه الناس وندبهم إلى المسير إلى الشام، فقوم أسرعوا وأجابوا، وقوم كرهوا الخروج إلى الشام.

ودعا علي رضي الله عنه جماعة من باهلة فقال: يا معشر باهلة! إني قد علمت أنكم تبغضوني وأنا أبغضكم، فخذوا عطاءكم واخرجوا إلى الديلم وإلى حيث شئتم، قال: فوثب الأحنف بن قيس فقال: ولكننا والله يا أمير المؤمنين نحبك ونبراً من عدوك! ولنخرجن معك على العسر، واليسر، نحسب في ذلك الخير ونؤمل به العظيم من الاجر.

قال: فعندها أمر علي رضي الله عنه الحارث الأعور أن ينادي في الناس أن (أخرجوا إلى معسكركم بالنخيلة)، وأمر مالك بن حبيب اليربوعي أن يحشر الناس إلى المعسكر، ثم دعا بأبي مسعود عقبة بن عمرو (١) فاستخلفه على الكوفة، ونادى في الناس بالرحيل، فرحلت الناس (٢) وهم يومئذ تسعون ألفاً وثمانمائة رجل (٣) ممن بايع النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة، قال سعيد بن جبير: كان مع علي رضي الله عنه يومئذ

ثمانمائة رجل من الأنصار وتسعمائة ممن بايع تحت الشجرة، قال الحكم بن عتيبة: شهد مع علي يومئذ ثمانون بدرية وخمسون ومائتان ممن بايع تحت الشجرة، قال سليمان بن مهران (٤) الأعمش: كان مع علي يومئذ ثمانون بدرية وثمانمائة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. قال عبد الرحمن بن أبي بكر: كان مع علي سيد التابعين

أويس القرني، وقتل بصفين بين يدي علي رضي الله عنه. خبر أويس القرني رحمه الله.

قال: وسأل رجل عبد الله بن عباس عن أويس القرني (٥) فقال ابن عباس:

(١) في مروج الذهب ٢ / ٤١٥ (عقبة بن عامر)، وهو من السبعين الذين بايعوا رسول الله (ص) ليلة العقبة.

(٢) وكان ذلك يوم الأربعاء لخمس خلون من شوال سنة ٣٦ (مروج الذهب ٢ / ٤١٥ وقعة صفين ص ١٣١).

(٣) كذا بالأصل ومروج الذهب، وفي العقد الفريد ٤ / ٣٣٧: ٩٥ ألفاً.

(٤) عن تهذيب التهذيب، وبالأصل: (مرآة).

(٥) هو أويس بن عامر القرني، سيد التابعين، روى له مسلم، والقرني بفتح القاف والراء نسبة إلى قرن، وهم من بطون جعفي بن سعد العشيرة (تقريب التهذيب - الاشتقاق لابن دريد ص ٢٤٥ حلية الأولياء ٢ / ٧٩ طبقات ابن سعد ٦ / ١٦١ تهذيب تاريخ دمشق ٣ / ١٥٧ تهذيب التهذيب ١ / ٣٨٦).

ويحك! أويس القرني له شأن عظيم، وهو سيد التابعين! وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لأصحابه: (يكون في أمتي رجل يقال له أويس القرني، يدخل في شفاعته عدد ربيعة ومضر، لو أقسم على الله لأبر قسمه، فمن لقيه من بعدي فليقرئه مني السلام)، قال فقال له علي: يا رسول الله! وفينا من يلقاه؟ فقال: (نعم يا علي أنت تلقاه، فإذا لقيته فأقرئه مني السلام واسأله أن يدعو لك بالخير)! فقال علي: يا رسول الله! وما علامته؟ فقال: (هو رجل أصهب أشهل، ذو طمرين أبيضين، إذا غاب لم يفتقد، وإذا طلع لم يفرح بطلعته، وإذا سلم لم يرد عليه). قال ابن عباس: فلم يزل بعد ذلك يحب أن نرى من يخبرنا عنه حتى كان زمن عمر بن الخطاب، فقدم عليه أهل الكوفة فقال لهم عمر: يا أهل الكوفة! هل تعرفون عندكم رجلا من اليمن يقال له أويس القرني؟ فقال رجل: نعم يا أمير المؤمنين! عندنا رجل من قرن يقال له أويس، غير أنه نسخر منه وأهل الكوفة يهزؤون به، قال: فتنفس عمر صعداء وقال: ويحك! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أنه

يقدم إلى الكوفة رجل من اليمن يقال له أويس القرني، وليس له بها إلا أم، وقد كان به بياض من برص، فدعا الله أن يذهب عنه، فأذهبه إلا مثل مقدار الدينار والدرهم، لو أقسم على الله عز وجل لأبر قسمه (١)، يدخل في شفاعته يوم القيامة عدد ربيعة ومضر، قال: فشقق شهقة ثم قال: واشوقاه إلى النظر إليه. قال: فسكت الكوفيون وأخفوا ذلك في أنفسهم حتى رجعوا إلى الكوفة ثم نظروا إلى أويس القرني بغير العين التي كانوا ينظرون إليه بها، ثم إنهم كانوا يذهبون إليه ويسألونه أن يستغفر لهم، فقال لهم أويس: يا أهل الكوفة! إنكم قد كنتم فيما مضى تسخرون مني وتهزؤون بي فما الذي بدا لكم حتى أنكم تسألوني الاستغفار لكم؟ فقالوا له: إن عمر بن الخطاب أخبرنا عنك بكذا وكذا، قال: واستغفر أويس لبعضهم، ثم إنه غاب فلم ير بالكوفة بعد ذلك. قال: وجعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل عنه الرفاق عشر سنين فلم يسمع له خبرا، فلم يزل كذلك حتى كان آخر حجة حجها عمر، فسأل عنه كما كان

(١) أخرجه مسلم في ٤٤ فضائل الصحابة (٥٥ باب) (ح ٢٢٣) ص ١٩٦٨.

يسأل (١)، فإذا برجل من قرن قد وثب إليه فقال له: يا أمير المؤمنين! إنك قد أكثرت السؤال عن أويس هذا، وما فينا أحد اسمه أويس إلا ابن أخ لي وأنا عمه، غير أنه أحمل ذكرا وأوهن (٢) أمرا من أن يرفع إليك ذكره، قال: فسكت عمر وظن أنه ليس أويسا الذي يريد، ثم أقبل وقال: يا شيخ! وأين ابن أخيك هذا الذي تزعم، أهو معنا بالحرم؟ فقال الشيخ نعم يا أمير المؤمنين! هو معنا بالحرم، غير أنه في أراك عرفة يرعى إبلا لنا.

قال: فاستوى عمر بن الخطاب جالسا هو وعلي بن أبي طالب على حمارين لهما، وخرجا من مكة وأسرعوا السير إلى عرفة وجعلا يتخللان الشجر، فإذا هما بأويس القرني في طمرين من صوف أبيض وقد صف قدميه قائما يصلي وقد رمى ببصره إلى موقع سجوده وألقى يده على صدره، فقال عمر لعلي: يا أبا الحسن! إن كان في الدنيا أويس القرني فهذا هو وهذه صفته، قال: ثم نزلا عن حماريهما فشدهما إلى أراكة، قال ثم أقبلا إليه يريدانه، فلما سمع أويس أوجز صلاته ثم تشهد وسلم، وتقدما إليه فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال أويس: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فقال له عمر: من أنت يرحمك الله؟ فقال: راعي إبل، فقال عمر: ليس عن الرعاية أسألك، إنما أسألك عن اسمك، فمن أنت يرحمك الله؟ فقال: أنا عبد الله وابن عبده وابن أمته، فقال عمر: إننا قد علمنا أن كل من في السماوات والأرض عبيد الله، وإننا نقسم عليك بحق الحرم والمسجد المعظم إلا أخبرتنا باسمك الذي سمتك به أمك! فقال: أنا أويس بن عبد الله، فقال عمر: الله أكبر! نحب أن توضح لنا عن شقك الأيسر، فقال: وما حاجتكما إلى ذلك؟ فقال له علي: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفك لنا وقد وجدنا الصفة كما

أخبرنا (٣)، غير أنه أعلمنا أن بشقك الأيسر بياضا كمقدار الدينار والدرهم، ونحن نحب أن ننظر إلى ذلك، قال: فأوضح لهما عن شقه الأيسر، فلما نظر علي وعمر إلى اللعة البيضاء ابتدراها أيهما يقبل قبل صاحبه، ثم بكيا طويلا وقالا: يا أويس! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نقرئك منه السلام، وأمرنا أن نسألك أن تستغفر لنا، فإن

(١) في حلية الأولياء ٢ / ٨٢ قام علي أبي قبيس فنادى بأعلى صوته: يا أهل الحجيج من أهل اليمن، أفيكم أويس من مراد؟

(٢) حلية الأولياء: وأقل مالا، وأهون أمرا.

(٣) وهي الصهوبة والشهولة (حلية الأولياء).

رأيت أن تستغفر لنا يرحمك الله فقد أخبرنا أنك سيد التابعين، وأنتك تشفع يوم القيامة في عدد ربيعة ومضر، قال: فبكى أويس بكاء شديدا ثم قال: عسى أن يكون ذلك غيري، فقال علي رضي الله عنه: إنما قد تيقنا أنك أنت هو ونحن لا نشك في ذلك، فادع لنا يرحمك الله بدعوة وأنت محسن، فقال أويس: إني لا أدعو لرجل ولا لرجلين ولا ثلاث، وإنما دعائي في البر والبحر للمؤمنين والمؤمنات في ظلم الليل وضياء النهار، ولكن من أنتمما يرحمكما الله؟ فإني قد أخبرتكما باسمي وشهرت لكما أمري، ولم أكن أحب أن يعلم بمكاني أحد من الناس، فقال علي: أنا علي بن أبي طالب وهذا عمر بن الخطاب، قال: فوثب أويس فرحا مستبشرا فعانقهما وسلم عليهما ورحب بهما فقال: يا أبا الحسن! ومثلي يستغفر لأمثالكما! فقال علي: نعم، إنما قد احتجنا إلى ذلك منك، فخصنا رحمك الله منك بدعوة حتى نؤمن على دعائك! قال: فرفع أويس رأسه وقال: اللهم! إن هذين يذكران أنهما يحباني فيك وقد زاراني من أجلك، فاغفر لهما وأدخلهما في شفاعتي نبيك محمد صلى الله عليه وسلم. فقال له عمر: الميعاد بيني وبينك غدا في هذا الموضوع، فقال أويس:

وما تريد؟ فقال عمر: أحببت أن آتيك بكسوة وشئ من نفقة، فإني أراك رث الحال، فقال أويس: سبحان الله! ألا ترى علي طمرين جديدين جبة وكساء ونعلاي قد خصفتها ومعى أربعة دراهم قد أخذتها من أجرتي ولي عند القوم حساب؟ فمتى أكل هذا؟ يا أبا الحسن ويا أبا حفص إن الدنيا غدارة، غرارة، زائلة، فانية، فمن أمسى وهمه فيها اليوم مد عنقه إلى غد، ومن مد عنقه إلى غد علق قلبه بالجمعة، ومن علق قلبه بالجمعة لم يئس من الشهر، ويوشك أن يطلب السنة، وأجله أقرب إليه من أمله، ومن رفض هذه الدنيا أدرك ما يريد غدا من مجاورة الجبار، وجرت من تحت منازل الأنهار، وتدلّت من فوقه الثمار، قال: ثم سلم عليهما ومضى يسوق الإبل بين يديه وعلي وعمر ينظران إليه حتى غاب فلم ير.

قال: وجعل بعد ذلك عمر يسأل عنه، فلم يخبره أحد أنه رآه إلا أن يكون الربيع بن خيثم، فإنه قال: أتيت موضعه فأصبت على شاطئ الفرات قائما يصلي فقلت في نفسي ينصرف من صلاته وأقوم إليه فأكلمه، فلما صلى بسط كفيه إلى الله فلم يقبضهما إلى وقت العصر، ثم قام فصلى وبسط يديه فلم يقبضهما إلى وقت العشاء الأولى، ثم قام فصلى وبسط يديه فلم يقبضهما إلى وقت العشاء الآخرة، ثم قام فصلى ووصلها، فلم يزل راکعا وساجدا حتى أصبح، فأذن وأقام وصلى

الصباح، ثم بسط يديه إلى الله عز وجل فلم يقبضهما إلى أن طلعت الشمس، ثم خفق برأسه خفقة ووثب إلى الماء، فتطهر وعزم على الصلاة، قال الربيع: فدنوت منه وقلت له: رحمك الله! لقد أتعبت نفسك، فقال: لأني أريد راحتها غدا، فقلت له: يا أخي! من أين لك المطعم؟ فقال: إن ربي عز وجل قد تكفل لي بذلك، وإني مني على بال، يا ربيع! فلا تعد إلى مثل هذا الكلام.

قال: ثم مر أويس فلم يره بعد ذلك إلا هرم بن حيان العبدى، فإنه قال: كنت أسأل عن أويس القرني مدة من عمري، فلم يعطني أحد خبره، حتى دخلت إلى الكوفة فسألت عنه، فقيل لي: إن أكثر مأواه على شاطئ الفرات، فإذا أنا به يغسل ثوبه، قال: فعرفته بالصفة والنعمة الذي نعت لي، فدنوت منه وسلمت عليه، فرد علي السلام، قال: وخنقتني العبرة لما رأيت من سوء حاله، فقلت: حياك الله يا أويس! فقال: وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان! ولكن من ذلك على موضعي هذا؟ قال: فقلت (١): دلني عليك من عرفني اسمك، فقال أويس: سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا. قال هرم: فقلت له: رحمك الله! من أين عرفت اسمي واسم أبي ولم أرك ولم ترني قبل اليوم؟ قال أويس: إذا أخبرك يا هرم! عرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك، وإن المؤمنين يتعارفون بنور الله عز وجل فإن لم يلتقوا وإن نأت بهم الدار. قال هرم فقلت: رحمك الله! حدثني حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحفظه عنك! فقال أويس: إني لم أر (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحدث عنه ولم تكن لي معه صحبة، ولكن قد رأيت من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد

انتهى إلي من حديثه كبعض ما انتهى إليكم، ولست أحب أن أفتح هذا الباب على نفسي لاحد فأكون محدثا، ولي في نفسي شغل عن ذلك يا بن حيان، قال: فقلت له أتل علي شيئا من كتاب الله تعالى اسمعه منك، وادع لي بدعوة، وأوصني بوصية! فقال أويس: نعم، قال ربي وهو أفضل كل قائل وصدق وقوله أصدق الحديث: (وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لعبين\* وما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون\* إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين\* يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون\* إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم\*) (٣) قال: ثم

(١) حلية الأولياء ٢ / ٨٤ قلت الله عز وجل.

(٢) حلية الأولياء: لم أدرك.

(٣) سورة الدخان الآيات ٣٨ - ٤٢.

شهبق شهقة كادت روجه أن تخرج، ثم أقبل علي فقال: يا هرم! مات محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم فمن يطمع في البقاء؟ يا هرم! مات فلان ومات فلان ونحن في ديوان

الموتى، يا هرم! فعليك بذكر الموت، وإياك أن تفارق سنة الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فتفارق دينك وأنت لا تشعر فتدخل النار! قال: ثم رفع ويس طرفه نحو

السماء فقال: اللهم! إن هذا يزعم أنه يحبني فيك وقد زارني من أجلك، فاجمعني وإياه غدا في دارك دار السلام، وأرضه، من هذه الدنيا باليسير، واجعله لأنعمك من الشاكرين. ثم قال: استودعك الله يا هرم وأقرأ عليك السلام، انظر! لا تطلبني بعد هذا اليوم، ولا تسأل عني، ولكن اذكرني بقلبك وادع لي، فإني أذكرك بقلبي وأدعو لك إن شاء الله تعالى، خذ أنت ههنا وأخذ أنا ههنا.

قال هرم: فطلبت أن يدعني أن أمشي معه ساعة فأبى، ففارقتة وأنا أبكي، وجعلت أنظر في قفاه حتى دخل بعض (١) أزقة الكوفة. قال: ثم إنني طلبته بعد ذلك وسألته عن ذلك فما أعطاني أحد خبره، قال هرم: ولا أعلم أنه أتت علي جمعة إلا وأنا أراه في منامي مرة أو مرتين، حتى إذا تحرك علي رضي الله عنه بالكوفة وعزم على المسير إلى معاوية أقبل إليه أويس القرني، فسلم عليه وخرج معه [إلى] صفيين، فقتل هنالك في رجالة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

-----  
(١) حلية الأولياء: ثم دخل في بعض السكك.

ذكر خروج علي بن أبي طالب أمير المؤمنين رضي الله عنه إلى صفين لمحاربة معاوية.

قال: ثم خطب علي رضي الله عنه وحثهم على جهاد أهل الشام والمسير إليهم وجعل يقول: سيروا إلى قتال أهل الشام العمارة الطغاة! سيروا إلى أولياء الشيطان وأعداء السنة والقرآن! سيروا إلى الكذبة الفجار وقتلة المهاجرين والأنصار! سيروا! فقد أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فو الله لقد قرأت ما بين دفتي المصحف، فقلبت هذا الأمر ظهرا لبطن فما وجدت إلا قتالهم والصدق بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وجعل عمار بن ياسر يرتجز ويقول: سيروا إلى الأحزاب أعداء النبي \* سيروا فخير الناس أتباع علي (١) قال: ثم دعا علي رضي الله عنه بفرس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء بالفرس، فلما

أراد أن يضع رجله في الركاب قال: بسم الله! فلما استوى على ظهر الفرس قال: (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين \* وأنا إلى ربنا لمنقلبون \*) (٢) ثم قال: اللهم! إنني أعوذ بك من وعشاء السفر وكآبة المنقلب في المال والأهل والولد، اللهم! أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل والحضر (٣).

(١) بعده في وقعة صفين ص ١٠١:

هذا أوان طاب سل المشرفي \* وقودنا الخيل وهز السمهري

(٢) سورة الزخرف الآيتان ١٣، ١٤.

(٣) زيد في وقعة صفين ص ١٣٢: ولا يجمعهما غيرك، لان المستخلف لا يكون مستصحبا، والمستصحب لا يكون مستخلفا.

ثم سافر وسار الناس معه حتى إذا عبر جسر الكوفة نزل فصلى ركعتين في مسجد أبي سبرة.

ثم سار حتى صار إلى دير أبي موسى على فرسخين من الكوفة فصلى هناك الظهر، فلما انفتل قال: سبحان من يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل! ثم أمر مناديه فنادى في الناس: ألا! من كان مشيعا لنا أو مقيما فليتم الصلاة فإننا على سفر، ومن كان سائرا معنا إلى عدونا فلا يصوم من إلا الفرض، والصلاة ركعتان. فسار حتى إذا صار إلى حمام عمر نزل فصلى هنالك العصر، فلما انفتل من صلاته قال: سبحان الذي ذي القدرة والقدم! سبحان ذي الطول والنعم! ثم نزل هنالك بعسكره، حتى إذا حانت المغرب قام فصلاها، فلما انفتل من صلاته: قال سبحانه ذي الملك والملكوت! سبحان ذي العز والجبروت، فلما صلى العشاء الآخرة انفتل من صلاته ثم قال: الحمد لله كلما أظلم الليل وغسق، والحمد لله كلما لاح نجم وخفق.

قال: وبات تلك الليلة هنالك، فلما أصبح سار وسار الناس معه، فإذا هو بنخل من وراء النهر (١)، فجعل يقول: (والنخل باسقت لها طلع نضيد\*) (٢)، ثم أقحم فرسه النهر فعبر إلى تلك الناحية، وسار حتى صار إلى أرض بابل حرك فرسه ثم قال: هذا موضع حتف، فسيروا لعلنا أن نصلي خارجا منه، ثم حرك وحرك الناس معه حتى جاز الصراة (٣)، ثم نزل فصلى هنالك الظهر (٤). ثم سار حتى نزل بدير كعب فأقام هنالك باقي يومه وليلته. وأصبح سائرا حتى نزل بكربلاء، ثم نظر إلى شاطئ الفرات وأبصر هنالك نخيلا فقال: يا بن عباس! أتعرف هذا الموضع؟ فقال: لا يا أمير المؤمنين ما أعرفه، فقال: أما! إنك لو

(١) يريد نهر نرس، وهو نهر حفره نرسي بن بهرام بنواحي الكوفة.

(٢) سورة ق الآية ١٠.

(٣) الصراة: نهر يأخذ من نهر عيسى من بلدة يقال لها المحول بينها وبين بغداد فرسخ، وهو من أنهار الفرات.

(٤) وقعة صفين: فصلى بالناس العصر.

عرفته كمعرفتي لم تكن تجاوزه حتى تبكي لبكائي، قال: ثم بكى علي رضي الله عنه بكاء شديدا، حتى اخضلت لحيته بدموعه وسالت الدموع على صدره، ثم جعل يقول: أواه! ما لي ولآل أبي سفيان! ثم التفت إلى الحسين رضي الله عنه فقال: اصبر أبا عبد الله! فلقد لقي أبوك منهم مثل الذي تلقى من بعدي.

قال: ثم جعل علي رضي الله عنه يجول في أرض كربلاء كأنه يطلب شيئا، ثم نزل ودعا بماء فتوضأ وضوء الصلاة، ثم قام فصلى ما شاء أن يصلي والناس قد نزلوا هنالك من قرب نينوى (١) إلى شاطئ الفرات، قال: ثم خفق برأسه خفقة فنام وانتبه فزعا فقال: يا بن عباس! ألا أحدثك بما رأيت الساعة في منامي؟ فقال: بلى يا أمير المؤمنين! فقال: رأيت رجالا بيض الوجوه، في أيديهم أعلام بيض، وهم متقلدون بسيوف لهم، فخطوا حول هذه الأرض خطة، ثم رأيت هذه النخيل وقد ضربت بسعفها الأرض، ورأيت نهرا يجري بالدم العبيط، ورأيت ابني الحسين وقد غرق في ذلك الدم وهو يستغيث فلا يغاث، ثم إني رأيت أولئك الرجال البيض الوجوه الذين نزلوا من السماء وهم ينادون: صبرا آل الرسول صبرا! فإنكم تقتلون على أيدي أشرار الناس، وهذه الجنة مشتاقة إليك يا أبا عبد الله! ثم تقدموا إلي فعزوني و قالوا: أبشر يا أبا الحسن! فقد أقر الله عينك بابنك الحسين غدا يوم يقوم الناس لرب العالمين، ثم إني انتبعت، فهذا ما رأيت، فوالذي نفس علي بيده! لقد حدثني الصادق المصدوق أبو القاسم صلى الله عليه وسلم أنني سأرى هذه الرؤيا بعينها في

خروجي إلى قتال أهل البغي علينا، وهذه أرض كربلاء الذي يدفن فيها ابني الحسين وشيعته وجماعة من ولد فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم، وأن هذه البقعة المعروفة في أهل

السموات تذكر بأرض كرب و بلاء، وليحشرن منها قوم يدخلون الجنة بلا حساب. ثم قال: يا بن عباس! اطلب لي حولها صيران الطباء، فطلبها ابن عباس فوجدها، ثم قال: يا أمير المؤمنين! قد أصبتها، فقال علي رضي الله عنه: الله أكبر! صدق الله ورسوله.

ثم قام علي رضي الله عنه يهرول نحوها حتى وقف عليها، ثم أخذ قبضة من بعر الطباء فشمها، فإذا لها لون كلون الزعفران ورائحة كرائحة المسك، فقال علي

(١) نينوى: ناحية بسواد الكوفة.

رضي الله عنه: نعم هي هذه بعينها، ثم قال: أتعلم ما هذه يا بن عباس؟ قال: لا يا أمير المؤمنين! فقال: إن المسيح عيسى بن مريم قد مر بهذه الأرض ومعه الحواريون، فشم هذا البعر كما شمته، وأقبلت إليه الطباء حتى وقفت بين يديه، فبكى عيسى وبكى معه الحواريون وهم لا يدرون لماذا يبكي عيسى عليه السلام، فقالوا: يا روح الله! ما يبكيك؟ ولماذا اختلست ههنا؟ فقال لهم: أتعلمون ما هذه الأرض؟ قالوا: لا يا روح الله! فقال: هذه أرض يقتل عليها فرخ الرسول أحمد المصطفى وفرخ ابنته الزهراء قرينة الطاهرة البتول مريم بنت عمران، ثم ضرب بيده عيسى إلى بعر الطباء فشمه وقال: يا معشر الحواريين! هذا بعر الطباء على هذا الطيب لا [نه] كان [من] حشيش هذه الأرض، ثم مضى عيسى ابن مريم صلوات الله عليه وقد بقيت هذه البعرات إلى يومنا هذا من ذلك الدهر، حتى أنها قد اصفرت لطول الزمان عليها، فهذه أرض الكرب والبلاء.

قال: ثم بكى علي رضي الله عنه وقال: يا رب عيسى! لا تبارك في قاتل ولدي والعنه لعنا كثيرا! ثم اشتد بكاء علي وبكى الناس معه حتى سقط على وجهه وغشي عليه، ثم أفاق فوثب فصلى ثماني ركعات وسلم من كل ركعتين، فكلما سلم جعل يتناول من ذلك البعر فيشمه، ويقول: صبرا أبا عبد الله! صبرا يا ثمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانة حبيب الله! ثم أخذ كفا من ذلك البعر فصره في ثوبه وقال:

لا يزال هذا مصرورا أبدا أو يأتي علي أجلي. ثم قال: يا بن عباس! إذا رأيتها من بعدي وهي تسيل دما عبيطا، فاعلم أن أبا عبد الله قد قتل. قال ابن عباس: فوالله لقد كنت أشد تحافظا لها بعد علي بن أبي طالب وأنا لا أحلها عن طرفي. قال ابن عباس: فلما رجع علي رضي الله عنه من صفين وفرغ من أهل النهروان دخل عليه الأعور الهمداني، فقال له علي رضي الله عنه: يا حارث! أعلمت أنني منذ البارحة كئيب حزين فزع وجل؟ فقال الحارث: ولم ذاك يا أمير المؤمنين؟ أندما منك على قتال أهل الشام وأهل البصرة والنهروان؟ فقال: لا، ويحك يا حارث! وإني بذلك مسرور، ولكنني رأيت في منامي أرض كربلاء، ورأيت ابني الحسين مذبوحا مطروحا على وجه الأرض، ورأيت الأشجار منكبة، والسماء مصدعة، والرحال متطأمة، وسمعت مناديا ينادي بين السماء والأرض وهو يقول: أفزعتمونا يا قتلة الحسين أفزعكم الله وقتلكم! ثم إنني انتبهت وأنا منه على

وجل لما رأيت، فقال له الحارث: كلا يا أمير المؤمنين! لا يكون إلا خيرا، فقال له علي رضي الله عنه: هيهات يا حارث! سبقت كلمة الله ونفذ قضاؤه، وقد أخبرني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أن ابني يقتله يزيد - زاده الله في النار عذابا - قال زهير بن الأرقم: فلما أصيب علي رضي الله عنه بضربة ابن ملجم دخلت عليه وقد ضم الحسين رحمة الله ورضوانه عليه إلى صدره وهو يقبله ويقول له: يا ثمرتي وريحانتي وثمرتي نبي الله وصفيه وذخيرة خير العالمين محمد بن عبد الله! كأني أراك وقد ذبحت عن قليل ذبحا، قال: فقلت: ومن يذبحه يا أمير المؤمنين؟ فقال: يذبحه لعين هذه الأمة، ثم لا يتوب الله عليه ويقبضه، إذا قبضه وهو ملآن من الخمر سكران، قال زهير: فبكيت، فقال لي علي: لا تبك يا زهير! فالذي قضى كائن. ثم رجعنا إلى الخبر.

قال: ثم سار حتى أتى ساباط المدائن، فإذا هو بالدهاقين وقد أقبلوا إليه يعرضون عليه النزول، فأبى ذلك وقال: ليس لنا عليكم نزول. ثم سار حتى أشرف على بنيان كسرى، فإذا برجل من أصحابه يقال له جرير (١) بن سهم بن طريف (٢) التميمي قد وقف فنظر إلى آثار كسرى وهو يتمثل بهذا البيت:

سفت الرياح على محل ديارهم \* فكأنهم كانوا على ميعاد (٣)  
فقال له علي رضي الله عنه: ويحك! فلو قلت (كم تركوا من جنات  
وعيون \* وزروع ومقام كريم \* ونعمة كانوا فيها فاكهين \* كذلك وأورثناها قوما

(١) وقعة صفين ص ١٤٢: حر.

(٢) عن وقعة صفين وبالأصل: طراف. وفيه أنه: من بني ربيعة بن مالك (بن زيد مناة بن تميم).

(٣) البيت في وقعة صفين ص ١٤٢ والمفضليات ٢ / ١٥ من قصيدة لابن يعفر (الأسود بن يعفر بن

عبد الأسود بن جندل التميمي) وفي وقعة صفين:

جرت الرياح على مكان ديارهم \* فكأنما كانوا على ميعاد

آخرين \* فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين \* (١) هؤلاء قوم كانوا وارثين فأصبحوا موروثين، لم يشكروا النعمة فحلت بهم النقمة وسلبوا دنياهم بالمعصية، فإياكم وكفر النعمة! لا تحل بكم النقم.

ثم سار حتى نزل الأنبار، فإذا أهلها قد أقبلوا يقودون البراذين وقد حملوا إليه الأطعمة والعلوفة، فقال لهم علي: ما هذه الدواب التي نراها معكم؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين! هذا خلق منا نعظم بها الامراء وهي هدية منا إليك، وهذا طعام اتخذناه لك ولأصحابك، فقال لهم علي رضي الله عنه: أما الدواب فإننا نأخذها منكم ونحسبها لكم من خراجكم، وأما الطعام فإننا لا نقبله منكم إلا بثمن، فقالوا: يا أمير المؤمنين! فإن لنا في أصحابك معارف، فأذن لنا أن نهدي لهم هذا الطعام وهذه العلوفة، فقال: ذلك إليكم ولست أمنعكم من الهدية ولا أمنع أصحابي منها، ولكن إن أخذ أحد من أصحابي منكم شيئاً على طريق الغصب فأعلموني بذلك - والسلام -.

خبر الراهب والعين.

قال: وأقام علي رضي الله عنه بالأنبار يومين، فلما كان في اليوم الثالث سار بالناس في برية ملساء، وعطش الناس واحتاجوا إلى الماء، قال: وإذا براهب في صومعته، فدنا منه علي رضي الله عنه وصاح به، فأشرف عليه، فقال له علي رضي الله عنه: هل تعلم بالقرب منك ماء نشرب منه؟ فقال: ما أعلم ذلك، وإن الماء ليحمل إلينا من قريب من فرسخين.

قال: فتركه علي رضي الله عنه وأقبل إلى موضع من الأرض فطاف به، ثم أشار إلى مكان منه فقال: احفروا ههنا، فحفروا قليلاً وإذا هم بصخرة صفراء كأنما طليت بالذهب وإذا هي على سبيل الرحي لا ينتقلها إلا مائة رجل، فقال علي رضي الله عنه: اقلبوها فالماء من تحتها، فاجتمع الناس عليها فلم يقدرُوا على قلبها، قال: فنزل علي رضي الله عنه عن فرسه، ثم دنا من الصخرة وحرك شفثيه بشيء لم يسمع، ثم دنا من الصخرة وقال: باسم الله، ثم حركها ورفعها فدحاها ناحية، قال: فإذا بعين من الماء لم تر الناس أعذب منها ولا أصفى ولا أبرد، فنادى في

(١) سورة الدخان الآيات ٢٥ - ٢٩.

الناس أن (هلموا إلى الماء) قال: فورد الناس فنزلوا وشربوا وسقوا ما معهم من الظهر، ومأوا أسقيتهم، وحملوا من الماء ما أرادوا، ثم حمل على الصخرة وهو يحرك شفثيه بمثل كلامه الأول حتى رد الصخرة إلى موضعها.

ثم سار حتى نزل في الماء الذي أرادوا وإذا مأوه متغير، فقال علي رضي الله عنه لأصحابه: أفيكم من يعرف مكان الماء الذي يتم عليه؟ فقالوا: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فانطلقوا إليه، فطلبوا مكان الصخرة فلم يقدروا عليه، فانطلقوا إلى الراهب فصاحوا به: يا راهب! فأشرف عليهم، فقالوا: أين هذا الماء الذي هو بالقرب من ديرك؟ فقال الراهب: إنه ما بقربي شيء من الماء، فقالوا: بلى! قد شربنا منه نحن وصاحبنا، وهو الذي استخرج لنا الماء وقد شربنا منه، فقال الراهب: والله ما بني هذا الدير إلا بذلك الماء، وإن لي في هذه الصومعة منذ كذا سنة ما علمت بمكان هذا الماء، وإنها عين يقال لها عين راحوما (١)، ما استخرجها إلا نبي أو وصي نبي، ولقد شرب منها سبعون نبيا وسبعون وصيا. قال: فرجعوا إلى علي رضي الله عنه فأخبروه بذلك، فسكت ولم يقل شيئا.

ثم رجعنا إلى الخبر.

قال: ثم سار من منزله ذلك حتى نزل بمدينة هيت (٢)، ورحل منها حتى نزل بموضع يقال [له] الأقطار، فبنى هنالك مسجدا، والمسجد ثابت إلى يومنا هذا. ثم إنه عبر الفرات وشق البلاد حتى خرج إلى بلاد الجزيرة، ثم سار يريد الرقة حتى نزل بموضع يقال له البليخ (٣)، فنزل هنالك على شاطئ نهر البليخ. خبر الراهب ونزوله من صومعته إليه.

قال: ونظر إليه راهب قد كان هنالك في صومعة له، فنزل من الصومعة وأقبل إلى علي رضي الله عنه، فأسلم على يده، ثم قال: يا أمير المؤمنين! إن عندنا كتابا توارثناه عن آبائنا، يذكر أن عيسى ابن مريم عليه السلام كتبه، فأعرضه عليك؟ قال علي رضي الله عنه: نعم فهاته. فرجع الراهب إلى الصومعة وأقبل بكتاب عتيق

(١) كذا، ولم نجدها.

(٢) هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار.

(٣) البليخ: موضع قرب الرقة على جانب الفرات. والبليخ نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من عيون.

قد كاد أن يندرس، فأخذه علي وقبله ثم دفعه إلى الراهب، فقال: أقرأه علي! فقرأه الراهب على علي رضي الله عنه، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم الذي قضى فيما قضى وسطر فيما سطر، أنه باعث في الأميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة، ويدلهم على سبيل الرشاد، لا فظ ولا غليظ ولا صحاب في الأسواق، لا يجزي السيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، أمته الحامدون الذين يحمدون الله على كل حال في هبوط الأرض وصعود الجبال، ألسنتهم مذلة بالتسبيح والتقديس والتكبير والتهليل، ينصر الله هذا النبي على من ناواه، فإذا توفاه الله اختلفت أمته من بعده، ثم يلبثون بذلك ما شاء الله، فيمر رجل من أمته بشاطئ هذا النهر، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يقضي بالحق ولا يرتشي في الحكم، الدنيا عليه أهون من شرب الماء على الظمان، يخاف الله عز وجل في السر وينصح الله في العلانية، ولا يأخذ في الله لومة لائم، فمن أدرك ذاك النبي فليؤمن به، فمن آمن به كان له رضوان الله والجنة، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإنه وصي خاتم الأنبياء، والقتل معه شهادة.

قال: ثم إنه أقبل هذا الراهب على علي فقال: يا أمير المؤمنين! إني صاحبك لا أفارقك أبدا حتى يصيبني ما أصابك، قال: فبكى علي رضي الله عنه ثم قال: الحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار.

قال: ثم سار وهذا الراهب معه، فكان يتغدى ويتعشى مع علي، حتى صار إلى صفين، فقاتل فقتل، فقال علي لأصحابه: اطلبوه! فطلبوه فوجدوه، فصلى عليه علي رضي الله عنه ودفنه واستغفر له، ثم قال: هذا منا أهل البيت. ثم رجعنا إلى الحديث.

قال: ثم سار علي رضي الله عنه حتى دخل الرقة، وجد أهلها يومئذ العثمانية وهواهم مع معاوية، فلما نظروا إلى خيل علي رضي الله عنه قد وافتهم غلقوا باب المدينة وتحصنوا فيها.

قال: فنزل علي رضي الله عنه على شاطئ الفرات ثم كتب إلى معاوية (١): من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن صخر، أما بعد! فإن لله عبادا آمنوا بالتنزيل وعرفوا بالتأويل وتفقهوا في الدين، فبين الله فضلهم في القرآن العظيم،

(١) نسخته في وقعة صفين ص ١٥٠.

وأنتم إذ ذلك أعداء الرسول، تكذبون بالكتاب وتجمعون على حرب المسلمين، حتى أظهر الله دينه وأدخل فيه الأمة الطائعين والكارهين، فليس ينبغي لمن كان له قلب أن يجهل أمره وقدره ويتعدى حده وطوره، وقد علمت يا معاوية أن أولى الناس بهذا الامر أقربهم من الرسول، وأعلمهم بكتاب الله عز وجل، وأولهم إسلاما وأكثرهم جهادا، فاتقوا الله الذي إليه ترجعون، ولا تلبسوا الحق بالباطل، فإن خير عباد الله الذين يعملون بما يعلمون، وإني أدعوكم إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (١)، فإن قبلتم أصبتم رشدكم وأخذتم (٢) حظكم، وإن أبيتم إلا الفرقة وشق العصا لهذه الأمة لن تزدادوا من الله إلا بعدا ولن يزداد عليكم إلا سخطا - والسلام -.

قال: فكتب إليه معاوية (٣): أما بعد! فإن الحسد عشرة أجزاء، تسعة منها فيك وواحد في سائر الناس، وذلك أنه لم تكن أمور هذه الأمة لاحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا

وله قد حسدت، وعليه قد بغيت، عرفنا ذلك منك في نظرك الشزر، وقولك الهجر، وتنفسك الصعداء، وإبطائك على الخلفاء، تقاد إلى البيعة كما يقاد الجمل الشارد (٤) حتى تباع وأنت كاره، ثم إني لا أنسى فعلك بعثمان بن عفان في البر والبحر والجبال والرمال، حتى تقتلهم أو لتلحقن أرواحنا بالله - والسلام -.

قال (٥): وكتب إليه علي رضي الله عنه: أما بعد! فإنه أتاني كتابك تذكر فيه حسدي للخلفاء وإبطائي عنهم، فأما الحسد فمعاذ الله أن يكون ذلك! وأما الإبطاء عنهم والكره لامرهم فلست أعتذر من ذلك إليك ولا إلى غيرك، وذلك أنه لما قبض الرسول صلى الله عليه وسلم واختلفت الأمة قالت قريش: منا الأمير، وقالت الأنصار: بل منا،

وقالت قريش: محمد منا ونحن أحق بالامر منكم، فسلمت الأنصار لقريش الولاية والسلطان، وإنما استحقها قريش بمحمد دون الأنصار، فنحن أهل البيت أحق بهذا الامر من غيرنا، فأما عثمان فإنه فعل ما قد علمت، ففعلت به الناس ما قد بلغك،

(١) وقعة صفين: وحقق دماء هذه الأمة.

(٢) وقعة صفين: واهتديتم.

(٣) في وقعة صفين ص ١٥١ فكتب إليه معاوية: أما بعد فإنه:

ليس بيني وبين قيس عتاب \* غير طعن الكلي وضرب الرقاب

(٤) في العقد الفريد ٤ / ٣٣٥: البعير المخشوش.

(٥) العقد الفريد ٤ / ٣٣٦ باختلاف.

(۰۰۸)

وقد علمت أنني كنت في عزلة عنه، وأما قتلة عثمان فلعمري لئن لم تنزع عن غيك وشقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك ولا يكلفونك أن تطلبهم في (١) بر ولا بحر، وقد كان أبوك أبو سفيان جاءني في الوقت الذي بايعت الناس فيه أبا بكر فقال: (لانت أحق الناس بهذا الامر من غيرك وأنا أو يدك على من خالفك، ولئن شئت لأملأن المدينة خيلا ورجلا على ابن أبي قحافة) فلم أقبل ذلك، والله يعلم أن أباك قد فعل ذلك حتى كنت أنا الذي أبيت عليه مخافة الفرقة بين أهل الاسلام (٢)، فإن تعرف حقي ما كان أبوك يعرفه فقد أصبت رشذك، وإن أبيت فيها أنا قاصد إليك - والسلام -

قال: فكتب إليه معاوية: أما بعد! فإن الله تبارك وتعالى اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم

وعلمه، وجعله الأمين على وجيهه، والرسول إلى خلقه، واجتبي له من المهاجرين والأنصار وخيار المسلمين أعوانا ووزراء وأصحابا، أيده بهم، فكانوا عنده على قدر فضائلهم ومنازلهم في الاسلام، فكان أفضل أصحابه في إسلامه وأنصحهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم الخليفة من بعده، أبو بكر الصديق، وخليفة الخليفة عمر بن الخطاب،

وثالث الخلفاء عثمان بن عفان، فأما الصديق والفراروق فما زلت لهما مبغضا عدوا حتى مضيا لسبيلهما محمودين، ثم بغيت أشد البغي على ابن عمك عثمان بن عفان، فكان الواجب أن لا تفعل به ذلك لقربته وصهره، فقطعت رحمه وقبحت محاسنه وألبت الناس عليه حتى ضربت عليه آباط الإبل من الآفاق، وقدت إليه الخيل العراب، وحملت عليه السلاح في حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى قتل معك في

المحلة وأنت تسمع (٣) الداعية في داره، ولا ترى الناس من نفسك أنك نصرته بقول ولا فعل، وأقسم بالله قسما صادقا أن لو قمت في أمره مقاما واحدا فنهنت عنه الناس لما عدل بك أحد من الناس، ولكنك أحببت قتله، والدليل على ذلك تعظيمك لأقدار قتلته، فهم عضدك وأنصارك ويدك وبطانتك، ثم إنك تنتفي وتتبرأ من دمه، فإن كنت صادقا مكننا من قتلة عثمان حتى نقتلهم به ونحن أسرع الناس إجابة لك، فإن فعلت ذلك كان الامر على ما تريد، وإلا فليس لك ولأصحابك عندي إلا السيف (٤) - والسلام -

(١) العقد الفريد: في سهل ولا جبل، ولا بر ولا بحر.

(٢) العقد الفريد: لقرب عهد الناس بالكفر.

(٣) العقد الفريد ٤ / ٣١٢: تسمع في داره الهائعة. وفي الاخبار الطوال ١٦٢: الهية.

(٤) زيد في العقد: والذي نفس معاوية بيده لأطبلن قتلة عثمان في الجبال والرمال والبر والبحر حتى نقتلهم

أو تلحق أرواحنا بالله. (وانظر الاخبار الطوال ص ١٦٢).

(٥٥٩)

قال: فكتب إليه علي رضي الله عنه أما بعد! فإنه أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله فيه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم لدينه وتأييده إياه بمن أيده وما أنعم عليه في الوحي

والهدى، فالحمد لله الذي صدق له الوعد، وتمم له النصر ومكن له في البلاد، وأظهره على أهل العناد (١) في قومه الذين وثبوا به وأظهروا له التكذيب، وناذبوه بالعداوة والبغضاء، وظاهروا على إخراجه (٢)، وجهدوا عليه وعلى أصحابه، حتى ظهر أمر الله وهم كارهون (٢)، وكان أشد الناس عليه أسرته الأدنى فالأدنى من قومه إلا

من عصم الله منهم، ولقد خبأ لنا منك الدهر خيبا معجبا إذا طفقت تخبرنا عن بلاء الله في نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وفينا، فكأنك في ذلك كجالب التمر إلى هجر، ذكرت أن

أفضل أصحابه خليفته الصديق وخليفة خليفته الفاروق، إن مكانهما في الاسلام لعظيم، وإن مصابهما لشديد في حبهما الله وجزاهما بأحسن أعمالهما، وذكرت أن عثمان كان لهم في الخلافة ثالثا، فذكرت لهؤلاء فضلا إذ هو ثم اعتزلك، وإن نقص لم يلحقك ثلثة، وما أنت والصديق؟ صديقنا إذ صدق بحقنا وكذب بباطل غيرنا، وما أنت والفاروق؟ إنما فرق بيننا وبين أعدائنا، وأما عثمان فإن كان محسنا فسيلقى ربا شكورا يضاعف له الحسنات ويمحو عنه السيئات، فإن كان مسيئا فسيلقى ربا غفورا لا يتعاضمه ذنب أن يغفره، ولكني لاحب أن تخبرني يا بن هند ما للطلاق وأولاد الطلقاء والأحزاب وأولاد الأحزاب وإن لم يثبت بين المهاجرين الأولين إلا بربع، أيها الانسان! على طلعك، وتتأخر حيث أحرک القدر، ولكن بنعمة الله تعالى إننا قد فزنا على جميع المهاجرين كفوز نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على سائر النبيين، أولا

ترى أن قوما استشهدوا في سبيل الله ولكل فضل؟ حتى إذا استشهد عمه حمزة قيل: سيد الشهداء، وخصه صلى الله عليه وسلم بسبعين تكبيرة، ووضع يده في قبره، وإن قوما

قطعت أيديهم في سبيل الله ولكل فضل، حتى إذا قطعت يد أخي جعفر قيل: الطيار في الجنة، أو لا ترى أن مسلما قد بان في إسلامه كما بان جاهلنا في جاهليته؟ حتى قال عمي العباس بن عبد المطلب لأبي طالب:

أبا طالب لا تقبل النصف منهم\* وإن أنصفوا حتى نعق ونظلما

(١) العقد الفريد: الأعمادي.

(٢) العبارة في العقد الفريد ٤ / ٣١٢ (من تحقيقنا): وإخراج أصحابه، وألبوا عليه العرب، وحزبوا الأحزاب، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون.



(٥٦٠)

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت \* صوارم في أيماننا تقطر الدما  
تركناهم لا يستحلون بعدها \* لذي حرمة في سائر الناس محرما  
ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكره أكثر فضائل جمعة تعرفها قلوب  
المؤمنين ولا تملحها آذانهم من أشياء لو شئت لقلت، فدع عنك يا بن هند من قد  
بانث الرمية، فإننا صنائع ربنا والناس كلهم لنا صنائع، ولم يمنعنا شرفنا أن خلطناهم  
بأنفسنا، ولستم هنالك، وانى يكون ذلك؟ ومنا المشكاة والزيتونة ومنكم الشجرة  
الملعونة، ومنا هاشم بن عبد مناف ومنكم أمية كلب الاحلاف، ومنا شيبة الحمد  
عبد المطلب ومنكم الكذاب المكذب. ومنا أسد الله ومنكم طريد رسول الله، ومنا  
الطيبار

في الجنة ومنكم عدو الاسلام والسنة، ومنا سيدة نساء العالمين بلا كذب ومنكم ابن  
حمالة الحطب، وحسبي برسول الله صلى الله عليه وسلم صهرا وابنته فاطمة شرفا وعزا  
وفخرا، وكنت

تسألني أذفع إليك قتلة عثمان، وليس لك أن تسأل ذلك ولا إلي أن أدفعهم إليك،  
وإنما ذلك إلى ورثة عثمان وأولاده، وهم أولى بطلب دم أبيهم منك، فإن زعمت  
أنك أقوى على الطلب بدم عثمان فادخل فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار، وحاكم  
القوم إلي أحملك وإياهم على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه  
وسلم، وذكرت أنه

ليس لي ولأصحابي عندك إلا السيف، فلقد أضحكنتني بعد استعبار يا بن آكلة  
الأكباد! متى لقيت بني عبد المطلب؟ فسيطلبك من يستبطن ويقرب ما يستبعد  
وتره، عليك سيوف قد عرفت نصالها في أخيك وخالك وجدك وعم أمك وأسلافك،  
فإن تكن الدائرة عليك تصطلمك عزائم الدين وحكم الكتاب، وإن تحل منا بعاجل  
ظفر فلا ضير إنا إلى ربنا لمنقلبون - والسلام على عباد الله الصالحين - .  
قال: فلما ورد هذا الكتاب على معاوية وقرأه أقلقه ذلك، ولم يدر بماذا يجيب  
عليها، فكتب إليه يقول:

ليس بيني وبين قيس عتاب \* غير طعن الكلي وضرب الرقاب  
وكتب إليه علي رضي الله عنه: (إنك لا تهدي من أحببت ولكن يهدي من  
يشاء وهو أعلم بالمهتدين) (١)

(١) سورة القصص الآية ٥٦.

خبر هشام بن عبد الملك مع الشيخ وقوله في بني أمية.  
قال: فبينما هشام بن عبد الملك ذات يوم في برية الشام يتنزه ويتصيد إذ نظر إلى غبار ساطع على قارعة الطريق، فقال هشام لمن معه: قفوا في مواضعكم! لا يتبعني أحد منكم إلى أن أرجع إليكم، قال: ثم حرك هشام ومضى نحو الغبار، فإذا بهير قد أقبلت من بعض مدائن الشام، عليها زيت وأمتعة من أمتعة الشام يراد بها الكوفة. قال: وفي العير شيخ من أهل الكوفة له رواء ومنظر، ومع الشيخ غلظة له أحداث وهم بنوه، ومع هشام مولى له يقال له ربيع.  
قال: فسلم عليهم هشام، فردوا عليه السلام وهم لا يعرفونه، فأقبل هشام على الشيخ فقال: ممن أنت وأين منشأك؟ فقال الشيخ: أما المنشأ فالكوفة، وأما من أين فما سؤالك عن ذلك؟ فوالله إني لو كنت من العرب في أعلاها لما نفعك، ولو كنت من أدناها لما ضرك، فقال هشام: والله يا شيخ ما أظنك كتمت نسبك إلا وأنت مستح، قال: فضحك الشيخ ثم قال: يا هذا! ما هو إلا ما ظننت، وإني لأرجو أن يسأل الله عز وجل عمن يحبسني بما اطلع عليه من دناءة جنسك ونسبك إذا أنبأتني به، فإن قبح وجهك وحول عينيك وذمامة خلقتك وسوء منطلقك قد أطمعني في ذلك منك، وأنا أخبرك ممن أنا إذ قد أبيت إلا ذلك، أنا رجل من حكم وأمي سلولية، ونحن اليوم خلف في عكل. فقال هشام: نسأل الله العافية ممن قد ابتلاك به يا شيخ! لقد اجتمع فيك ما لم يجتمع في أحد قط، فقال: ولم تقول ذلك، وقد أملت أن يسأل الله عمن ينسبنا عندما قد توسمته فيك عند معرفتي بنسبك، فمن أنت يا هذا؟ فقال هشام: أنا رجل من قريش، فقال الشيخ: إن قريشا كثير، وإن فيهم من قد علا نجمه، وفيهم من قد سقط سهمه، فمن أيها أنت؟ فقال هشام: أنا والله من أعلاها وأسناها وأزكاها! أنا رجل من بني أمية التي لا تسامى أخطارها ولا يدرك آثارها، فقال الشيخ: مرحبا بك يا أخي بني أمية! سليت ورب الكعبة غمي، وفرجت عني كربتي، كنتم والله يا بني أمية في الجاهلية تربون في التجارة، وفي الاسلام عاصين لأهل الطهارة، سيدكم حمار وأميركم جبار، إن قللتم عن الأربعين لم تدركوا بثأرا، وإن بلغتموها كنتم بشهادة الرسول من أهل النار، رجالكم يتقبلون في عار النسبة، ونساؤكم على نساء الأنام سبة، ومنكم الباكي على معلميه، ومنكم معاليه مؤوي الطرداء وباقي الأخيار السعداء الذي اختار القرابة على الصحابة، وصرف المال عن أهل النجابة، ومنكم صاحب الراية يوم القليب وأبو اللعينة ذات

العيوب، ومنكم صخر بن حرب، فكان في الجاهلية خمارا وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مجهزا كفارا، وفي إسلامه رديا منافقا وإلى كل السوءات سابقا، وابنه معاوية لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنات سبعا، سبعا منعه الله عز وجل أن ينال بدعوته عليه، سبعا منع أباه من الإسلام حثه على عبادة الأصنام، ثم قال في الشعر الذي بعث به إلى أبيه يقول:

يا صخر لا تسلمن طوعا فتفضحنا \* بعد الذين بيدر أصبحوا مزقا  
خالتي وجدتي وعم الام ثالثهم \* والمرء حنظلة المهدي لنا أرقا  
لا تركنن إلى أمر تقلدنا \* والرافضات به في مكة الخرقا  
فالموت أهون من قول النساء لنا \* خلا ابن حرب عن العقبي كذا فرقا  
ثم إنه بعد ذلك عادى النبي صلى الله عليه وسلم، وقاتل الوصي، وألحق زيادا الدعي، وعهد

إلى ابنه الفاسق الردي، وبدل مكان كل سنة بدعة، وجعل لابنه يزيد في إراقة الدماء فسحة وسعة، ونبش قبر حمزة سيد الشهداء وأجرى فيه الماء عداوة وبغضا، ألحق زياد بن عبيد اللعين بأبي سفيان الخمار، وأزوجه من نسائه ذات القلائد والخمار، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الولد للفراش وللعاهر الحجر)، فترك قول النبي صلى الله عليه وسلم وبزياد بن عبيد افتخر، وسلطه على شيعة علي بن أبي طالب، ولم يخف من سوء العواقب. ومنكم عقبة بن أبي معيط نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وسائر العرب، وضرب عنقه

بين يديه علي ذو الحسب، وألبسكم بقتله من بين قريش العار، وجعل أرواحهم إلى النار، فقبلتم نسبه فيكم وزوجتموه، وهو علعج من أهل صفورية فادعيتموه، وابنه الوليد المحدود في الخمر، صلى بالناس أربعا في الفجر والظهر، في مساجد الله وهو سكران وقرب أهل الخيانة والغدر، فسماه الله في كتابه فاسقا، وجعله في الدرك الأسفل منافقا. ومنكم يا بني أمية الحكم بن أبي العاص، الملقب الحياص، نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد لعنه إياه، وأردفه ثانية وباللعنة ثناه. ومنكم عبد الملك غضب

الأبرار، واستعان بالفجار، وتهاون بالأخيار، فالحجاج أفضل حسناته، والغدر والجور أقل سيئاته، ثم بنوه الجبايرة في الإسلام، أبناء اللعنة والجور في الأحكام، منهم سليمان والوليد وهشام، وقبله يزيد، لا نذكر أحدا منهم برأي سديد، وما لهم في اللعنة من مزيد، خونة غدرة، رموا بيت الله الحرام بالحجارة والعذرة، وقتلوا قبل ذلك العشرة البررة. ومن نسائكم آكلة الأكباد، ومظهرة الفساد الصادة لزوجها

عن الرشاد، والداعية إلى الكفر والفساد والعناد، وصويحباتها الناقرات يوم أحد

(٥٦٣)

بالدفوف، المغنيات وقد دنت الزحوف، فأنتم يا بني أمية الشجرة الملعونة في القرآن، لا ينكر ذلك إنس ولا جان، ولا أحد من أهل الايمان، فأولكم ردي، وأوسطكم دريء، وشريفكم دنيء، وآخركم مسيء. ألا فخذها يا أبا أمية \* يكون في قلبك منها كيه لا تفخرن بعدها عليه \* ما تركت فخرا لكم سميته

قال: ثم مر الشيخ على وجهه حتى لحق بالعرير، وبقي هشام حيرانا لا يدري بما يقول، ثم أقبل على غلامه ربيع فقال: ويلك يا ربيع! رأيت ما منينا به في هذا اليوم من هذا الشيخ! والله لقد أظلمت الدنيا علي حتى ظننت أنني لا أبصر شيئا! ولكن هل تحفظ من كلامه شيئا؟ فقال ربيع: يا أمير المؤمنين! والله لقد بقيت متحيرا لا أعقل من أمري شيئا، ولقد هممت أن أعلوه بالسيف مرارا لولا هيبتك، فكيف أحفظ ما قال! فقال هشام: لكني والله قد حفظته، ولو علمت أنك تحفظه لضربت عنقك.

قال: ثم رجع هشام إلى أصحابه ووجه الخيل في طلب الشيخ وعزم على قتله، قال: فكان الشيخ داهيا، فوقع في قلبه أنه هشام بن عبد الملك واتقى ما قال وخشي الطلب، فعدل عن الطريق وأخذ في البرية على مياه بني كلاب، فطلب فلم يقدر عليه، ومضى حتى دخل الكوفة، فلم يزل هشام متأسفا على ما فاته من قتل الشيخ. قال: فكان ربيع يقول: والله ما شذ عني من كلام الشيخ شيء وإني لأحفظه وما حدثت بهذا الحديث أحدا حتى مات هشام. ثم رجعنا إلى الخبر.

قال: ثم دعا على أهل الرقة فقال: اعقدوا لي جسرا على هذا الفرات حتى أعبر عليه أنا وأصحابي إلى قتال معاوية، فأبوا ذلك، وعلم علي رضي الله عنه هوى أهل الرقة في معاوية، فتركهم ونادى في أصحابه: نمضي لكي نعبر على جسر منبج (١).

قال: فخرج الأشر إلى أهل الرقة مغضبا وقال: والله يا أهل الرقة! لئن لم

(١) منبج: بالفتح ثم السكون مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ. (معجم البلدان).

تعقدوا الأمير المؤمنين جسرا لأجردن فيكم السيف ولأقتلن الرجال ولأحوين الأموال (١)، فلما سمع أهل الرقة ذلك قال بعضهم لبعض: إن الأشر والله يوفي بما يقول، ثم إنهم ركبوا خلف علي بن أبي طالب فردوه وقالوا: ارجع يا أمير المؤمنين! فإننا عاقدون لك جسرا، قال: فرجع علي إلى الرقة، وعقدوا له جسرا على الفرات، ونادى في أصحابه أن اركبوا! فركبت الناس وعبرت الأثقال كلها، وعبر الناس بأجمعهم وعلي واقف في ألف فارس من أصحابه، ثم عبر آخر الناس. تحريض معاوية جنده على القتال.

قال: وبلغ ذلك معاوية فنادى في أهل الشام فجمعهم ثم قال: أيها الناس! هل تعلمون من قد وافاكم؟ وافاكم والله الأسد الأسود والشجاع المطرق علي بن أبي طالب! ومعه أفاعي أهل العراق من ذي شرف يحامي عن شرفه وذي دين يحامي عن دينه، وذي كلب يؤمل فيكم الغارة، أتاكم والله من درعه الأنصار، وسيفه همدان، ورمحه عبد القيس، وسنانه أخلاط العرب، فإن كنتم تريدون الصبر فهذا وقت الصبر.

قال: فوثب نبهان بن الحكم فقال: يا معاوية! والله لقد جهدت يوم الجمل أن أموت فلم أمت وأبت المقادير ذلك، ووالله لئن رأيت عليا لأجهدن في قتله أو أموت، دعوتنا إليه فجعلونا بينك وبينهم وقد جعلها بيننا وبين الله عز وجل، فأمرنا بما تحب وانها عما تكره.

قال: ثم وثب حوشب ذو الظلم فقال: يا معاوية! والله ما إياك ننصر ولا لك نغضب ولا عليك نحامي إلا على الشام، فكف الخيل بالخيل والرجال بالرجال، ولا يهولنك علي ومن معه، فإن ما له ولأصحابه عندي [إلا] حملة واحدة، فأفرق جمعهم وأبدد شملهم.

قال: ثم وثب أبو الأعور السلمي فقال: يا معاوية! إننا لو شهدنا مقتل عثمان وعرفنا من قتله بأعيانهم لما دخلنا في ذلك الشك، ولكننا نصدقك على ما غاب - والسلام -.

(١) وقعة صفين ص ١٥١: ولأخرين أرضكم، ولأخذن أموالكم. (انظر الطبري ٥ / ٢٢٧ وابن الأثير ٢ / ٣٦٢).

قال: ثم وثب شاعر أهل الشام فجعل يحرض على القتال وهو يقول أبياتا مطلعها:

إن بالشام يا معاوي قوما \* ييدلون النفوس والأموالا  
إلى آخرها.  
ذكر ذواق لأهل الشام من حرب أصحاب علي  
رضي الله عنه.

قال: ونزل علي على شاطئ الفرات حذاء مدينة الرقة، وبلغ ذلك معاوية، فدعا بأبي الأعور السلمي، فضم إليه جيشا كثيفا من أهل الشام، ثم قال: سر بهذا الجيش نحو علي، فلعلك أن تواقعه وقعة قبل مصيره إلينا. قال: فسار أبو الأعور في جند من أهل الشام يريد عليا، وبلغ ذلك عليا، فدعا زياد بن النضر وشريح بن هانيء فضم إليهما جيشا (١) وقدمهم بين يديه نحو أبي الأعور، قال: فساروا حتى إذا بلغوا إلى الموضع الذي فيه أهل الشام (٢) نظروا إلى جيش عظيم، فلم يقاتلوا وبعثوا إلى علي فأخبروه بذلك.

قال: فدعا علي بالأشتر النخعي فقال: يا مالك! إن زياد بن النضر وشريح بن هانيء أرسلا إلي يعلماني أنهما لقيا أبا الأعور في جند من أهل الشام كثيف، وقد أخبرني الرسول أنه ترك القوم متوقفين (٣)، فالتجاء التجاء إلى أصحابك! فإذا أتيت القوم فلا تبدأهم بقتال حتى يبدأوك، ثم ادعهم (٤) واعذر إليهم مرة بعد أخرى، فإن أجابوك، إلى ما تريد فالحمد لله على ذلك، وإن أبوا إلا القتال فاستعن بالله عز وجل عليهم، فالفهم بحد وجد، وابعث إلي بخبرك، وما يكون منك ومن أمرك إن شاء الله - والسلام -.

قال: فسار الأشتر في جيش خشن ومعه يومئذ هاشم بن عتبة بن أبي وقاص حتى وافى بهم القوم، فلما نظر أبو الأعور إلى جند أهل العراق قد وافوا صاح

(١) في اثني عشر ألفا ٥ / ٢٣٨ وابن الأثير ٢ / ٣٦٣.

(٢) في الطبري وابن الأثير: لقياه بسور الروم.

(٣) متوقفين: وقف بعضهم أمام بعض في الحرب.

(٤) في الطبري وابن الأثير: حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع منهم ولا يحملك بغضهم على قتالهم قبل دعائهم والاعذار إليهم مرة بعد مرة.

بأصحابه: احمّلوا على هؤلاء الكلاب! قال: فحمل القوم بعضهم على بعض، فاقتتلوا قتالا شديدا (١)، وجعل الأشتر يقول لأصحابه: ويلكم! أروني أبا الأعور هذا الذي بدأنا به معاوية حتى أنظر إليه، فقالوا: هو الواقف على التل صاحب الفرس الأشقر، فقال الأشتر لرجل من أصحابه يقال له سنان بن مالك [النخعي]: اذهب إلى أبي الأعور فادعه إلى المباراة! فقال له سنان: إلى مبارزتك أو إلى مبارزتي؟ فقال الأشتر: ولو أمرتك بمبارزته لفعلت؟ قال: نعم، والذي لا إله إلا هو لو أمرتني أن أعترض صفهم هذا بسيفي لما رجعت عنهم أو أضرب فيهم ضربا يرضيك ذلك مني! فقال له الأشتر: يا بن أخ! والله لقد زدني فيك رغبة! ولكني لا أمرك بمبارزته، إنما أمرتك أن تدعوه إلى مبارزتي، وذلك أنه لا يبارز إلا ذوي الأسنان والأكفاء من الفرسان، وأنت بحمد الله من الكرامة والشرف، ولكنك حدث السن، وأعلم أنه لا يبارزك، ولكن أذهب إليه وادعه إلى مبارزتي.

قال: فأقبل الفتى حتى وقف قريبا من عسكر أهل الشام ثم قال: إني رسول ولا تؤذوني، فقال له أهل الشام: أنت آمن فهلهم وقل ما أحببت، قال: فجاء الفتى إلى أبي الأعور فقال: إن الأشتر يدعوك إلى مبارزته، قال: فسكت أبو الأعور ساعة ثم قال: إن جهل (٢) الأشتر وسوء رأيه هو الذي حمّله على ما فعل (٣) بعثمان بن عفان، أنه قبّح محاسنه وأظهر عداوته، ثم سار إليه في داره وقراره حتى قتله، انصرف عني فلا حاجة لي في مبارزته، فقال سنان: إنك قد تكلمت فاسمع الجواب (٤)، فقال: لا حاجة لي في جوابك، انصرف من حيث جئت.

قال: فرجع سنان إلى الأشتر فأخبره بذلك، فتبسّم الأشتر وقال: إنه نظر لنفسه، ولو بارزني لبريت يديه، ولكن احمّلوا عليهم! قال: فحملت أهل العراق على أهل الشام واقتتلوا قتالا عظيما يوم ذلك إلى الليل.

فلما كان وجه السحر انهزم أبو الأعور في أصحابه، حتى سار إلى معاوية فأخبره بما كان من أمره، فقال معاوية: فكيف رأيت حرب القوم؟ فقال: يا معاوية

(١) اقتتلوا مساء اليوم الأول ساعة، واقتتلوا يومهم الثاني وصبر بعضهم لبعض ثم انصرفوا. (الطبري - ابن الأثير).

(٢) الطبري ٥ / ٢٣٩ ابن الأثير ٢ / ٣٦٣: خفة.

(٣) في الطبري: حمّله على إجلاء عمال عثمان بن عفان عن العراق.

(٤) في الطبري: اسمع حتى أجيئك. وفي وقعة صفين ص ١٥٦ حتى أخبرك.

لا تسأل عن شيء، فإن الخطر عظيم، ثم جعل يرتجز ويقول (١):  
 [و] إن للحرب عراما شررا\* وإن فيهم فارسا عشنزرا (٢)  
 ينصف من أحجم (٣) أو تنمرا\* إذا ونى برمية تعسر (٤)  
 ثم رجعنا إلى الحديث.  
 قال: وسار علي رضي الله عنه من موضعه ذلك وبين يديه جرير بن سهم  
 التميمي (٤) وهو يقول:  
 يا فرسي سيرى وأمي الشاما\* واقطعي الأحقاف والأعلاما (٦)  
 وقاتلي (٧) من خالف الإماما\* إنني لأرجو إن لقينا العاما  
 [جمع بني أمية الطغاما\* أن نقتل العاصي (٨) وذا الأجراما]  
 قال: وأشرف عساكر علي وأصحابه على أهل الشام، فلما نظر معاوية إلى إبل  
 مجنبة بالخييل أقبل على عمرو بن العاص فقال: أبا عبد الله! أما أبو الحسن فقد وفي  
 لك بما قال إنه يجنب الخيل بالقلاص، فقال عمرو بن العاص: صدقت يا معاوية!  
 ولكن اشدد حيازيمك لملاقاته، فإنك تعلم ما قد وافاك وفاك، والله من لو لقي أهل  
 الشام بأجمعهم وهو وحيد لم يخالجه خوف ولا رهبة! فقال معاوية: صدقت، ولكن  
 معه رجال ومعنا رجال، قال: ثم جعل معاوية يرتجز ويقول (٩):  
 أتاكم الكاشر عن أنيابه\* ليث العرين جاء في أصحابه  
 كالسيف إذ ينزع من قرابه\* فليأتنا الدهر بما أتى به

- 
- (١) الارجاز في وقعة صفين ص ١٥٩ ونسبها إلى علي أنه كتب بها إلى معاوية.  
 (٢) وقعة صفين: قائدا عشنزرا، والعشنزر: الشديد.  
 (٣) وقعة صفين: أبحر.  
 (٤) بدله في وقعة صفين: على نواحيها مزجا زمجرا.  
 (٥) عن تهذيب التهذيب ٢ / ٧٣، وبالأصل: (التميمي). وفي وقعة صفين: ص ١٣٣ الحر بن سهم بن  
 طريف الربيعي (بيعة تميم).  
 (٦) وقعة صفين ص ١٣٣: وقطعي الحزون والأعلاما.  
 (٧) وقعة صفين: ونابذي.  
 (٨) وقعة صفين: (العاصي والهماما) وفيه شطر آخر:  
 وأن نزيل من رجال هاما  
 (٩) الارجاز في وقعة صفين ص ١٥٩ ونسبها إلى علي بن أبي طالب (رض). باختلاف ألفاظ وسقوط  
 وزيادة شطور.

قال: ونزل علي رضي الله عنه بالعساكر والأثقال، وذلك في النصف من المحرم سنة ثمان وثلاثين، وأمر معاوية أصحابه فنزلوا على شاطئ الفرات (١) وحالوا بين علي وأصحابه وبين الماء. وأرسل أصحاب علي بالعبيد والأحرار ليستقوا الماء من الفرات، فإذا هم بأبي الأعور وقد صف خيله على شاطئ الفرات وحال بينهم وبين الماء، قال: فرجع العبید إلى مواليهم يخبرونهم بذلك، ووثب الناس إلى علي يخبرونه بذلك.

(١) وكان معاوية قد سبق عليا إلى صفين فنزل منزلا بسيطا واسعا أفيح على شريعة الفرات، وليس في ذلك الصقع شريعة غيرها، وما عداها أخراق عالية ومواضع إلى الماء وعرة. وجعل معاوية أبا الأعور السلمي عليها - في أربعين ألفا - يحميها ويمنعها (الطبري - ابن الأثير - مروج الذهب - الإمامة والسياسة).